

شرح
معقضا النفرى



الفيف الدت التامسنا

دراسة وتحقيق وتعليق:
د. جمال المرزوقى
تصدير:
د. عاطف العراقى



عفيف الدين النلمساني
شرح مواقف النفري
دراسة وتحقيق وتعليق
الدكتور

جمال المرزوقي
تصديق الدكتور
عاطف العراقي

جميع حقوق الطبع محفوظة لمركز المحروسة

الطبعة الأولى مايو ١٩٩٧

عنوان الكتاب: شرح مواقف النفرى لعفيف الدين التلمساني
دراسة وتحقيق وتعليق : د. جمال المرزوقي

الناشر : مركز المحروسة

٤ ش ٩ ب المعادى - ت: ٣٣٠٣٠٣٧٣

المدير العام : فريد زهران

الغلاف للفنان : حامد العويضى صف وتنفيذ : هشام صلاح

مراجعة : إيهاب غريب مسئول الطباعة : محمد سعيد

رقم الإيداع : ٩٧/٢٣٢٧

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 3-69-5652-977

عفيف الدين النلمساني
شرح مواقف النفري

إهداء

إلى والدي: أحمد سعيد المرزوقي
أبا واعيا، حانيا، متدينا في عند ال،
معندا بنفسه في غير تعال.
علمني، وأتعلم منه الكثير.

جمال المرزوقي

الفهرس

١١	التصدير
١٧	القسم الأول
١٩	التقديم
١٩	أولا : كلمة لا بد منها
٢٠	ثانيا : صاحب المواقف
٢٢	ثالثا : صاحب شرح المواقف
٢٢	١ - حياته
٢٥	٢ - مؤلفاته
٢٥	٣ - "الوحدة المطلقة" عند عفيف الدين التلمساني
٢٩	٤ - شطحات التلمساني
٣١	٥ - "التلمساني" في رأى المؤرخين
	رابعا : وصف نسخ مخطوطة شرح مواقف النفري
٣٤	لعفيف الدين التلمساني
٣٤	١ - نسخة كوبريلى (ك)
٣٦	٢ - نسخة شهيد على باشا (ش)
٣٨	٣ - نسخة دار الكتب المصرية (م)
٤٠	نماذج مصورة من المخطوطات
٥٢	هوامش ومصادر القسم الأول
	القسم الثانى : عفيف الدين التلمساني
٥٥	شرح مواقف النفري "النص"
٥٧	١ - موقف العز
٦٩	٢ - موقف القرب
٧٧	٣ - موقف الكبرياء
٨٦	٤ - موقف أنت معنى الكون
٩٣	٥ - موقف قد جاء وقتى

٩٩	٦- موقف البحر
١٠٥	٧- موقف الرحمانية
١١٤	٨- موقف الوقفة
١٥٥	٩- موقف الأدب
١٦٣	١٠- موقف العزاء
١٦٨	١١- موقف معرفة المعارف
١٨٢	١٢- موقف الأعمال
١٩٢	١٣- موقف التذكر
٢٠١	١٤- موقف الأمر
٢٠٩	١٥- موقف المطلع
٢٢٢	١٦- موقف الموت
٢٢٤	١٧- موقف العزة
٢٣٢	١٨- موقف التقرير
٢٤٠	١٩- موقف الرفق
٢٤٣	٢٠- موقف بيت معمر
٢٥٣	٢١- موقف ما يبدو
٢٥٨	٢٢- موقف لا تطرف
٢٦٠	٢٣- موقف وأهل المنطقة
١٦٧	٢٤- موقف إن لم ترني فلا تفارق اسمي
٢٧٢	٢٥- موقف أنا منتهى أعزاني
٢٨١	٢٦- موقف كدت لا أواخذه
٢٨١	٢٧- موقف لي أعزاء
٢٨٣	٢٨- موقف ما تصنع بالمسئلة
٢٨٦	٢٩- موقف حجاب الرؤية
٢٩٠	٣٠- موقف ادعني ولا تسألني
٢٩٢	٣١- موقف استوى الكشف والحجاب
٢٩٤	٣٢- موقف البصيرة

٢٩٨	٣٣- موقف الصفح الجميل
٣٠٦	٣٤- موقف مالا ينقال
٣١١	٣٥- موقف اسمع عهد ولايتك
٣٢١	٣٦- موقف وراء المواقف
٣٣٦	٣٧- موقف الدلالة
٣٤٤	٣٨- موقف حقه
٣٤٧	٣٩- موقف بحر
٣٤٨	٤٠- موقف هو ذا تتصرف
٣٥٠	٤١- موقف الفقه وقلب العين
٣٥٢	٤٢- موقف نور
٣٥٤	٤٣- موقف بين يديه
٣٥٦	٤٤- موقف الحقيقة
٣٥٨	٤٥- موقف العظمة
٣٦١	٤٦- موقف التيه
٣٦٦	٤٧- موقف الحجاب
٣٧٧	٤٨- موقف الثوب
٣٨٢	٤٩- موقف الوجدانية
٣٨٧	٥٠- موقف الاختيار
٣٩٢	٥١- موقف العهد
٣٩٧	٥٢- موقف عنده
٤٠١	٥٣- موقف المراتب
٤٠٥	٥٤- موقف السكينة
٤٠٩	٥٥- موقف بين يديه
٤٢٤	٥٦- موقف التمكين والقوة
٤٢٩	٥٧- موقف قلوب العارفين
٤٣٧	٥٨- موقف رؤيته
٤٤٢	٥٩- موقف حق المعرفة

٤٤٤	٦٠- موقف العهد
٤٤٩	٦١- موقف أدب الأولياء
٤٥١	٦٢- موقف الليل
٤٥٣	٦٣- موقف محضر القدس الناطق
٤٥٦	٦٤- موقف الكشف والبهوت
٤٦٦	٦٥- موقف العبدانية
٤٧٠	٦٦- موقف الوقف
٤٧٤	٦٧- موقف المحضر والحرف
٤٩٥	٦٨- موقف الموعظة
٤٨٩	٦٩- موقف الصفح والكرم
٥٠١	٧٠- موقف القوة
٥١١	٧١- موقف إقباله
٥١٦	٧٢- موقف الصفح الجميل
٥٢٦	٧٣- موقف اقشعرار الجلود
٢٥٨	٧٤- موقف العبادة الوجهية
٥٣٩	٧٥- موقف الاصطفاء
٥٣٩	٧٦- موقف الإسلام
٥٤١	٧٧- موقف الكنف
٥٤٧	هوامش وتعليقات
٥٦١	المصادر والمراجع

تصدير

تصدير

بقلم د. عاطف العراقي
أستاذ الفلسفة العربية

يحتل التصوف في مجال الدراسات الإسلامية مكانة كبيرة. وإن لغة الصوفية هي لغة القلب والوجدان، ومن منا لا يطرب للغة تعزف على أوتار القلوب وتكون معبرة عن سمو الشعور والوجدان، إنها لغة الداخل وليست اللغة الخارجية الاصطلاحية.

وإذا كنا قد وجدنا في السنوات الأخيرة اهتماما كبيرا بدراسة العديد من الشخصيات الصوفية، وتحليل أبرز الأفكار التي قال، بها هذا الصوفي أو ذاك من صوفية الإسلام، فإن مكتبتنا العربية مازالت في أمس الحاجة إلى المزيد من الدراسات في مجال التصوف، وخاصة تلك الشخصيات التي لم تتل حظها من الدراسة والتحليل، ومن بينها عفيف الدين التلمساني.

من هنا كانت سعادتنا البالغة حين أقدم الدكتور جمال المرزوقي على دراسة آراء شخصية لم تتل حظها في الدراسة رغم أهميتها الكبيرة، وهي شخصية النفري، تلك الشخصية التي كانت مجالا لدراسته لدرجة الدكتوراه بقسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة. وقد سررت كثيرا حين تفضل الدكتور أبو الوفا التفازاني بدعوتي للاشتراك في مناقشة أطروحته للدكتوراه، ونالت رسالته كل إعجاب وتقدير، لأهمية موضوعها من جهة، بالإضافة إلى أن صاحبها كان تلميذي بالأمس، وصار صديقي وزميلي اليوم، الدكتور جمال المرزوقي، قضى في دراسته سنوات طوال، قرأ خلالها مناسبات الكتب والتي تعد على درجة كبيرة من الأهمية، وكان بذلك باحثا مجتهدا، باحثا حقيقيا، ولم يكن كأشباه الباحثين والذين تحسبهم من الباحثين، في حين أنهم من الأشباه كما قلنا، ومن الأقزام والجهلة. وقد أراد الدكتور المرزوقي أن يكمل المسيرة - مسيرة دراسته لآراء النفري، وكل ما يحيط به من قريب أو من بعيد - فنجدته يقدم اليوم "شرح مواقف النفري" لعفيف الدين التلمساني. وأشهد أن كاتبنا جمال المرزوقي بذل في دراسته جهدا وجهدا كبيرا. وإذا صح تقديري فإن كل المهتمين بالتصوف من قريب أو من بعيد سيتقبلون دراسته بكل تقدير. لقد اهتم الدكتور جمال بدراسة آراء التلمساني

منذما يقرب من خمسة عشر عاما : حلل آراء التلمساني، وناقش آراء الخصوم، وعلى رأسهم ابن تيمية.

قلنا إن الدكتور جمال المرزوقي قدم لنا دراسة بالغة الأهمية. فالتلمساني (عفيف الدين) يعد حلقة هامة في تطور الفكر الصوفي في القرنين السادس والسابع الهجريين، كما أن دراسة آراء التلمساني - والذي توفي عام ٦٩٠هـ - تلقى ضوءا جديدا على مدرسة ابن عربي، والذي توفي عام ٦٣٨هـ.

وعلى الرغم من أهمية الرجل وأفكاره في تاريخ التصوف الإسلامي، إلا أننا لا نجد العديد من الدراسات حوله، بحيث تكشف عن حياته الفكرية ونشأته ومذهبه في مجال التصوف الفلسفي، هذا النوع من التصوف الذي بذل فيه القائلون به - وبصرف النظر عن اتفاقنا معهم أو اختلافنا - جهدا، وجهدا كبيرا، وخاصة أنه يعد تعبيراً عن الانفتاح الفكري، معبرا تمام التعبير عن اللقاء السعيد والامتزاج القوي بين المصادر الداخلية والمصادر الخارجية، أي الثقافات الأجنبية هندية كانت أو فارسية، وغيرهما من الثقافات. ويمكن القول بأن الفكرة الرئيسية - والتي تدور حولها أفكار التلمساني - هي القول بالوحدة المطلقة، أي أن الوجود واحد، وجود الله سبحانه وتعالى، أما سائر الموجودات الأخرى فوجودها عين الوجود الواحد، إنها غير زائدة عليه بوجه من الوجوه، والوجود بذلك في حقيقته يعد واحدا ثابتا.

إن التلمساني يقول بذلك في عبارات تعد مغرقة في الغموض والرمزية. وهذا يؤدي بنا إلى تقدير الجهد الذي قام به الدكتور جمال المرزوقي، لقد بذل جهدا كبيرا في تحليل شرح التلمساني، ولم يكن مكتفيا بمخطوطة واحدة، بل رجع إلى أكثر من مخطوطة : نجد مخطوطتين كاملتين (مكتبة كوبريلي، ومكتبة شهيد على باشا الملحقة بالمكتبة السلمانية، وهما موجودتان باستنبول بتركيا)، كما نجد مخطوطة ثالثة ناقصة، وهي الموجودة بدار الكتب المصرية.

وقد عول الدكتور جمال المرزوقي على نسخة كوبريلي بصفة خاصة، وذكر الأسباب الموضوعية لذلك، كما قدم وصفا دقيقا لكل نسخة من هذه المخطوطة. ولم يكن مكتفيا بمجرد نقل الصفحات، وتحويل هذه

المخطوطة أو تلك من ورق أصفر إلى ورق أبيض - كما يفعل الذين يتاجرون بالتراث، أى يكتفون بمجرد الطبع - بل نجد الدكتور جمال المرزوقى يخدم النص خدمة كبرى. ظهر ذلك فى هوامشه وفى تحليلاته لآراء كثير من الصوفية، والذين تتصل أفكارهم، بأفكار التلمسانى من قريب أو من بعيد وعلى رأسهم - بطبيعة الحال - نفرى صاحب المواقف، والذى قام التلمسانى بشرح كتابه : كتاب المواقف.

إن ما فعله الدكتور جمال المرزوقى، إن دلنا على شئ، فإنما يدلنا، على أن باحثنا الممتاز جمال المرزوقى قد أدرك بثاقب نظره الفرق بين مجرد طبع التراث، وتحقيق التراث : فطبع التراث هو مهمة التجار فى دنيا المال، أما التحقيق فلا يستطيع الإقدام عليه إلا كل باحث جاد مخلص، وخاصة أن تحقيق الدكتور جمال المرزوقى قد جعلنا ننظر إلى عفيف الدين التلمسانى من خلال من سبقوه من الصوفية، ومن خلال من عاشوا بعده. إنها فكرة التأثير والتأثير، تأثر المفكر بآراء المفكرين الذين سبقوه، ومدى تأثيره فى المفكرين الذين عاشوا بعده. فالتلمسانى - وقد عاش فى القرن السابع الهجرى - كان متأثراً بطبيعة الحال بالسابقين، وليس أدل على ذلك من اهتمامه الكبير بشرح مواقف نفرى. والتأثر بالسابقين يعد ظاهرة صحية ؛ إذ أنها تكشف عن سعة اطلاع المفكر، وليس ظاهرة مرضية. ومن الصحيح أن نقول مع المفكر الأمريكى "ول ديورانت" إن المبدعين تمام الإبداع، الأصلاء تمام الأصالة، لا يوجدون إلا فى مستشفيات الأمراض العقلية، وعلى هذا فليس فينا أصيل، وذلك إذا فهمنا الأصالة، بمعنى عدم التأثير إطلاقاً بالسابقين، أى أن تكون أفكار المفكر نسيج وحدة. ونقول من جانبنا إن من لم يقرأ إلا أفلاطون، لا يفهم أفلاطون.

جهد كبير إذن قام به الدكتور جمال المرزوقى فى دراسته لشرح مواقف نفرى للتلمسانى؛ ولهذا جاءت دراسته جادة وبالغة الأهمية من حيث موضوعها، ومن حيث المنهج الذى سار عليه. لم تكن دراسته كتلك الدراسات التافهة - التى يجب أن تلقى فى سلال المهملات - الدراسات التى تعد تعبيراً عن الإسهال الفكرى والعياذ بالله، كما تكشف عن التخلف العقلى عند أصحابها.

لقد وقف الدكتور جمال المرزوقي وقفة متأنية عند آراء عفيف الدين التلمساني من خلال شرحه على كتاب المواقف للنفرى. صحيح أن بعض آراء التلمساني كانت تحتاج إلى وقفة نقدية من جانب الدكتور جمال المرزوقي، ولكن الدراسة العميقة التي قدمها الدكتور جمال - والتي التزم فيها بالبعد الأكاديمي الموضوعي - قد جعلت آراء التلمساني واضحة، وقدم الدكتور جمال (سواء في دراسته أوفى تحقيقه) خدمة كبرى للمهتمين بالتصوف عامة، والتصوف الفلسفي وآراء التلمساني بصفة خاصة. ولا أشك في أن دراسته للنفرى قد أفادته فائدة كبرى : فإذا كان قد اهتم بالنفرى - كما أشرنا - طوال عدة سنوات، ونشر دراسته منذ فترة ليست بعيدة، فإنه كان حريصا على مواصلة الطريق، وذلك حين قضى سنوات طوال مع شرح التلمساني على كتاب المواقف للنفرى. لقد أدت به دراسته للنفرى إلى أن يضع يده على أبرز أفكار شارح المواقف "التلمساني". وانتقل في دراسته وتحقيقه من نقطة إلى أخرى، من مجال إلى مجال، بثقة ويقين، واثق الخطوة يمشى ملكا.

وإذا كان الدكتور جمال المرزوقي قد أجهد نفسه إجهادا شديدا في دراسته هذه، وإذا كان من حقنا أن نفخر بدراسته، فإن من واجبنا أيضا الإشادة بجهده. نعم، إن ذلك يعد واجبا علينا، بل من أوجب واجباتنا. ومن مطالبنا الفكرية البالغة الأهمية، أن نعيش كمجتمع النمل حيث التعاون والود، وبحيث نبعد تماما عن مجتمع الصراصير حيث التقاتل وإنكار فضل الإنسان على أخيه الإنسان. فالتحية واجبة علينا (تحية الدكتور جمال المرزوقي) على ما قام به من جهد في سبيل البحث عن الحقيقة...

والله هو الموفق للسداد.

مدينة نصر - القاهرة

في ١٥ مايو ١٩٩٥

عاطف العراقي

القسم الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

أولا : "كلمة لا بد منها" :

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد :
 قدر لى أن أعيش فكر النفري وفكر التلمسانى منذ بداية عام ١٩٨٠، وكانت
 خطتى الأولى لنيل درجة الدكتوراه عن "عفيف الدين التلمسانى وفلسفته
 الصوفية"، وتتلخص الصعوبة التى واجهتنى - وحالت دون الاستمرار فى
 هذا العمل - فى أن مصنفات التلمسانى جميعها مخطوطة، والعثور عليها
 أمر غاية فى الصعوبة، فضلا عن أننى لم أجد عنه كتابات تتناول حياته أو
 فكره الصوفى، اللهم إلا بعض الشذرات القليلة عند بعض المتقدمين أو
 المحدثين على السواء.

فعدلت عن دراسة التلمسانى، واخترت شخصية أخرى من شخصيات
 التصوف الإسلامى التى لم تلق اهتماما - قل أو كثر - من الباحثين، رغم
 ثرائها وأهميتها البالغين، فكانت - بفضل الله وعونه - دراستى عن النفري،
 والتى حصلت بها على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من جامعة
 القاهرة فى يونيو ١٩٨٦م، والتى نشرتها دار الزهراء للإعلام العربى سنة
 ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. والنفري لا يقل غموضا ورمزية وثراء ونسيانا - إن
 لم يزد - عن التلمسانى.

والذى أعان - بعد الله تعالى - على بعض الفهم لعبارة النفري
 الشديدة الرمزية والتكثيف، هو "شرح مواقف النفري" لعفيف الدين التلمسانى،
 والذى نقدمه اليوم دراسة وتحقيقا وتعليقا.

وأهمية هذا الشرح - إضافة إلى فهم عبارة النفري - تتمثل فى
 الكشف عن مذهب التلمسانى الصوفى. والعثور على "مخطوطة شرح
 المواقف" لم يكن أمرا سهلا، ولكنه يسر بفضل الله تبارك وتعالى، وإليك
 طرفا من خبر هذا الفضل.

بداية وقفت على نسخة من هذه المخطوطة في دار الكتب المصرية، ووجدت أنها تتضمن شرحا للمواقف الثمانية الأول فقط، والتي تبدأ بـ "موقف العز" وتنتهى بـ "موقف الوقفة"، ومواقف النفري - كما هو معروف - سبعة وسبعون موقفا. معنى ذلك أن نسخة دار الكتب المصرية لن تفى بفهم المضامين العديدة التي أودعها النفري مواقفه، وأيضا لا تكفى للتعرف على مذهب التلمساني الصوفي في "الوحدة المطلقة".

ثم ظهرت الترجمة العربية لكتاب فؤاد سزكين "تاريخ التراث العربى"، والتي قام بها الأستاذان: الدكتور محمود فهى حجازى، والدكتور فهمى أبو الفضل، ونشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٨م، وأشار سزكين فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، ص ٤٧٩ - ٤٨٠ إلى وجود نسختين كاملتين لشرح مواقف النفري باستنبول بتركيا، إحداها بمكتبة شهيد على باشا، الملحقة بالمكتبة السلمانية، والأخرى بمكتبة كوبرلى.

وبهذه الإشارة الهامة زاد أملى فى الوقوف على مخطوطة الشرح كاملة، مما سيسر التعرف على بعض المعانى التي كثفها ورمز إليها النفري فى مواقفه، وأيضا الإبانة عن بعض ملامح مذهب التلمساني الصوفى. ويفتضى الواجب والاعتراف بالجميل أن أسجل هنا أن الله تبارك وتعالى من على بالنسختين كاملتين بمساعدة نبيلة من الصديق الأستاذ الدكتور شوقى حسن عبده بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة، فله الشكر وجزاءه الله من الخير ما هو أهل له.

ثانيا : "صاحب المواقف" :

والنفري، صاحب المواقف الحقيقى هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله، توفي عام ٣٥٤ هـ، ويلقب بالسكندرى والمصرى؛ "لأنه عاش فى مصر وربما توفي بها، ولكن اللقب الغالب عليه هو "النفري" نسبة إلى نفر - بكسر أوله وتشديد ثانيه وراء - بلد من نواحي بابل بارض الكوفة. أما محمد بن عبد الجبار النفري، فهو حفيد صوفينا، وإليه ينسب كتاب "المواقف" على أساس أنه هو الذى قام بترتيب أوراق جده الشيخ والتأليف بينها - أثناء حياته وبعد وفاته - دون "الاهتمام بالترتيب الزمنى لتأليفها.

ولم يتحدث شيخنا النفري في مصنفاته عن شيء من حياته، أو الأطوار التي مر بها أو شيوخه أو تلامذته - كما فعل معظم متصوفة الإسلام - وكان كثير الترحال والأسفار، وقد أظهرنا في مصنفاته على مذهب صوفي جديد إلى حد كبير، وهو مذهب يقوم على ما يسمى "بالوقفة"، وتعني عنده أن ينفصل الصوفي تماما عن السوى، ويفنى عن الكونية، وفي هذا الفناء لا يشهد الصوفي إلا الأحدية.

فمذهب النفري الصوفي مذهب في شهود الوحدة في الوجود في حال من الذوق فحسب، إذ يفنى الصوفي عن نفسه، وعن الأكوان، فلا يعود يرى موجودا سوى الله في الوجود، ولكن هذا الصوفي لا ينطلق في نفية للأكوان فيقرر أنها معدومة بإطلاق، أو أن الأكوان يندمج وجودها في وجود الله بحيث تصبح الإشارة إلى الأكوان هي عين الإشارة إلى الله، وإنما يرد الصوفي من حال الفناء عن نفسه، وعن العالم، إلى حال البقاء، ويتعبير اصطلاحى آخر : يرد من حال الجمع إلى حال الفرق؛ فيشاهد الأكوان قائمة بمكونها تعالى.

وأسلوب النفري في مصنفاته شديد الرمزية، يخرج بنا عن اللسان المعتاد، وعن المنطق المألوف، ويقف على هوة هي حسب قول النفري "برزخ فيه قبر العقل وفيه قبور الأشياء"، فالتريق بلا دليل؛ لأن عالم النفري عالم الغريبة، مجهول لدى كل دليل، فمن ذا الذى يجرو على أن يمك بيد غيره ليقوده ويكشف له عن خفاياه؟! الطريق يمر وسط غابات من الرموز، وهذه الغابات ليست على وجه الأرض لنشق فيها سبلنا، إنها تحت الأرض في أعماق كل واحد منا، كما يراها النفري في "موقف التيه":

"أوقفنى فى التيه، المحاج كلها تحت الأرض، وقال لى : ليس فوق الأرض محجة، ورأيت الناس كلهم فوق الأرض، والمحجات كلها فارغة".
لو حاول فنان أن يجسم بالألوان رؤية النفري لكانت النتيجة لوحة سريرية فيها من الغرابة ما يذنبها من الجنون، ولا سيما أن للرؤية شطرا ثانيا ينقسم فيه الناس قسمين :

قسم ينظر فى الهواء، وقسم يقلب نظره فى داخله : "ورأيت من ينظر إلى السماء لا يبرح من فوق الأرض - ومن ينظر إلى الأرض ينزل إلى المحجة ويمشى فيها".

الكلام هنا بعيد عن المنطق، مزعج لمن يطلب الوضوح والبيان، ف لغة النفري تتحول إلى ألغاز ورموز، ظاهرها مشوش للفكر مضيع للطريق في وجه من "لا يبرح من فوق الأرض" وباطنها إمكانات لا تستنفد معانيها فتبقى دائما واضحة غامضة، بعيدة قريبة، تغذى كل واحد حسب ذوقه.

ولهذا فهي نصوص لا يمكن شرحها بطريقة منطقية؛ لأن للمنطق حدود، والكلام هنا بلا حدود، الشرح إحاطة بالمعنى، وهنا المعانى لا تحيط بها العبارة :

"كشف الحجاب لعارفيه فأبصروا مالا تعبره حروف هجاء"

البصر ينفذ إلى عوالم فيرى فيها روابط يحاول اللسان أن ينطق بها فتفتجر اللغة، وتتفتت الكلمات في وحدات لا ينكشف الرباط بينها إلا لمن يعرف أن يحل اللغز، أو يرجع إلى زمن ما قبل انفجار اللغم الذى فجر العوالم تحت الأرض، وكشف ما تشير إليه الكلمات دون أن تبلغ إلى تسميته.

فمع النفري يتخذ فعل الكتابة بعدا ماورائيا للكلمة، وتتحول اللغة على يديه إلى هوة ملأى بالغرابة والعجب والهدم، بالمعنى المبدع الرأى الواقف بين تراب التجربة الجوانية وسماء التطلع الفريد.

لقد تحول فعل الكتابة معه إلى "كتابة - قصيدة" جديدة تؤسس بقدرما تمحو، وترمز بقدرما تكشف اللغة. كان همه الأكبر أن يربح الدهشة الكبرى، وهاهو الآن - بعد طمس طويل - يستيقظ من رماد تجربته ليبحث فينا ربح الدهشة ويسعدنا بقصائده. صفى النفري حروفه وكلماته وقصائده، فما سفسط ولا بكى، لكنه "حس" قبل ألف سنة وقليل، بما سيأتى.

ثالثا : صاحب "شرح المواقف":

١- حياته :

وشارح المواقف (التلمسانى) حلقة هامة فى تطور الفكر الصوفى الذى ازدهر فى القرنين السادس والسابع الهجريين، بظهور ابن عربى ومدرسته. وفهم التلمسانى يلقي ضوءا جديدا على مدرسة ابن عربى. ورغم أهمية الرجل، وأهمية آرائه فى التراث الصوفى الفلسفى، فإنه لم يحظ بدراسة مستقلة تكشف عن حياته ونشأته ومذهبه الصوفى الفلسفى الذى يتسم إلى حد كبير بالأصالة والابتكار.

والتلمساني هو أبو الربيع، عفيف الدين، سليمان، بن علي، بن عبد الله، بن علي، بن يس، العابدي، الكومي^(١)، التلمساني، وهو معروف عند القدماء بـ "العفيف التلمساني"^(٢).

أما نسبته الأولى فهي العابدي، نسبة إلى "بنی عابد" وهم قبيلة بربرية متفرعة عن الأصل (كومية)، وهي قبيلة تقطن في نواحي (ندرومة) من أعمال تلمساني في الجزائر.

وأما نسبته الثانية (الكومي)، فقد طرأ عليها بعض التصحيف عند بعض القدماء، فذكروا أنه "كان كوفي الأصل"^(٣)، وتعدى التصحيف بدوره على المحدثين أنفسهم، فقد ذكر جرجس زيدان أنه كوفي الأصل^(٤)، وتابعه الدكتور زغلول سلام فذكر أنه الكوفي التلمساني^(٥) وذكر المستشرق ف. كرنكو F. krenkow أنه من أسرة كوفية الأصل^(٦) والحقيقة أن (الكومي) هي نسبة إلى كومة، وكومية، وهي قبيلة بربرية كبيرة، منازلها من هضاب الجزائر العليا بين الساحل الغربي وأجواز تلمسان^(٧).

أما نسبته الثالثة (التلمساني)، فهي نسبة إلى مدينة (تلمسان) وأصلها موضع مكان حضاري قديم في المغرب الأوسط، يعرف قديما باسم بوماريا (pomaria) أي : البساتين والرياض، ولفظ تلمساني بربري الأصل^(٨).

ولد عفيف الدين سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣م)، وقد وهم بروكلمان في تحديد تاريخ ولادته، فذكر أنه ولد سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦)^(٩)، وهذا غير صحيح، يؤيد قولنا ما نقله الذهبي عن المترجم له : "مولدى سنة عشر وستمئة" وفي جواهر السلوك "مولد الشيخ عفيف الدين فى عشر وستمئة"^(١٠). وقد نال التلمساني أكبر قسط من ثقافته الأولى في حاضرة تلمسان وما جاورها، وفي أوائل العقد الثالث من عمره قدم إلى القاهرة، وفيها رزق بابنه شمس الدين محمد، المعروف بالشاب الظريف^(١١) سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٣م). وكان عفيف الدين إذ ذاك مقيما في خانقاه (سعيد السعداء) عند صاحبه شيخها شمس الدين الإيلي، ويؤكد هذا رواية المناوى حين أشار إلى قدوم التلمساني بصحبة شيخه القونوى إلى القاهرة وقال : "لما قدم شيخه القونوى رسولا إلى مصر، اجتمع به ابن سبعين لما قدم من المغرب، وكان التلمساني مع شيخه القونوى، قالوا لابن سبعين، كيف وجدته

(أى القونوى) بعين علم التوحيد ؟ فقال : إنه من المحققين، لكن معه شاب أحذق منه، وهو العفيف التلمسانى^(١٢).

ويلعل الدكتور التفتازانى^(١٣) على لقاء ابن سبعين بالتلمسانى قائلا : ولعل إعجاب ابن سبعين بالعفيف التلمسانى راجع إلى أنه كان مثله قائلا بمذهب الوحدة المطلقة، وقد أشار إلى ذلك المناوى بقوله : "والعفيف التلمسانى من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة"^(١٤)، والمعروف أن ابن سبعين قائل أيضا بهذا المذهب^(١٥). ولعل التلمسانى تأثر بابن سبعين فى هذا الشأن، وقد قرنهما ابن تيمية معا فى إحدى رسائله مشيرا إلى التشابه بين مذهبيهما^(١٦)، ومن ثم كان التلمسانى أقرب إلى ابن سبعين منه إلى ابن عربى فى مذهب الوحدة.

وحياة عفيف الدين فى مسقط رأسه بتلمسان، وفى رحاب خانقاه (سعيد السعداء) بالقاهرة، وفى خلواته المعروفة ببلاد الروم بشكل خاص لا تخرج إطلاقا عن نطاق التصوف والتجرد. أما المرحلة الختامية من حياته، فتختلف كل الاختلاف عن المراحل الثلاث السابقات، فنراه لأول مرة ينعم بلذات العيش وجمال الحياة فى منزله الذى أقامه فى ظاهر دمشق فى سفوح قاسيون، ومازال مكان قصره معروفا عند أهل دمشق بـ (العفيف)^(١٧) وهو حى من أحيائها العامرة والأهلة الآن بالسكان.

وفى هذه الفترة من حياته ترك مشيخته فى التصوف بعد أن استقر فى دمشق نهائيا، وأصبح ذا جاه كبير، فكان المدبر والمؤتمن على أموال السلطنة كلها فى بلاد الشام^(١٨) وتوفى ابنه فى دمشق سنة ٦٨٨هـ، وقد رثاه والده فى أبيات نذكر منها قوله :

يا نار قلبى - وابن قلبى ؟ - أو يا كبدى لو يكون لى كبد !
يا بانع الموت مشتريه أنا فالصبر مالا يصاب والجلد^(١٩)

وقوله :

أين الثنايا التى إذا اتسمت
ما فقدتكم الإخوان يا ولدى
أو نطقت لاح لؤلؤ نضر ؟
وإنما شمس أنسهم فقدوا^(٢٠)

وقد أجمع القدماء على حسن خلق التلمساني، وطيب عشرته، ومحبة الناس له، ومحبته للناس^(٢١)، وتوفي العفيف التلمساني بعد عامين اثنين من وفاة ابنه، وذلك في خامس رجب سنة ٦٩٠ هـ عن ثمانين عاما. وقال عندما سئل عن حاله في اليوم الذي توفي فيه "بخير، من عرف الله كيف يخافه؟ والله مذ عرفته ماخفته.. وأنا فرحان بلاقته"^(٢٢).

٢- مؤلفاته :

خلف التلمساني جملة من المصنفات، تمثل في أغلبها شروحا على نصوص صوفية سابقة عليه، والبعض القليل من هذه المصنفات مطبوع والبعض الغالب مازال مخطوطا حتى الآن، ويمكن حصر مصنفات التلمساني في التالي :

١- ديوان شعر، ذكره ابن تغري بردي في قوله : " وله ديوان شعر كبير"^(٢٣)، وأشار إليه ابن تيمية في قوله : " وله ديوان شعر فيه أشياء"^(٢٤)، وتوجد نسخ متعددة من مخطوطات هذا الديوان موزعة في مكتبات العالم، وطبع ثلاث طبعات منذ أكثر من مائة عام : الأولى في القاهرة سنة ١٢٨١ هـ، والثانية سنة ١٢٨٧ هـ، والثالثة في بيروت سنة ١٨٨٥ م، وتوجد طبعة حديثة للجزء الأول من هذا الديوان، بدراسة وتحقيق دكتور يوسف زيدان، إدارة الكتب والمكتبات، أخبار اليوم، ١٩٩٠ م، كما ترجم إلى اللغة الفرنسية بعنوان (ديوان الحب).

٢- شرح أسماء الله الحسنى، ذكره ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، ج١، ص ٧٧، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص ٥١، ٥٢، وتوجد نسخة خطية من هذا الشرح محفوظة بالسليمانية (قسم لاولي) تحت رقم ١٥٥٦، وهي نسخة كتبت بتاريخ ٧٩٤ هـ، تقع في ٢٥٤ ورقة.

٣- شرح تائية ابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ)، ذكره البغدادي في هدية العارفين ج١، ص ٤٠٠.

٤- شرح عينية ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ)، المعروف بـ (الكشف والبيان في معرفة علم الإنسان)، وتوجد نسخة من هذه المخطوطة بالظاهرية، برقم ٦٦٤٨ عام، وأخرى بدار الكتب المصرية، برقم ٢٤١٥ /و.

٥- رسالة في علم العروض، مخطوطة موجودة في برلين تحت رقم ٧١٢٨.

٦- شرح فصوص الحكم، ذكره حاجى خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص ١٩٢.
 ٧- شرح منازل السائرين، ذكره حاجى خليفة، ج٢ ص ٥٢٣، و"منازل السائرين إلى الحق المبين" مؤلف لأبى إسماعيل الهروى، المتوفى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٩م، أعده للنشر عبد الحفيظ منصور، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، دار التركى للنشر، ١٩٨٩م، وهو كتاب فى أحوال السلوك، ألفه صاحبه حين سألته جماعة من الراغبين فى الوقوف على منازل السائرين إلى الحق من أهل هراة، ورتبه مائة مقام مقسمة عشرة أقسام، ونسخة المخطوطة التى نشر عنها هذا الشرح محفوظة بدار الكتب الوطنية فى تونس، ومسجلة تحت رقم ٧٦٥٠، ومكتوبة بخط نسخى جيد، مشكوك فى بعضه، تقع فى ١٥٢ ورقة فى كل صفحة ٢٤ سطرا مقاس ١٨/٢٤ سنتم، وهى نسخة موثقة مقروءة على مؤلفها التلمسانى، من بين ما جاء فى آخرها :

"قرأ جميع هذا الكتاب من أوله وآخره، وهو شرح منازل السائرين إلى الحق، إنشاء الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى، العالم الراسخ المحقق أبو العباس أحمد بن محبى الدين إبراهيم بن عمر الفاروئى، وأجزت له أيدى الله أن يروى عنى كلما صح لديه من نثرى ونظمى، وما وافق الشريعة المطهرة، مما نسب إلى اسمى، وكتب منشئ الشرح المذكور الفقير إلى الله الغنى به سليمان بن على بن عبد الله بن على العابدى فى العشر الأول من رمضان المبارك سنة سبعين وستمائة، وقرأ على أيدى الله من كتابى المتضمن شرح المواقف لعلم الأولياء محمد بن عبد الجبار النفري، وأجزت له أن يروى عنى باقيه، والله تعالى من غير الحوادث يقيه "

وهذه السطور تؤكد صحة نسب "شرح منازل السائرين" وشرح مواقف النفري "لعفيف الدين التلمسانى.

٣- "الوحدة المطلقة" عند عفيف الدين التلمسانى :

تصوف "وحدة الوجود" pantheism هو التصوف المبني على القول بأن ثمة وجودا واحدا فقط هو وجود الله، أما التكثير المشاهد فى العالم فهو وهم على التحقيق تحكم به العقول القاصرة، فالوجود إذن واحد لاكثره فيه.

ولم يظهر مذهب وحدة الوجود فى صورته الكاملة فى التصوف الإسلامى إلا بمجىء الصوفى الأندلسى المتفلسف محبى الدين بن عربى (المتوفى ٦٣٨هـ)، ووجود (الممكنات) فى رأى ابن عربى هو عين وجود الله، وليس تعدد الموجودات وكثرتها إلا وليد الحواس الظاهرة، والعقل الإنسانى القاصر هو الذى يعجز عن إدراك الوحدة الذاتية للأشياء، فالحقيقة الوجودية واحدة فى جوهرها وذاتها، متكثرة بصفات وأسمائها، لاتعدد فيها إلا بالاعتبارات والنسب والإضافات، إذا نظرت إليها من حيث ذاتها قلت هى الحق، وإذا نظرت إليها من حيث صفاتها قلت هى الخلق^(٢٥).

على أن من أصحاب وحدة الوجود (كابن عربى) من يفسح المجال للقول بوجود الممكنات أو المخلوقات على نحو ما، ومنهم من يطلق القول بالوحدة، ويعنى فى ذلك إلى الحد الذى يجعله لا يثبت إلا وجود الله فقط، وهؤلاء هم أصحاب "الوحدة المطلقة" ومنهم عفيف الدين التلمسانى.

والفكرة الأساسية فى مذهب عفيف المعروف بـ "الوحدة المطلقة" هى أن الوجود واحد وهو وجود الله فقط، أما سائر الموجودات الأخرى فوجودها عين وجود الواحد، فهى غير زائدة عليه بوجه من الوجوه، والوجود بذلك فى حقيقته قضية واحدة ثابتة.

وهذه الوحدة المطلقة، أو الوحدة النقية الخالصة، منزهة عن المفهومات الإنسانية التى يمكن أن تخلع عليها، فوجود الله المطلق هو أصل ماكان، وماهو كائن، أو سيكون، أما الوجود المادى المشاهد فيرد عنده إلى ذلك الوجود المطلق الروحى، وعلى الجملة لا يثبت التلمسانى إلا وجودا واحدا لا اثنينية معه، ولا كثرة بوجه من الوجوه، وإليك بعض التفصيل لمقالة التلمسانى فى "الوحدة المطلقة".

يرى (التلمسانى) أن الله هو العقل المبدع نفسه، وهو الحق، والحقيقة المثلى، وهو المعنى الأزلى، فهو الأول والآخر، وهو الباطن والظاهر، وهو القريب والبعيد، والناطق والصامت، والملقن والمصفى، يقول فى واحدة من مقطوعاته الشعرية:

"شهدت نفسك فينا وهي واحدة
ونحن فيك شهدنا بعد كثرتنا
فأول أنت من قبل الظهور لنا
وباطن في شهود العين واحدة
أنت الملقن سرى ما أفوه به
وأنت نطقى والمصغى لنجوانى" (٢٦)

ولا يرى التلمسانى انفصالا بين الله والكون، وهو يطلب منا أن نتدبر أمر الكون؛ لأننا إذا كنا قدرأنا (وجه الحسن) فى الله، فلاشك أننا سوف نرى (حسن الوجه) فى الكون، ولابد لنا من ملاحظة الدقة التى استخدمها التلمسانى فى هذين التعبيرين: بين (وجه الحسن)، و(حسن الوجه)، أى بين الله تبارك وتعالى والكون. وحول هذا المعنى يقول التلمسانى:

فشاهد كثيف الكون لامنتقضا
فما الروح تثنيه صبا سحريه
وردد فيها لحنه كل معرب
وأوقد فيه وامض البرق ضوءه
باحسن وجها من كثيفات مركز
تطور فى أشكلها ذلك الذى
فإن غلظت عين الجهول فشاهدت
تجد حسن وجه للكمالات لائح
بكت بالندى خوف الجنوب المناوح
من الورق ما يغنى مغن ونائح
فلاقى الدجى من زهره بمصباح
هجاها عم لكن بعين المدائح
له العيد والإطلاق رتبة لامح
خلافا فى عين الوفاق المناصح" (٢٧)

فعفيف وقف أمام الكون متأملا فيه الكمال المطلق؛ لأنه (حسن الوجه) الإلهى، ويستطرد بعد ذلك ليؤكد حقيقة، ويدحض مايقوله كل منكر وأعمى يزين القول ويزخرفه، ويعرف من خلال ذلك كله فى ذكر الأشكال وتطورها، والإشارة إلى القيد والإطلاق وربتهما. وينبه فى آخر أبياته السابقة إلى خطر الجهول الذى غلظت عييه، فشاهد خلافا، فيذهب صوفية الوحدة إلى القول أن الكون عين الله، لا تمايز بينهما. وينفى التلمسانى الثنوية بقوله:

"وحدث معنى الحسن فيه ولاأرى ثنوية وأقول أشهده معى" (٢٨)

ويقترن الحسن المطلق والمقيد عند عفيف الدين بالهوى المميت والمحى، وكانت (بلى العامرية) الرمز العلوى الروحى، فلقد تمثل فيها الشمس التى أشرقت أنوارها، وأفصح عن بعض مبادئه فى (الوحدة المطلقة)، وذلك من خلال الحسن والجمال، فألغى مفهوم السوى والغير، وأبطل مفهوم الفئى

والظل، فهذه كلها تتلاشى وتزول في فيض الإشراق الإلهي، استمع إليه يقول:

وإذا الحسن بدا فاسجد له فسجود الشكر فرض يا أخى
هذه أنوار ليلي قد بدت فلسلب الروح بإصاح تهى
فالفتى من سلبته جماله لا الذى تسلبه شيئا خشى
كل حى فى هواها ميت إنما ميت هواها ذاك حى
لاترم فى شمسها (ظل السوى) فهى (شمس) وهى (ظل) وهى فى^(٢٩)
هنا تتلاشى الحجب، وتسقط الأستار، وتزول ظلال الغيرية والسوى
أمام إشراق الشمس الكبرى.

وهكذا استطاع التلمسانى من خلال وصفه الحسن المطلق والجمال
المبدع، والإحاطة بهما، أن يوضح فلسفته الخاصة، فينفى الثبوتية والتعدد نفياً
تاماً، ويغدو الحسن والجمال فى مفهومه التجريد المطلق: فلاحجب ولاسدول
ولاأستار، ولاغير ولاسوى، ولاظل ولافىء، فى الشمس.

ولاشك فى أن أقصى ما يطمح المتصوف إليه هو أن يرى إشراقاً
النور الإلهي دون حجاب، وقد وصف التلمسانى هذه الحالة بقوله:

وقد سقانى حبيبى وخصنى دون صحبى
ولست بعد عيانى جهداً سنا وجه ربى
أصبو لرند وبان وذكر عار وكثب^(٣٠)

تدلنا هذه الأبيات الثلاثة على الهدف الذى كان التلمسانى يرمى إليه، فإذا ما
أشرق هذا النور فإنه لاجابة له فى أى شئ.

٤- "شطحات" التلمسانى:

وقد تحدث التلمسانى فى كثير من المعانى الدينية المتعلقة بالآديان
والرسل عامة، والمتصوفة خاصة، وحديثه هذا يفسح أمامنا مجال القول فى
زندقته أو إيمانه، ولاسيما بعد أن أكثر المتقدمون من القول فى هذا المجال،
وحقيقة نجد التلمسانى يستخدم المعانى الدينية فى معرض النسيب والغزل
ووصف الطبيعة، ونعت الخمر، فى غير ماوضعت له فى الأصل، فيذكر
المسيح عيسى عليه السلام، وفى وصفه الخمر يكرر المعانى النصرانية
المعروفة فى هذا الفرض، ويتحدث عن الخمرة، وكيف لقب بدم المسيح،
وذلك فى قوله:

«أيا لذن القوام أعد لجسمى بكأسك، يافدتك النفس، روحى
وكيف بقاء ليل مع صباح ولاسيما لذى القلب الصحيح
فإن بها حياتى بعد موتى لهذا لقبت بدم المسيح» (٣١)
وتجاوز التلمسانى اللقب بدم المسيح إلى النعت بها فقال :
«مسيحية تحيى النفوس لذادة إذا انشقت من نحو هاناتها غرما» (٣٢)
ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد كرر الكثير من المعانى والألفاظ المستمدة
من النصرانية كالصليب والصلب، والبيع والصور والكاهن، والدير (٣٣)، كما
تحدث عن الأوثان وعابدها، فقال :
«كم فى ربوعك من قوام ما انتى إلا ثنى قلبى عن الأوطان
معاابد الأوثان إلا من رأى لك مشبها يقاتلى أوثان» (٣٤)
وينتهى التلمسانى ليقول بصريح العبارة وظاهرها أنه لا يؤمن بالرسول،
ولا يفهم بالكتب السماوية، ونذكر من ذلك قوله :
«فى طى سنابرق لماك الضرب أسرار هوى يصبو إليها قلبى
قد ألغزها جفك فى ترجمة لا يفهم بالرسول ولا بالكتب» (٣٥)
ومن شطحاته أيضا أنه يغرق ويتطرف فى حديثه عن الكون الذى يطمع أن
يستجيب له إذا دعاه، لكنه يأبى باستكبار هذه الدعوة، ويرفض أن يلبيها،
ويشطح فى القول، ويعلن أن الملائكة الأعلى تسفل عنده مراقبه، ولا يناسبه ذلك،
لأنه لا يتجسد فيه (وحدته المطلقة) التى يطمح إليها، ويرفض المنزلة العليا
على فلك الأفلاك؛ لأن المحيط يحيط به من شتى نواحيه، استمع إليه يقول :
«أيطمع الكون منى أن البية إذا دعا ويرانى من يوافيه
كلا ولا الملائكة الأعلى يناسبنى بل ربما سفلت عندى مراقبه
ولا على ذلك الأفلاك منزلتى إذا المحيط محوط من نواحيه
وليس يثبت له وصف يعينى لأنى عدم فى ثبت ماحيه
ولم يكن عدمى مما ينقصنى إذ الكمال باثباتى لمفنيه» (٣٦)
والتلمسانى يؤكد فى هذه الأبيات أنه عدم يدركه النقصان، ولكن هذا العدم
لا يحط من قدره، وهذا النقصان لا ينافى جبلته وطبيعته البشرية؛ ذلك لأنه
صادر عن الكمال المطلق، ولا بدله من العودة إلى الأصل.
وبيلغ الشطح الصوفى منتهاه، فيبوح التلمسانى بالرمز السرى،
فيذهب إلى أنه (الشفيع) و(الإمام) بالنسبة للمتصوفة، وأنه مصدر حقانهم
ومعارقهم، يكشف لهم منها ماتحتمله طبيعتهم البشرية، يقول:

وإذا أنتمكم أمة بشفيعتها وافيتكم ولى الغرام إمام
هذا دمي لكم حلال وإنما عنكم فسلوانى على حرام" (٣٧)
ولا يكتفى التلمسانى بذلك، بل يعد نفسه الرب المعبود فى مذهب الحقيقة حين
يقول :

"راح للسراح والخلاعة عبداً وهو فى مذهب الحقيقة رب" (٣٨)

٥- "التلمسانى" فى رأى المؤرخين :

واستطاع عفيف الدين التلمسانى بمقالاته فى (الوحدة المطلقة) أن
يكون جماعة تنادى بمذهبه الصوفى، فقد انتشر خبره، وتعلق به مريدوه فى
صفد وبيت المقدس وعجلون، وغيرها من بلاد الشام فى المشرق، وفى
غيرها من بلاد المغرب، وظهرت فرقة من المتصوفة تدعو لأرائه وتدين
بمقالاته، على رأس هذه الفرقة تلميذه (محمود ابن طى العجلونى - المتوفى
سنة ٧٣٤هـ) فقد كان داعية إلى مقالة العفيف التلمسانى يحفظ أكثر ديوانه،
ويناضل عن معتقده، وأغوى جماعة من أهل صفد، لكن من الله بإنقاذهم من
ضلاله" (٣٩).

ولم يقتصر الأمر على أبناء عصره، وإنما نجد أن أهميته بقيت أثيرة
لدى طوائف المتصوفة بعد موته بزمان طويل، فالمعروف عن المتصوف
الكبير حاتم الملقب بـ (الأهدل اليمنى) و (المتوفى فى سنة ١٠١٣هـ) أن له
"كتابات على ديوان العفيف التلمسانى".

وظهر أثر عفيف الدين التلمسانى فى غير العالم الإسلامى، فكان له
الأثر الكبير فى العالم المسيحى فى العصر الوسيط، وخاصة فى اتجاهات
بعض الرهبان.

أما المحدثون فنشير منهم إلى الدكتور عبد الكريم الياقى، وهو من
الأوائل الذين اهتموا بالعفيف شاعراً، وتحدث عنه فى بحثه عن الرمز
الصوفى، وعن ابن عربى ومدرسته، فقال :
"فمن أكبر شعراء التصوف باللغة العربية عفيف الدين
التلمسانى" (٤٠).

واستطرد قائلاً :

"والتلمساني، والد الشاب الظريف، من الشعراء المجيدين حقاً في هذا الميدان" (٤١).

ومن المحدثين الذين أعجبوا به الدكتور على صافي حسين، فقد ذكر أنه "كان من كبار المتصوفين، وأحد شعرائهم المحبوبين، ذكره كثير من المتصوفة والأدباء والمؤرخين" (٤٢).

وأحدثت مقالة التلمساني في (الوحدة المطلقة) ردود فعل ضده، وطبيعي جداً أن يكثر خصومه؛ لأنه تعرض لأصول العقائد، فهذا أثر الدين أبوحيان يقول عنه :

"وكان متخيلاً في أقواله وأفعاله على طريقة ابن العربي" (٤٣)

وإن كنا نرى أن التلمساني قد تخطى ابن عربي وتجاوزه في التطرف سلوكاً وعقيدة، فأمن بنظرية (الوحدة المطلقة)، ووضع مبادئها، فأصبح صاحب مقالة، فلا عجب أن قال ابن العماد :

"والعفيف من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة" (٤٤)

واستطرد يقول :

"هو لحم خنزير في طبق صيني، وأنه يدرج السم القاتل في كلامه لمن لافطنة له بأساس قواعده" (٤٥)

وشرح التلمساني لواحد من أشهر كتب ابن عربي لايحتم عليه أن يكون على مذهبه؛ فلقد شرح بعض الكتب الأخرى لغيره في التصوف أيضاً، وهذا النشاط الفكري دليل على ماتمتع به التلمساني من ثقافة صوفية أصيلة، فلا غرابة أن رأينا الصوفي المعروف ابن سبعين يفضلته على أستاذه القونوي حين التقى به خلال قدومه معه إلى القاهرة، وقال :

"..لكن معه شاب أحذق منه، وهو العفيف التلمساني" (٤٦)

ومن خصومه الألداء : ابن تيمية، فقد تعرض له في أكثر من مناسبة، إذ بحث مذهبه بعمق، وعده أخطر على الدين من أي متصوف آخر صاحب مقالة، والمعروف أن ابن تيمية قد هاجم التصوف القائل بالحلول ووحدته الوجود بغاية العنف، ونعت أصحابه بالحلولية والاتحادية، وهم صنفان : قوم يخصونه بالحلول أو الاتحاد في بعض الأشياء أو في أنواع من المشايخ، وصنف يعمون فيقولون بحلول الله أو اتحاده في جميع الموجودات:

كما يقول ذلك قوم من الجهمية ومن تبعهم من الاتحادية كأصحاب ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض، والتلمساني، والبلياني وغيرهم^(٤٧). وأشد هجوم ساقه ابن تيمية ضد هؤلاء هوفى رسالة إلى الشيخ نصر المنبجي، ففيها يهاجم القائلين بالاتحاد العام أو الحلول المطلق، ويقرر أنه ما علم أحدا سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع، إذ هم يقررون أن "عين وجود الحق هو عين وجود الخلق" وأن وجود ذات الله - خالق السموات والأرض - هو نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره، ولا أنه رب العالمين، ولا أنه غني وماسواه فقير^(٤٨). وفيما يتصل بالتلمساني، يقول ابن تيمية:

وأما "الفاجر"^(٤٩) التلمساني فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر؛ فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت، كما يفرق ابن عربي، ولا يفرق بين المطلق والمعين كما يفرق الرومي^(٥٠)، ولكن عنده ماثم غير ولاسوى بوجه من الوجوه، وأن العبد إنما يشهد السوى، ما دام محجوبا، فإذا انكشف حجاب رآى أنه ماثم غير يتبين له الأمر، ولهذا كان يستحل جميع المحرمات حتى حكى عنه الثقة أنه كان يقول: البنات والأم والأجنبية شئ واحد، ليس فى ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام - قلنا: حرام عليكم، وكان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد، وإنما التوحيد فى كلامنا، وكان يقول: أنا ما أمسك شريعة واحدة، وإذا أحسن القول يقول: القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله تعالى، وشرح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذى له، وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء، وصنف للغيرية عقيدة، وحقيقة الأمر عنده أن الحق بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه^(٥١).

نخلص مما تقدم إلى القول بأن العفيف الكومى التلمساني قد أحدث تأثيرا كبيرا بين القدماء والمحدثين؛ إذ أثارت مقالاته فى "الوحدة المطلقة" ثورة فكرية تصدى لها كثير من الفقهاء، وعلى رأسهم ابن تيمية، فهاجموه بعنف، واشتدوا فى الرد على آرائه.

ومهما يكن من أمر ذلك كله، فلا شك أن العفيف الكومى التلمساني كان فى الطبقة الأولى فى الشعر والتصوف على السواء.

رابعاً : وصف نسخ مخطوطة "شرح مواقف النفري"

لعفيف الدين التلمساني :

قلنا إن "فؤاد سزكين" أشار في كتابه "تاريخ التراث العربي" الجزء الثاني، ص ٤٧٩ - ٤٨٠ من الترجمة العربية إلى وجود نسختين كاملتين من مخطوطة شرح مواقف النفري للتلمساني : إحداهما في مكتبة كوبريلي، والأخرى في مكتبة الشهيد على باشا الملحقة بمكتبة السلمانية بمدينة استانبول بتركيا.

ونود أن نشير إلى أنه توجد نسخة ثالثة من هذه المخطوطة بدار الكتب المصرية، تتضمن شرح ثمانية المواقف الأولى فقط.

وفيما يلي وصف لهذه النسخ الثلاث :

(١) نسخة كوبريلي وسنشير إليها بـ (ك) :

(أ) تقع هذه النسخة في ٢٦٠ ورقة من القطع المتوسط، يبدأ نص الكتاب في أول ورقة ١/ب، ومكتوب فيه :

"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلاته على خير المرسلين، محمد وآله وصحبه أجمعين، رب اشرح لي صدري ويسرلي أمري، قال الشيخ الفرداني والعارف الرباني محمد بن عبد الجبار النفري رضي الله عنا به، وجعلنا وإياه من النور المهدى في أعز جنابه."

وينتهي نص الكتاب بنهاية الورقة ٢٦٠/ب، وهو مجلد بغطاء سميك من الكرتون.

(ب) ورقة الوجه الأول ١/أ :

هذه الورقة مسبقة بورقة مسطور عليها العبارة التالية :

"مما ساقه سائق التقدير دخل في نوبة الفقير السيد الشيخ حسين بن السيد محمد بن السيد هلال الدين بن السيد الشيخ على بن السيد الشيخ محمد ابن السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني"

وتحت هذه العبارة يوجد ختم صغير، ويلى هذه الورقة الوجه الأول للورقة رقم (١) ومكتوب عليها "شرح المواقف في التصوف للنفري، شارحي : تلمساني، وعليها ختم به العبارة التالية :

"هذا مما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمد عرف بكوبريلي أقال الله عثارهما"

ونفس الختم موجود ص ٢٧/أ، وص ٦٤/أ، وص ١٠٢/أ، وص ١٤٠/أ،
وص ١٧٧/أ، وص ٢١٠/أ

ويوجد تحت هذا الختم رقم قيدها بالمكتبة وهو ٧٨٥، وعلى يسار
الختم توجد - باللغة التركية - العبارات التالية:

وزارة التربية القومية، إدارة مكتبة كوبريلى، رقم القيد ٧٨٥، وأسفل
هذه العبارات يوجد ختم صغير عليه عبارة "إنما لكل امرئ ما نوى"

(ج) ويبدأ نص الكتاب من الورقة ١/ب، وقد تعرضت هذه الورقة للتآكل
والتلف، وقد تم إصلاحها، وعلى هذه الورقة تعليقات هامشية بخط يخالف
خط المخطوط الأصلي، وخطوط هذه الشروح تطابق الخط الذى كتبت به
نسخة مكتبة الشهيد على باشا.

(د) الورقة الأخيرة من نسخة مخطوطة كوبريلى (٢٦٠/ب) عليها العبارة
التالية:

"ووافق الفراغ سادس عشر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وستماية،
أحسن الله.... والعاقبة فيها بمحمد وآله وصحبه، وحسبى الله ونعم الوكيل،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"

وعلى يمينها ختم الوقف الذى يوجد على الصفحة الأولى، وعلى
صفحات أخرى أشرنا إليها فى (ب)، وعلى يسارها الختم الذى يحتوى على
عبارة: "إنما لكل امرئ ما نوى".

(هـ) مسطرة الصفحة ٢١ سطرا، طول السطر ١٢سم، وطول الصفحة فى
الجزء المكتوب منها ١٩ سم، وطول الصفحة مع الهامش ٢٥سم، وعرض
الصفحة مع الهامش ١٨سم. وورق المخطوطة سميك جيد يضرب إلى
السمرة، ويوجد على كل صفحة رقمان يسبق أحدهما الآخر بواحد، ونظن أن
السبب فى هذا الاختلاف هو أن أحد المرقمين قد بدأ الترقيم اعتبارا من
الصحيفة الأولى التى لاتمت إلى المتن بصلة، والتى توجد عليها عبارة "مما
ساقه سائق التقرير.."، بينما بدأ الآخر الترقيم اعتبارا من الصحيفة التى عليها
عبارة "شرح المواقف فى التصوف.. إلخ" وهى الصحيفة التى رقمناها نحن
برقم ١/أ.

(و) هناك على بعض هوامش الصفحات تعليقات قمنا بحصرها، وهى توجد
فى الصفحات التالية:

١/ب، ٤/ب، ٥/ب، ١٤/ب، ١٨/ب، ٢٠/ب، ٣٢/ب، ٣٥/أ، ٤٠/أ،
٤٠/ب، ٤١/أ، ٤٣/أ، ٤٤/أ، ٤٦/أ، ٤٩/ب، ٥٠/ب، ٥٦/أ، ١٨٨/ب،
١٩٢/ب، ٢٣٣/أ، وكما سبق أن ذكرنا فإن الخط الذى كتبت به هذه التعليقات
هو نفس الخط الذى كتبت به مخطوطة نسخة مكتبة الشهيد على باشا.

وليس لدينا ما يوجب الشك فى صحة التاريخ الذى انتهى فيه الفراغ
من كتابة نسخة كوبريلى (وهو ١٦ ربيع الأول سنة ٦٩٥هـ)، فقد كتب بنفس
القلم والحبر اللذين كتب بهما المخطوط كله.

فالمخطوطة، إذن، قديمة جداً، ولقد نسخت بعد وفاة التلمسانى بخمس
سنوات، وهذا يعنى أنها إن لم تكن نسخة المؤلف نفسه فهى أول نسخة كتبت
عن نسخة المؤلف (التلمسانى)، ومن هنا كانت مخطوطة كوبريلى باستانبول
هذه التى اعتمدناها فى نشر هذا الكتاب، مخطوطة لاتصاب لها قيمة، وفضلاً
عن قدمها هذا، فإن العناية تتجلى فيها فى كل موضع، وتشمل حسن الخط
ووضع النقط، وتشكيل الحروف.

(٢) نسخة شهيد على باشا الملحقة بمكتبة السلیمانیة باستانبول،
ونشير إليها بـ(ش):

(أ) تقع هذه النسخة فى ١٧٠ ورقة من القطع المتوسط، يبدأ نص الكتاب فى
الورقة ١/أ، ويتضمن (الحمد لله رب العالمين، وصلواته على خير المرسلين
محمد وآله وصحبه أجمعين، قال العبد الفقير إلى رحمة ربه، سليمان بن
على بن عبد الله العابد التلمسانى، أدام الله له الفناء به فيه مع البقاء
لأنفسه، ولأنفسه، بل على ما يوجب "كان ولا شئ معه" .. وما يقتضيه
ويستدعيه حتى يكون الحق من حيث هو الأول والآخر والظاهر والباطن،
وعبده غيب فيه من حيث سائر المواطن، أنه قد عزمت على خيرة الله أن
أشرح ما يسر الله لى مما بالنسبة إلى إدراكى مما فتح الله به على الشيخ
الراسخ محمد بن عبد الجبار النفرى رضى الله عنه مستعصماً فيه بالله من
الخطأ والزلل فى القول والعمل اعتصاماً أبرأ فيه منى، ويقوم فيه لفنائى به
عنى، حتى لا يكون سمعى بصرى، بل عكس ذلك الكائن بهذا اللسان من
حيث سائر المواطن".

(ب) ويوجد أعلى هذه الورقة عبارة "مواقف الصوفية" بالخط الكبير، وهى
مكتوبة بقلم غير القلم الذى كتب به نص الكتاب، وتسبق هذه الورقة ورقتان،

على وجه الورقة الأولى توجد عبارة مواقف الصوفية فى التصوف، وأسفلها منتخبات من المثنوى بالفارسية فى بيان النفس الأماره، وعلى يسار هذه الأشعار ختم بداخله هذه العبارة:

"مما وقفه الوزير الشهيد على باشا رحمه الله تعالى بشرط ألا يخرج من خزانته". وتحت هذا الختم يوجد رقم قيده بالمكتبة وهو ١٤٣٣، وفى أسفل الصحيفة يوجد ختم مكتبة الشهيد على باشا ورقم القيد بالتركية الحديثة. وفى الورقة الثانية توجد أحاديث متعددة مروية عن النبى صلى الله عليه وسلم، وينتهى المخطوط بنهاية الورقة ١٧٠/ وهو مجلد بغطاء سميك من جلد بنى غامق.

(ج) وبعد أن ينتهى نص الكتاب هناك ورقتان بهما رسالة تبدأ بهذه العبارة: "هذه نسخة مكتوبة كتبها شيخ محبى الحق والملة والدين ابن العربى قدس الله روحه العزيز إلى الإمام فخر الدين الرازى رحمهما الله". وتنتهى هذه الرسالة فى الورقة ١٧١/ وفى نهاية هذه الرسالة أشعار باللغة العربية أولها:

لقد كنا حروفا عاليات نزلنا فى سطور سافلات

وفى الورقة ١٧١/ نبذة من قصة سيدنا يوسف، وفى وسط الصحيفة ختم الوقف السابق ذكره، وأسفل الختم بقية الأشعار السابقة، وفى الورقة ١٧٢/ حديث للرسول عليه الصلاة والسلام مروي عن على بن أبى طالب رضى الله عنه.

(د) وتوجد على بعض ورقات هذه النسخة تعليقات هامشية مكتوبة بقلم غير القلم الذى كتب به نص المخطوط.

(هـ) مسطرة الصفحة ٢٥ سطرا، طول السطر ٩سم، وطول الصفحة فى الجزء المكتوب منها ١٧سم، وطول الصفحة مع الهامش ٢٢سم، وعرض الصفحة مع الهامش ١٤,٥ - ١٥سم، وورق المخطوط سميك جيد يضرب إلى البياض.

(و) الورقة الأخيرة من المخطوطة عليها العبارة التالية:

"تم شرح المواقف بحمد الله والمنة والصلاة والسلام على رسول الله، وقد ختم هذا الكتاب الشريف بعون الله اللطيف من يد المحبى الفقير الضعيف فى سنة إحدى وتسعمائة فى أواخر جمادى الآخر فى يوم الجمعة

الشريف". وليس لدينا ما يوجب الشك في صحة هذا التاريخ، فقد كتب بنفس القلم والحبر اللذين كتب بهما المخطوط كله.

وبعد أن تفحصنا نسخة الشهيد على باشا بدقة، وجدنا أن الخط الذي كتبت به مطابق للخط الذي كتبت به التعليقات الموجودة على بعض هوامش مخطوط مكتبة كوبريلي، وإذا أخذنا في اعتبارنا تاريخ نسخ مخطوط مكتبة شهيد على باشا الذي يتأخر عن تاريخ نسخ مخطوط مكتبة كوبريلي بمائتين وست سنة، هذا ينتهي بنا إلى القول بأن مخطوط شهيد على باشا قد نسخ عن مخطوط كوبريلي.

(٣) وصف نسخة دار الكتب المصرية، ونشير إليها بـ(م) :

(أ) تقع هذه النسخة في ٨٣ ورقة من القطع المتوسط، يبدأ نص الكتاب من الورقة ١/ب، ويوجد على الورقة ١/أ العبارة التالية :

"كتاب شرح مواقف النفريّة تصنيف الشيخ الإمام المكرم والحبر الهمام المعظم سلطان المحققين، أفضل المتقدمين والمتأخرين، قدوة الواصلين المحصلين صاحب المقامات العلية والكرامات الجليلة خليفة الوجود القدسي، قطب العالم الأتسي لسان القدسين، برهان العلويين عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله العابدی التلمساني غفر الله لأهله بطول بقائه".

ويسبق هذه الورقة ورقة مكتوب أعلاها العبارة التالية :

"ملك ولي النعم الحاج إبراهيم سرعسكر " وأسفلها رقم قيد المخطوط

وهو ٢١٥ تصوف.

(ب) توجد بعض التعليقات الهامشية على صفحات هذا المخطوط.

(ج) مسطرة الصفحة ١٩ سطرا، طول السطر ١٢ سم، وطول الصفحة في الجزء المكتوب منها ١٨ سم، وطول الصفحة مع الهامش ٢٣ سم، وعرض الصفحة مع الهامش ١٦ سم.

(د) وينتهي هذا المخطوط في منتصف الورقة ٨٣/أ.

وبعد المقارنة الدقيقة بين هذه النسخ الثلاث الموجودة بين أيدينا لمخطوطة "شرح مواقف النفري" لعفيف الدين التلمساني، وجدنا أن أقدمها مخطوطة مكتبة كوبريلي، وهي بالإضافة إلى ذلك تتميز بحسن خطها وتشكيل عباراتها، لذلك رأينا أن نتخذها أساسا في نشرنا لهذا الكتاب، وقد

قمنا بترقيع بعض الصفحات التالفة منها معتمدين في ذلك على مخطوطة
شهيد على باشا.

والله الموفق، وإليه يرجع الأمر كله.
القاهرة - المعادي في ٥ من ذي الحجة ١٤١٥ هـ
٥ مايو ١٩٩٥ م
جمال المرزوقي

شرح البراءة في الفقه
تأليفه

T. C.
Z. M. F. alim Bakasah
Köprülü / İstanbul
J. M. alim Bakasah
225



٧٨٥



المصنف ١/٢ من مخطوطة (ك) ومكتوب عليه شرح المواضع من التصوف
للنقري، شارح آتبي - ورسم قديمها بالمسند رقم (٧٨٥)

العزم

لكن بماذا اوسع الحق

بل لا يماز او يحد من الحق
 بقوله للصديق ما قال من
 على قول الصديق فقل
 بل ان نعمته انما وصف
 على الوجهين من هذا
 بل ما نعمته من ذكر الوجه
 في الامر الحق بل نعمته الحق
 بها اذ لا راد لا تشبه
 بل ما حكمه لا يشبه
 معناه وحدوا واداء
 العقلان العقل
 من اقول انما يقال
 محله العقل بل الصانع
 اذ انما يكون الحق
 في وجهه من وجه
 بل في قوله اياها
 نعمته انما يشبه
 بل في قوله اياها
 نعمته انما يشبه
 بل في قوله اياها
 نعمته انما يشبه

الانسان في حال الشؤيد فكيف يجاؤون من هو عندما يراه يعني فلذلك
لا يستطيعوا ان يروا ولا يرام مداومته قلت يعني ان قسوته
من شدة ما في كماله فلا ترام مداومته لذلك انما في حصة
شعور البقاء بعد النفا والشيخ في الله عنه قلنا ما اياته بشير الى
هذا الموقف قوله اظهرت الظاهر قلت ان انا سبوتته طهره
الظاهر والظاهر من الموجود انما يمكن ان يتعلق به الحسن والعقل
وما بينهما كما قوله وانما اظهرته قلت بقاءه وانه اظهره
اظهره وعن بسالة اجمع العلماء بقاى عايتها قوله فمادركنى
فكره علمت يعني ان الظاهر قريب لاجل ظهوره لكونه ظاهرة والحق
انما هو في الظاهر والظاهر فكيف في شعور هذا العالم
اقرب الى المشاهدة ولشدة القرب احبب والله القرب الى
وان لم يروا كما قال

يا قيماء مدي الزمان بقلبي وبعد الشؤيه من عني عني
انك دوي ان كين لسا اراها في اذي ليلا من كل جوان
ولي في هذا المعنى

أحسن البؤ وهو قلبي وهل ترى سواي اخو مني
ويعجب كل من عاينه اذ هو نظري في عينه
ولنعود فنقول من عاينه في كماله
اليد من انفسه ولقد اقول في كماله
عبد الله في كماله في كماله في كماله

الصفحة ٢٨ من المخطوطة (ك)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين وصلواته على خير المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين
كالسيد العبد الفقير إلى رحمته ربه سليمان بن علي بن عبد الله العابد السليمان
أدام الله له الفناء به فيه مع البقاء لنفسه ولا لنفسه بل على ما يوجب له كان ولا
شيء معه وما يقتضيه ويستدعيه حتى يكون الحق من حيث هو الأول والآخرة
والنظر والباطن وعنده غيب من حيث سائر المواقف أنه قد غرت
على خيرة الله أن اشرح ما يشهد الله بها بالنسبة إلى أدراك ما خرج الله به على الشيخ
الرازي محمد بن عبد الجبار النعماني رضي الله عنه مستقصا فيه ما به من الخطأ
والزلل في القول والعمل اعتصاما بما أبراء فيه به مني ويعتزم فيه لنفسي
غنى حتى لا يكون سعي بصري بل عكس ذلك الكائن بهذا اللسان من حيث
سائر المواقف بسم الله الرحمن الرحيم ربا اشرح لي سر
ويرة امرئ فالشيخ الفرداني والعارف الزكي محمد بن عبد الجبار النعماني الكندي
رضي الله عنه واجل وأيا من النور الخدي في أعز خبايا النور حجاب موهب
العبد اوصفني في العزة قلته قوله اوصفني معناه انقطعا بلقي
للمعنى التي قوله في العزة أي في شهود العزة والعز شهوده شهود الوجود في هذا الشاهد
وفي اصطلاح هذا الزمان من ما حصل وجوده ما حصل عزه ولما كانت الذات الازلية
عز وجودها شهود العز لها لذاتها ولما كانت الممكنات بعد بها من أفعالها كان
الذات لها من ذاتها ولما كان وجودها من باريها كان العز لها أيضا من حيث هو ليس
وقال في فكرت معناه عزني بأن رفعني عن خصال خصاله قال في قوله لا يستقل
من دوني شيء فكما أن لا يستقل بالعز الذي هو الوجود حتى من دوني لأن وجود
الاشياء من قبيلية التي بها قام كل شيء فكان لا يفتقر شيء إلى شيء
ولا يصلح من دوني شيء فقلت الممكنات لها العدم من نفسها فالعدم هو
الذي يصلح لها من دون باريها تعالى وأما الوجود الذي هو القومية فهو الذي لا يقوم به
لأنها فلا يصلح لها من دونها والآن كان وجودها فيها لا منه فهو له وأما العز
فما هي أفعالها التي تراه الذي لا يستطاع تجاوزته فله يعني أنه إذا بالقيوم

يقوم بخارجه وفيه معنى آخر وسواء مشاهد القومية يرى الوجهة للقيوم تعالى
ولا يدرك نفسه من ذاته وجودا أصلا فتعدم ذاته بالاصالة في نظره وذلك مع
الفناء في حال السهو فكيف تجاوزتم من سوعند ما يرام يفنى فذلك لا استطاع
لجاء رتبة قولهم ولا يرام ما دونه قلت يعني ان قومية من محمد هاني كما تقدم
فلا يرام ما دونه لذلك في حصة سوط البقاء بعد الفناء والشيخ رضي الله عنه قال
راية الله الموقوف قوله ظهرت الظاهر لك أي اراي ان بقية غيره
الظاهر ما لظهور من الموجودات سواء امكن ان يتعلق بالحق او العقل باسما
قوله سوسه وانا لظاهرة قلت معناه راية لظهور ما لظهور وهذا مسئلة اجمع الاعمال
ما به نرى على صحتها قوله فلا يدركني قرينة يعني ان الظاهر في غير الاحتمال
كأنه ظاهر وحق لظهور سوط لظهور الظاهر فظاهر فكان في ظهور هذا المعنى
اقرى بالشاهد ولشدة القرب اجتب وسالفا لعل ان لم يرام قال
يا مغيثا مدي الزمان بقلبي وبعبدا بشخصه عن عياسته
انت روي ان كنت لست راها ففتح ادل الي من كل جانب

وفي هذا المعنى للشارح

احرم اليه وهو قلبي وهل يرى سوى اخو جدي خن القلب
وتحجب طر في عنده اذهو ناظري فلما بعده الا لا فراط قربه
فنعوذ فنعوذ من كان قربه حجاب فكيف يدرك الظاهر وسواء ان اليه
من نفسه ولست اقول ذلك بالغرب بل هكذا يراه اهله في عبارة هذا الزم
تجوز في قوله فلا يدركني قرينة وتقدره فلا يدركني من قرينة في شخص
بالظاهر قوله ولا يهتدي الي وجوده قلت اي وجود من معانيه من
حيث خلل يرى واولئك هم الذين يعيسون الغاي على الشاهد الثاني
بيان ذلك عند شرح عنده يليق ان يذكر ان شاء الله قوله وايت
اباطن وانا اظن منه حملت انا اخفى الباطن كقول العبد بالظاهر لا اول
ما يتبادر اليه الادراك وذلك ما يتبعك به الكوا من نفس ذلك ومن هنا
على طالع الحقيقة الاعراض في السلوك على خلق الحسن ومن قوله انا خفي منه

الصفحة ١٨ من خطومة (م)

عنوان المصنف: كتاب في الطب

اسم المؤلف: أبو عبد الله الجليلي

٨٢

مصور عن النسخة ١ المحفوظة بدار الكتب القومية
تحت رقم ١٥

الصفحة الأولى من مخطوطة (م) وأعوام المصنف ٢٢
المؤلف مريم الفتي هو (١٥٠٠٠٠)

مكتبه ولي النعم الحاج ابراهيم عند
١٤

اونه زعمه جاريه
١٤

١٤٤٥

الصفحة الثانية من مخطوطة (م)

البرهان

قلت أي الخلق لا يخلو من نفسه بالعدم
هو الذي يصلح لها من دونها تعالى وأما الوجود
هو القويمة فهو من التوهم تعالى منها أي من الحكايات
فلا يصلح لها من دونها ولا كان وجودها معها إلا منه
قولته وأنا العزيم قلت أي أنا التوهم قوله
الذي لا يستطاع مجاورته قلت يعني أنه إذا بقيت
يقوم مجاوره وفيه معنى آخر وهو أن هذا التوهم يرى
الوجود للتوهم تعالى ولا يحل لنفسه وجوده أصلا
فيستلزم ذاته بلا صلة في نظره وذلك هو البنية ذات
الشيء فكيف مجاوره من طوعه ما يومئذ ذلك
لا يستطاع مجاورته قوله هو التوهم فلا ريب قلت
يعني أن قوتية من حيث في كنهه فلا تفرق
عزيمك التي حضرة شيور البنية فتبينها والشيخ
رضي الله عنه قل ما لا يثبت في هذا المذهب
أنه لا يثبت العقل من ذلك أي أن التوهم
أما الظاهر والظاهر من الوجود أن هو ما أمكن
فإنه الحس أو العقل فما بينهما فليس ذلك إلا
منه من حيث هو في ذاته الظاهر والظاهر
أي أن التوهم في حقيقته لا يترك

المضمة ٩/٢ من مخطوطة (٢)

هوامش ومصادر القسم الأول

- (١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٢٦.
- (٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٨ ص ٢٨.
- (٣) ابن شاکر الکتبی، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٩٣، والنجوم الزاهرة، ج ٨ ص ٢٩.
- (٤) تاریخ آداب اللغة العربیة، ج ٣ ص ١٣٠.
- (٥) الأدب فی العصر المملوکى، ج ٣، ص ١٣٠.
- (٦) الموسوعة الإسلامیة، ج ٣ ص ٨٠٦.
- (٧) راجع المراكشى، المعجب فی تلخیص أخبار المغرب، ص ٢٤٦، ٢٤٧.
- (٨) انظر فی هذا : الإدريسی، نزهة المشتاق (قسم وصف أفريقيا الشمالية والصحراويّة) ص ٥٦، المقرئ، نفح الطيب، ج ٩ ص ٣٤٠، أبو الفداء، تقويم البلدان (قسم بلاد المغرب) ص ١٣٧، ٧٠. وياقوت، معجم البلدان ج ٢ ص ٤٤، القلقشندی، صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٤٩.
- (9) Brockelmann : Geshichte der Arabischen litteratur, Leiden 1938 p: 458.
- (١٠) الذهبی، العبر فی أخبار من عبر، ج ٥، ص ٢٦٧.
- (١١) انظر ترجمته فی، فوات الوفيات ٣/٣٧٢، النجوم الزاهرة ٧/٣٨١، كشف الظنون، ٣٦٧، ٧٩٤، ١٧٨٦، والأعلام ٧/٢١، معجم المؤلفین ١٠/٥٣.
- (١٢) الكواكب الدرية، نسخة خطیة بدار الكتب المصریة، رقم ٢٦٠ تاریخ، ورقة ٢٣١ ب
- (١٣) ابن سبعین وفلسفته الصوفیة، دار الكتاب اللبنانی، بیروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م هامش ص ٨١.
- (١٤) الكواكب الدرية، ورقة ٢٣١ ب.
- (١٥) نفس المرجع، ورقة ٣٤٧ ب.
- (١٦) ابن تیمیة : رسالة الفرقان بین الحق والباطل، القاهرة ١٣٢٣هـ، ج ١، ص ١٤٥.
- (١٧) حى العقیف مشهور فی دمشق، وفی وسطه مسجد وحمام شرقی قديم يدعى (حمام العقیف)، وقد جرى هدمه سنة ١٩٧٢م.
- (١٨) راجع، ابن شاکر الکتبی، فوات الوفيات، ج ١ ص ٣٦٣، ٣٦٤.
- (١٩) دیوان عقیف الدین التلمسانی، الجزء الأول، دراسة وتحقیق دكتور یوسف زیدان، إدارة الكتب والمکتبات، أخبار اليوم، ١٩٩٠م، ص ١٩.
- (٢٠) نفس المرجع، ص ٢٠.
- (٢١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٨ ص ٦٩٠، ابن شاکر الکتبی، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

- (٢٢) ابن العماد، شذرات الذهب ٤١٣/٥.
- (٢٣) النجوم الزاهرة، ج ٨ ص ٢٩.
- (٢٤) مجموعة الرسائل والمسائل، ج ١ ص ١٧٧.
- (٢٥) الدكتور أبو العلا عفيفي، مقدمة فصوص الحكم لابن عربي، القاهرة ١٩٤٦م، ص ٢٤.
- (٢٦) مصورة الديوان المخطوط، اللوح ١٠ ظ، نقلا عن الدكتور عمر موسى باشا، العفيف التلمساني، شاعر الوحدة المطلقة، منشورات اتحاد الكتاب العربي، طبعة دار الجيل - دمشق، ١٩٨٢م، ص ١٧٧.
- (٢٧) عفيف الدين، الديوان، بتحقيق دكتور يوسف زيدان، إدارة الكتب والمكتبات، الجزء الأول، ١٩٩٠م، ص ١٨٠ - ١٨١.
- (٢٨) مصورة الديوان المخطوط، اللوح ٢٥ ظ.
- (٢٩) مصورة الديوان المخطوط، اللوح ٥٣ و.
- (٣٠) الديوان، بتحقيق دكتور يوسف زيدان، ص ١٣٠ - ١٣١.
- (٣١) مصورة الديوان المخطوط، اللوح ١٠ ظ.
- (٣٢) المصدر نفسه، اللوح ٢٧ و.
- (٣٣) المصدر نفسه، اللوح ٣، و ١٧ و، و ٥٣ ظ.
- (٣٤) المصدر نفسه، اللوح ٥٣ و.
- (٣٥) المصدر نفسه، اللوح ٦٠ و.
- (٣٦) المصدر نفسه، اللوح ٤٧ و.
- (٣٧) المصدر نفسه، اللوح ٤٠ ظ.
- (٣٨) المصدر نفسه، اللوح ٣ ظ.
- (٣٩) ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، ج ١، ص ١٧٦.
- (٤٠) دكتور عبد الكريم البياضي، دراسات فنية في الأدب العربي، مطبعة دار الحياة - دمشق ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢م، ص ٤٢٦.
- (٤١) المصدر نفسه، ص ٤٢٧.
- (٤٢) دكتور علي صافي حسين، الأدب الصوفي في القرن السابع الهجري، ص ٢٣ دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.
- (٤٣) ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٦٣.
- (٤٤) شذرات الذهب، ج ٥ ص ٤١٣.
- (٤٥) المصدر نفسه، ونفس الصفحة.
- (٤٦) شذرات الذهب، ج ٥، ص ٤١٢.
- (٤٧) ابن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى، الرسالة السابعة، الوصية الكبرى، ج ١، ص ٢٩٢، القاهرة سنة ١٩٦٦م.

- (٤٨) مجموعة الرسائل والمسائل، ج١، ص ١٧٢، طبعة رشيد رضا، القاهرة، بدون تاريخ.
- (٤٩) يستعمل ابن تيمية هذا الوصف في مقابل اللقب المشهور بـ"العفيف" التلمساني.
- (٥٠) الصدر الرومي.
- (٥١) ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، ج١، ص ١٧٦ - ١٧٨.

القسم الثانى

عفيف الدين التلمسانى

شرح مواقف النفري
"النص"

بسم الله الرحمن الرحيم (١) ١/ب

الحمد لله رب العالمين، وصلاته على خير المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين، رب اشرح لى صدرى وبسر لى أمرى، قال الشيخ الفردانى والعارف الربانى محمد بن عبد الجبار النفري رضى الله عنه وجعلنا وإياه من النور المحمدى فى أعز جنابه.

١- موقف العز ١/ب تابع

"أوقفنى (٢) فى العز"

قلت : قوله وأوقفنى معناه أيقظ قابليتى لتلقى التجلى، قوله "فى العز" أى فى شهود العز، والعز شهوده شهود (التجلى) الوجود فى هذه النشأة، وفى اصطلاح هذا الترجمان فمن تأصل وجوده تأصل عزه، ولما كانت الذات الأزلية عين وجودها ثبت العزلها لذاتها، ولما كانت الممكنات عدمها من ذاتها كان الذل لها من ذاتها، ولما كان وجودها من بارئها كان العز لها أيضا منه تعالى:

قوله :

"وقال لى"

قلت :

معناه عرفنى بأن رفع حجابى فعرفت فكأنه قال لى.

قوله :

"لا يستقل به من دونى شئ"

قلت :

أى لا يستقل بالعز الذى هو الوجود شئ من دونى لأن وجود الأشياء هى قيوميته التى بها قام كل بها قام كل شئ، فكأنه قال لا يقوم شئ إلا بى.

قوله :

"ولا يصلح من دونى لشئ"

قلت :

الممكنات لها العدم من أنفسها، فالعدم هو الذى يصلح لها من دون
باريها تعالى، وأما الوجود الذى هو القيومية فهو من القيوم تعالى لامنها فلا
يصلح لها من دونه وإلا كان وجودها منها لامنه.

قوله :

"وأنا العزيز"

قلت :

أى أنا الفردانى.

قوله :

"الذى لاتستطاع مجاورته"

قلت :

يعنى إلا به إذ بالقيوم تقوم مجاورة وفيه معنى آخر وهو أن مشاهد
القيومية يرى الوجود للقيوم تعالى ولايجد لنفسه من ذاته وجودا أصلا فتتعدم
ذاته بالأصالة فى نظره، وذلك هو (أ/٢) الفناء فى حال الشهود، فكيف
مجاورة من هو عندما يراه بفنى؛ فلذلك لاتستطاع مجاورته.

قوله :

"ولا ترام مداومته"

قلت :

يعنى أن قيوميته من شهدها فنى كما تقدم فلا ترام مداومته لذلك إلا فى
حاضرة شهود البقاء بعد الفناء، والشيخ رضى الله عنه قل ما رأيته يشير إلى
هذا الموقف.

قوله :

"أظهرت الظاهر"

قلت :

أى أرانى أن بقيوميته ظهر الظاهر، والظاهر من الموجودات هو ما
أمكن أن يتعلق به الحس أو العقل وما بينهما.

قوله :

"وأنا أظهر منه"

قلت :

معناه رأيته أظهر مما أظهر، وهذه مسئلة (مسألة) أجمع العلماء بالله تعالى على صحتها.
قوله :

فما يدركنى قربه

قلت :

يعنى أن الظاهر قريب لأجل ظهوره لكنه ظاهر، والحق أظهر وهو محيط فى الظهور بالظاهر فكان فى شهود هذا المقام أقرب إلى المشاهد ولشدة القرب احتجب ولله القائل وإن لم يدرك ماقال :

يامقيما مدى الزمان بقلبى وبعيدا بشخصه عن عيائى
أنت روحى إن كنت لست أراها فهى أدنى إلى من كل دان
ولى فى هذا المعنى (٣) :

أحن إليه وهو قلبى وهل يرى سوى أخو وجد يحن لقلبه
ويحجب طرفى عنه إذ هو ناظرى فما بعده إلا لإفراط قربه
ونعود فنقول من كان قربه حجاب فكيف يدركه الظاهر وهو أقرب
إليه من نفسه، ولست أقول ذلك مبالغة، بل هكذا يراه أهله. وفى عبارة هذا
التنزل تجوز فى قوله : فلا يدركنى قربه، وتقديره فلا يدركنى من قربه منى
قرب يختص بالظاهر.

قوله :

"ولا يهتدى إلى وجوده"

قلت : (٢/ب)

أى وجود من مقامه منى هو من حيث ظاهرى، وأولئك هم الذين
يقيسون الغائب (الغائب) على الشاهد، وسيأتى بيان ذلك عند شرح عنده يليق
أن يذكر إن شاء الله تعالى.

قوله :

"وأخفيت الباطن وأنا أخفى منه"

قلت :

إنما أخفى الباطن لتعلق العالم بالظاهر، لأنه أول ما يتبادر إليه
الإدراك، وذلك هو ما يتعلق به الحواس وتفصيل ذلك، ومن هنا وجب على

طالب الحقيقة الإعراض في السلوك عما يتعلق به الحس. ومعنى قوله "وأنا أخفى منه" لأن الحقيقة ليس لها مقابل، والحق تعالى من حيث هو باطن ومن حيث هو ظاهر لا يتغاير شهوده في حضرة جمعه، فلا مقابل له وإن كان بين وصفية الظاهر والباطن تقابل، وحضرة جمعه هي أحدىته بصير الموصوف فيها عين وصفه في شهود الشاهد وذلك مقام قولهم "من عرف الله كل لسانه"، وهناك مقام يليق فيه أن يقال من عرف الله نطق لسانه.

ومن نظمى فيما يشير إلى المقامين :^(٤)

وقل لحسك غب سكرًا وذب طربًا فيها وقل لزوال العقل لا يزل
واصمت إلى أن تراها منك ناطقة فإن وجدت لسانًا قائلًا فقل
وإنما كانت الحقيقة أخفى من الباطن والظاهر لجمعها إياهما، وقد ورد على (عن) بعض الفقهاء خطاب فيما يتعلق بالحجابية الحاصلة بطريق الظهور، وبطريق الباطن، وبطريق الجمع بينهما وارد وهو ظهر فنزهه فاحتجب وبطن فشبهه فانتقّب، وجمع فحيرهم حين استوعب.
قوله :

فما يقوم على دليله، ولا يصح إلى سبيله

قلت : معناه أن أدلة الباطن هي المتعرفات بالعقل، وهو معقول عن إدراك أحدية الجمع، فأدلة العقل لا تدركه ولا يصح سبيلها إليه، وسبيلها التعرف في المقولات العشر بالكليات الخمس^(٥)، (١/٣) وجميع تعرفات العقول لا تتجاوز ذلك، والكليات الخمس، والمقولات العشر مأخوذة من تشبيهه خفى في الأشخاص، وهي إما أن لا يكون (تكون) شيئًا البتة أو تتأخر تأخرًا كثيرًا عن الأشخاص، والأشخاص وجميع ما يترتب عليها هو من عالم الخلق، وعالم الخلق لا يدرك عالم الأمر فضلًا عن أن يدرك الحقيقة إذ الخلق هو الأمر له، ومقام له دون مقامه هو. قال تعالى : "ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين".

قوله :

"وقال لي : أنا أقرب إلى كل شيء من معرفته بنفسه"

قلت :

معناه أن الحق تعالى إلى أن يعرفه العارف أقرب إليه من أن يعرف نفسه، ولذلك قيل "من عرف نفسه فقد عرف ربه" يعنى أن معرفته بربه تتقدم

معرفته بنفسه، وهى سبب معرفته بنفسه، فإنه لايعرف شئ إلا بالله، ولايعرف الله بشئ، هكذا هو الأمر عند أهل الشهود.

قوله :

"فما تجاوزه إلى معرفته"

قلت :

يعنى أن معرفته التى منه فى عالم خلقيته لا تتجاوزه؛ إذ هو مخلوق، وهى معرفة خلقية فلا تتجاوز مقامها وهو طور ذلك العارف الذى معرفته من طور خلقى.

قوله :

"ولايعرفنى أين تعرفت إليه نفسه"

قلت :

معناه أنه مادام يشهد أن نفسه ثابتة، وأنه لايمكن معرفة ربه، وبالجملة مادام يحس بنفسه، فإنه لايعرف ربه، وهو المراد بقوله "تعرفت إليه نفسه"، وهذا معنى قولهم "وإنما يتعين الحق عند اضمحلال الرسم" وهو الفناء الذى يذكرونه فى كلامهم.

قوله :

"وقال لى : لولاي ما أبصرت العيون مناظرها"

قلت :

يعنى فى حال الشهود يكون الحق تعالى سمع العبد وبصره، فبه يسمع وبه يبصر، فلولاه ما أبصرت العيون مناظرها، وأما فى الحقيقة فهو كذلك دائما فى حال الشهادة، وفى حال الحجاب (٣/ب)، وإنما يظهر ذلك للعبد إذا شهد؛ فلذلك خصصه بحال الشهود تقريبا للأفهام، وأما كيف ذلك فالشرح يطول، وليس مما تأنس بقبوله العقول.

قوله :

"ولا رجعت الأسماع بمسامعها"

قلت :

الشرح فيه كالشرح فيما تقدم (١).

قوله :

"و قال لى : لو أبديت لغة العز لخطفت الأفهام خطف المناجل".

قلت :

يعنى بلغة العز ترجمة تختص بما فوق إدراك العقول؛ فإن الأفهام هى فى أطوار العقول، وذلك لأن العز فوت عن علم العالمين، فلو أبدى لعبد من أهل شهوده ذلك لفنى عن نفسه، وعن كل مامن نفسه، ومن جملة ذلك الأفهام، وسماها لغة لأن فيها خطابا بلسان الحال لايسعه المقال فتجوز بتسميته لغة لما يحصل فيها من العلم بالله تعالى، فكأنه خاطبه بما يوجب العلم به.

ومعنى "خطف المناجل" أى بسهولة، فإن المناجل يسهل عليها خطف

الزرع.

قوله :

"ودرست المعارف درس الرمال عصفت عليها الرياح العواصف"

قلت :

معناه أنها تخطف المعارف أيضا، وهى التى فوق مدارك العقول فإن الذى يدرك بالأفهام فهو إما يدرك بالحق تعالى لا بالعقل فهو يسمى معارف، ولكون المعارف هى بالإدراك الجزئى أوجب أنها لا تثبت لشهود لغة العز فإن العز حضرة تفنى فيها نسبة عارف ومعروف، أى لا يكون فيها ثنوية أصلا، وأما التشبيه بعصف الرياح ففيه إشارة إلى قهر سلطان ظهور العز الذى هو الوحداية الماحية للرسوم، وقوة استيلائها على محوما يتعلق به الفهوم^(٧).

قوله :

"وقال لى : لونطق ناطق العز لصممت نواطق كل حرف" (أ/٤).

قلت :

هذا مؤيد للشرح السابق وهو أن ناطق العز يحو الرسوم. والرسوم إنما هى فى الحرف والوصف، ويعنى بالحرف عالم الخلق، وهو عالم الصور فكل صورة حرف سواء كانت صورة حسية أوخيالية أو مثالية أو روحانية أو معنوية أو حقيقة، وأما حقيقته فلا؛ فإن عالم الحقيقة من حيث أحدية جمعها هى حضرة العز نفسها الماحية للحرف، وذلك لأنه إذا ظهر من لم يزل فنى من لم يكن، وهذا أمر معروف عندهم، وإن كان الفهم

المحجوب يقول إن من لم يكن كيف يقال فيه يفنى؛ لأن الذى يفنى فى العرف فلا بد أن يكون له تحقق ما، وذلك كون ما فكيف يقال فيه أنه لم يكن، لكن فى تضاعيف الكلام المستقبل إن شاء الله تعالى يحل هذا الإشكال، فنعود ونقول إن الذى لم يكن إنما هو الحرف فى اصطلاح هذا اللسان، فإذا نطق ناطق العز فى الحرف وهو الصمت المشار إليه، وفى نسخة أخرى لصمّت نواطق كل وصف، ومعناه كما ذكر فى شرح الحرف، إلا أن الفناء فى الوصف لا يتضمن فناء الموصوف فيكون الحرف هو الموصوف، وأما اعتبار أن ناطق العز يفنى فهو سواء فيهما.

قوله :

"ورجعت إلى العدم مبالغ كل حرف".

قلت :

يعنى بالمبالغ العلوم كقوله تعالى "ذلك مبلغهم من العلم" وتقدم أن الحرف هو الخلق فكأنه قال تتعدم علوم الخلق فى ظهور العز الذى هو وصف الحق تعالى. ورجوعها إلى العدم فى شهود الشاهد هو أن لا يجد لها فائدة فى حقه، وذلك لرقبه عن شهود عالم الخلق، وأما بالنسبة إلى الخلق فهي مفيدة لهم بحسب ما وضعت له، وإن لم يصادف صاحبها الحكم وهو قسط من علوم الخلق فإن للحق تعالى فى كل شئينة قسطاً من ظفر به ظفر بالحكم فكان علمه نافعا، (٤/ب) والعمل به صالحاً، ومن لم يظفر به فكان علمه غير نافع والعمل به غير صالح، ونعود فنقول علوم الحرف فى ظهور نطق العز تتعدم فى شهود الشاهد.

قوله :

"و قال لى : أين من أعد معارفه للقاتى لو أبديت له لسان الجبروت لأنكر ما عرف".

قلت :

لسان الجبروت هو نطق العز نفسه إلا فى خصوص يسير فى الجبروت؛ وذلك لأن الجبروت هو ظهور سلطان العز لكن بقهر وجبرية سطوة، وإذا كان كذلك ففي الشرح الأول كفاية، وعبر بقوله "أنكر ما عرف" عن انعدام معارفه، وقد تقدم أن ذلك لفناء من لم يكن فى ظهور من لم يزل، لكن ينعدم بتدريج مثل : أن ينكر أولاً ما عرف، ثم ينعدم نظره وينكره هو

بظهور سلطنة الوجدانية على شرك نسبة عارف ومعروف لما فيها من التثليث الذي هو عارف ومعروف ومعرفة، وليس في حضرة شهود العز شيء غير الحقيقة إذ لا يراه سواه تعالى.
قوله :

"ولمارمور السماء يوم تمور مورا". وفي نسخ "مور الجبال" وكلاهما وردا عنه.

فأما الأول فعلى نص التلاوة، وأما الثاني فإشارة إلى أنه لم يرد التلاوة وهو أقرب ومنه فائدة، وذلك أنه بذكره الجبال يحصل تشبيه آخر وهو سير الجبال سيرا وبذكره تمور مورا يتضمن السماء، فأخذ لفظتين دلتا على تشبيهين ولو أخذ نص التلاوة لاحتاج إلى أن يطول فيقول : (ولمارمور السماء يوم تمور مورا ولسارسير الجبال يوم تسير سيرا) فذكرهما بالقوة في لفظ مختصر أولى وأحضر، وأما شرح مضمون قوله : "أين من أعد معارفه للقائي" فمعناه أين من ظن أن بالمعرفة يصل إلى شهود عزتي وجعل المعرفة (١/٥) عدته لو أبدت له مايفنى عدته لأنكرها، إما بأن يجهلها فيكون فناء مستحكما، وإما بأن يشهد أنها غير نافعة في لقائه فينكر أنها عدة له. وأما "موره" فالضمير في مار يجوز (فيجوز) أن يرجع إلى مافي قوله ما عرف، وهو العرفان أو المعرفة، ويجوز أن يرجع إلى العارف نفسه فيكون هو المائر مور السماء يوم تمور مورا، والأول أحرى على قوله لأنكر ماعرف.

قوله :

"وقال لي : إن لم أشهدك غيري فيما أشهد فقد أقررتك على الذل

فيه".

قلت :

هذا تعرف عظيم، وسر مكتوم، وأنا ألوح به وأشير إليه، ولا أصرح وذلك أن إشهداه إياه العز في مشهوده وهو المعنى بقوله : "فيما أشهد" أي أريه أن الموصوف في هذا الشهود عين وصفه، فقد أخرجتك أيها الشاهد عن أن تكون غيري، فإنك في الحقيقة صفتي، وإذا لم أشهدك أن الموصوف عين صفته كنت غيري، وإن كنت صفتي وغيري هو في عالم الخلق، وعالم الخلق في الذل لامحالة، فإن لم يشهده أن الموصوف عين وصفه فقد أقره

على الذل في عز المشهود، وأما كونه صفته فله اعتبار أن أحدهما حال كون الحق سمعه وبصره فقد قالوا إنه يصح أن يقال إن الحق تعالى وصف عبده بجلال يليق به وقالوا إنه يجوز أن يقال إذا فني من لم يكن جاز أن يوصف من لم يزل بصفات تنزلية من باب "دنى فتدلى" أو من باب "جعت فلم تطعمني وعطشت فلم تسقني". والاعتبار الثاني أن العبد هو فعل من أفعال الله تعالى، والعالم كله أفعاله وفعله من جملة صفاته، فذلك يوصف بفعله فيقال الخالق من فعله الخلق، والرازق من فعله الرزق، كما يوصف بالحي من وصفه الحياة، والعالم من وصفه العلم، فرجعت أفعاله إلى صفاته، فمتى (٥/ب) أشهده أن الموصوف عين صفته في شهود العز فقد عز بموصوفه، وصح نسبه، وإلا ذل بانقطاعه وهو إقراره إياه على الذل في شهود مشهوده، وسيأتي في كلامه ما يؤيد هذا المعنى في غير ما موضع.

قوله :

"وقال لى : طائفة أهل السموات وأهل الأرض في ذل الحصر".

قلت :

معناه أن من كانت نسبته إلى غير الله تعالى بحيث يضاف إلى سواء كما أضيفوا في قوله طائفة أهل السموات، فأضافهم إلى السموات وكذلك قوله وأهل الأرض فهؤلاء في ذل الحصر، ويعنى بذل الحصر أنهم لم يشملهم الإطلاق في شهود العز بأن يكونوا أهلاً لله تعالى لا أهل غيره فأنحصروا بإضافتهم إلى محصور ولم ينطلقوا بإضافة إلى مطلق، وقد اعتبرت هذه النسبة في قوله : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته فشرّفهم بإضافتهم إليه.

قوله :

"ولى عبيد لاتسعهم طبقات السماء ولا تكل أفئدتهم جوانب الأرض".

قلت :

هؤلاء هم أهله فلهذا أضافهم إليه بنعت العبودية التي بها تكون السيادة الحقيقية ومعنى لاتسعهم أي لا يقفون بقلوبهم معها فكانها ماوسعتهم أي ماوسعت مطامح قلوبهم، وهو أيضا معنى قوله : " ولا تكل أفئدتهم جوانب الأرض " فإن الأفئدة في معنى القلوب، وخصص من الأرض جوانبها، فإن جوانب الأرض فيها تكون المطالب الجسمانية وغيرها فإنها محل تولد

المستهيئات من المعادن والحيوان والنبات، وفي هذه المولدات وماتركب منها تكون المملذوذات وهى تكون فى جوانب الأرض.
قوله :

"أشهدت مناظر قلوبهم أنوار عزتى فما أنت على شئ إلا أحرقتة".

قلت :

مناظر القلوب هى اللطائف الإنسانية المدركة وسماها (١/٦) مناظر، ولم يسمها نواظر لأنها حالة الشهود لا تكون الناظر بل تدرك وصفه بصفة مشهوده الحق، إذ معنى العزة تأبى الثبوت بل الناظر إذ ذاك هو الحق تعالى وعبد محو وهذه حالة يعرفها أهلها، ومعنى تبدل الأرض العبد فيها بوصف سيده هو ما ذكر فى الحديث من قوله : كنت سمعه وبصره، من غير حلول نعوذ بالله منه ولا اتحاد بل وحدانية منزلة ^(٨) عن توحيد الأعداد، وإذا ثبت هذا فلفظ مناظر قلوبهم أجل من لفظ نواظر قلوبهم، وأنوار العزة تجلياته تعالى فإنه النور وتجلياته أنوار أيضا، ومعنى "فما أنت على شئ إلا أحرقتة" أى لم تبق القلوب مطمح نظر فى السماء ولا فى جوانب الأرض بل هذا التجلى تعلق القلوب به تعالى، وتصرفها عن كل ماعداها، فكانه أحرقت الأشياء أى أعدمها وهوا ستارة.

قوله :

"فلأله منظر فى السماء فتثبتته ولا مرجع إلى الأرض فتقر فيه".

قلت :

معناه فلم يبق لها منظر فى السماء تتعلق به، أو تراه ثبتا بل تراه نفيا محضا وذلك أنه نطق فى هذه القلوب ناطق العز فرجعت فيه إلى العدم مبالغ كل حرف فلم تثبت هذه القلوب منظرا فى السماء ويعنى بالسماء الملاء الأعلى والجنة ونعيمها، فإن الجنة فوق الفلك الموكب أى ذلك البروج وهو الكرسي وسقفها عرش الرحمن وهو التاسع والحق تعالى منزله فى استوائه على العرش عن الجهة والمكان، وإنما ذكر ذلك تقريبا للأفهام فإن نبيه - عليه السلام - مأمور أن يخاطب الناس على قدر عقولهم وبذلك أنزل القرآن المجيد، والمراد بقوله ولا مرجع إلى الأرض فتقر فيه أى أن هذه القلوب كانت قد خرجت أولا عن مملذوذات الأجسام ومطالبها وهى المتعلقة بالأرض وليس لها بعد ذلك مرجع إليها وكانت تعلق بالملاء الأعلى ثم انتقلت عنهم

(٦/ب) بشهود أنوار العز، فلم يبق لها في السماء موضع ولا إلى الأرض
مرجع.
قوله :

(وقال لي : خذ حاجتك التي تجمعك على وإلا رددتك إليها وفرقتك
عني).
قلت :

هذا التنزل تعرف إلى العبد من معنى السلوك وهو تجل من حضرة
اسمه الهادي هداه تعالى إلى ما يحتاج في سلوكه إليه، والحاجة التي تجمع
العبد على سيده هي بحسب مقامه، فحاجة المبتدئ المحجوب في ابتداء طلبه
إلى العلم النافع ليهتدي به إلى العمل الصالح، وحاجة من فوقه أيضا من
العباد ولهم حوائج كثيرة منها ما هو بحسب الجسم، وهو مصالحه
الضرورية، ومنها ما هو بحسب النفس وهو إعراضها عما يوقفها دون
المطلوب من مقاصد دنية وصفات مذمومة وتعلق بما فيه شائبة الهوى أو
مقاصد الرياء، ومنها ما هو بحسب مقام من المقامات أو حال من الأحوال
فتكون الحاجة إذ ذاك إما إلى مرشد لضعف الاستعداد، وإما إلى صحة مطلب
لقوة الاستعداد، وقد يقع في أثناء السلوك أمور صعبة ما يخلص منها إلا
بالعناية، وأكثر ذلك يفتقر فيه إلى شيخه (شيخ) عارف بالتربية، وإذا أخذ
العبد حاجته التي تجمعها في سلوكه على ربه تعالى فذلك سعيد في سلوكه
سالم من شكوكه، وأما من فاتته ذلك فهو بضد حال من ذكرنا فإنه لا بد أن
ينصرف عن طلب الحق تعالى بالقواطع والموانع، وذلك رد من الحق تعالى
لذلك الشخص إلى الأسباب التي تجمعها عليه، فإنه هكذا أظهر حكمته، وأكثر
سبب التفرق، بل جميعه، إنما هو من ضعف الاستعداد؛ فإن الاستعداد هو
باب رحمة الملك الجواد، وهو مجرى هداية الاسم الهادي، فهذا معنى رددتك
إليها، وفرقتك عني بمقتضى اسمه المانع، فإنه لا يكون في الدنيا والآخرة
تعرف إلا من حضرة اسم من الأسماء الإلهية.

(١/٧) قوله :

(وقال لي : مع معرفتي لاحتاج، وما أنت معرفتي فخذ حاجتك).

قلت :

معناه أن تجليات المعارف هي أنوار تجمع الطالب على المطلوب فما يحتاج معها إلى مرشد من شيخ ولا من غيره، وإذا أنت المعرفة فخذ حاجتك منها أو تكون ما (نافية) فقليل له إن كانت معرفتي لم تأت بعد فخذ حاجتك التي تجمعك على.

قوله :

"تعرفى الذى أبديته لايحتمل تعرفى الذى لم أبده".

قلت :

هذا إرشاد منه تعالى إلى طريقة تلقى الهداية من الاسم الهادى من حيث ما يبدو له من المعارف التي ترشده وتجمعه على ربه تعالى، وصورة ذلك أنه خلاصه من شبهة كثيرا ما تقع لأهل السلوك وهي أنهم عندما ترد عليهم المعارف يطابقون بينها وبين ما عرفوه من العلم الظاهر فيجدونها مخالفة لمفهومهم منه وإن لم تخالفه في نفس الأمر فيتحيرون في طلب الجمع بين معنى العلم (ومعنى) المعرفة فقال لهم إن تعرفه الذى أبداه وهو العلم لايحتمل تعرفه الذى لم يبداه وهو المعرفة، فأراح عبده بهذا الخطاب من التعب في طلب الجمع بين العلم والمعرفة، ومعنى لا يحتمل أى لا يقبل المعرفة؛ وذلك لأن العلم هو تعرف لأهل الحجاب من ظهور عقولهم المحجوبة، والمعرفة تعرف للخاصة من حيث رفع الحجاب عنهم، ولأن المعرفة تشير إلى الوجدانية والعلم يشير إلى ضد معنى الوجدانية، وسنبين هذا في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله، وحاصله يظهر من قولهم "حسنات الأبرار سيئات المقربين" والفعل الواحد يكون حسنة بالنسبة إلى الأبرار، وذلك في طور العلم، وذلك الفعل بعينه سيئة بالنسبة إلى المقربين، وذلك في طور المعرفة.

قوله :

"لا أنا التعرف ولا أنا العلم، ولا أنا كالتعرف ولا أنا كالعلم"

معناه :

شهود حضرتي ليس هو ما يقتضيه العلم ولا هو كالذى (٧/ب) تقتضيه المعرفة، ولا كالذى يقتضيه العلم، والإشارة في هذا إلى أن شهود الوقفة هي شهود حضرته، والوقفة سيأتى شرحها في موقفها ونذكر هنا نبذة من ذلك، ولتقدم عليها شرح المجاز الذى استعمل في لفظ هذا التنزل وهو

قوله "لا أنا التعرف" وهو مجاز لحذف (لحذفه) حرف المضاف وأقام (وأقامته) المضاف إليه مقامه، وتقديره: "لا أنا مدلول التعرف ولا أنا مدلول العلم" فحذف مدلول وأقام ما أضيف إليه مقامه، ولنعد إلى النبذة المذكورة وهي أن مدلول العلم يقتضى أن (أنه) مع الحق فى الوجود سواء وهو العالم، ومدلول المعرفة أن ليس فى الوجود غيره تعالى فتتخالف المدلولات والحق تعالى وراء ذلك كله، فإن المعرفة وإن كانت أقرب من العلم فإنها لا بد أن يبقى معها رسم الشرك فى إثبات عارف ومعروف، والحق منزله عن الثبوتية فى حضرة عزه؛ فليس إذن هو مدلول المعرفة أيضا^(١).

٢- موقف القرب :

قوله :

"أوقفنى فى القرب"

قلت :

معناه أيقظ قابليتى لشهود تجليه من حضرة قربه.

قوله :

"وقال لى"

قلت :

معناه أثبت عندى معانى القرب فكأنه خاطبنى بمعانيه خطابا وهذا مجاز وجميع ماياتى من قبل هذا هذا معناه، فلا حاجة إلى تكرار القول فيه فى كل موقف، فضلا عن كل خطاب.

قوله :

"وقال لى : مامنى شئ أبعد من شئ ولا منى شئ أقرب من شئ"

معناه :

ماشئ من العالم أقرب إلى من شئ من العالم، ولاشئ منه أبعد عنى من شئ، وليس معناه كما يتبادر إلى الفهم وهو أن يفهم منه أن (أنه) ماشئ من الحق تعالى أقرب إليه من شئ آخر هو منه أيضا، فإن هذا محال عليه تعالى، بل وعلى كل ذى صورة فضلا عن المنزه عن الصورة (٨/أ) واختلافها والأعضاء، وتغايرها (الصورة) تعالى الله عن ذلك، وإذا علم هذا

سهل فهم المراد وهو أنه ليس بعده أو قربه قرب مسافة ولا بعد مسافة، وثبت أيضا أنه ليس شئ من الموجودات أقرب إلى الله من شئ منها ويعنى به قرب مسافة، وأما قرب المرتبة فذلك محقق، وكذلك بعدها، وإنما أوقع الإيهام فى هذا التنزل أنه استعمل فيه منى فى موضع إلى، ولعمري أنه هو الأوضح؛ فإنه تعالى قال إن رحمة الله قريب من المحسنين ولم يقل إلى المحسنين.

قوله :

"إلا على حكم إثباتي له فى القرب والبعد"

قلت :

يعنى إثباتي له فى القرب المرتبى، فثوب الملك مثلا أقرب إليه من ولده لكن فى المسافة، وأما فى الرتبة فالولد أقرب دائما.

قوله :

"وقال لى: البعد تعرفه بالقرب، والقرب تعرفه بالوجود".

قلت :

هذا إرشاد منه إلى أن تعرف البعد والقرب المقصودين فى هذا الموقف، وذلك من معانى السلوك، فإنه إذا وجد التجلى العرفانى تجدد له حال، ويعلم قطعا أنه أشرف من الحال الذى كان عليه قبل هذا التجلى، فعرف إذ ذلك أن الذى كان فيه قبل هذا التجلى هو البعد، فعرف البعد بما حصل له من القرب فهذا معنى قوله "البعد تعرفه بالقرب"، ومعنى قوله : والقرب تعرفه بالوجود، فهو أن تجد أحوالا سنية ومواجيد ربانية، فبذلك الوجود تعرف أن القرب قد حصل له فقد عرف حقيقة القرب بالوجود، ولا يمكن أن ينعكس الأمر فيعرف القرب أيضا بالبعد، فإن معرفة القرب سابقة لمعرفة البعد، والمتأخر لا يكون سببا للمتقدم من جهة واحدة.

قوله :

"وأنا الذى لا يرومه القرب، ولا ينتهى إليه الوجود".

قلت :

معناه لا يرومه القرب أى لا يكون القرب سببا لشهود ذاته (٨/ب) تعالى؛ وذلك لأن القرب وصف ثبوتى، وهو لا يشهد مع ثبوت شئ أصلا بل عند اضمحلال الرسم، والقرب رسم من الرسوم، فثبوته مع شهود الحق

شرك فهذا معنى قوله لا يرومه القرب، وأما معنى ولا ينتهى إليه الوجود فهو أيضا قريب من المعنى المذكور وذلك أن الذى ينتهى إليه الوجود هو مغايرته له، وإلا كان لا انتهاء هناك، والمغايرة تقتضى ثنوية، ويحصل بذلك نسبة واجد وموجود، وذلك شرك لا يليق بشهوده تعالى فإن نوره ينفى الأغيار. وما أسفه وأسخف عقل من ظن أن أهل الله تعالى يقولون بالحلول أو الاتحاد وهما فى عين الشرك، والقوم براء من الشرك، فإذا علم هذا علم أن القرب والبعد فى الحجاب، وأن الحقيقة لأقرب فيها ولأبعد ^(١٠).
قوله :

"وقال لى : أدنى علوم القرب أن ترى آثار نظرى فى كل شئ فيكون أغلب من معرفتك به".
قلت :

هو فى هذا التزل يبين معنى القرب بالإبانة عن أدنى علومه، فإن الإبانة عنه دفعة واحدة فيها تصريح كثير وهو مسلوك به طريق التقريب، والإشارة مع ستر رقيق، ومعنى عبارته إن أدنى علوم مقام القرب أنك إذا نظرت إلى شئ مثلا بالنظر الحسى أو العقلى أو غيرهما وجدت نظرك إليه تعالى أغلب عليك من معرفتك بذلك الشئ، هذا من أدنى علم القرب، وذلك أنك لا ترى شيئا إلا وترى الله تعالى قبله رؤية أظهر من رؤيتك ذلك الشئ والناس فى ذلك مراتب :

فمنهم من قال "مارأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله"، ومنهم من قال "معه" ومنهم من قال "بعده"، ومنهم من قال "مارأيت شيئا غيره"، وفى ذلك ما ذكر عن قول بعضهم حجبت "فرأيت البيت ولم أر رب البيت" (٩/أ) وهو إذ ذاك محجوب قال "وحجبت فرأيت البيت ورب البيت"، وذلك شهود القيومية التى بها قام كل شئ فشهد البيت قائما برب البيت قال "وحجبت فرأيت رب البيت ولم أر البيت" وهذا مقام الوقفة، والذى يخص القرب من هذه الثلاث : الحج الأوسط، وهو شهود القيومية، فتقدير قوله "آثار نظرى" أى آثار نظرك إلى بالإضافة إلى المفعول.
قوله :

"وقال لى : القرب الذى تعرفه فى القرب الذى أعرفه كمعرفتك فى معرفتى".

قلت :

معناه أن القرب الذي يعرفه الشاهد هو قرب محصور في مرتبة أو مراتب، وأما القرب الذي يعرفه الحق تعالى فهو مطلق عن الحصر، وذلك أن المعرفة الحاصلة من المقيد بالصورة هي أيضا مقيدة بصورة، وليس لمعرفة من لاصورة له قيد بصورة، فكأنه بين تقييده بالصورة. وأما شرح العبارة نفسها والتتزل نفسه فهو أن يقول أن الحق تعالى يعرف القرب من الطور الذي عرفه عبده، ويعرفه من طور محيط، وكذلك معرفة الشاهد من معرفة ربه تعالى هي معرفة تحيط بها معرفة ربه تعالى، وإذا صرح بهذا المعنى أكثر كان معناه أغمض فلنحترز ونقل معرفة الشاهد للقرب أن يرى نفسه عين من تقرب إليه وهذا بعينه هو معرفة ربه تعالى، أن يرى المتعرف إليه ليس غيره في حضرة "كنت سمعه وبصره" ويكون حال شهود العبد للقرب هو بعينه حال من أحوال المحيط به لايمغايرة، وهذا معنى عزيز والعبارة تبعده ؛ لاشتمالها في الإخبار عنه على غلط لايمكن الاحتراز عنه.

قوله :

يقال لى : لابعدى عرفت ولا قربى عرفت ولا وصفى كما وصفى

عرفت"

قلت :

معناه أنه يبين له أنه لم يصل بعد إلى مقام "كان الله ولاشئ معه (٩/ب) وهو الآن على ماكان عليه ". وهذا العرفان لايعرفه غيره تعالى، وصاحب هذا المشهد حال شهوده لا يكون مغايرا لأن الحق تعالى بدل أوصافه بمحوه عن نفسه وأبقاه به تعالى لابنفسه، وإذا تبدلت صفاته وذاته فليس مغايرا، وفي هذا المعنى أنشدهم منشد خماريه :

تبدل أوصاف النديم بوصفها فينتشى له قلب وطرف ومسمع

فنعود إلى الشرح ونقول :

صاحب هذا المقام خوطب بأنه لم تتبدل أوصافه بعد، فلاجرم قيل له لابعدى عرفت، ولاقربى عرفت، ولاوصفى كما وصفى عرفت. ولولا ذلك لم يخاطب بتاء الخطاب المفتوحة في قوله عرفت فإنه أثبت له أنانية، والذي تبدلت أوصافه هو محو في وجود ربه تعالى (عز وجل).

قوله :

"وقال لى : أنا القريب لاكقرب الشىء من الشىء، وأنا البعيد لاكبعد الشىء من الشىء".

قلت :

معنا أن كل مايقال فيه أنه شىء فبعده من شىء آخر هو بنوع غير النوع الذى يقال فى الحق به أنه بعيد أو قريب، وذلك لأن قرب الحق تعالى من الشىء هو أن لايبقى لذلك الشىء معه وجودا البتة، وليس قرب شىء من شىء هو بهذه الصفة، وفى هذا المعنى أنشد قائلهم :

فما فى من شىء لشىء موافق ومامنك من شىء لشىء مخالف
وبالجملة : البعد والقرب بين الأشياء بمسافة مابه الحق تعالى قريب أو بعيد.

قوله :

"وقال لى : قربك لاهو بعدك، وبعدك لاهو قربك، وأنا القريب البعيد قربا هو البعد، وبعدا هو القرب".

قلت :

معنى هذا التزل الشريف عجيب؛ وذلك أنا بينا أن قرب الحق تعالى من عبده هو أن يشهده فناء (فناء) فى وجود سيده، وحينئذ يثبت ويبقى (١٠/أ) ببقاء سيده. ولاشك أن هذا القرب بعد لأنه فناء للمشاهد عن ذاته وعن جميع أوصافه، وأى بعد أشد من هذا مع أنه هو القرب، فإن قلت بأى معنى يكون الفناء قربا مع أن الذى يظهر فى بادىء الرأى أنه أشد البعد كما سميته، فالجواب أن العبد بالفناء عن ذاته وعن أوصافه يبقى بقاء أبديا لكن بربه تبارك وتعالى فهو مؤد إلى القرب، وما أدى إلى القرب فهو قرب، وليس يكون البقاء المذكور مالم يحصل الفناء المذكور وهذه مسألة (مسألة) إجماع بين طائفة أهل الله تعالى، وذكرهم البقاء بعد الفناء مشهور بينهم.

قوله :

"وقال لى : القرب الذى تعرفه مسافة والبعد الذى تعرفه مسافه وأنا القريب البعيد بلا مسافة"

قلت :

معنى هذا أن العالم إذا اعتبر البعد والقرب فيما بينهم فلا بد من مسافة أما أن بعد الأجسام بالمسافة وقربها بالمسافة فظاهر، وأما القرب والبعد بالمحبة والبغض، أو بالرتبة، مثل الوزير من الملك وأشباه ذلك، فالقرب والاعد في هذا النحو مجاز، وإنه القرب الوضعي بالحقيقة هو المسافى، وهذا خطاب تنزل على حكم الحقيقة.

قوله :

"وقال لى : أنا أقرب إلى اللسان من نطقه إذا نطق فمن شد دنى لم يذكر ومن ذكرنى لم شهد".

قلت :

هذا المعنى فيه تصريح بالحقيقة الإلهية، وذلك أن الشاه . حال الشهود هو عين المشهود، ولذلك قال قائلهم : "انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم"؛ فنفسهم هم، المشاهدة المشهودة، وإذا تقرر هذا فالشاهد إذا علم أنه المشهود لم يبق لذكره لنفسه فائدة؛ فإن الذكر إنما يكون لغائب، فلا جرم قال "قمن شهدنى لم يذكر" وأكد هذا المعنى بقوله : "ومن ذكرنى لم يشه". بمعنى أنه أثبت لى (١/ب) أناية ذاكرة لمذكور غير نفسه فليس له شهود، والحالة هذه، بل هو فى حضرة الحجاب وفى غيبة الاغتراب.

هكذا هى موايد القوم وإن كانوا يسترون ذلك عن الجاهل، خوفا عليهم من أن يقعوا فى الإنكار فيحل عليهم غضب الجبار وأقله البعد منه فى هذه الدار (فى تلك الدار).

قوله :

"وقال لى : الشاهد الذاكر إن لم يكن حقيقة ماشهده حجه ما ذكره".

قلت :

وفى نسخة^(١) إن لم يكن حقيقة ماشهده حجه ما ذكره فيها والمعنى واحد، وهذا انتزل الكريم أظهر فيه الحقيقة الإلهية أكبر، وصرح بها تصريحاً أظهر وهو قوله : الشاهد الذاكر إن لم تكن حقيقته المشهودة هى الحقيقة الذاكرة نفسها إلا كان ذكره حجاباً له، ولاشئ أصرح من هذا فى أن المشاهد حال الشهود يكون حقيقة المشهود، وأنت أيها السيد المطالع لهذه الحروف إن ضعف ما تعداك عن قبول هذا الحكم فاعلم أن الشاهد و المشهود

وإن كانا واحدا إلا أن هذا هو البعد^(١٢)، وما يضرك أن يكون العبد يشهد نفسه إذا بقى عندك جانب الحق منزها عن أن يكون حقيقة من شاهده وإن زاد بك المنع وقوى عندك لهذا المعنى ما يوجب الدفع، فلعلك تدفع أيضا أن يكون الحق سمع عبده المتقرب إليه بالنوافل وبصره (وأبصره)، إلا أنك لا تستطيع ذلك لثبوته في الحديث الصحيح وإن كنت من غير ملتصا وهي ملة الإسلام، فإما يهودى فلن تستطيع أن تدفع قوله في التورية، يزيد أن يخلق خلقا شبيها بشمائلنا وصورتنا، والشبه ليس في الذات، ولا في الصفات لأن الله تعالى "ليس كمثله شئ" باتفاق منا ومنكم بقى أن يكون هو الظاهر نفسه، كما أخبر، ويكون ذكر التشبيه نظير قولك مثلك يقول هذا القول أى أنت وإن كنت نصرانيا فلن تستطيع أن تدفع ماتدعيه من أن السيد المسيح قال الناء وفلا ياتاء وفلا أقمت فيكم مدة هذه مبلغها وما عرفتموني أنا فى الأب والأب فى، من رأتى فقد رأى الأب، أنا والأب واحد، ونحن لانوافقكم على نقل هذا أنه صحيح، لكن فيه حجة عليكم إذا أنكرتم أن الشاهد يكون حقيقة المشهود.

قوله :

"وقال لى : ماكل ذاكر شاهد وكل شاهد ذاكر".

قلت :

معناه أن الذى يذكر من لم يشهده فهو ذاكر إلا أنه لا يكون شاهدا وأما الذاكر إذا كان شاهدا، فأى ذكر أبلغ من الشهود فهو فى حكم الذاكر وهو أدنى مراتبه.

قوله :

"وقال لى : تعرفت إليك وما عرفتنى، ذلك هو البعد".

قلت :

معناه أن بعده تعالى كما تقدم (١١/أ) ليس بعد مسافة، لكن (لكنه) إذا تعرف إلى عبده فلم يكن له (للعبد) استعداد أن يعرفه فذلك هو بعده عن ذلك العبد، فالحجاب هو البعد.

قوله :

"رأتى قلبك وما رأتى، ذلك هو البعد".

قلت :

معناه أن القلوب كلها تراه تعالى لكنها تظن أنها رأت غيره، وذلك هو البعد، وهذا هو معنى قوله "رأى قلبك ومارأى". ويشبه هذا المعنى ما ذكرته في بعض نظمي وهو في معنى من يرى ولا يدرى وهو :

من كان لا يدرى الصواب فذاك أخطأ إذ أصابا
أو كان لا يدرى الجواب فما أجاب وإن أجابا

ولى في مثل هذا المعنى وهو أنه إذا رأى ولم يدر فما رأى تجلى محياها ومدت بنورها حجابا على أبصارهم وهو منهم فلم يبق إلا من رآها وإنما يراها فتى معناه عنه يترجم.

قوله :

"تجدنى ولا تجدنى، ذلك هو البعد".

قلت :

هذا أيضا هو ذاك بعينه لكن بوجه أعم، فإن الوجدان قد يكون بالقلب وقد يكون بالحس فكأنه زائد في التعرف تقريبا آخر وهو أنه قال لك ما تجد إذ تجد غيرى؛ لأنه ليس في الوجود غيرى، فإن لم تعرف أنك وجدتني فما وجدتني، وذلك هو البعد.

قوله :

"تصفنى ولا تدركنى بصفتى (١١/ب) ذلك هو البعد"

قلت :

هذا أيضا مزيد بسط في تعرفه إليك إن كنت مقبولا. ومعناه تصفنى بأنى مثلا حى، ثم ترى حيا فلا تعرف أن الحياة كلها لى، ولوعرفت ذلك لوجدتني، ولو وجدتني لكنت قريبا إليك لكنك لم تعرف أن تلك الحياة لى، وتجد مثلا القوة ظاهرة فى ذى قدرة فتلاحظ القادر فيها غيره تعالى، ولا تعلم أن القدرة حيث القادر، وأن القوة حيث القوى. قال الله تعالى "إن القوة لله جميعا فهذا معنى تصفنى ولا تدركنى بصفتى ذلك هو البعد".

قوله :

"تسمع خطابى لك من قلبك وهو منى، ذلك هو البعد".

قلت :

هذا أيضا بسط في المعنى المقدم ذكره في هذه التنزيلات، وذلك أن إشارته إلى أن كل خطاب يجده العبد المشار إليه من قلبه ليس هو من قلبه بل هو من ربه، ويكون ما يراه من قلبه، فذلك هو البعد، فكأنه قال : لاتسمع خطاب قلبك إلا منى، وإلا كان ذلك هو البعد.

قوله :

تراك وأنا أقرب إليك من رؤيتك، ذلك هو البعد ..

قلت :

وهذا أيضا بسط في المعنى المقدم ذكره، لكن هذا التنزل أصرح مما قبله، إلا أن لفظه غامض لجعله الفاعل والمفعول ضميرين لمسمى واحد وهو في اللغة ضعيف الاستعمال إلا في استعمال هذه الطائفة، فكثيرا ما يستعملونه وذلك قوله : تراك أى ترى نفسك وأنا أقرب إليك من رؤيتك أى من رؤية نفسك وهذا ظاهر المعنى وهو أن (أنه) لا يرى نفسه، بل يرى ربه تعالى لأن الوجود حقيقى لله تعالى، ونسبته إلى العبد مجاز، فإذا رأى نفسه ولم ير من هو أولى منه أن يرى فذلك هو البعد.

٣- موقف الكبرياء :

قوله : " أوقفنى فى كبريائه وقال لى".

قلت : هذا التنزل مافيه ما يشرح إلا لفظ كبريائه، لأن ماسواه مشروح فى غير هذا الموقف، وأما الكبرياء فقد ورد فى بعض تنزيلات هذا الموقف ما المراد منه وهو

قوله : " الكبرياء هو العز والعز هو القرب والقرب فوت عن علم العالمين".
فإذن الكبرياء هو العز، وقد تقدم شرحه لكن فيه مزيدا أوجب تخصيصه بموقف وذلك أن العز هو معنى الوجدانية التى ليس معها غيرها، (١٢/أ) والكبرياء كذلك لكن بمعنى اعتبار أن هذه الذات المقدسة تكبرت عن أن يكون معها فى الوجود غيرها فهى كذلك دائما، وبإضافة اعتبار أنها متكبرة عما يناقض العز فلها بهذا الاعتبار صفة الكبرياء فهو يقول إنه أوقفه فى "كبريائه" وهو العز بقيد ما شرح.

قوله :

"وقال لى : أنا الظاهر الذى لا يكشفه ظهوره".

قلت :

معناه أن (أنه) لا ظهور لغيره، والناس لا يعلمون له ظهوراً إلا إيماناً منهم وتسليماً، لاحقية وشهوداً، قال الشيخ : الناس يعتقدون أن العالم هو الظاهر، والحق تعالى غيب لم يبدو، وأهل الله يتحققون أن الحق تعالى هو الظاهر، والعالم غيب مظهر قط ولا يظهر أبداً، وهذه مسئلة (مسألة) عجيبة..

ونعود إلى شرح اللفظ فنقول معنى "لا يكشفه ظهوره" أوجب عند أهل الحجاب أن يحجبوا عنه، وإذا كان الظهور يحجبه، فإن ظهوره لا يكشفه، فهو الظاهر الذى لا يكشفه ظهوره، وسبب كون ظهوره لا يكشفه لهم استبعادهم أن يكون ذلك كذلك، وإن كان أشهى ما إليهم أن يروا بارقة من كشفه، ومثل هذا الاستبعاد مائل عن بعضهم : أنه كان شديد الشوق إلى مكة شرفها الله تعالى، فاتفق أنه وصل إليها، فقبل له هذه مكة، فاستبعد ذلك لطول مدة شوقه إليها وهو بالبعد عنها فقال شعراً.

أبطحاء مكة هذا الذى أراه عياناً وهذا أنا.

كاد أن يشك فى نفسه أنه هو لاستبعاد أن يكون هو ممن يصل إلى مكة. وأما من كشف له فإنه وإن كان ممن يستبعد، لكن العيان الحقيقى شاهد لنفسه، ولو ارتاع أول شهوده، وأتاه الله فيه من حيث لم يحتسب (١٢/ب) فيكاد يقوله من سطوة الظهور فإنه يعود فيصحو،

ولبعض المتأخرين :

قد كان يسكرنى مزاج شرابه فالיום يصحبني لديه صرفه
ويغيب رشدى عند أول نظرة واليوم استجليه ثم أرفه
وقد ورد فى إخبار بعض السلف من أهل هذا الشأن أن بعض أهل الحجاب سأم؛ فقال : أين الله، فقال له : أسحقك الله، أتطلب مع العين أين، والمراد بالعين العيان الظاهر، إلا أن المحجوب لا يدري.

قوله :

"وأنا الباطن الذى لا ترجع البواطن بدرك من علمه".

قلت :

معناه أن وجوده محيط بذاته مظهر غيره ولا بطن سواء، وذلك هو البعد، ولما كان ذلك دأب الأولين والآخرين غير أهل الله تعالى، لم تصل بواطنهم إليه أصلا، ولن يصلوا أبدا ماداموا هكذا، ولما طلبه أهل العقول من الفلاسفة والمتكلمين توغلوا في أفكارهم فما رجعوا بطائل، ونهاية أحدهم أن يقول : تحققت العجز عن إدراك المطلوب، وبجزم بعضهم أن لاوصول إلا أن يعلم أن لاوصول، ويذكر " العجز عن درك الإدراك إدراك، ويقول إن الصديق الأكبر رضى الله عنه قال ذلك، ويتأسى به، ويقتدى في زعمه به وهو غالط^(١٣)، فإن مراد أبى بكر رضى الله عنه بهذا القول إن صح عنه ليس هو هذا، بل المراد مضمون قول الطائفة رضوان الله عليهم أجمعين "من عرف الله كل لسانه" وذلك لشهود العز، وشهوده فوت عن علم العالمين أما عن شهود المقربين فلا فإنهم يرونه به فيكون هو الرائي، فلا يراه سواء، وهذا يأتى فى مواضعه (١٣/١) إن شاء الله، وأما عجز البواطن عن أن ترجع بدرك من علمه؛ فلأنها تسلك إليه طريقة الفكر، وقد قال قائلهم :
شعر :

سعوا فيك بأغلوطة الفكر حار عقلى وانقضى عمرى
سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذى السفر
فسفر الأذكار يصل وسفر الأفكار يفصل.

قوله :

"قال لى : بدأت فخلقت الفرق فل اشيء منى ولا أنا منه"

قلت :

خلق الفرق أى جعله فى جيلة القلوب والعقول، فيرى أن الأشياء منه ولا تعلق لشيء به وهو لسان العلم، وأما المعرفة فهى من التعرف، وهى تثبت الأشياء به ولا تنفيها عنه، والفرق أيضا ماتمناز به الأشياء بعضها عن بعض، ويمناز عنه تعالى، وذلك الفرق هو التعينات، وقد بحث فى التعينات علماء الرسوم، فاهتدى بعضهم إلى أن قال هى عدمية وهو حق لا من حيث إدراكه لأنه حدسى وظن ظنا ومالهم به من علم إن هم إلا يظنون، وهذه التعينات هى عالم الخلق وهى البرازخ، ولكونها إعداما فلا نسبة للعدم إلى الله تعالى فإنه الوجود المحض.

قوله :

"وعدت فخلفت الجمع فيه، فاجتمعت المتفرقات وتآلفت المتباينات"

قلت :

هذا الجمع المشار إليه هو ما به تتشارك الموجودات، وهو فى اصطلاح أهل الله الوجود لاغير، فالكل مشتركون فى الوجود وهو جوهر فى الخارج به يكون الشيء هو ماهو لا بما يقول الفيلسوف فى المحدودات، إنها من جنس، فإذن بالوجود اجتمعت المتفرقات، وتآلفت المتباينات، والتباين هو بالتعينات العدمية كما تقدم، وهذا التزل يحتل بسط مقدار مجلد أو أكثر لسعة معناه، والحاجة داعية إليه من الكل.

قوله :

"وقال لى : ماكل عبد يعرف لغتى فتخطبه".

قلت :

الإشارة فى هذا الخطاب إلى أن إدراك الفرق صعب، وإدراك (١٣/ب) الجمع أصعب منه من وجه ووجه، وهذه الصعوبة ليست على كل الناس فإن أهل الكشف يعرفونها من غير تواطىء عليها، بل العادة أن كل من فتح الله عليه إذا نطق بمعانى فتحه بألفاظه التى يختارها، وسمع ذلك الكلام مفتوح عليه عرف ما قال، وذلك لأن لغة الحقيقة واحدة، وهى نطقه بلسان الحال يعبر عنه كل أحد من أرباب الأنواق بما يناسبه من المقال فيظهر فى ألفاظهم علامات يعرفها الباحث من الجنس، فلا تختلفون فى شئ فيها إذ تمت دائرتهم. "ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا".

قوله :

"ولا كل عبد يفهم ترجمتى فتحدثه".

قلت :

الشرح فى هذا التزل كالشرح فى الذى قبله.

قوله :

"وقال لى : لو جمعت قدرة كل شئ لشيء وجزت معرفة كل شئ لشيء، وأتيت قوة كل شئ لشيء ما حمل تعرفى بمحوه، ولا صبر على مداومتى بفقد وجده لنفسه".

قلت :

المعنى فى هذا التنزل أنه ليس بالقدرة، ولا بالمعرفة، ولا بالقوة يصل أحد إلى حضرة سيده، بل حيث تثبت هذه وجب الحجاب وإنما كان ذلك كذلك لأن الطريق هى المحو لا الإثبات، ووجود هذه الصفات مجموعة ليس مما يقتضى المحو، إلا أن معنى التنزيل محطه على شئ وهو أن العبد فى سلوكه يهون عليه كل شئ إلا أن يفقد نفسه لأن العبيد أصحاب حظوظ، وإنما يريدون بالسلوك إلى الله تعالى أن يحظوا بالدرجات العلى، وتحصيل الربح والكسب فى الآخرة والأولى، وإذا تحقق أن طريقه ذلك بفقد الأناينة تعين له ذهاب رأس المال فضلا عن الكسب، ولا يقدر على هذا المطلوب إلا قوم خرجوا عن نفوسهم لا لمعنى يطلب البتة بل كان عندهم عشق يحثهم لا يقدر على مدافعتة، ويجدون انعدامهم أحلى عندهم من بقاء أنفسهم فيه فلذلك رأى أبو يزيد ^(١٤) أن (أ/١٤) الحظوظ تدل على بقاء النفس، فقال :
"أريد أن لا أريد".

وقال الحلاج : ^(١٥)

ببنى وبينك أنى ينار عنى فاصرف بأنك أنى من البين
فطلب أن يغلب عليه قسط الحق فيه، فتتعدم أنايته، ولا تبقى إلا أنايته
سيده المنزهة عن حضور الاغيار، فهؤلاء هم الذين يصبرون على تعرفه
بمحوهم، ويصبرون على مداومته بفقد وجدهم نفوسهم.
قوله :

"وقال لى : الأنوار من نور ظهورى بادية، وإلى نور ظهورى
آفلة".

قلت :

يعنى بالأنوار الموجودات، وهى المتعينات من الموجودات، فإن الموجودات بأسرها إنما هى تجلياته فى طور ظهوره، فإذا اعتبرت من حيث الوجود كانت أنوارا بادية من نور ظهوره وهى كما قلنا المتعينات. وإذا اعتبرت من حيث التعينات وهى الامتيازات العدمية فهى الظلم، ومن تلك الجهة لا يعرف الحق من سلكك إليه من قياس الغائب على الشاهد من حيث التعينات، ومن سلكك إليه من حيث المتعينات لا من حيث ما يميز به بل من حيث الوجود وهو واحد فإن الطريق موصل، وذلك أن يرى أن هذه الأنوار

منه بدت وإليه تعود، فإن شاء أخذ المولدات بالتحليل فردها إلى الأركان الأربعة، فاندعت صورها وتعيناتها ورجعت إلى الغيب، وإن كانت مظهرت قط فإن الذى ظهر إنما هو المتعينات أنفسها، وتعيناتها أمور اعتباريا يثبتها الذهن عند المقاييسات الذهنية، وهذا إدراك شريف إلا أنى لم أرفى عمرى من يشهده تماما، ثم إن أراد حلل أيضا الأركان الأربعة إلى بسيطها (١٤/ب) بلا صورة فينحل ذلك إلى مايسميه الفلاسفة "الهيولى" وهى مادة واحدة، إلا أنها قريبة المرتبة من الجسمانية، فإن شاء حلل بعد ذلك هذه الهيولى بعد أن يعلم أن صور الأجسام كلها قد إنحلت إليها وعاد منها ماعاد إلى العدم فيجدها تنحل إلى مايسميه الفلاسفة "النفس الكلية" ويسميتها بعض هذه الطائفة وهم المقصرون منهم أنها اللوح المحفوظ فتبعد المادة الوجدانية عن قربها من تقدير قبول الجرمانية والكثافة، ثم إن شاء حلل تلك أيضا إلى بسيط هو أول لها وهو "العقل الأول" فى اصطلاح الفلاسفة، "والقلم الأعلى" فى اصطلاح قوم من طائفتنا، ثم إن شاء حلل ذلك من حيث تركيب فيضمحل رسم الخلق بأسره ويتعين الحق، وأهل الله تعالى يشهدون الأمر كذلك قبل التحليل، ولو شاء أحد أن ينحدر بالتركيب من الغيب المطلق، لوجد نورا واحدا كان له اسم قبل مرتبة العقل الأول، ثمسمى عقلا، ثم نفسا، ثم هيولى ثم ثم ثم ينعطف إلى طور الإنسان فيقوم فيه الهيولى والجسم والنفس والعقل، كل ذلك فى النشأة الإنسانية، فهى نسخة كاملة فى مقابلة نسخة كاملة، فاستحقت الخلافة بعود الفرع إلى أصله فى الشهود، ووجدانية الوجود، ولذلك أمرت الملائكة له بالسجود، والمراد فى شرح التنزل أن الأنوار وهى الموجودات من نور ظهوره بادية، ولذلك سميت عند أهل هذا الشأن مظاهر، وهى إلى نور ظهوره أفلة"، ونور ظهوره الذى إليه أفلة هو "العقل الأول". وقد عرفت كيفية أقولها، وهو ماذكر من التحليل، وكيف تبدو، وهو ماذكره من التركيب (١٦).

قوله :

"والظلم من فوت مرامى (مرام) بادية، وإلى فوت مرامى (مرام) آتية".

قلت :

الظلم (١٥/أ) هى التعينات العدمية، والنسب والإضافات، وكل مايقيد ذهن اعتبارا ولاوجود له فى الخارج فإنها ظلم، ولذلك لايتحقق إلا باعتبارات الموجودات، والسلوب كلها التى تذكر فى القضايا المنطقية كلها من الظلم لأن الوجود هو النور ومقابله هو الظلمه، ولما كان الوجود لاظهر إلا جزوياته (جزئياته) كان العدم لا يظهر إلا باعتبارات تقابل تلك الموجودات وهى أيضا جزؤية (جزئية)، ولما كان حظ الموجود المحقق أن يكون فى الخارج كان ماهو من الظلم فيما يقابل الخارج وهو الداخل ونعنى به الذهن. فإن قلت إن الذهنيات موجودات ذهنية، وإن قلت إن هذه إعدام فكيف تفرضها فى الذهن، وذلك يقتضى لها الوجود وإن كان ذهنيًا. الجواب إنها فى الذهن سلوب، وتصور السلوب هو وجودى والسلب نفسه عدمى فالتصور هو أوهم أن يكون لذلك العدم الإضافى وجود ولم يفده التصور ذلك الوهم من الوجود لم يصح الإخبار عنه، فإن الإخبار عن عدم إن كان يعدم فمعناه أنه لم يقع إخبار وحينئذ يبطل التقاهم بين المتخاطبين فاضطر الحال إلى أن يستعار لهذا النوع وجودا، وأضعف الموجودات هى الذهنيات وأسخطها الإعدام لضعفها، وأقوى منها الذهنيات التى لها مصداق (مصدق) فى الخارج. ونعود فنقول كيف قيل فى هذه إنها ظلم، وكيف قيل إنها من فوت مراميه بادية فالجواب أنه لما كان هو الوجود المحض كانت المعدومات مثل من فاته الوجود، وفاته أيضا أن يروم الوجود، فإنه لورام الوجود لكان له نصيب منه إذ لا يطلب الشيء نقيضه لأنه إذ ذاك يكون طالبا لما يبطله فكان يكون على هذا التقدير ليس عدما إذ ذاك لأن ما (١٦/ب) يبطل عدمه فهو وجود لكن التقدير أنه عدم، فقد فات هذه الجهة مرام الوجود، فتعينها هو فى مقام فوت الوجود، وذلك هو العدم، وفى هذا السطر الذى قبل هذا كفاية فى شرح التنزل إذا تأملته، وإن أعدناه ظهر، ونختصره فنقول : الحق تعالى وجود محض وفوت الوجود هو العدم، فالظلم إعدام، ومنشأها فوت المرام ثم هى إلى فوت المرام آية راجعة، فإن العدم إنما يرجع إلى العدم.

قوله :

"وقال لى : الكبرياء هو العز والعز هو القرب والقرب فوت عن علم العالمين".

قلت :

الكبرياء هو العز مع اعتبار تكبر عما ينافيه، والعز هو القرب مع اعتبار احاطته بمن قرب إليه بصفة محوه عن نفسه وبقائه بربه، والقرب فوت عن علم العالمين مع اعتبار آخر وهو أن يمحي وصف العلم الذي هو لسان الفرق، ويبقى لسان الشهود وهو نطق الحقيقة لنفسها وقد تقدم شرح هذا التنزل في أول هذا الموقف.

قوله :

"وقال لي : أرواح العارفين لا كالأرواح، وأجسامهم لا كالأجسام".

قلت :

معناه أن أرواح العارفين منصبة بالنور الإلهي لقيام النور عنهم بوصفهم وكذلك أجسامهم، حتى قال قائلهم "ما في الجبة إلا الله" (١٧) ولا يثبت لغيرهم أن يقول أحدهم هذا القول.

قوله :

"وقال لي : أولياتي الواقفون بين يدي ثلاثة فواقف بعبادة أتعرف إليه بالكرم، وواقف بعلم أتعرف إليه بالعزة، وواقف بمعرفة أتعرف إليه بالغلبة".

قلت :

هذا التنزل مفيد جدا لأنه بين فيه رتب السالكين، وهي المراتب الأصيلية، وذلك أن السالكين :

(أ) إما بالعبادة وهم أهل التقليد.

(ب) وإما بالفكر وهم الفلاسفة والمتكلمون.

(ج) وإما بالمعرفة وهم أهل الأنواق من الصوفية، وقد شرح في هذا التنزل كيف يتعرف الحق تعالى إلى كل طائفة منهم بحسب مقامها منه، وإنما اختلفت أنواع سلوكهم لاختلاف استعداداتهم فكله (١٧/أ) كل استعداد ما يناسبه ذلك تقدير العزيز العليم فقوله : فواقف بعبادة أتعرف إليه بالكرم فإن العباد هم أهل تجارة يعبدونه لطلب ثوابه، وما أعده لأمثالهم في مأبه فيتعرف إلى قلوبهم بالكرم، وتعرفه إليهم بالكرم على نوعين :

(أ) نوع ينلقونه بالتقليد مما نقلته الأنبياء عليهم السلام من ربهم تعالى من الوعد الجميل.

(ب) ونوع يجدونه فى النوم من المرائى التى هى جزؤ (جزء) من النبوة، وفى الیقظة أيضا، وهو ما يظهر عليهم من الكرامات الدالة على كرم الكرم عليهم بها، ومن هذه الطائفة العابدون خوفا من العقاب يتعرف إليهم بالعفو عنهم وهؤلاء هم أنزل هذه الطائفة مقاما والتعرف بالعفو عنهم هو أيضا من الوعد الجميل، فهو تعرف بالكرم.

قوله :

"وواقف بعلم أتعرف إليه بالعزة" ..

قلت :

هؤلاء هم الطائفة الثانية وهم الفلاسفة والنظار فى أصول الدين من المتكلمين وليس علماء الفروع منهم وهؤلاء يتعرف إليهم بالعزة ومعناه أن يعز وجود مطلوبهم، فلا يظفرون به أبدا فيعظم الحق فى قلوبهم لذلك ويقولون إن كنه ذات البارئ تعالى لاسبيل إلى العلم بها فيكتفون من معرفته بهذا القدر وهو معنى قولهم عرفنا أننا لانعرفه، فهى معرفة لنا فقد تعرف إليهم بالعزة من قولهم عز وجود الشيء إذا تعذر.

قوله :

"وواقف بمعرفة أتعرف إليه بالغبلة"

قلت :

معناه أن يغلبهم الحق تعالى على وجودهم بمحوهم فيكونون من أمره والله غالب على أمره، فاصطلاحهم غلبة وهؤلاء سالكون بالله لا بأنفسهم، وطريقهم الذكر لا الفكر وأكثرهم أهل الخلوات والمجذوبون منهم وإن لم يدخلوا الخلوة.

قوله :

"وقال لى : نطق الكرم بالوعد الجميل" ..

قلت :

هذا النطق هو (١٧/ب) نطق الحال واستعار له لفظ اللسان مجازا، ومعناه أن "تصيبهم منه الوعد الجميل"، وقد تقدم شرحه آنفا.

قوله :

"ونطقت العزة بإثبات القدرة" ..

قلت :

يعنى أن لسان حال العزة يظهر عجز طالبيه تعالى بالفكر، وظهور العجز دال على قدرة من أعجزهم فاستلزمت العزة إثبات القدرة.
قوله : "ونطقت الغلبة بلسان القرب".

قلت :

معناه نطق لسان حال الغلبة، وهى محو السالك فى السلوك إليه بلسان القرب، وهو بقاء العبد بربه لا بنفسه، والغلبة وهو المحو يودى إلى هذا القرب.

قوله :

"وقال لى : الواقفون بى واقفون فى كل موقف خارجون عن كل موقف".

قلت :

فرق فى هذا التنزل بين الواقفين بين يديه وبين الواقفين به، فقال فى أول ذلك التنزل الواقفون بين يدي ثلاثة، وقال فى هذا : الواقفون بى، ولذلك كان وصفه لهؤلاء بغير ماوصف به أولئك، ومعنى الوقوف به تبدل جميع أوصافهم بأوصافه كما تقدم شرحه، ولما كان كل معنى من معانى الدنيا والآخرة، والظاهر والباطن، والأول والآخر لا يخلو عن تعرف اسم من الأسماء الإلهية، وهؤلاء قد تبدلت أسماؤهم بأسمائه كما سنشرح فيما يأتى إن شاء الله تعالى، كان هؤلاء واقفون (واقفين) فى كل موقف من مواقف تعرفات أسمائه وخارجون (وخارجين) عن كل موقف لتعلقهم بالذات العلية الخارجة عن قيود المواقف والتصرفات، فكانوا بربهم تعالى واقفين فى كل موقف خارجين عن كل موقف.

٤- موقف أنت معنى الكون :-

قوله :

"أوقفنى وقال لى "

قلت :

قد تقدم شرح مثل هذا.

قوله :

"أنت ثابت ومثبت"

قلت :

معنى ثابت أى لم يمحك النور الإلهى بعد، والتثبت وجود ما، لكنه فى عالم الحجاب، ومعنى (١٨/١) و"مثبت" أى ثبتك به تعالى لا بنفسك وأنت مأمور أن تنتظر إلى مثبتك لا إلى ثبتك فقط.

قوله :

"فلا تنتظر إلى ثبتك فمن نظرك إليك أتيت".

قلت :

معنى لا تنتظر إلى ثبتك أى لا ترى أنك ثابت بنفسك فإن باب الاحتجاب عن الحق تعالى ألا ترى أن المحو والفناء هو باب كشف الحجاب، فصد الكشف يكون بما هو ضد الفناء وهو الثبوت فمن نظرك إليك أتيت أى احتجبت.

قوله :

"وقال انظر إلى مثبتى ومثبتك تسلم لأنك ترانى وتراك وإذا كنت فى شئ غلبت".

قلت :

معناه اعتبر ثبوتك بى يعنى القىومية التى قام بها ذلك العبد، فإنك ترانى مثبتا وتراك مثبتا، والحق تعالى إذا كان فى شئ غلبه ويعنى شئ حكما من الأحكام، ولايراد نفي الظرفية أصلا، ومعنى غلبته تعالى هو أن العبد فى هذه الصورة ما اعرض عن الحق ومهما تمسك بربه عزوجل فلن يغلب وإذا لم يكن العبد المتمسك بع تعالى مغلوبا فالله تعالى هو الغالب، وتلخيص شرحه أنه يقول وإذا كنت ملحوظا مراقبا فى حكم من الأحكام نصرت مراقبى نصرا لا أغلب فيه.

قوله :

"وقال لى : متى رأيت نفسك ثبتا أو ثابتا ولم ترنى فى الرؤية مثبتا حجبت وجهى، وأسفر لك وجهك، فانظر ماذا بدالك وماذا توارى عنك".

قلت :

قد ظهر من شرح التنزل الذى قبله أن العبد إذا رأى أنه بمولاه ثابتاً
غلب قسطه تعالى فاستولى على تفيد عبده فأخذه وهو معنى.
قوله : "إذا كنت فى شئ غلبت" .. فإن لم يفعل ذلك ولم يجده بل رأى نفسه ثابتاً
أو ثابتاً أسفر للعبد وجهه أى أنانيته العدمية وتوارى عنه وجه الحق فحيره
توبيخاً، ووبخه تحييراً أن يعتبر ما أسفر له وما توارى عنه ليعلم خاسر
(أخسر) هو أم رابح، ومن نظمى شعر :

ولقد حلفت لتعبرن عنهم فهل	تدري فذلك النفس عن تحلف (١٨/ب)
وخذ عن يمينك يمينه فأخو الهوى	والوجد لأخرج عليه يعرف
إن لم تكن لديار ليلى والحمى متشوقاً	فلمن تـرى يتشوق
وبمن إذا كتم المشوق دموعه	كتمت محارك الدموع الذرف

قوله :

"وقال لى : لا تنتظر إلى الإبداء ولا إلى البادى، فتضحك وتبكى، وإذا
ضحكت وبكيت فأنت منك لامنى".
قلت :

معناه لا تنتظر إلى الإبداء فتشرك لثبوت مبد وباد وإبداء، فإنه متى
كان إبداء فلا بد من هذه الثلاثة وأنت أيها العبد الوجدانى النظر قد جمعك
الحق عليه، فلا تتعرف وكذلك البادى من حيث هو باد فإنه عالم خلق
فالشرك بصحبه قوله : "فتضحك وتبكى" معناه أى تفرح بما تؤتى وتأس
على ما فات، وهذه حالة منهى عنها فى العلم فضلاً عن الوجود قال الله
تعالى : " لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم ^(١٨) وإنما نهى عن
ذلك لأن صاحب هذه العاهة يكون مع حظوظه ومراده. وصاحب الحق فارغ
مما سواه فلا يضحك ولا يبكى وغيره هو مع نفسه فلذلك قيل له فأنت منك
لامنى.
قوله :

"وقال لى : إن لم تجعل كل ما أبديت وأبديه وراء ظهرك لم تغلح،
وإن لم تغلح لم تجتمع على".

قلت :

معناه بين بهذا التنزل المراد من قوله : "لا تنتظر إلى الإبداء ولا إلى اليبادى" أى اعرض عن عالم الخلق بالأصالة، فإن لم تفعل لم تفلح أى لم تؤمن بوجدانى قال تعالى "قد أفلح المؤمنون" ^(١٩)، وإن كان هذا الإيمان نوعا آخر أعلى من ذلك، ثم قال وإذا لم تفلح أى لم تؤمن لم تجتمع على لأنه من لم يصدق ويؤمن بوجود مطلوبه لم يجتمع عليه والاجتماع عليه هو أن لا يكون ^(٢٠) فيه فضلة لغيره ومن نظمى :

فمهما بقى للصحو فيك بقيه يجد نحوك اللأئسى سبيلا إلى الظلم (أ/١٩)

قوله :

"وقال لى : كن بينى وبين ما بدا ويبدو ولا تجعل بينى وبينك بدوا ولا إبداء".

قلت :

معناه توجه إلى خاليا عن ذكر مابدا وما يبدو واله عن الإبداء جملة كافية وهذا حال من صفى وقته، ولم يبق فيه بقية لغير ويوشك مثل هذا أن يصطلم فيفنى.

قوله :

"وقال لى : الإخبار الذى أنت فيه عموم"

قلت :

معناه أنك إن أخبرت عنك أو أخبرت عنه تعالى لأنك عند نفسك أنك تخبر عنه، فهو مقام عامى، فانك إن أخبرت عنه وأنت تحس بأنانيتك أو تراها منك فهو عموم فضلا عن أن تخبر عن نفسك.

قوله :

"وقال لى : أنت معنى الكون كله".

قلت :

هذا التنزل عظيم المقام، قائم الإجلال والإعظام، محيط برتب الكمال، قطب لدائرة تنزلات الجلال والجمال والكمال، المتمكن فى محيط غير متناهى التمنى فيما لا انتهاء له من الأواخر، ولا ابتداء له من الأوائل. ولنشرح من معناه نبذة نزررة، ونبذر فى أرضه إطلاقه بذرة فنقول إنه قد

يقول (قائل) كيف يكون هذا العبد المشار إليه هو معنى الكون كله وهل ذلك خاص به أم هو لكل من قطع المراتب، فالجواب أنه حاصل لهذا العبد المخصوص ولكل من هو في معناه، وللأناس على العموم لكل منهم نصيب منه من كونه إنسانا على قدر مرتبته، وبيان ذلك أن نذكر أولا علانم تدل على صحة ذلك. فمنها أنه يخبر عن معاني الكون كله، ولو لم يجدها عنده لم يشعر بها، ولا بالإخبار عنها، وليس في الكون من يخبر عنه، وأنت تجد ذلك فيما أخبر به هذا النوع الإنساني من معاني العقل الأول فما دونه من النفوس، والعقول، والأرواح، (١٩/ب) والأجسام، والمولدات من المعادن والنبات والحيوان المختلف الصفات، ومن خواص الموجودات ومنافعها ومضارها، واختلاف أمزجتها، وهيئاتها، ووصف نفسه وشهد باريه، ومصوره، وهو مكون الأكوان، فكيف يعجز عما دونه من مختلف الكيان، وكل ذلك يجده في نفسه، ولو لا وجدانه أنه لم يتطبع في حسه. ومن المعلوم بين هذه الطائفة الذين لا يشكون فيه قولهم "إنك لا تعلم الشيء إلا بما فيه منك" وقال بعضهم : "فإنك منه" .. والمعنى واحد فأنت إن حققت أنك معنى الكون كله كنت ممن صح نسبك إلى آدم عليه السلام، فإن كثيرا من ولده لم يصح إليه نسبه لنقصه عما يكون به الإنسان إنسانا، أما من صح نسبه استحق ميراث أبيه آدم فكان خليفة ربه وسجدت له ملائكة زمانه وحقبه ولم تقم الأشياء إلا به، ثم على قدر طور إنسان إنسان من بني آدم يكون نصيبه من هذا المقام، وليس هذا الخاص فيه كالعام، وأيضا فإن العقل فيه وهو نظير العقل الأول، والنفوس فيه، وهي نظير النفس الكلية والأركان فيه، وهي نظير الهيولى الأصلية، والصورة فيه، وبها حصلت له الجسمية، وكان كثيفه مركز عالمه والحركات فيه دورية، وكانت قواه منه كما القوى في العالم الأكبر أصلية، وقد وازنت نشأته نشأة العالم موازنة جلية وهو الناطق عن الوجود، المخبر عما أظهر من الكرم والجود، فهو الكتاب المبين الذي أسطره تظهر ستر الغيب الأقدس، وتبين، ولولم يكن معنى الكون كله لما ظهرت أسرار ه في محله.

قوله :

"قال لي : أريد أن أخبرك عنى بلا أثر سواي".

قلت :

معناه أريد أن أفنى منك ما ليس منى بما منى، وأبدل صفاتك وأسماءك وأحوالك، فأجعل أرضك سماءك، (٢٠/أ) فتتجلى فيك معانى "عنى بلا أثر سواى" وهذا وعد أنه مقيم فى مقام الوقفة وسيأتى شرحها، وأثر سواه هو أن يبقى فيه بقية منه فهى السوى وإن قل.

قوله :

("وقال لى : ليس لى من رآنى ورآه بإراءته، وإنما لى من رآنى ورآه بإرائتى").

قلت :

معناه هو معنى ما تقدم من قوله "من رأى نفسه ثابتاً ولم يرى فى الرؤية مثبتاً أسفرله وجهه واحتجب عنه وجهى، هذا معنى التزلزلال لفظه وقد شرح فليكف.

قوله :

"وقال لى : ليس من رآنى ورآه حكم رفق به، أليس فيه شرك لا يحس به".

قلت :

معناه أن من رآنى ورآه تثوية، وأعلى منه أن يرى ربه تعالى ولا يرى نفسه، ولذلك قال أليس فيه شرك لا يحس به، أى شرك خفى، وما أدى إلى الشرك كيف كان، فهو ليس مما فيه رفق به.

قوله :

"وقال لى : لا يحس به كشف فيما رآنى ورآه، حجاب فى الحقيقة".

قلت :

معناه ضعف الشرك بحيث لا يحس به وهو حجاب فى الحقيقة لأنه شرك فى الجملة، فحاصل هذا أنه مهما بقى من العبد ما يرى ولو كان بربه تعالى فإنه مقام شرك حتى يتخلص جناب الحق تعالى من توهم المعية^(٢١).

قوله :

"وقال لى : الحقيقة وصف الحق، والحق أنا"

قلت :

معناه أن عالم الحقيقة هو محل توحيده تعالى؛ لأن اشتقاق الحقيقة من لفظ الحق، والحق هو تعالى؛ وذلك لأن ماسواه باطل أى عدم، قال عليه السلام "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة ليبيد :

ألا كل شئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل"

فوصف من سوى الله تعالى أنه باطل، والباطل معدوم فيكون الكريم سبحانه وتعالى هو الحق المبين، فكل إيانة إذا ظهرت قلت أو كثرت فهي من المبين تعالى، وليس له فى ذلك شريك فإنه أغنى الشركاء عن الشرك، فنقطن تجد المطلوب إن شاء الله تعالى.

قوله :

"وقال لى : هذه عبارتى وأنت تكتب، فكيف وأنت لاتكتب" (٢٠/ب)

قلت :

معناه هذا تعرفى إليك ظاهرا جليا عن الشك خليا من الشرك وأنت لست بأمى فكيف لو كنت أميا. وهنا سر لطيف، وهو أن الأمى أقرب إلى الحضرة الإلهية من الكاتب الحاسب، ولذلك قال النبى عليه السلام : "نحن أمة أمية لا نحسب ولا نكتب". فافتخر بذلك له ولأمتة عليه السلام، وسبب ذلك بقاء الفطرة الإلهية على بساطتها وسذاجتها ليكون مايرد عليها هو علمها، لا ماينتجه فكرها، فإن الفكر عندنا كفرا (كفر) إلا للعباد الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض، وذلك فى مقام الإيمان لا فى مقام العرفان، وأنت تعرف أن لكل مقام مقال، ولكل مجال رجال.. فنعود ونقول ليس المراد أن يقبح له أن يكتب مايرد عليه من التعريفات فإنه قد أمره بذلك فى موقف آخر وهو قوله : "اكتب ما أتعرف به إليك تكن أثبت لقدمك وأسكن بقلبك". فلو كان المقصود فى هذا النزول تنقيص نفس الكتابة، لتناقض القول، وليس فى هذا الكتاب تناقض أصلا، ومن اعتبر ذلك حقق ماقلت، فإذن المراد به أن الأمى أقرب إلى تلقى الحقيقة من الكاتب فكيف من اشتغل بعلوم الأفكار المناقضة لعلوم الأذكار.

٥ - موقف قد جاء وقتي :-

قوله : " أوقفني "

قلت : معناه أشهدني أو هيأني للشهود.

قوله :

"وقال لي : إن لم ترني لم تكن بي".

قلت :

معناه لا تظن أن تحريفي إياك على أن تكون بي لباك هو مما يدل على أن ذلك من مقدورك بل هو من موهبتي إياك ذلك فإن رؤيتك قيامك بي هو من ثمرات رؤيتي، ورؤيتي لا تكون بك بل بي، ومن لم يره لم يكن به، فروية العبد للقيومية هو أن يرى أنه قائم بربه تعالى، وهو من ثمرات رؤيته تعالى.

قوله :

"وقال لي : إن رأيت غيري (أ/٢١) لم ترني".

قلت :

معناه لم ترني تماما كما قال عليه الصلاة والسلام "لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد" أي لا صلاة كاملة، وإلا فالصلاة تصح من جار المسجد في بيته، وقد يكون معناه إن رأيت غيري رؤية منفصلة عن قيوميتي لم ترني لافي القيومية، ولا في الوجدانية، وكان حاصله يشير أيضا إلى أن شهود القيومية قصير المدة إذ لا تجاوز (يتجاوز) الحق غيره فإن تنفر الظلمة بالذات وهو نوره تعالى وغيره ظلمة، فإن الظلمة هي عدم النور فهي عدم.

قوله :

"إشاراتي في الشيء تمحو معنى المعنى فيه وتثبت منه لابه".

قلت :

يحتاج شرح هذا التنزل الشريف إلى توطئة، وهي أن شهوده تعالى قد يكون بمحو العبد المشاهد لآياته تعالى في الأفاق وقد يكون بمحوه لآياته في الأنفس كما قال تعالى : "سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم". فإذا كان المحو بالآيات وهي العلامات لم يمح من العبد إلا نصيب تلك الآية سواء كانت في النفس أو في الأفاق، لكن ذلك المجلى لابد أن يكون في نفسه معنى

من المعانى، فذلك العيان الخاص يمحو معنوية ذلك المجلى بأن يصرف عن معنويته إلى ذات المتجلى فيذهب ذلك المعنى وهو قوله "يمحو معنى المعنى فيه" ثم إن ذلك العيان بنفسه لا يثبت به بل بالمتجلى، فكأنه قال : يثبت ذلك المعنى لكن بالمتجلى لا بالمعنى نفسه فهذا شرح قوله : "ويثبت منه لابه".

(والله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الموصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى مارأيت فى مكتوب ولا سمعت فى مسموع منذ أكرمنى الله تعالى بالإتماء إلى هذه الطائفة أفصح عبارة عن التجليات الجزئية (الجزئية) من لفظ هذا التنزل. والأول على حقيقة التعرف (٢١/ب) وإني أعتقد أن قدرة البشر تعجز عن هذه العبارة وأن هذه لقوة إلهية فسبحان الوهاب).

قوله :

"وقال لى : فيك مالايتعرف ولا يعرف"

قلت :

معناه : فيك مالايمحى ولايمحى وهذه إشارة إلى أن فى كل عبد قسطا للحق ليس هو من الكون، فيمحى مامن العبد ويبقى مامن سيده تعالى، وذلك القسط هو الذى به ذلك العبد قائم ولولاه لانعدم قبل أن يدركه الوهم أو يقع عليه الحس وذلك القسط هو الذى أشار إليه فى التنزيل (التنزل) الذى قبل هذا بأنه يثبت منه أى من ذلك القسط، وهو كالأساس الذى يبقى بعد هدم البناء بشرط أن يعتبر أنه ليس من البناء ثم يعاد ذلك البناء على ذلك الأساس لامن شئ من آلات ذلك البناء الأول مادامت تلك الآلات على صورها، أما إذا زالت صورها، وعادت إلى هيولها فليست تلك هى الآلات الأولى فإنها بعد أن عادت مثلا إلى البساطة عادت نورا كهيئة قبل أن يخلق الله تعالى العقل الأول فى التقدير، وليس ذلك النور إذ ذاك من العالم فى شئ فذلك القسط من عنده تعالى هو الذى لايتعرف (يعرف) لأنه ليس من الخلق ولايعرف لأنه من الحق.

قوله :

"وقال لى : أصمت لى الصامت ينطق الناطق ضرورة".

قلت :

معناه كن منفعلا لتجلياتي إذا أذنتك بأنها الناطقه ينتسب النطق كله إليها وذلك هو أن "يصمت لى الصامت منك " والمعنى فى قوله "لى" أى : ابرأ من حول نطقك وقوته بحول نطقى وقوته فهو إصماتك له، ثم إن قوله "اصمت لى الصامت منك" ولم يقل "اصمت لى الناطق منك" هو إشارة عزيزة إلى أن الذى يصمته هو فى نفس الأمر صامت أبدا فإن النطق نطقى، فإن النطق لا يكون إلا بقوة والقوة لله جميعا، فالنطق له تعالى، والعبد إن صمت فإنما يصمت ما هو صامت فلذلك قال "اصمت لى الصامت منك" وقوله : "ينطق (أ/٢٢) لى (٢٢) الناطق" ليس معناه أنه كان صامتا ثم نطق بل معناه أصمت (أ/٢٢) الصامت منك تجد النطق لى. وقد كتبت إلى سيدى وشقيق روحى سعد الدين أسعده الله الفارقى كان الله له عوض نفسه وأغناه بقدسه عن حسه أبياتا تتضمن هذا المعنى وقد طالبنى بهذا النفس شعرا :

عجبت لصحبتي والغرام يحثهم يقولون حدشا فأنت أمينها
ألا فاسمحوا إن شئموها يانفس طويل إلى تلك الديار حنينها
ولا تنطقوا حتى تروا نطقها بكم يلوح لكم منكم قبلكم شؤونها

وهى قصيدة..

قوله :

"وقال لى : أثر نظرى فى كل شئ فإن خاطبته على لسانك قلبته".

قلت :

معناه أن نفسك تتأثر من ملاحظتها إياى فى كل شئ فذلك الأثر من نظرى فى الشئ والمنظور فى كل شئ والحالة هذه هو قسطى فمتى خاطبته خطاب المخلوقين فقد قلبته عن معنوية ما هو قسطى إلى معنوية ما هو قسطك، وهذا هو قلب فى عيان العبد لافى نفس الأمر واستعماله القلب وإن لم ينقلب مجاز. ومعنى قوله "على لسانك" أى ينعت الخلقية وهو أيضا مجاز وهذا الكلام فصيح فلذلك تكثر فيه الاستعارات والمجازات الرائعة على عادة الفصيح من الكلام.

قوله :

"وقال لى : اجعل ذكرى وراء ظهرك وإلا رجعت إلى سوى لاحائل

بينك وبينه".

قلت :

هذا التنزل دون مقامات التنزلات السابقة، وذلك لأنه تعرف في السلوك بالأذكار، والأذكار إنما تكون مع الغيبة. ومعنى قوله : "اجعل ذكرى وراء ظهرك" .. أى اشتغل بالمذكور عن الذكر، وليس معناه اترك الذكر اشتغالا بغير المذكور، ومعنى قوله "وإلا رجعت إلى سوى لاحائل بينك وبينه" .. أن الذكر هو غير المذكور في هذا المقام وقولى فى هذا المقام احتراز من مقام البقاء بعد الفناء فإن الذكر فيه لا يغير المذكور (٢٢/ب). ومعنى "لاحائل بينك وبينه" .. أى لا قارق بل كلا كما إذ ذاك سوى، ويجوز أن يكون معناه لا مانع يمنعك دونه.

قوله :

"وقال لى : قد جاء وقتى وأن لى أن أكشف عن وجهى وأظهر سبحاتى ويتصل نورى بالأفنية وماوراءها، وتطلع على العيون والقلوب، وترى عدوى يحبنى، وترى أوليائى يحكمون فأرفع لهم العروش ويرسلون النار فلا ترجع، وأمر بيوتى الخراب وتنزى بالزينة الحق، وترى قسطى كيف يفنى ماسواه وأجمع الناس على اليسر، فلا يفترقون ولا يذلون، وأستخرج كنزى فتحقق ما أحققك به من خبرى وعدتى وقرب طلوعى فإنى سوف أطلع ويجتمع حولى النجوم، وأجمع بين الشمس والقمر، وأدخل على كل بيت ويسلمون على وأسلم عليهم، وذلك بأن لى المشينة وبإذنى تقوم الساعة وأنا العزيز الرحيم".

قلت :

هذا التنزل العزيز فى هذا اللفظ الوجيز يتضمن بحرين زاخرين لا يمكن استقصاء شرح معانيهما ولا استيفاء مافيهما : أحدهما : من حضرة الإطلاق عن الزمان والمكان وفناء الأعيان فى العيان. والآخر : من حضرة الاستواء على العرش والاحتواء على الفرش. وسنشرح كلا منهما على سبيل الإشارة مع عدم وقاها (وفاتها) بالعبارة.

فأما الأول : وهو مطلع فى الآفاق والأنفس وكلاهما منصبغ فيه بالوصف الأقدس، فمعنى قوله " قد جاء وقتى" أى وقت كشف الحجاب عنك أيها العبد كشفا تاما عاما فى الآفاق والأنفس. ومعنى قوله " وأن لى أن أكشف عن وجهى" .. أى ينشق حسك فترى بظاهرك ظاهرى لابلغائرة. ومعنى

"وأظهر سبحانه" أى تستجلي محاسن وجهي. ومعنى "ويتصل نوري" أى يتصل فى عيانك ظاهري بباطني وكلاهما نور فتجد ذلك النور فى شهودك. متصلا بالأفنية وهى الصور الحسية وماورآها. ويعنى "بما (أ/٢٣) وراء الأفنية" مالحق بها من أحكامها الخاصة بها. ومعنى "وتطلع على العيون" هو ماذكر من انشفاق حس العبد حتى يرى بظاهره ظاهر الحق. ومعنى قوله "والقلوب" أى العقول. ومعنى "وترى عدوى يحبنى" أى وترى ماكنت بالعلم الظاهر تراه عدوا له تعالى، محبا له، ولا يكون محبا حتى يكون قبل ذلك محبوبا لأن محبته تعالى تسبق محبة عبده فهو إذن فى عيانك إذ ذاك محبوب ومحب وذلك بنظر العرفان بخلاف العلم. ومن أقوالهم : "من نظر الناس (إلى الناس) بعين الشريعة مقتهم، ومن نظرهم (إليهم) بعين الحقيقة عذرهم .. وهذا من هذا القبيل. ومعنى "وترى أوليائي يحكمون" أى أهل معرفتى يتصرفون بى فتصرفهم إذ ذاك عين تصرفي. ومعنى "وأرفع لهم العروش" أى أريك كلا منهم ليس غيرى فهو مستو على عرشه، ومعنى "ويرسلون النار فلا ترجع" .. أى يسقط فى عيانهم اعتبار حكم عذاب جهنم لأنها للخلق وفى عالم الخلق. ومعنى "فلا ترجع" .. أى لايعتبر حكمها عندهم بعدها فى ذوق هذا المشاهد. ومعنى "وأعمر بيوتى الخراب" .. أى ترى الموجودات التى كنت تعدها خالية من وجودى غير قائمة بى عامرة بوجودى قائمة بى، حتى لا ترى سوى فإذن كانت خرابا فى نظرك فعمرت وهذا بعينه هو معنى "وتتزين بزينة الحق" لأنه كان يراها بعين الاستقصا، فصار يراها بعين التعظيم فكانها تزينت وذلك لانتصاب نظره بالحق. قال الشاعر :

وإذا نظرت إلى الوجود بعينه عاينت كل الكائنات ملاحا

ومعنى "وترى قسطنى كيف يفنى ماسواه" .. أى تتبدل الأشياء فى عيانك عن الخلقية إلى الحقية شيئا فشيئا، فقسطه فى الموجودات هو ما يراه العبد (ب/٢٣) أنه من سيده تعالى، وهذا القسطن لا يزال يفنى فى عيان هذا المشاهد الأشياء شيئا فشيئا حتى لا يرى سوى الحق تعالى فتتزين الأشياء عنده بزينة الحق، وهذه الزينة لم تتجدد فى نفس الأمر بل بالنسبة إلى عيان هذا العبد، وإلا فالموجودات مزينة أبدا. ومعنى "وأجمع الناس على اليسر" يعنى فى نظرك فتراهم كلهم على خير وفى سبيل رحمة، وقد رأيت فى كلام الشيخ عبد الرحيم شيخ ابن الصياغ فى الصعيد الأعلى من أرض مصر :

قال : كنت أنكر على نفسى أن أكون فى بلد يكون فيه يهودى، أو نصرانى، وأنا الآن لا استنكف (أن اعانقهم) هذا معنى كلامه لالفظه وهذا النفس هو بعينه ذلك وهو أن يرى الناس مجتمعين على اليسر وهو "معنى قوله (فلا يفترقون) أى لاتفرق فى شهودك بينهم كما قال عبد الرحيم. ومعنى.. "ولا يذلون" أى تراهم فى حضرة الحق كلهم غير أذلاء أى غير منسوبين إلى نقص. ومعنى.. " فاستخرج كنزى ".. أى أن كونى مع كل شئ هو خفى عنك فكانه كنز فاستخرجته بشهودك، فإذا تحققت فقد تحققت بما أحققتك به أى أظهرتك عليه من الحقيقة. ومعنى " من خبرى" أى من خطاى لك بلسان الكشف والحال وما ينطقان به. ومعنى " من عدتى" أى مافهمته من تيسر الشهود لك، ومعنى "وقرب طلوعى".. أى مافهمته عند استيلائى بحقيتى على خلقيتك وتريد ذلك حتى علمت منه قرب طلوعى على عرش أنانيتك : قال :

إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

ومعنى "سوف أطلع وتجتمع حولى النجوم".. أى أقيمك خليفة عنى، فإذا طلعت أنت فأنا الطالع من باب "وमारميت إذ رميت ولكن الله رمى" ومن باب "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم" (٢٣) ولست أقول (٢٤/١) أنه رسول ولكنه ولى، وأما النجوم فهم عبيد ومراتبهم دون مرتبة هذا المخاطب يهتدى بهم. ومعنى "وأجمع بين الشمس والقمر" أى بين المفيد والمستفيد، فإن الشمس مظهر الإفادة، والقمر مظهر الاستفادة، ومعنى.. "وأدخل على كل بيت".. أى فى عيانك ترانى المتعرف فى كل بيت، وذلك لعدم غيبته عنه، إذ هو كذلك دائما إلا أنه لم يكن يراه، والمراد بالبيت " مالا يختص بالبيوت بل يعم الصور كلها، ومعنى "ويسلمون على وأسلم عليهم". أى عيانا ترى ذلك واقعا منى، فإن التراحم والتحابب بين العالم إنما هو بالرحمة الحاصلة منه تعالى فى وجوده العام فى عالمه. ومعنى قوله : " ذلك بأن لى المشيئة ".. أى لامشيئة إلا لى فالألف واللام للجنس وليست للعهد أو لتعريف الماهية. ومعنى " وبإذنى تقوم الساعة".. أى ساعتك أيها العبد بأن تموت عن شهود نفسك وتحىي (وتحيا) به، وذلك هو قيامه، ومن مات فقد قامت قيامته، والفناء موت، ومعنى : "وأنا العزيز الرحيم" أى الوددانى الوجود فإنها عزة، وقد تقدم شرح العز فى موقفه، و"الرحيم" أى الموصوف برحمة الصور الظاهرة والباطنة فى الدنيا والآخرة، وقيل إن الاسم الرحيم

هو صاحب مقام الآخرة والرحمن عام، وأما الثانى وهو حضرة "الاستواء على العرش والاحتواء على الفرش" .. فذلك إشارة إلى ظهور المهدي وهو خليفة الله فى وجوده ومنبع كرمه وجوده وهو صورة محمد صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا، وأما التعبير عنه بالحق تبارك وتعالى فيما يتركه وفيما يأتيه، وبذلك كان على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمعنى "أن لى أن أكشف وجهى" (٢٤/ب) .. أى وجهه خلقتى على مجاز الحذف (حذف المضاف) وأقام المضاف إليه مقامه وكذلك "أظهر سبحاتى ويتصل نورى بالأفنية" وقس على هذا فى بقية التنزل، ولنخص بعض ألفاظ هذا التنزل بالذكر مثل قوله : "وترى عدوى يحبني" أى يستجيب إلى طاعة الله تعالى من لم يكن قبل ظهوره يستجيب فيحب الله تعالى - والعروش: المراتب، ومعنى "ويرسلون النار فلا ترجع" أى يرفعون حكمها، والنار هنا الجور ينسخه بالعدل فإنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، "وبيوته الخراب" بيوت الله أعنى مساجده، وقلوب عباده فلذلك تتزين بزينة الحق، وقسطه هنا عدله، ومعنى "وأجمع الناس على اليسر" أى يريد فى الحلال كما ورد، والنجوم هم الأكابر من أهل الله تعالى أتباع المهدي وأصحابه كما قال جده عليه السلام "أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم". ومعنى "وأجمع بين الشمس والقمر" أى تبرز له الأرض كنوزها من الذهب والفضة. وباقية على ظاهره وهو بين. (٢٤)

٦- موقف البحر :-

هذا الموقف جميعه هو لأهل البداية فى السلوك، وما يتعلق بتصحيح النية فيه، وشرح مايعرض للسالكين من ثمرات تصحيح النية أو ضد ذلك. والبحر على هذا هو مايقطعه العبد ويسافر فيه فى أثناء سلوكه. قوله :

("أوقفنى فى البحر، فرأيت المراكب تغرق والألواح تسلم، ثم غرقت الألواح"). قلت :

معنى هذا التنزل تبين هل السلوك بالعلم أولى أم السلوك بما يحمل القلب من الشوق كيف اتفق فرجح الثانى، وذلك بقوله : رأيت المراكب

تغرق، والمراكب هو مايتخذ طلبا للنجاة، وذلك فى عادة السلوك هو العبادة إنما تصح على مايقضىه العلم، فرويته إياها تغرق معناه (٢٥/أ) تهلك من يعول عليها، فإن غرق المراكب هو هلاك الراكب فكأنه يشير إلى أن السلامة إنما هى موهبة وليست عن التمسك وإذا كانت الجنة، وهى كون من الأكوام لن يدخلها أحد بعمله فما ظنك بحضرة ليس للكون فيها مدخل، ومعنى قوله والألواح تسلم أى راكب الألواح أقرب إلى السلامة، وذلك لأن راكب الألواح فى هذا البحر لم يعتمد على الأسباب اعتمادا كلياً، لأن الألواح أسباب ضعيفة فكان راكبها اعتمد على المسبب الحق تعالى لاعليها، وأن تلبس ظاهراً بها، وحال هذا الشخص يشبه حال من يعبد الله تعالى ولايعتد بعبادته عنده، ومعنى غرقت الألواح أى تلك الأسباب أيضاً. والإشارة إلى ماقلناه من أن السلامة فى السلوك إليه تعالى به لابالأسباب وأن ضعيفها أقرب إلى السلامة من قوياها، ولست أريد أن السالك ينبغى أن يترك العبادة، بل المراد أن يترك اعتبارها من قلبه، فإن فى ذكرها منة على الله تعالى فيكون فيها بجهة (=اجترأ) والقلب عند ربه تعالى وفى مثل هذا المعنى ورد فى كلام الرجل أيضاً مما ورد عليه خطاباً وصورتته : "اجعل ذنبك تحت رجليك، واجعل حسنك تحت ذنبك" أى أعرض عن ذكر الحسنات بقلبك إعراضاً يريك كأنها فى درجة الهوان عندك كهوان مايجعل تحت الأرجل، وذلك لضرر الاعتماد على الأسباب فى طريق الوهاب، وهذا خاص بأهل الله تعالى، وفى مثل هذا المعنى قال منشدهم :

ولقد خبرت بنى الهوى وعرفتهم
والعمر كالتسبيح أشرف خلة
فألصب ينشد والحلى يسبح
للعابدين وذا لقوم يصلح
وفى قوله "وذا لقوم يصلح" تعظيم شديد لاعتبار الصباية، وحال (٢٥/ب) الصب لمافيه من التهكم على مخالف ذلك.
قوله :

"وقال لى : لايسلم من ركب".

قلت :

معناه لا يصل من اعتمد فى طريقه على سبب، والتوكل عندى سبب وإن أوهم أنه التجريد عن السبب، وذكر صاحب محاسن المجالس أنه من

مقامات العوام، وليس إلا لأنه لحظ فيه معنى سبب ماخفى، فإن الموكل فى الشئ هو كفاعلى (=كفاعل) ذلك الشئ.

قوله :

"وقال لى : خاطر من ألقى نفسه ولم يركب".

قلت :

هذا التنزل شريف القدر، عظيم الجدوى؛ وذلك لأن فيه تحذيرا مما يعرض لتارك الأسباب من الآفات وهى أنه ترك الأسباب من جهة أشرف ووقع فيها بعينها من جهة أخرى، وذلك لأن المتسبب إنما حذر من التسبب من كونه فيه بنفسه، وسعيه لا يربيه عز وجل، وتارك السبب بنفسه ليس هو أيضا ممن هو بربه عز وجل فى الترك إذ تركه إياه لا يخلو من أن يكون تركا هو بنفسه قاصده، وفاعله وذلك بقاء مع النفس فهذا الترك أقبح من ذلك الفعل المتروك، أو يكون إنما تركه إهمالا وإعراضا لعدم استعداده لطلب الحق فهو أيضا أشد قبحا، ولما كان فى جانب الترك هذان الاعتباران، فالقاء النفس قبيح لكن التنزل ماتعرض لهذين الوصفين معا بل فيه تحذير من الأول منهما. فوجه المخاطرة إذن هو أن يخاف على من ألقى نفسه أن يعتمد على إلقائه نفسه فيكون أيضا متسببا، إلا أن الإلقاء عنده أسلم، وسيأتى بيانه.

قوله :

"وقال لى : هلك من ركب وماخاطر".

قلت :

صرح هنا أن المخاطرة أسلم لأن الاعتماد فيها على المسبب أظهر والذى حسن تخصيص الطريق باسم البحر والعبادة بالمراكب فى التمثيل هو أنه لو صرح بهذا المعنى، ولم يجعل الحديث فيه بالاشارة انكره علماء الرسوم دفعة واحدة قبل الوصول إلى فهم معناه لما يتبادر إلى أفهامهم من أن فيه منابذة للسنة والشرع، وليس كذلك بل المراد أن يكون مع القيام بالعبادات المشروعة خاليا من الاعتداد بها عند الله تعالى (٢٦/أ) حتى يتخلص طلبه له من الحظوظ الدنيوية والأخروية لصلاف المطلوب عن أن يشرك معه حظ غيره، وعبادة العلم تدعو إلى اعتبار حظوظ هى حصول نعيم الجنات والخلاص من النيران^(٢٥).

قوله :

"وقال لى : فى المخاطرة جزء من النجاة" .

قلت :

النجاة فيها كما قلنا لقربها من الاعتماد على الله تعالى والرضى بما يبدى، والاختيار كما يختار، وهو حال المحبين، والمحبة أشرف مراتب العوام، وإنما كان فيها جزؤ (=جزء) من النجاة ولم تكن فيها النجاة كلها لأنه بنفسه ألقى نفسه لا يربه وهو إنما يلقى نفسه بربه بعد التجلى، وذلك سلوك العارفين، وهذا إلى الآن فى الحجاب فمتى ألقى نفسه فإنما ألقاها بنفسه وكل ما من النفس فمذموم إذ هى إنما تحصل الخير بفنائها ولولا أن النفس ورسمها باق لما قيل فيه أنه خاطر لأن المخاطرة إنما تكون لصاحب بضاعة، ومن ليس له شئ فما خاطر بشئ، فلا يقال له مخاطرة، فلذلك لم يكن للمخاطر النجاة تماما، بل جزؤ (=جزء) منها.

قوله :

"وجاء الموج فرفع ماتحته وساح على الساحل"

قلت :

معناه انكشف لى فى ذلك الموقف حال الهالكين فى ذلك البحر ممن ركب، وهم الذين كانوا تحت الموج، والمراد أن الموج هو الأحكام المعطية رمت الهالكين فى البحر إلى الساحل، أى ردتهم إلى عالم الحجاب، ومحل الاغتراب فكانه قال الأسباب حجاب.

قوله :

"وقال لى : ظاهر البحر ضوء لا يبلغ وقعره ظلمة لاتمكن وبينهما

حيتان لاتستأمن" .

قلت :

معناه السلوك على مجرد الظاهر بغير عشق غالب ولاشوق جاذب هو اعتماد على ضوء لا يبلغ لبعد طريقه وانقطاع فريقه، وعدم النفع بفريقه، وإن كانت طريقه إلى الله تعالى ليس فيها رفيق غيره لأن الميل إلى السوى فيها حرام.

بسواى، فإن تعلقت به فهلكت فيه فصلتك عنى وجعلتك له لالى، والأول
(٢٧/ب) أجرى على القواعد.
قوله :

"وقال لى : الدنيا لمن صرفته عنها، فصرفتها عنه، والآخرة لمن
أقبلت بها إليه، وأقبلت به على".
قلت :

معناه لما كان الكلام فى هذا الموقف يختص بالسلوك وبما يعرض
للسالكين من الموانع والقواطع ذكر ما يوصل إلى المطلوب، وما يعوق عنه
جملة من جملة، وختم ذلك بذكر الدنيا التى تعد من القواطع، وبين أن من
الدنيا له ممن ليست فى الحقيقة له فقال : هذا التنزل إرشاد لمعنى قوله :
الدنيا لمن صرفته عنها أى لنلا يعلق بها باطنه فتوقعه، ومعنى هى له وهو
وجود الراحة إذ لا تطلب الدنيا إلا للراحة، وأهل الراحة عندهم من لم يكن له
دنيا إذ لم إذ لم يعلق قلبه بها فصرفها عنه أى فلم اجعل له فيها دنيا را
ولادرها ولاغيرهما لنلا يفتنه أو يشتغل قلبه وقتا من أوقاته، فإنه ربما كانت
الدنيا لمن لا يريد لها وهو يلزم نفسه القيام بإصلاحها لالمحبتها بل رعاية
للمرتبة وإكمالا لحسن التصرف فتتعبه أو تشغله عن مهم ما ولو مرة، ومعنى
ذكر الآخرة لمن أقبل تعالى بها إليه أى لم يكن هو طالبها لأنها سوى
محبوبه، وهى تطلبه لأنها تخدم من خدم سيدها؛ ولذلك خصها بمن أقبل به
عليه تعالى.

٧- موقف الرحمانية :-

الرحمانية معنوية الوجود، وشهود وحدانية هو شهود الرحمانية.

قوله :

"أوقفنى فى الرحمانية".

قلت :

"معناه أشهدنى إياها.

قوله :

"وقال لى : هى وصفى وحدى".

قلت :

معناه أنه هو الوجود الصرف وغيره يقال فيه أنه موجود ولا وجود اللهم إلا عند من يرى أن الوجود عين الماهية، وهنا بحث طويل مع علماء الرسوم لاتفع (٢٨/١) فيه.

قوله :

"وقال لى : هى مارفع حكم الذنب والعلم والوجد".

قلت :

معناه : شهود وحدانية الوجود برفع حكم الذنب، فلا يرى المشاهد لها لأحد ذنبا لاتحاد الفاعل، ويرفع حكم العلم لكون العلم يثبت الذنب، والعقوبة عليه، والحسنة والمجازاة عليها، وذلك لأن الفاعل فى العلم ليس بواحد، ويرفع الوجد أيضا وهو وصف الخواص وأهل المعرفة لثبوت الثبوتية فيه وإن كانت فيه أقل منها فى العلم.

قوله :

"وقال لى : مابقى للخلاف أثر فرحمة، ومالم يبق له أثر فرحمانية".

قلت :

معناه أن الخلاف رحمة لكن ذاك فى طور العلم، ولذلك قيل فيه "اختلاف العلماء رحمة"، وأما طور الوقفة وهو مقام الرحمانية، فإنه لا يبقى فيه خلاف، وهذا المشهد هو الذى حد (= حدى أوقاد) الشيخ عبد الرحيم إلى أن قال : كنت أنكر على نفسى أن أكون ببلد فيه يهودى أو نصرانى، وأنا الآن لا أستكف أن أعانقهم، وذلك لشهوده هذا المقام.

قوله :

"وقال لى : قف فى خلافة التعرف فوقفت فرأيت جهل (= جهلا)، ثم عرفت فرأيت الجهل فى معرفته، ولم أر المعرفة فى الجهل به".

قلت :

الخلافة هنا : الغيرية، فإن الغير والخلاف متقاربان ؛ ومعنى قوله : "فوقفت" أى شهدت فرأيت الغيرية فى التعرف "جهلا" أى لا حقيقة لها، وهذه الغيرية هى التثليث الذى هو عارف ومعروف ومعرفة إذ تحقق التعرف يثبت ذلك وهو مقام فى الرحمانية ساقط، فلذلك رآه جهلا لا حقيقة له. ومعنى قوله "ثم عرفت" أى عرفت الحق تعالى فرأيت ذلك الجهل المذكور داخلا فى

معرفتى له تعالى إذ بإثباتى أنه جهل عرفته تعالى فقد رأيت الجهل فى معرفته، ولم أر المعرفة فى الجهل بأنه جهل، وهذا التنزل (٢٨/ب) معجز البلاغة، ولو فسرنا خلافة التعرف بالخلافة لا بالغيرية لم يختلف المعنى أصلا، وذلك لأن الغيرية فيه مأخوذة من نفس التعرف، إذ التعرف يقتضى نسبة بين عارف ومعروف ومعرفة فهو تتليث حاصل والكلام فيه كاف. ويبقى معنى الخلافة اعتبار الخلافة، فكأنه جعله بشهود الرحمانية خليفته ولا يكون خليفته حتى يفنيه عن خليفته بحقيقته، قال الشيخ : والخليفة لا يكون إلا من نسبة المستخلف، كما أن الإنسان لا يستخلف غير إنسان. فنعود ونقول إنه لما أوقفه فى شهود الرحمانية وقوف خلافة كان نظره بالحق لابعين الخلق فشهد إذ ذاك أن التعرف جهل وتفسير هذا الجهل هو بأمرين أحدهما أن يشهد أن من حصل له التعرف انسلبت خليفته التى فيها وقع التعرف بحقيقته من تلك الجهة فصارت تلك الخلقية المسلوقة نفيا، والنفى جهل. والثانى ماتقدم ذكره من أن يشهد أن الغيرية الملحوظة فى التعرف لا حقيقة لها فهى جهل، وإنما كان من هذين الاعتبارين، أعنى اعتبار الخلقية، واعتبار الغيرية، فالحاصل شهود ذلك الجهل المذكور، فإن إثبات الخلقية هو بعينه إثبات الغيرية، فانساق الشرح للتنزل سياقاً واحداً إلا تفسير الخلافة بالخلافة فإنه مغاير لتفسيرها بالغيرية نفسها، واعتبار الخلافة فيها أظهر، فإن العبد لا يشهد أن فى التعرف شرك تتليث وهو فى مقام التعرف وإنما يشهده إذا رقى عنه، واستعلى عن مقامه فصار فى مقام خلافة الرحمانية، كما أن جميع المقامات لا تشهد حقيقة مقام منها من هو فيه وإن شهد ما فيه مما ينطوى عليه من المعانى (٢٩/أ) بل إنما يشهد حقيقة المقام نفسه حين يرقى إلى ما فوقه. وفى مثل هذا قال الجنيد رحمة الله عليه (٢١) : إنه قد ينتقل السالك من مقام وقد بقى عليه فيه شئ فلا يستكمل شهوده إلا من المقام الذى فوقه، وأنا أقول إن الذى أشار إليه رحمة الله عليه هو ما ذكرناه من المعنى، وزيادة أخرى وهى أن تتعقل (تعقل) المعارف التى حصلت عنده، وهو فى المقام الأول عندما ينتقل إلى الثانى فيتيسر له التعبير عنها، وذلك مجرب معروف فأذن الأمر كذلك فيما نحن فيه. فتفسير الخلافة إذن فى هذا التنزل مأخوذ من الخلافة لامن معنى الغيرية، لكن الجهل المذكور ليس هو غير ما يتعلق بالغيرية.

قوله :

"وقال لي : من استخلفته لم أسوه على رؤيتي بشرط يجدني إن وجده ويفقدني إن فقده".

قلت :

معناه أن الذي معرفته بشرط هو من لم يبلغ إلى مقام خلافته، وأما من قام في مقام خلافته تعالى فإنه لا يفقده أبداً، وكونه يجده هو من كونه يجد ذاته وهو لا يفقد ذاته إذ ذاك إذ هي حقيقة فلا يفقد بوجود الحق. ومعنى قوله لم أسوه هو معنى الاستواء سواء، يقول سويته فاستوى، وهذا الاستواء يعرفه أهله.

قوله :

"وقال لي : إن استخلفتك شققت لك شقا من الرحمانية فكنت أرحم بالمرء من نفسه، وأشهدتك مبلغ كل قائل فسبقته إلى غايته فأراك كل أحد عنده ولم تر أحدا عندي".

قلت :

يقول : إذا أقمتك في مقام خلاف الرحمانية والرحمان هو الوجود الصريف تعالى فأنت أرحم بالمرء من نفسه، وخص المرء وهو الإنسان لشرفه، وإلا فهو أرحم بكل موجود من نفسه وذلك (٢٩/ب) لأن الوجود هو الرحمة، والرحمة من الرحمن. ومعنى "وأشهدتك مبلغ كل قائل" أي أنك تكون مقام الرحمانية مهيمنا على كل مقام ومحيطا بكل مقام وهو مقامك ففيه تشهد مبلغ كل قائل، ومعنى قوله : "وتسبقة إلى غايته" أي أنك فوق مقام كل قائل، والعبادة وإن كانت ممن هو فوق مقام القائل كانت أطوع. وقد ذكرنا ذلك، فبالتمكن الحاصل يسبق من هو دون مقامه إلى الغاية المطلوبة.

ومعنى "فراك كل أحد عندي" أي تحدثه بذوقه الخاص به، فيظن أنك في مقامه، وذلك حال القطب المستحق قبل انقطاع الرسالة أن يكون رسولا يخاطب الناس على قدر عقولهم، وبعد انقطاع الرسالة أن يكون شيخا مربيا يسلك بكل أحد على طريق استعدادده الخاص به، ويخاطبه على قدر عقله. ومعنى.

قوله :

"ولم ترأ حدا عندك" أى لم تجد صاحب مقام إلا وهو دونك، فلا ينطق أحد بمبلغك وأنت تنطق بكل مبلغ.

قوله :

"وقال لى : إن استخلفتك جعلت غضبك من غضبى فلم ترأف بذى البشرية، ولم يعطف على الجنسية".

قلت :

هذا التنزل تعرض إلى استخلافه فى حضرة اسم (اسمه) الجبار، والتنزل الذى قبله يختص باستخلافه فى حضرة اسمه الرحمن، ولما كانت الأسماء الإلهية على قسمين : أسماء رحمة مثل : الرحمن، الرحيم، المنان، الجواد، اللطيف، الرؤف،.. وأشباه ذلك. وأسماء نقمة مثل : الجبار، والقهار، المنتقم، الشديد البطش.. وأشباه ذلك، وكان الاسم الرحمن نظير اسم الله الجبار فى إضافة الأسماء إليه كما قال تعالى "قل أدعوا الله (٣٠/أ) أو أدعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" (٢٧) فنسب خلافة عبده إلى اسمه الرحمن فى مقام الرحمانية، فكان أرحم بالمرء من نفسه، ونسب خلافته إلى اسمه الجبار تعالى فى مقام غضبه، فلم يرأف بذى البشرية، وهذا سر شريف وهو أنه لا يلطف بذى البشرية لفناء بشريته منه، فانقطعت النسبة (= العلاقة)، ولذلك قال "جعلت غضبك من غضبى لأنه إذ ذاك حق من حق، وقد تبدلت ذاته وصفاته بالحقيقة فغضبه ليس هو غضب البشر بل غضب الله تبارك وتعالى، وكذا كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإليه الإشارة بما ورد أنه ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة هى لله فينتقم لله بها، فقد كان صلى الله عليه وسلم فى مقام خلافة لله تعالى، ومقام خلافته تبارك وتعالى التى هى الأصول ثلاثة :

١- أحدها : مقام خلافة الرحمانية المختصة بالرحمن وهو الجمال وقد ذكرته.

٢- والثانى : مقام خلافة الجبار تبارك وتعالى وهو مقام الغضب نعوذ بالله الرحمن منه وهو المذكور فى هذا التنزل وذلك هو الجلال.

٣- والثالث : مقام جمع بينهما، وحضرة هيمنة عليهما، وذلك هو حضرة الاسم الجامع الذى هو بإزاء الذات وهو اسم الله تعالى، وذلك هو الكمال.

فمقام موسى عليه السلام ومن هو على قلبه هو مقام الجلال، ولذلك قال لقومه اقتلوا أنفسكم، فكان أحدهم يقتل ولده وأخاه وأباه ونفسه، فمات منهم في موقف واحد سبعون ألفا كما قيل والله أعلم بذلك.

ومقام عيسى عليه السلام ومن هو على قلبه مقام هو مقام الجمال، ولذلك كان هشاً بشاً بساماً، وأمر أصحابه باللطف فقال "من لطمك على خدك الأيمن (٣٠/ب) فأدرله الخد الأيسر (٢٨)، ومن أخذ ثوبك فزده رداك ومن سخرك ميلاً فأحسن معه ميلين.

ومقام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو ومن كان على قلبه مقام الكمال فلذلك كان جامعاً للحضرتين، فكان أولى بالمؤمنين من أنفسهم في رحمة لهم، وكان بالمؤمنين رحيماً وكان من هو من أمته على قلبه، أدلة على المؤمنين. فهذه المعاني هي نصيبه من الجمال. وكان عليه السلام هو ومن كان على قلبه أشداء على الكفار وهو من الجلال رحماء بينهم من مقام الجمال، والجمع بينهما هو مقام الكمال. وكذلك كان رسولنا عليه السلام أفضل الرسل وأمه أفضل الأمم.

فنعوذ ونقول.. معنى قوله ولم ينعطف على الجنسية يعنى من مقام خلافة اسمه الجبار من اسمه ذى الجلال إذ هو من عالم الجلال، وذكر الجنسية وإن كان صاحب هذا المقام غير مجانس للبشر؛ إذ ذاك إشارة إلى ما كان عليه قبل الخلافة فهو مجانس أيضاً في الصورة الجسمية وأحكامها. ولذلك قال من هو سيد الكمال "إنما أنا بشر مثلكم".

قوله :

"وقال لى : إذا رأيتنى فاتبعنى، وإن صرفت وجوه الكل عنك، فإنى أقبل بهم خاضعين إليك".

قلت :

معناه : يقول إذا رأيتنى قام العلم ينهاك عن اتباعى، وكذلك أهله، فلا تسمع إلى العلم ولا لأهل العلم، وعامل الحضرة بالأدب الذى يليق بها، وإن خالفك علماء الرسوم والعباد إذا كانوا محجوبين (=محجوبى) الفهوم، وبالجمله : العالم على العموم، ونسب تعالى الصرف إلى نفسه فى قوله وإن صرفت وجوه الكل عنك إشعار (= إشعاراً منه) بأنه الذى قرر العلم فهو الذى أوجب أن ينصرف وجوه أهله، وهذا الصرف المذكور هو مايجده

العلماء من الانحصار من أقوال العارفين وأفعالهم وأحوالهم، فيعظم منهم (٣١/أ) الإنكار، فأمره أن لا يلتفت إليهم ووعد أنه يقبل بهم خاضعين إليه وذلك لأن الصدق شاهد لنفسه لا يخفى دائما ولا يله، بل لابد أن يظهر الصدق على صاحبه ويلهم الله عبده الاعتراف به.

قوله : " وقال لى : إذا رأيتنى فأعرض عنى أعرض عنك أو أقبل إليك .

قلت : إعراضه عنى أعرض أسهل من إعراضه عنى أقبل إليه.

قوله : " وقال لى : إن استخلفتك أقمتك بين يدى، وجعلت قيوميتى وراء ظهرك وأنا من وراء القيومية، وسلطانى عن يمينك وأنا من وراء السلطان، واختيارى عن شمالك وأنا من وراء الاختيار، ونورى فى عينيك وأنا من وراء النور، ولسانى على لسانك وأنا من وراء اللسان، وأشهدتك أنى نصبت ما نصبت وأنا من وراء ما نصبت، ولم أنصب تجاهك منصبا هو سوى، فرأيتنى بلا غيبة، وجريت فى أحكامى بلا حجة .

قلت :

معنى استخلفتك أى أقمتك بينى وبين خلقى يتوجهون إليك عند توجههم إلى، وذلك معنى بين يدى، وسوف يأتى موقف "أوقفنى بين يديه" ونذكر هناك شرحه. ومعنى قوله : وجعلت قيوميتى وراء ظهرك : أى تكون أقرب إلى من قيوميتى، وتكون وراء هنا فى قوله "أنا من وراء القيومية" بمعنى أمام كما قال تعالى : " ويذرون وراءهم يوما ثقيلا " (٢٩) .. أى أمامهم، فكأنه قال : تقوم بينى وبين قيوميتى، وإنما كان ذلك لأن القيومية هى مدد تقوم به الأشياء كلها، فكأنه قال : إنما يجرى مددى إلى خلقى على يدك فكان مدد الحق تعالى يصل إلى عبده هذا، ثم منه يتصل بخلقه، وهو قيومية تقوم به الموجودات. وقد ورد أن "أويس القرنى" (٣٠) رضى الله عنه كان يقول : اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذ به أويسا فزعم قوم أنه كان خليفة الله الباطن فى ذلك الوقت وأنه على يده تصل أرزاق العباد. (٣١/ب) وفى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما "إذا أنتما لقيتما أويسا فاسنلاه أن يستغفر الله لكما"، فلما كان فى خلافة عمر رضى الله عنه لقياه وسألاه أن يستغفر الله لهما فقال يغفر الله لكما. وهذا مقام لا ينبغي أن يكون إلا لمن هذه صفته حتى يستغفر لمثل عمر وعلى رضوان الله عليهما، ولست أقول أنه أفضل منهما،

والله أعلم. فهذا معنى "وجعلت قيومتى وراء ظهرك وأنا من وراء القيومية". ومعنى قوله : "وسلطانى عن يمينك وأنا من وراء السلطان" أنه يجعل العلم عن يمينه إذ هو سلطانه؛ وذلك أنه لا يغرب عنه شئ وهذه علامة علمه تعالى. وإذا كان علمه عن يمينه فحياته فيه لتكون الحياة قطبا واليمين للعلم واليسار للاختيار وهو الإرادة، ويكون تعالى أمام كل صفة من هذه الصفات، وعنده بينه وبينها لستر الاستخلاف. وكذلك القول فى نوره الذى فى عينيه. ومعنى "ولسانى على لسانك" أى تكون كلمتى هى كلمتك فتكون بينى وبين اللسان، فأنت الناطق عني، فإن الكلام عنك يصدر وهو كلامى من باب "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم" .. أى بين يدى وأيديهم يدك. وهذه إشارات إلى أنه ليس معه غيره، وأن العبد المشار إليه إذا نظر إلى الموجودات لم يفقده تعالى فيراه بلا غيبة إذا ما تجلى تعالى لشئ فاحتجب عنه بعد ذلك. ومعنى "وجريت فى أحكامى بلا حجة" أى تكون على ثقة مما يجريه من أحكامه تعالى لأنه على يده يصدر الأفعال ولسانه ينطق ولاثنوية توجد بحال، وفى بعض النسخ "واختيارى عن يسارك". والاختيار هنا هى أحكام الأمر والنهى فى التشريع.

قوله :

"وقال لى (٣٢/أ) : إذا أشهدتك حجتى على ما أحببت كما أشهدتك حجتى على ماكرهت فقد أدنتك بخلافتى، واصطفيتك لمقام الأمانة على".

قلت :

الذى أحبه هو الطاعة، والذى أبغضه هو المعصية، وإشهادة الحجة على ما أحب، وعلى ما أبغض هو أن يشهده سر التشريع، وذلك هو مقام الكمال؛ لأن السالك إليه به تعالى يفنى فى نظره مدلول العلم التشريعى فى أثناء ترقيه لغناه بربه تعالى عما جاء عن ربه تعالى، ولا يزال كذلك حتى يقوم فى مقام الخلافة وحينئذ يبقى بعد فناء رسومه بقاء لاثنوية فيه فيتكلف صلاح الخليفة، وينظر إلى العالم نظرا لاغيرية فيه فيجد أحوالهم تستدعى الحاجة إلى التشريع، وذلك منهم لآمنه تعالى، فالتكليف إذن هم سببه، فالحجة إذن لله تعالى عليهم ومن أشهد ذلك فهو علامة أنه أدنه باستخلافه أى أعلمه واصطفاه لمقام الأمانة عليه وذلك لأنه خليفته فى خلقه والناطق بقسط ربه وحقه فعلى يده تصل حقوق الخلق إليهم من ربهم تعالى، وعلى يده يصل حقه

تعالى من خلقه فهو الأمين على الحق أيضا، وذلك قوله : "واصطفيتك لمقام الأمانة على".

قوله :

"وقال لى : إذا رأيتنى فأنصرنى ولن يستطيع نصرتى من لم يرنى".

قلت :

نصره تعالى هو أن يظهر حجته على خلقه فيما حكم به عليهم وذلك ما لا يستطيعه إلا من أشهده حجته فيما أحب كما أشهده حجته فيما أبغض، وذلك أن يكون بعد رؤيته سيده تعالى، وأما من لم يشهد الحجة المذكورة فكيف يظهرها فإذن لا يستطيع نصره من لم يره.

قوله :

"وقال لى : إذا لم تقو على الحجاب عنى فقد آذنتك بخلافتى".

قلت :

معناه : إذا لم تفقدنى لعدم غيبتى عنك فقد آذنتك بخلافتى، وليس معناه أن يقول له : إذا حجبك عنى فلم تصبر ولم تقو (٣٢/ب) على ذلك الحجاب فقد آذنتك بخلافتى، فإن هذا المقام نازل عن مقام من آذنه بالخلافة بل معناه هو الأول.

قوله :

"وقال لى : أليس خاتمى الذى أتيتك تختم به على كل قلب راغب بالرغبة، وعلى كل قلب راهب بالرهبة، فتحوز ولا تحاز وتحصر ولا تحصر".

قلت :

هذا التنزل الشريف فيه سر غريب لا يعرفه إلا أهله وله طرف أنا أذكره وهو شرح الخاتم والختم، وحاصل المعنى أنه أقامه فى مخاطبة الخلق فى مقامه فيعامل كلا منهم على مقتضى استعداده فيرغب من ليس يصلحه إلا الترغيب وذلك بالوعد الجميل، وله فى ذلك أن يعد بما شاء. ويرهب من ليس يصلحه إلا التهريب وذلك بالإيعاد بالعذاب الوبيل وله فى ذلك أن يتوعد بما شاء. فكانه يجعل على القلوب رسوما معروفة عندها من صور الترغيب والتهريب وتلك الرسوم هى الختوم، وليس الخاتم هو ملكية التصرف بما ذكرناه، فإذا صلح له ذلك جاز عن طور كل منهم ولم يتجاوز أحد إلا كان

عاصيا فحصر الخلق في الترغيب والترهيب، وهو غير راغب ولا راغب؛ وذلك لأن مقامه لا يقتضى الرغبة والرغبة، ومقاماتهم تقتضيها فانحصروا فيما حصرهم فيه ولم ينحصر هو.
قوله :

"وقال لى : من غاب عنى ورأى علمى فقد استخلفته على علمه، ومن رآنى وغاب عن علمى فقد استخلفته على رؤيته".
قلت :

معنى هذا التنزل أن نصيب كل عبد من الحضرة الإلهية ما يعينه له حاله، فالرغبة والرغبة هى نصيب من رأى علمه تعالى وهو الشرع المطهر، والمتعرف بالحق غائبا عن العلم وهو نصيب من رآه تعالى، وتعرف هذا مبين للتعرف الأول باطنا، وربما كان ظاهرا، فلذلك ينكر العلماء على العارفين وكلا القبيلين مستخلف من (أ/٣٣) قبل الله تعالى على مقامه الذى أقيم فيه فالمحقق يعذر الفريقين.
قوله : وقال لى :

"من رآنى ورأى علمى فهو خليفتى الذى أتيت من كل شئ سببا".
قلت :

معناه أن الذى رأى علمه ولم يره فهو المحجوب الذى استخلفه على نفسه، وأما من رآه ولم ير علمه فهو المكاشف الذى استخلفه على رؤيته وبقي الثالث المختص بهذا التنزل وهو الذى رآه ورأى علمه فذلك هو الخليفة المطلق، وهو بعينه الذى أشهده حجته على ما أحبه كما أشهده حجته على ما أبغض؛ لأن الذى رآه ورأى علمه هو الذى يستحق أن يخاطب الخاصة والعامة، وذلك هو القطب. ومعنى "أتيت من كل شئ سببا" أى أطلعته على كل مقام وهو الكامل، وسيد الكمل : رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآية ذلك قوله "علمت علم الأولين والآخرين وأوتيت جوامع الكلم" فجوامع الكلم هى آلة التعبير عن علم الأولين والآخرين.

٨- موقف الوقفة (٣١) :- قوله :

"أوقفنى فى الوقفة وقال لى : إن لم تظفر بى أليس يظفر بك سواى"

قلت :

معناه : إن لم تظفر بى فقد أخذتك القواطع وظفرت بك الموانع، ولنذكر شيئاً من معنى الوقفة هى مقام فناء ذات الطالب فى ذات المطلوب وسميت وقفة للوقوف فيها عن الطلب وهى نهاية السفر الأول من الأسفار الأربعة، وأول هذا السفر هو فوق التعرف وآخره الوقفة.

قوله :

"وقال لى : من وقف بى ألبسته الزينة فلم ير لشي زينة".

قلت.

الزينة هنا : معانى الأسماء والصفات والأفعال، فكأنه يجعله معنى الكون كله، وتقوم به صفات سيده، والحسن كله منها، فيكون الحسن (٣٣/ب) كله له؛ فلا يرى لشي غيره زينة.

قوله :

"وقال لى : تطهر للوقفة وإلا نفضتك".

قلت :

معناه : تطهر من دنس السوى وإلا نفضك مقام الوقفة أى رمى بك، وصفة الطهور الإعراض عما سوى المطهر الحق تبارك وتعالى، والطهارة لا تكون إلا بالحق، ولا قدرة للخلق على تحصيلها لأنها الفناء عن رؤية الخلق.

قوله :

"وقال لى : إن بقى عليك جاذب من السوى لم تقف".

قلت :

يعنى بالجاذب أدنى تعلق بشئ ما غيره تعالى من حسنة أو سيئة.

قوله :

"وقال لى : فى الوقفة ترى السوى بمبلغ السوى، فإذا رأيته خرجت

عنه".

قلت :

مبلغ السوى أن يكون عدما، ومن رآه كذلك خرج عنه، ومن رآه وجوديا لم يرد بمبلغه فلا جرم أنه قد لا يخرج عنه.

قوله :

"وقال لى : الوقفة ينبوع العلم فمن وقف كان علمه تلقاء نفسه، ومن لم يقف كان علمه من عند غيره".
قلت :

معناه : إن من وقف كان علمه تفصيل نفسه، وهو معنى تلقاء نفسه ويصح أن يكون معناه : كان علمه من تلقاء نفسه، أى لم يأخذ علمه فعلا ولا تقليدا ومن لم يقف كان علمه نقلا فحسب، وأهل النظر كلهم نقالون لقياسهم الغائب على الشاهد بالإثبات إن شبهوه به، وبالسلب إن نزوه عنه، فهم فى الحالين أهل نقل.

قوله :

"وقال لى : الواقف ينطق ويصمت على حكم واحد".

قلت :

معناه أن الواقف يرى عدمية فى وجود سيده فى حال نطقه وحال صمته فحاله واحدة فى المرتبتين.

قوله :

"وقال لى : الوقفة نورية تعرف القيم، وتطمس الخواطر".

قلت :

معناه أن الوقفة تشبه النور فى إظهار ما سترته الظلمة، وهذا هو معنى كونها تعرف القيم، وأما كونها تطمس الخواطر فشبهه الخيالات بتشريح (= تنزير) فى الظلمة بالخواطر الوهمية، فكما أن الظلمة تتضمن الخيالات فيصير فيها النور (٣٤/أ)، فكذلك النفس التى قبل مقام الوقفة تكون مظلمة متخيلة بخواطر لاصدق لها، فتجى الوقفة فتعرف تلك الخيالات والخواطر؛ فهى نورية بالفعل، وحقيقة قوله "تعرف القيم" أى أنها تعرف العبد أنه عدم أزلا وأبدا فى وجود باريه تعالى، فالوقفة عرفته قيمة نفسه، وتعرفه أيضا أنه إذا بقى بربه تعالى بعد الفناء عرفته قيمته وهو أنه السيد المقصود، فهى إذن تعرف القيم وحقيقة تطمس الخواطر تزيل عن النفس الخواطر التى مضمونها إثبات السوى.

قوله :

"وقال لى : الوقفة وراء الليل ووراء النهار، ووراء ما فيهما من

الأقدار".

قلت : معناه أن مقام الوقفة وراء إدراك العقول، وذلك لأن مدارك العقول لا تخرج عن المقولات العشر، ومرجعها إليها وهى منحصرة فى الجوهر والعرض، وما تجرد عنهما. ولما كان الليل والنهار هما من الزمان اللاحق بحركات الجسم كانت الوقفة وراءه أى فوقه، فالعلم كله فى الليل والنهار وفيما فيها من الأقدار والمعرفة، وإن كانت نورية، إلا أن للعلم تعلقا بها لكونها باطنة فلها تعلق بالليل والنهار. وأما الوقفة فليس لها تعلق بشئ ولا لشيء تعلق بها، بل الذى يخصها هو نفى الشينية عن هو فى مقامها.

قوله :

"وقال لى : الوقفة نار السوى فإن أحرقت به وإلا أحرقتك به".

قلت :

معناه أن مشهد الوقفة لا يبقى معه أثر للغيرية وهذا هو معنى إحراق السوى بالوقفة، وأما إذا لم يتم المشهد فإن الوقفة تنفض السالك عنها كما تقدم فينجب مع بقائه مع ملاحظة السوى، وذلك هو احتراقه بالسوى، فكأنه قال له: إن قبل مقامك واستعدادك ذكر الوقفة وإلا رجعت إلى السوى (٣٤/ب) لاحائل بينك وبينه، وذلك احتراقه به.

قوله :

"وقال لى : دخل الواقف كل بيت فما وسعه، وشرب من كل مشرب

فما روى، فأفضى إلى وأنا قراره، وعندى موقفه".

قلت : معناه أن مشهد الوقفة فيه كل المقامات لإحاطته بها، فالتحقق بها يسع الأذواق كلها وينفرد بمعنى الإطاحة، وهى حقيقة خارجة عما فى تلك المقامات من الخواص، وتلك المقامات هى حضرات الأسماء، والوقفة تتعلق بالمسمى الحق فهذا هو معنى خارج كل بيت فما يسعه، ودخل فى كل بيت لاشتغال الوقفة على كل البيوت وهو بعينه معنى شرب من كل مشرب أى حصل له ذوق كل مقام. ومعنى فما روى أى لم يقنع بمعانى الأسماء وطلب بالاستعداد الحق تعالى كما ورد فى بيت شعر :

ودعنى من دعد وسعدى وزينب فمقصودى الأسماء تجاوز بى الأسماء

وذلك هو قوله وأنا قراره، وعندى موقفه، فالأنانية المذكورة والعندية المذكورة هي الذات المقدسة، فشهود الوقفة إذن هو الشهود الذاتى، وما دونه هو من المشاهد فى (فى) حضرات الأسماء.
قوله :

"وقال لى: إذا عرفت الوقفة لم تقبلك المعرفة، ولم يأتلف بك الحدثان".
قلت :

معناه: إذا تحققت بمقام الوقفة زال سوى عنك ماقل منه وما جل، فالمعرفة اعتبار السوى فيها قليل، ومع ذلك فإنها لاتسعك أى أن العارف ينكر عليك كما ينكر عليه هو وأهل العلم لضيقهم عنه ولضيقه هو عنك، ومعنى لم يأتلف بك أى يقوم بك مقام أبى يزيد عندما قال "سبحانى، وما فى الجبة غيره" وأشباه ذلك فإن العدم لا يأتلف به الحدث، والحدث والحدثان واحد فتأمل معناه إن شاء الله تعالى. (١/٣٥)
قوله :

"وقال لى : من فوض إلى فى علوم الوقفة فإلى ظهره استند، وعلى عصاه اعتمد".
قلت :

معناه أن المتحقق بالوقفة هو الذى وجد ذاته، فإذن من فوض إلى مشهوده فى علوم الوقفة وجد نفسه هى المفوض إليها لظهور معنى الوجدانية فإذن هو إلى ظهره استند وعلى عصاه اعتمد، بمعنى لم يفوض إلا إلى نفسه.
قوله :

"وقال لى : إن دعوتنى فى الوقفة خرجت من الوقفة "
قلت :

معناه: الدعاء يكون من عبد لرب، والوقفة ليس فيها غير الرب تعالى؛ فلذلك كان من دعى خرج من الوقفة.
قوله :

"وقال لى (وإن وقفت فى الوقفة خرجت من الوقفة)

قلت :

معناه : أن الوقفة وإن كانت عالية المقام إلا أن الواقف فيها ينبغي أن يكون واقفاً فيها به تعالى لا بها، وإلا خرج من الوقفة، فإن حكم الواقف في الوقفة هو أن يكون بالله لا بها، وإلا لم يكن وقفه في حقه.
قوله :

"وقال لى : ليس فى الوقفة ثبت ولا محو، لا قول ولا فعل ولا علم ولا جهل".

قلت : المشهود فى مقام الوقفة يمحو الصور الباطنة والظاهرة حتى المحو فى نفسه إذ هو صورة ما، فالثبت صور، والمحو صور هى صور محو، والأقوال صور، والأفعال صور، والعلوم صور، والجهالات صور، والوقفة هى تمحو الصور وتفى الرسوم؛ فلذلك خلا مشهدها من هذه.
قوله :

"وقال لى: الوقفة من الصمدية، فمن كان بها كان ظاهره باطنه وباطنه ظاهره"
قلت :

الصمد فى اللغة هو الذى لا جوف له مصمماً فشبه مقام أحدية الجمع وهو الوقفة بالصمدانية ويسمى فى زماننا هذا الوجدانية المطبقة وإليها الإشارة فى "محاسن (٣٥/ب) المجالس" فى الأبيات القافية التى يقوم فيها:
فألقوا حبال مراسيهم وغطوا فغطاهم وانطبق
قوله

"وقال لى: لا ديمومة إلا لواقف ولا وقفة إلا لدائم"..
قلت : معناه أن دوام الشهود هو لأهل شهود الوقفة فعبر عن ذلك بهذا التنزل.
قوله :

"وقال لى: للوقفة مطلع على كل علم وليس عليها مطلع لعلم".
قلت :

معناه أن للواقف ذوقاً كلياً يحصل للواقف فينفتح به كل علم، وليس لعلم من العلوم ذوق من ظفر به ينفتح له به معنى الوقفة، وما ذاك إلا لأنها أحدية الجمع، وهذا الجمع الذى هى أحديته لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا

أحصاها، وهو الكتاب المشار إليه في الآية، ولولا الإطالة لشرحت كيف ذلك.

قوله :

"وقال لى: من لم يقف بى أوقفه كل شئ دونى".

قلت :

معناه: من لم يشهد أحدية الجمع، وهو ما به يتحد كان عرضة لما به يفترق، وجانب الحق تعالى هو القيومية الوجدانية وهى واحدة للجميع، فإذا لم يلحظها فى العلوم كانت العلوم شواغل، وكونها شواغل هو المقصود بقوله "أوقفه كل شئ دونى" والحق أنه ليس كونها شواغل فحسب هو الذى يوقفه بل وزيادة أنها هى السوى المشار إليه أنه حجاب، وذلك أن الموجودات بأسرها وحدانياتها للحق تعالى وجانب كثرتها وهو ما به يتميز هو للسوى، والذى به يتميز هى أعراض إذا حققت وجدت عدمية، قال الغزالي رضى الله عنه ^(٣٢) (رحمة الله عليه) فى كتاب "مشكاة الأنوار" ما معناه أن قوله تعالى "كل شئ هالك إلا وجهه" معناه أن ذلك دائم وأن الهالك المشار إليه هو العدم، ولوح تلويحا يفهم أن الهالك المعدوم (٣٦/أ) دائما هو ما به تتميز الأشياء، وأنها نسب عدمية، وهذه المسئلة من عرفها قطع مراتب الخلق واتصل بالخلق الحق، ولسنا نجد شيئا تشترك فيه الموجودات إلا الوجود والوجود جوهر واحد فى الخارج.

قوله :

"وقال لى: الواقف يرى الأواخر فلا تحكم عليه الأوائل".

قلت :

هذا التنزل فيه سر مترتب على التنزل الذى قبله وهو أن الامتيازات (التي) يراها هذا العبد المشاهد سوف تتحل ويرجع مركبها إلى بسيطه فيفنى منها قسط الخلق ويبقى قسط الحق تعالى ويشهد حقيقة أن ذلك كذلك فى كل موجود أزلا وأبدا، فإذا رأى أواخر الأشياء كذلك لم ير مع قسط الحق تعالى غيره، فهو إذن يرى أواخر الأشياء عند رؤية أوائلها، فلا تحكم الأوائل عليه، والأوائل المذكورة حال كونها متميزة، والأواخر هو كونها تتحل إلى واحد فإذا ن هو يرى هذا الواحد دائما فلا تحكم عليه الكثرة.

قوله :

"وقال لى: الواقف يأكل النعيم ولا يأكله، ويشرب الابتلاء ولا يشربه".

قلت :

معناه أنه يتنعم ولا يملكه حب النعيم فينحجب به، ويتألم ولا يملكه الجور فينحجب به، والمقصود أن الواقف متصرف وحاكم على حاله.

قوله :

"وقال لى: مزجت حس الواقف بجبروت عصمتى، فنبأ عن كل شئ، فلا يلائمه شئ".

قلت :

معناه أن وصف الواقف هو وصف حسن ممزوج بوصف الحق وهو الجبروت لتبدل وصفه الخلقى بوصف حقى، فما تلائمه المخلوقات إذ ذاك.

قوله :

"وقال لى: لو كان قلب الواقف فى السوى ما وقف، ولو كان السوى فيه ماثبت".

قلت :

معناه: لو تعلق قلب الواقف بالسوى أدنى تعلق لم يكن واقفا، فهذا معنى قوله "ما وقف". وكذلك لو كان السوى فيه ماثبت إن قلنا ما ثبت السوى فصحيح وإن قلنا ما ثبت القلب فى الوقفة فصحيح، فإن الوقفة تناقض السوى، والسوى (٣٧/ب) ينافى قلب الواقف.

قوله :

"وقال لى: الواقف علم كله، حكم كله، ولن يجمعهما معا إلا الواقف".

قلت :

معناه أن العلوم كلها سانحة له دائما دفعة واحدة حتى كأنه هو ذات العلم، ولذلك هو حكم كله، والحكم هو (أيضا) مصادفة المعنى الحق فى العلم من دون الاحتمالات الباطلة، ولن يكون كذلك غير الواقف، وسبب ذلك أن من أدرك الأشياء بالحق تعالى أدركها حقيقة.

قوله :

"وقال لى: الواقف لا يصلح على العلماء، ولا تصلح العلماء عليه".

قلت :

العلماء هم الذين علمهم مستند إلى العقل والنقل أو إلى أحدهما، وهم يجهلون الواقع ولا يثبتونه لأنهم لم يظفروا بالحكم فيكون عملهم نافعا وهو يتحققهم فيعرف جهلهم فلا يثبت لهم حكما فهذا معنى لا يصلح عليهم ولا يصلحون عليه.

قوله :

"وقال لى: الواقع يقرب ببعده العالمين، ويحتجب بعلوم العالمين".

قلت :

معناه: يقرب إلى الحق وإلى الحقيقة بأفعال وأقوال هي عند العلماء مما يوجب البعد، ويحتجب عن إدراك بما يظنه العلماء مما يوجب العلم والإدراك؛ ولذلك ينكرونه.

قوله :

"وقال لى: إن وقفت بى فالسوى حرمى، فلا تخرج إليه فتحل منى".

قلت :

معناه: أن الواقع هو فى النور، والنور من الحق فهو فى الحق، والسوى هو فى الظلمة فمن دخل فى الظلمة انحل من النور، ومعنى قوله "حرمى" أى حمى الذى أحماه أن يدخل فمن دخله فهو عاص، ويعنى "بالعاصى"، الخارج من الهداية، هداية الخاص فقط.

قوله :

"وقال لى: الواقع هو المؤتمن، والمؤتمن هو المختزن".

قلت :

معناه: هو مؤتمن لأن الوقفة أظهرته على الأسرار (١/٣٨) فكانها انتمنته عليها، وهذا المؤتمن لا تدركه بصائر العلماء، فهو بذلك مختزن.

قوله :

"وقال لى: قف لى ولا تلقنى بالوقف، فلو أبديت لك ثنائى على، وعلمى الذى لا ينبغى إلا لى عادت الكونية إلى الأولية، ورجعت الأولية إلى الديمومية، فلا علمها فارقتها، ولا معلومها غاب عن علمها، ورأيتى فرأيت الحق لا فيه وقوف فتعرفه ولا سير فتعبره".

قلت :

معناه: قف بى ذاهلا عن الوقفة غير معتد لك بالوقوف، فإن فعلت فإن رسمك باق فتتحل منى، ثم رغبه فى معانى التحقيق به إذا لم تلقه بالوقفة فقال لو رأيت مشهدى إذا لم تلقنى بالوقفة لرأيت الثناء على هو منى، ورأيت علمك إذ ذاك هو علمى الذى لا ينبغى إلا لى لأنك لست غيرا فى شهودى، ولا شيئا من الأشياء هو إذ ذاك غير فى شهودى، وهذا هو معنى "عود الكونية إلى الأولية" لأن الكونية عالم الصور وهو العالم نفسه، والأولية وحدانية النور الوجودى قبل أن تبدو الباديات، وتحذو الحاديات، وهنا سر شريف فى قوله "ورجعت الأولية إلى الديمومية"، وهو أن الديمومية هو (هى) شهود بقاء الأولية على ما كانت عليه بعد ثبوت الكونية، وذلك لأنه إذا كان الآن على ما عليه كان فلا علمه وهو السابق فارقه، ولا معلومه وهو الكون اللاحق غاب عنه، فإذن الديمومية مشتملة الحكم فى شهوده على طرفى الأولية والكونية، وذلك هو شهود أحدية الجمع، وذلك هو رؤية الحق لا وقفة فيه ولا سير.

قوله :

"وقال لى: الواقف يرى العلم كيف يضيع المعلوم، فلا ينقسم بوجود، ولا ينعطف بمشهود".

قلت : معناه أن الواقف يرى مزلات أقدام العلماء فى مبالغ علمهم فيجد علمهم (٣٨/ب) قد ضيع المعلوم، فإذا انقسم ذلك العلم لم تكن أقسامه إلا أوهاما وخيالات، لا أقساما وجودية، فهو إذن لا ينقسم بوجود كما تنقسم المعارف والحقائق الشهودية فإن أقسامها وجودية، وهو أمر لو شرح لطلال، بل لا يفهمه المحجوب بحال، وذلك قوله "لا ينعطف بمشهود" أى إذا رددت تلك الأقسام وعطفتها وجدتها لا تنعطف بمشهود كما ترجع المدارك الحقيقية بمشهوداتها، وهذا التزل فصيح العبارة معجز الإشارة.

قوله :

"من لم يقف رأى العلوم ولم ير المعلوم، فاحتجب باليقظة كما يحتجب بالغفلة".

قلت :

العلوم هي في الأذهان، وأما المعلومات فإنها خارجية في الأعيان، والواقف يشهد القيومية فيرى بها المعلومات، والعالم لا يشهد شهودا أصلا، بل يرى ويدرك المحسوسات ويتعلق في داخل الذهن بصور وقضايا غير حقيقات، فيقظته لغلته إذ كان لا يدرك في شيء منها الحقيقة، وهو الحجاب المشار إليه.

قوله :

"وقال لي: الواقف لا يروقه الحسن، ولا يروعه الروع، أنا حسبه، والوقفة حده".

قلت :

معناه أن الواقف فوق مراتب أهل الحظوظ، وإنما يروق الحسن صاحب حظ، ويروع الروع من هو خائف على نفس أو حظ، والترتيب أن العالم يتعلق بحسن الصورة، والعارف يتعلق بصورة الحسن، وهو معنى غير الأول، والواقف لا يتعلق بشيء، ولذلك قال في حقه أنا حسبه، أي كفايته، والوقفة حده، والوقفة ليست بحد لكنها سلب الحدود وإنما سماها حدا مجازا، والتقدير أن الواقف حده (أ/٣٩) أن لا حد له فجعل لا حد حدا بضرب من المجاز، ومثله ما وقع لي نظما في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهو :
بيت

أحطت ولكن لم أحط أجل أننى	أحطت فللاطلاق بالقيد أوثق
ومن يكن الإطلاق قيذا لمثله	فلا بد من شينية السبق أسبق

قوله :

"وقال لي: إن تواريت عنه في مشهود شاهد شكر ضر فقدي لا ضر الشاهد".

قلت : شرح هذا التنزل يحتاج إلى توطئة، وهي أن الواقف يشتمل شهوده على كل مشهد لإحاطته فلو اتفق أن فقد مشهوده في مرتبة ما، ولو كانت جزئية (جزئية) فإنه يفقد مشهوده مطلقا، إذ لو كان شهوده المطلق حاضرا لم يحتجب عنه في مرتبة ما، فهو إذ ذاك يشكو ضر فقد مشهد تلك المرتبة الخاصة لأن صاحب تلك المشهد يفقد مشهوده إذا فقد الواقف، وفيه سر آخر وهو المقصود الحق في هذا التنزل وهو أن الواقف إن لم يصدق كل ناطق

فى حق كان أو فى باطل بوجه من وجوه التصديق يستند فيه إلى شهود مرتبة ذلك الناطق فليشك ضرر الفقد، وكذلك حاله فى صمت كل صامت، وفى كل اعتبار ما، فهذا حكمه حتى لا يجد فى الوجود تفاوتاً أصلاً، ويشهد معنى قوله تعالى "ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت" أنه على هذا الحكم، ومن لم يشهد ذلك فليس واقفاً؛ فهو يشكو ضرر الفقد، وليس أرباب تلك المراتب مطلوبون (مطلوبين) بدرك احتجاجهم إذ مقامهم يقتضى ذلك فلا يمسه من احتجاجهم ضرر هو يشكوه، وهذا هو الشرح المطابق.

قوله :

"وقال لى: حار كل شئ فى الواقف، وحار الواقف فى الصمود".

قلت :

معناه أن كل صاحب مقام ليس يسع الواقف فهو حائر فيه، وليس للواقف حيرة إلا فى الصمود (٣٩/ب) وهو مشهد (٣٥) وحدانية مطبقة ليس فيها لشيء من الأشياء رسم.

قوله :

"وقال لى: الوقفة روح المعرفة (٣٦) والمعرفة روح العلم (٣٧)، والعلم روح الحيوية (الحياة)".

قلت :

معناه أن الحيوية (الحياة) إن لم يصحبها علم كانت حيوانية بهيمية وإن صاحبها العلم كانت حيوة (حياة) إنسانية أو ملكية، فالعلم هو الذى رقى من هو له عن درجة البهائم الشبيهة بالأموات فصيره فى درجة الحيوية التى تبقى بعد الموت فهو روح الحيوية، لكن العلم إن لم يظفر بالحكم فهو ميت، فإذا ظفر به كانت المعرفة باطنة، فالمعرفة هنا روح هذا العلم، يعنى العلم النافع، لكن المعرفة هى أيضاً ظاهر الوقفة، فالوقفة روحها، فنسبة الحياة إلى العلم كنسبة العلم إلى المعرفة، ونسبة العلم إلى المعرفة كنسبة المعرفة إلى الوقفة.

قوله :

"وقال لى: كل واقف عارف، وما كل عارف واقف" ..

قلت :

الأعلى يتصرف فى الأدنى ولاينعكس..

قوله :

"وقال لى: الواقفون أهلى والعارفون أهل معرفتهم".

قلت :

معناه أنه لا يستحق النسبة إلى الله تعالى إلا الواقفون، فإن العارفين وإن كانوا فوق العلماء فليس يستحقون النسبة إليه تعالى بل إلى معرفتهم.

قوله :

"وقال لى: أهلى الأمراء وأهل المعرفة الوزراء".

قلت :

معناه: أن الواقفين هم أهله، وأهله هم الذين قام بهم وصفه كما يقوم وصف الملوك بالأمراء فى زيهم وفى نفوذ أمرهم حتى يكون الملوك تخفق عليهم الأعلام، ويحملون السلاح فيكون الأمراء كذلك، وليس الوزراء كالملوك فى الذى شرحناه، فلذلك نسب أهله وهو الواقفون إلى الإمارة، ونسب من دونهم، وهم (٤٠/أ) العارفون، إلى الوزارة تمثيلاً.

قوله :

"وقال لى: للوقفة علم ما هو الوقفة وللمعرفة علم ما هو المعرفة".

قلت :

معناه: أن للواقف فى الوقفة حالتين أحدهما : حال الفناء فى الشهود وذلك هو حقيقة الوقفة، وحالة أخرى : دون تلك تكون بعد الصحو من سكرة الفناء فى الشهود وهذه الحالة الأخيرة يجد الواقف فى نفسه علماً باقياً من آثار تلك الحالة الأولى، فهذا هو علم الوقفة وليس هو حقيقة الوقفة، وهذا الكلام بعينه يكون مثله فى مقام المعرفة بالنسبة إلى العارف لكن فى مشاهدة (جزئية) ..

قوله :

"وقال لى: يموت جسم الواقف ولا يموت قلبه".

قلت :

معناه: أن جسم الواقف يطرأ عليه الموت كسائر الأجسام غير أن روحه لا يلحقها الموت لاتصباغها بنور الحى الذى لا يموت، فعبّر عن الروح بالقلب، ولذلك ينسبون الإدراك للقلب ونسبته فى الحقيقة إلى الروح؛ فإذا هم يطلقون القلب على الروح وبالعكس، والمراد بالروح هنا هو ما

تسميه علماء الفلاسفة نفسا، ويصفون أنها باقية، والصوفية يسمونها روحا، وأما النفس عند الصوفية فهي الأوصاف المذمومة غالبا.
قوله :

وقال لى: دخل المدعى كل شئ فخرج عنه بالدعوى وأخبر عنه بالدخول إلا الوقفة فما دخلها ولا يدخلها ولا أخبر عنه ولا يخبر عنها.
قلت :

معناه أن المدعى إذا ادعى مقاما مما دون الوقفة فقد توهم أنه دخله، أو يعتقد أنه دخله، ثم هو خارج عنه بنفس الدعوى، وذلك أن المقامات إنما تملك بالفناء، والفناء لا يقتضى الدعوى، فهو بالدعوى خارج عن الشئ الذى ادعاه.. فلا جرم أنه لا ينسب إلى الحق من هو دون مقام الوقفة، فهذا معنى "فخرج (٤٠/ب) عنه بالدعوى". ومعنى قوله "وأخبر عنه بالدخول" أنه لم يدخل لأن دخوله إنما كان دعوى لا حقيقة.. فلا جرم أنه لا ينسب إلى الحق من هو دون مقام الوقفة فهذا معنى إخباره بالدخول إخبارا كاذبا فهو يخبر أنه دخل ولم يدخل، وهذا الحكم لا يقع فى الوقفة، فإن الوقفة لا عبارة عنها فكيف يدعى ما إذا ادعى فضحته الدعوى بأن - يقال له لا عبارة عما أنت تحاول العبارة عنه فينقطع، فإن قلت إن كانت الوقفة لا تقبل العبارة فكيف وردت هذه التnzلات فى الوقفة؟

فالجواب أن العبارة فيه بمنزلة الإشارة، والإشارة فيه لا تؤدى إلى المطلوب أيضا من كونها إشارة، بل الاعتماد فيها على ما يجده كل واحد من المتخاطبين القائمين بالوقفة فى ذوقه لا مما يفهم من العبارة وتكون العبارة والإشارة منبهة للذائق على مطالعة ذوقه بما أبقت الوقفة عنده من علمها لا منها كما سبق شرحه، وكذلك قوله : "ولا أخبر عنها ولا يخبر" لأن الإخبار يدل على بقاء الأنانية والوقفة تغنى الأنانية، وفى التnzل الذى يذكر بعد هذا تنبيه على صحة ما ذكر وهو قوله : "إن كنت فيها على عمد فاحذر مكرى من ذلك العمد وسيأتى.. قوله : "وقال لى: إن كنت فى الوقفة على عمد فاحذر مكرى من ذلك العمد".

قلت :

معناه: إن كان رسمك باقيا بحيث يصح منك العمد فما أنت فى الوقفة فإنك بنفس العمد تخرج من الوقفة، فإن العمد فيه دعوى الآنانية وهو يخرج

بالدعوى مما تحت الوقفة فكيف تثبت له الوقفة، فإذا الوقفة ترميه عن نفسها وهو المكر المشار إليه في التنزل.

قوله :

"وقال لى: الوقفة تنفى ما سواها كما ينفى العلم الجهل"

قلت :

معناه أن الوقفة نورية كما سبق، فكل ما (١/٤) دونها ظلمة أو فى حكم الظلمة فهي تنفى الظلمات كما أن نور العلم ينفى ظلمة الجهل.

قوله :

"وقال لى: اطلب كل شئ عند الواقف تجده، واطلب الواقف عند كل

شئ فلا تجده".

قلت :

معناه اطلب ذوق كل مقام، ومرتبته عند الواقف تجده، وأطلق الواقف من حيث مقامه وهو الوقفة عند مقام جزوى (جزئى) مما تحت الوقفة لا تجده لانطلاق مقامه عن الحصر، وفكاك أنانيته من الأسر.

قوله :

"وقال لى: ترتب الصبر على كل شئ إلا على الوقفة فإنها ترتبت

عليه".

قلت :

معناه أن كل أنانية فإنها مخاطبة بالصبر أى يترتب عليها الصبر وينبغى لها الصبر إلا الوقفة ومقامها، وذلك لأن الانانية تنفى فى الوقفة فلا يبقى شئ يترتب عليه الصبر فيكون معنى القول : أن الوقفة هى حضرة تنفى فيها الرسوم. ومعنى قوله "فإنها ترتبت عليه" هو معنى عزيز أسمى وسأشير إليه، وذلك أنه تعالى من أسمائه "الصبور" فبقاء من لم يزل من معنى الشهود عند فناء من لم يكن هو صبر على قيام الحقيقة بوصف العبد من مقام قوله : قف يا محمد فإن ربك يصلى، وهذا السر يعترف به ولا يعبر عنه، والحظ قوله قف يا محمد فإنه إشارة إلى الوقفة، والحظ باقى اللفظ تجده إشارة إلى الاسم الصبور.

قوله :

"وقال لى: إذا نزل البلاء تخطى الواقف، ونزل على معرفة العارف،
وعلم العالم.

قلت :

معنى تخطيه الواقف أن الواقف اضمحل رسمه فلا يوجد معناه ولا
اسمه - قال الشاعر :

تسترت عن دهرى بظل جناحه فعينى ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الأيام ما اسمى ما درت وأين مكانى ما عرفن مكانى (١٤/ب)
ومعنى قوله "ونزل على معرفة العارف" لأن العارف له رسم باق،
وأما العالم فمن باب الأولى، والبلاء المذكور هو التكليف بحسب ما بقى من
الرسم، والبلاء والابتلاء ههنا بمعنى واحد.

قوله :

"وقال لى: يخرج الواقف بالانتلاف كما يخرج بالاختلاف".

قلت :

قد علمت مما سلف أن معنى الوقفة هو محو الرسوم فى عيان
الواقف والانتلاف هو رسم من الرسوم، فلا يكون للواقف حتى إن الأسماء
الإلهية لها فى عيانه حالتان أحدهما : ما به تمتاز الأسماء من الاعتبار
الذهنية مثل الحيوية (للى)، والموت للميت، والعطاء للاسم المعطى، والمنع
للاسم المانع، فهذه الاعتبارات كلها رسوم يعمى عنها الواقف حال الوقفة.
والحالة الثانية : رؤية الأسماء فى عين المسمى من حيث لا اختلاف
ولا انتلاف وذلك هو للواقف حق حيث المسمى (عين) الاسم.

قوله :

"وقال لى: الوقفة يدى الطامسة ما أتت على شئ إلا طمسته، ولا
أرادها شئ إلا أحرقتة".

قلت :

معناه أن شهود الوقفة تتطمس فيه الشينيات، وذلك أنها ترى الوجود
عين الموجود، وترى الوجود هرما واحدا مشتركا لكن لا تريه إياه من حيث
ما هو مشترك إلا وترفع معنى الاشتراك فى نظر المشاهد حتى لا يبقى مع
الحق سواه، وكذلك معنى الإحراق هو إذهاب صور التعددات بأحدية جامعة

للمراتب رافعة للحجاب والمحجوب والحاجب، والاسم الصمد هو أقرب الأسماء إليها، وآخر ما ينطمس في شهودها.
قوله :

"وقال لى: من علم علم شئ كان علمه إيذانا بالتعرض له".

قلت :

المراد بهذا التنزل إرشادنا في السلوك إلى الوقفة بأن لايتعرض لعلم شئ إذ ذلك يؤذن بالبقاء مع الشينيات وذلك محظور على سالك طريق الحق تعالى من أهل العزائم التامة، والاستعداد (١/٤٢) والقاطعين لشدة الطلب تشريف الاستعداد (٣٨).

قوله :

"وقال لى: الوقفة جوارى وأنا غير الجوار".

قلت :

معناه أن الوقفة أقرب الحضرات إليه فمن طلبها فقد طالب غيره وتعرض إلى سواه إذ هو غير الجوار، وطالب من سواه باق مع الأغيار.

قوله :

"وقال لى: لايقدر العارف قدر الواقف".

قلت :

معناه أن الواقف كما سبق هو المشاهد للحق تعالى من حضرات أسمائه وصفاته وفيه بقايا الغيرية، وآثار الثنوية، والواقف فى غيب الحقيقة منزله عن السير حتى فى أعلى طريقه، فالعارف والحال هذه لا يخبره فيقدر قدره ولايقدر من جماله على نظره.

قوله :

"وقال لى: الوقفة عمود المعرفة، والمعرفة عمود العلم".

قلت :

معناه أن العارف لا يخلص من الشرك الخفى فى شهوده مالم يقف فمعنى الوقفة هو الذى تحقق له المعرفة تماماً، فالوقفة إذن هى العمود الذى يقيم بيت العارف، ويصيره بمحوه عن معارفه هو الواقف، وأما المعرفة فهى عمود العلم، وذلك لأن المعرفة تصادف الحكم فى العلم، والعلم دون معرفة تعمى صاحبها عن مصادفة الحكم، فالمعرفة هى العمود الذى يقوم به بيت

العالم ويفنيه ولكن يبقى منه بعض العالم حتى تدممه الوقفة فتفنيه عن كيانه،
وتعوضه العزة عن ذلة أكوانه.
قوله :

"وقال لى: الوقفة لا تتعلق بسبب ولا يتعلق بها سبب".

قلت :

معناه: أن مقامها لا يحصل بالاكتساب ولكن بعباء الجواد الوهاب.
قوله "وقال لى: لو صلح لى شئ صلحت الوقفة، ولو أخبر عنى شئ أخبرت
الوقفة".

قلت :

لأنها هى تفنى (٤٢/ب) الأغيار وذاتى تنفى سوى فهى مناسبة
لوحة صمدية الأنوار، لكن الوقفة لها اسم، وهى وإن محت الرسوم رسم.
ومحتجب وليس له حجاب تراه الدهر مرتحلا مقيما.
يجبىء فتذهب الأغيار فيه وينقلب الحديث به قديما.
والخبر المذكور ههنا أنه لا يصح من شئ عنه تعالى هو الخبر الذاتى أى
عن الكنه، وذلك متعذر، وقد تعرض بعض فقراء العجم إلى ذكر هذا المعنى
فى بيت شعر بالفارسية وهو :
فاخته غافل است كويدكو تواكر حاضرى جه كوى هو

قلت :

معناه: أن الفاخته يقول أين هو وهذا غفلة منها، ثم قال لمخاطبه
وأنت أيضا إن كنت حاضرا غير غافل لأى شئ يقول هو، والمقصود أن
المقال ليس له فى الإخبار عنه مجال، ومعنى أخبرت الوقفة أى أخبر
الواقف.

قوله :

"وقال لى: معرفة لا وقفة فيها مرجوعها إلى جهل".

قلت :

معناه أن الوقفة كما تقدم عمود المعرفة، فإن لم يكن للعارف وقفة
صارت معرفته علما لا معرفة فيه فيصير أيضا ذلك العلم جهلا لعدم ظفـره
بالحكم الذى لا يكون إلا بالمعرفة.

قوله :

وقال لى: الوقفة ريحى التى من حملته بلغ إلى، ومن لم تحمله بلغ إليه.

قلت :

هذه استعارة شبه فيها السالك بالمركب، والوقفة بالريح التى تسير بالمركب، ومعنى بلغ إلى أى إلى شهود ذاتى، ومعنى بلغ إليه أى بقى مع الأغيار وحجب الأقدار.

قوله :

وقال لى: إنما أقول قف يا واقف اعرف يا عارف.

قلت :

معناه أنه لا يتحقق خطابه تعالى بلسان مقام إلا لمن تحقق بذلك المقام فيقول لا نطقاً بل تجلياً وموهبة للواقف قف، وللعارف اعرف (٣/٤١) أى مواهبى تثبت لهما مقاميهما.

قوله :

وقال لى: العلم لا يهدى إلى المعرفة، والمعرفة لا تهدي إلى الوقفة، والوقفة لا تهدي إلى.

قلت :

معناه أن هذه المراتب لها رسوم بها تحقق ماهياتها، فمن حيث تلك الرسوم لا تحصل هداية أصلاً، وذلك أن الذى يهدى العالم إلى المعرفة هو نور موهبه تنقل عن العلم إلى المعرفة وليس العلم فى نفسه بهاد إلى المعرفة، وكذلك الذى يهدى العارف إلى الوقفة هو نور وهبى إلهى فوق المعرفة هو يهدى العارف إلى الوقفة لا المعرفة نفسها، وكذلك الوقفة هى لا تهدي من حيث ما بقى رسم منها وهو حقيقتها إلى حضرة العزة؛ لأن الرسم يحجب ولا يهدى، بل الهادى هو نور ذاتى يعنى رسم الواقف الوقفة.

قوله :

(وقال لى: العالم فى الرق^(٣٩)، والعارف مكاتب^(٤٠) والواقف حر^(٤١)).

قلت :

معناه أن العالم علمه يكون نقلا، إما عن ذهنه وهم الفلاسفة، وإما عن غيره وهم أهل التقليد الصرف، وكلهم يأخذ عن الغير ويعبد ربا غائبا، هو في رق العبودية له على قدر مقامه.

(ب) وأما العارف فلأنه شهد بعض شهود محي منه بعض رسومه على قدر مكانته في المعرفة ولم يمح منه رسم إلا وتبدل ذلك الرسم من الخلقية إلى الحقية وذلك هو عتق العارف في جزء من أجزائه فكانه قرب من عتق جميعه كما يقرب المكاتب من العتق، فإنه بصدد ما يقوم بما كوتب عليه فيعتقه، بخلاف العالم.

(ج) وأما الواقف : فإنه حر بمعنى أنه قد تبدلت ذاته وصفاته عن الخلقية إلى الحقية فلم تبق له بقية في العبودية، وذلك لثبوت سر الاستخلاف فيه، فإن الخليفة المطلق يقوم مقام من استخلصه تماما.

قوله :

(وقال لى: الواقف فرد والعارف مزدوج) (٤٣/ب).

قلت :

معناه ما سبق من أن العارف فيه بقية رسم تقتضى الثبوت وهو الازدواج المذكور، وأما الواقف فإنه قامت به الحقيقة المطلقة فليس مع الحق غيره؛ إذ لا ثبوت، وهنا شطح من شطح في التوحيد.

قوله :

(وقال لى: العارف يعرف ويعرف، والواقف يعرف ولا يعرف).

قلت :

معناه أن الواقف محيط بالمقامات فيراها بعين ليست عين غيرية فيعرف الأشياء وهو في نفسه لا يعرف، وقد سبق مثل هذا وهو قوله : "فيجدك كل أحد عنده، ولا تجد أحدا عندك". وأما العارف فيعرف الأشياء بما فيه من مقدمات الوقفة، وينظرها بعين منصبة بنور قوله : "كنت سمعه وبصره" فيرى الأشياء، به، وهو في نفسه يعرف لما بقى فيه من الشريك الذي يناسب الناس فيعرفونه بما فيه منهم.

قوله :

(وقال لى: الواقف يرث العلم والعمل والمعرفة ولا يرثه إلا الله).

قلت :

أن الواقف يشهد كل مقام فى مرتبته فيكون أحق بالعلم من العلماء لظفره بالحكم، وأحق بالمعرفة من العارفين لظفره بالوقفة التى هى عمود المعرفة، فيرث العلم والعمل أى يهتدى إلى وجه العمل الصالح بالعلم النافع، لاجابة منه إليهما، بل ظفر بمقاميهما، ويرث المعرفة إرثا صحيحا لموت العارفين بالنسبة إلى مقام حيواته (حياته) الأزلية التى قام فى خلافتها، ومعنى ولا يرثه إلا الله، أى يقوم عنه تعالى بأوصافه من باب "قف يا محمد فإن ربك يصلى" وباب "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى". فالواقف ميت لقنائه عن ذاته وأوصافه موروث لمن قام عنه بأوصافه وذاته، وهذه حالة يعرفها القوم ولا يفهمها من دخل تحت حقيقة زمانه زمانية الليل واليوم (٤٤/أ).

قوله :

(وقال لى: احترق العلم فى المعرفة، واحترقت المعرفة فى الوقفة).

قلت :

معناه أن العالم إذا صار عارفا صارت علومه معارف لأنه يراها بغير العين التى كان يراها وهو عالم لظهور النور الإلهى الذى صبغ علومه وأحى رسومها حين أفنى رسومه، وكذلك العارف تصير معارفه مواقف لفناء بقية رسمه، وكأن العلوم لما تحولت معارف احترقت العلوم من كونها علوما وكذلك المعارف من كونها معارف، واستحالت المدارك فى آخر ذلك إلى مواقف.

قوله :

(وقال لى: كل أحد له عدة إلا الواقف، وكل ذى عدة مهزوم).

قلت :

معناه أن الحق تعالى لا ينال مقامه بسبب، وكل من دون الواقف يتعاطى الأسباب، لأن ذاته فى نظره هى له، فكل فعل يفعل من التقرب ينسبه إلى نفسه ويقول إن ذلك يقربه فهو عدة فى نظره، ولما كان لا وصل إلا بالموهبة لا غير انقطع صاحب الأسباب عن حضرة الاسم الوهاب فكان انقطاعه هزيمة فى حقه وسببه العدة التى أعدها للقاء ربه، كما قال "أين من

أعد معارفه للقائي لو أبديت له لسان الجبروت لأنكر ما عرف " وهذا هو الهزيمة المشار إليها، وأما الواقف فمعنى وقفته فناؤه عن ذاته، وعن صفاته، وأفعاله، فليس له عدة، فلا جرم كانت له الوصلة التي ليست لها وصلة.
قوله :

(الوقفة تعين سرمدى لاظن فيه)

قلت :

معناه أن مدارك المعرفة تتغير فضلا عن مدارك العلم، إلا مدارك الوقفة فإنها لا تتغير أبدا، ولا تعترضها الظنون أبدا، وجد ذلك من وجده، وفقده من فقده.

قوله :

(وقال لى: العارف يشك فى الواقف، (٤٤/ب) والواقف لا يشك فى العارف).

قلت :

معناه أن العارف إذا رأى أحوال الواقف، أو سمع أقوله، وجد فيها ما يعرفه وما لا يعرفه لقصوره عنه فيواقعه الشك فيه ويرتاب فى أنه عارف أم ليس بعارف، وأما الواقف فلا يجهل شيئا من أحوال العارف ولا من أقواله لإحاطته بمقام المعرفة، فلا يعارضه الشك فيه، وأما العالم فيجهل حقيقة كل واحد منهما سواء كان فيلسوفا أو متكلمًا، لأن مقام العلم هو تحت العقول، والذي هو بالحق غير ما هو بالعقل.
قوله : (وقال لى: ليس فى الوقفة واقف وإلا فلاوقفة، ولا فى المعرفة عارف، وإلا فلا معرفة).

قلت : معناه أن العارف يفنى رسمه فى شهوده، فلا يرى أنانيته وإلا فلا شهود له، فلا يكون عارفا لكن فناؤه (فناءه) يكون جزوياً (جزئياً) بخلاف الواقف، والواقف أيضا إن لم يكن فانيا فى شهوده فناء كلياً وإلا فليس ذا شهود فلا وقفة، فإذن ليس فى الوقفة واقف، ولا فى المعرفة عارف، وإلا فلا وقفة ولا معرفة.
قوله :

(وقال لى: ما بلغت معرفة من لم يقف، ولا نفع علم من لم يعرف).

قلت :

معناه أن علما لامعرفة معه أى لصاحبه فهو جهل لعدم ظفـره بالحكم كما ذكرنا مرارا، وأن المعرفة روح العلم، فعلم لامعرفة فيه فهو ميت، ويعنى بالمعرفة الشهود، وأما المعرفة فإنها تتفع، إلا أنها ناقصة، فلذلك قال فى العلم مانفع، فنفى النفع جملة كافية، وقال فى المعرفة مابلغت معرفة من لم يقف، أى لم تبلغ حد الكمال، فلم يسلب عنها النفع كما سلب عن العلم، ويفهم من مجموع هذا الكلام شيئا (شئ) هو فى غاية الحسن، وهو أنا إذا فهمنا أن نسبة العلم إلى المعرفة كنسبة المعرفة (١/٤٥) إلى الوقفة أن تعلم أيضا أن ذلك لايعتبر فيه إلا العلم النافع، وهو الذى تصحبه المعرفة.

وليس فى زماننا هذا إلا من ينكر المعرفة، وفى هذا كفاية، ولست أعنى بالعالم علماء الفروع لأن أو لك لم يدخلوا فى طريق مانحن بسبيله ههنا، إذ علمهم إنما هو بصور الأعمال إن صادفوا الحكم فى علمهم، أما إذا لم يصادفوه فهم مما لايعتبر.

قوله : (وقال لى: العالم يرى علمه، ولايرى المعرفة، والعارف يرى المعرفة، ولايرى الواقف، والواقف يرانى ولايرى الواقعة ولاسواى).

قلت :

قد تقرر فيما سلف أن كل صاحب مقام لايرى من فوقه بل من دونه.

قوله :

(وقال لى: الوقفة على الذى يجبر ولايجار عليه).

قلت :

سمى الوقفة علم (علما) ونسبها إلى نفسه إعلاما أن الواقف ليس هو غيره فى حكم الاستخلاق، ومعنى قوله : "يجبر" أى: إذا ضمن سلامة أحد من المؤاخذة، وخلاصه من الرق، أمضى حكمه بخلاف ماسواه، فإنه ليس إذا ضمن العارف لمن دونه بل أو لنفسه ضمانا يمضى حكم ذلك الضمان لأنه ليس خليفة.

قوله :

(وقال لى: الوقفة ميثاقى على كل عارف عرفه أو جهله).

قلت :

معنى عرف ذلك الميثاق أو جهله، ومعنى ميثاقه هو معاهدته لربه تبارك وتعالى فى حال الشهود أن لا يثبت له رسماً مما كان الشهود قد محاه، فهذا هو الميثاق، وإنما قال عرف ذلك أوجهله لأنه عهد بلسان الحال لا باللفظ فمن تفتن له فإنما يتفتن له من مقام فوق مقامه، وقد لا يتفتن له لقصوره عن مقام هو فوقه حتى يصل إليه.

قوله :

(فإن عرفه خرج من المعرفة إلى الوقفة، وإن لم يعرفه امتزجت معرفته بحده).

قلت :

معناه فإن عرفه فقد خرج من المعرفة إلى الوقفة، وإلا لما عرفه، إذ بالوقفة يعرفه، (٥/٤٥ ب) وإن لم يعرفه فهو فى مقام المعرفة، ومقام المعرفة تمتزج فيه المعرفة بحد العارف، وحد العارف هو مابقى من رسمه مما لم يفن بالشهود، وهذه العبارة التى أذكرها فى الشرح إنما يعرفها من جرب هذا الميثاق، ونازل هذا الأمر بالعيان، أو من امتحن الله قلبه بالإيمان فهو على نور من ربه.

قوله :

(وقال لى: الوقفة نوري الذى لا يجاوره الظلم).

قلت : معناه يؤكد ما قبله، فإن الظلم هى الحدود، والمعرفة تمازج الحد فالمعرفة نور وظلمة، وأما الوقفة فلا تمازج الحدود فهى منزهة عن الظلم أى الحدود، وقد عرفت أن الحدود هى اعتبار الغيريات المجاورات للعينية، فالوقفة لاتجاورها غيرية أصلاً.

قوله :

(وقال لى: الوقفة صمود، والصمود ديمومة، والديمومة لا يقوم لها

الحدثان).

قلت :

هذا التنزل فيه تبين لما تقدم كان قائلًا (قال) ما هى هذه الحدود؟ فقال هى أوصاف الحدثان، واعتبار كثرة الغيريات فى الأعيان، وأما الوقفة فصمود لاثوية فيه، وذلك هو ديموميته، أى الأمر كذلك دائماً، والديمومة

لاتألف بالحدثان ولايعارضهما، لأن الحدثان يقتضى أن الحادثان لا تدوم، وأما الدائم فليس بحدث وأما إن قال قائل: كيف ذلك؟ فالجواب أن التعينات عدمية وأن المتعين واحد، وأن ذلك الواحد قديم، وأن ذلك القديم دائم، وأن الدائم لايقوم له الحدثان، وأن الحدثان ليس غير تجدد تلك التعينات، وأنها عدمية، وأن العدميات لاكثر الوجود، ولا تثبت معه فى الشهود، وأن الوجود نور، والعدم ظلمة، فالعدميات ظلم وهى الكثرة، (٦/٤ ب) والواجد نور وهو واحد، ولا يفهم هذا الكلام إلا الواجد دون الفاقد، وأما من كان له استعداد، ولم تتفقد ذاته بالاجتهاد أو عرض له مانع أو دفعه عن مطلوبه دافع، وهو فى نفسه مستحق فإنه يرى من وراء حجاب أن ذلك حق.

قوله :

(وقال لى: لا يرى حقيقة إلا الواقف).

قلت :

معناه أن عين الحق ترى الحقيقة، ومنه قولهم ما يرى الله إلا الله.

قوله :

(وقال لى: الوقفة وراء البعد والقرب، والمعرفة فى القرب، والقرب من وراء البعد، والعلم فى البعد، وهو حده).

قلت :

الوقفة تمحو جملة الرسوم، والبعد والقرب رسوم، فليس فى الوقفة، وأما المعرفة فتمحو البعض من الرسوم وتبقى البعض، فباعتبار ما أمحى من الرسوم فهى معرفة، وهى فى القرب، وبهذا الاعتبار تكون وراء العلم، ويعنى بوراء هنا فوق، والفوقية فيه بالمرتبة لابلجهة، وباعتبار مابقى من الرسوم تتخط المعرفة عن درجة الوقفة. وأما العلم فهو فى البعد فقط، وذلك لأن العلماء لم تتمح رسومهم ولاشئ لأن علومهم بالأفكار لابلمنازلة، ومعنى قوله " فى البعد وهو حده" أى محل تعرفه، ولما كان العلم بالنسبة إلى المعرفة كالمعرفة بالنسبة إلى الوقفة، وجب أن يعلم أن المراد بالعلم : العلم المصادف للحكم. وعلى هذا، فكل العلوم التى فى البعد إنما هى العلوم التى صادفت الحكم، وأما مايسمى عند الناس علما، وهو فى نفسه لم يصادف الحكم، فذلك مهمل لاحديث عنه، ويترتب على هذه القاعدة العمل، إذا كان إنما هو بمقتضى العلم الذى لم يصادف الحكم، فهذا العمل هل يسمى عملا

صالحا عند الكمل أم لا، الحق أنه لا يسمى عملا صالحا عند الكمل (٤٦/ب) بل عند من لاعبرة بعنديته^(٤٧)، وإنما العمل الصالح هو ما كان بمقتضى العلم النافع، وهو الذى صادف الحكم، وعلى هذا فالعلم الذى البعد حده هو العلم النافع، ومعنى حده : حقيقته.

قوله :

(وقال لى: العارف يرى مبلغ علمه، والواقف من وراء كل مبلغ).

قلت :

معناه أن العارف يرى العلم ومبلغه، وذلك لأنه فوق العلم، لكنه لا يرى الواقف إذ هو وراء كل مبلغ أى فوقه، فكأنه قال إن العارف لا يدرك الواقف، وهذا قد ذكره فى تنزل غير هذا.

قوله :

(وقال لى: الواقف ينفى المعارف كما ينفى الخواطر).

قلت :

معناه يترتب على توطئة، وهى أن يعلم أن السالكين فى طريق أهل الله تعالى من شرطهم أن ينفوا الخواطر، وذلك لأن سلوكهم بالإنكار لا بالأفكار، والفكر عندهم حرام، ولا يرد على هذا الكلام ماورد من الحث على التفكير على طريق الاعتبار، فإن ذلك صحيح لكن لطالب الجنة، وأما طالبوا الحقيقة فحرام عليهم الفكر، وقد علمت أن طريق الله تعالى غير طريق الجنة، وإن حصلت الجنة فهى بطريق التبعية والضمن، وقد ورد عن بعض الأكابر وقد طلب منه تلميذ له أن يأذن له فى زيارة أمه، فقال له الشيخ : يا ولدى، إن كنت إنما تريد الجنة فالجنة تحت أقدام الأمهات، وإن كنت إنما تريد طلب الله تعالى فعندى فقط، ففرق الشيخ بين طلب الجنة وبين طلب الحق تبارك وتعالى، وإذا تقرر هذا، فالسالك فى طريق الحق تعالى شأنه أن يبقى الخواطر. فنعود

ونقول : إن الواقف ينفى المعارف التى هى غاية العارف، كما ينفى الخواطر المعلوم وجوب نفيها، وماذا لك إلا لما تصحب المعارف من بقايا ملاحظة السوى، والوقفة لا تقبل السوى. (٤٧/أ)

قوله :

(وقال لى : لو انفصل عن الحد شئ انفصل الواقف).

قلت :

معناه أن الشئيات إنما تتشبيء، والماهيات إنما تتمهيء بالحدود، فكل شئ - إذن - له حد، ولما كانت الوقفة تنفى الحدود، وانتفى عنها كل حد إلا حدها وهو القدر الذى به تمتاز وهو حقيقتها والجزء الخاص لها، وذلك لا يمكن نفيه، وإلا لم يكن شينا مذكورا، وهى مرتبة تذكر، ومنزلة تعمر، غير أنها أبسط المنازل، وآخر مايبقى من معارج الطارق والنازل، فإذن كادت الوقفة أن تتفصل عن الحد، ولو انفصل شئ عن الحد، كانت الوقفة ذلك المنفصل - لما ذكرناه - وحدها هو السلب لقبول الحد.

قوله :

(وقال لى: العلم لا يحمل المعرفة أو تبدو عليه، والمعرفة لاتحمل الوقفة أو تبدو عليها).

قلت :

معناه : ليس فى العلم مقدمات تنتج المعرفة، وأهل العلم بأجمعهم لا يحملون أهل المعرفة فى قول ولا فى فعل، فإذا بدت المعرفة فى قلب العالم بطريقة موهبة، أقر بالعلم النافع، وأرشده إلى الحكم، وانتقل العالم إذ ذاك عن مرتبة العلم إلى مرتبة المعرفة، فرآه العلماء عندهم، ولم ير أحدا منهم عنده، ثم إن العارف فى نفسه أيضا لا يحمل الوقفة إلى أن يبدو عليه فتنتقل عن المعرفة إلى الوقفة بمحومابقى فيه من رسم (رسمه) وحينئذ يراه كل عارف عنده ولا يرى هو عنده أحدا.

قوله :

(وقال لى : العالم يخبر عن العلم، والعارف يخبر عن المعرفة، والواقف يخبر عنى).

قلت :

معناه أن العالم إنما يرشده إلى مواقع الإخبار علمه؛ فعن علمه انبعث إخباره، والعارف إنما يرشده إلى مواقع الإخبار معرفته، فعن معرفته انبعث إخباره، وأما الواقف فإنما يرشده إلى مواقع الإخبار الحق تعالى فعنه (٤٧/ب) انبعث إخباره، وذلك لأن الواقف نفى محض ومحو صرف، وقد قام عن مولاه بوصفه، وذلك هو ميراثه من مقام.. "وما ينطق عن الهوى"؛ إذ كان علماء الله هم ورثة الأنبياء.

قوله :

(وقال لى: العالم يخبر عن الأمر النهى وفيهما علمه، والعارف يخبر عن حقى وفيه معرفته، والواقف يخبر عنى وفى وقفته).

قلت :

هذا التنزل يحتاج شرحه إلى توطئة وهى :
أن السير إلى الله تعالى إنما بالعلم، أى: بالعمل النافع، وهو عمل بمقتضى الأمر والنهى اللذين وردا عن الحق تعالى، وفى هذين يكون مجال العلم، ومازاد على هذين من الحلال والحرام والقصص فهو راجع إليهما، أما رجوع القصص فلأجل ما يحصل بها للعبيد من الموعظة والاختبار فيرجعون إلى الانقياد بالاختبار، فيعمل بموجب الأمر والنهى، وذلك هو رجوع القصص إلى الأمر والنهى.

(ب) وأما الحلال والحرام فلأنهما محل الأمر والنهى؛ فيرجعان إليهما ضرورة، فإذن الأمر والنهى هما محل تعرف العلم، وأما المعرفة فإنما تخبر عن حقه تعالى، وذلك لأن العارف قد كان الحق سمعه وبصره فهو يخبر عن حقه تعالى وفى الحق قال معرفته بمعنى أن المعارف لا تكون إلا إخبارات عن معانى أسمائه تعالى، وهى حقوق، ولا تكون المعارف حديثا عن الكون أصلا وإن كان العارف قد يتحدث عن الكون، لكن لا من كونه عارفا، بل من كونه عالما لما بقى فيه من الرسم الذى العلم لسانه، وأما الحق فهو (أوجه) وأما العلم فهو حظيظه، فمحل المعرفة هو حقوق الله تعالى وهى أسماؤه وصفاته والإخبار عنها، فهو معرفة لاعلم، وليس للعارف أن يخبر عن الله عزوجل من مرتبة ذاتية، وإنما (٤٨/أ) ذلك للواقف فهو إخبار الحق تعالى عن نفسه فلاجرم كان فى الحق تعالى وقفته.

قوله :

(وقال لى: أنا أقرب إلى كل شئ من نفسه، والواقف أقرب إلى من كل شئ).

قلت :

هذا التنزل فيه أسرار غامضة، وعناقيد يراها المحجوب حامضة، وحيث التزم القلم بالبيان فلا سبيل إلى قبض العنان، فنقول لاشئ أقرب إلى

شئ من نفسه إلا الوجود، ولذلك إنه إنما يدرك نفسه بالوجود، فالوجود علة اجتماعه بنفسه، والوجود حقيقة هو نور الله بمضمون قوله تعالى : " الله نور السموات والأرض ". فالنور أقرب إلى كل شئ من نفسه بما شرح. وأما الواقف فإنه أقرب إليه من كل شئ؛ إذ كل شئ هو فى الشهود غيره إلا الواقف، فإنه يصير عين النور صيرورة يعرفها من صارها، وهذا المقام هو الذى طلبه النبى صلى الله عليه وسلم فحصله وتبعه فى ذلك إخوانه، وذلك قوله : "اللهم اجعل لى نورا" فطلب مقام المعرفة ثم قال : "اللهم اجعلنى نورا" فطلب مقام الوقفة، فإذن لاشئ أقرب إلى الحق من الحق تعالى وتنزه وتسبح عن الثبوتية وتعالى.

قوله :

(وقال لى: إن خرج العالم من رؤية بعدى احترق، وإن خرج العارف من رؤية قبرى احترق، وإن خرج الواقف من رؤيتى احترق). قلت :

(أ) العالم : عالمه البعد، وبعده بوصفين: أحدهما كونه لا يرى إلا الغيرية وهى بعد، والآخر كونه يجزم بأن الحق تبارك وتعالى لا يدرك كنهه، ولا ترجع العقول بدرك من علمه. وكلا الوصفين بعد، ومتى خرج العالم عن هذين احترق، واحترقه بأحد وصفين، إما بأن يخرج إلى المعرفة فيحترق بالفناء بحسب ما حصل له من التجلى العرفانى، والفناء احتراق معنوى، وحقيقة المراد من هذا (٤٨/ب) الاحتراق أنه إذ ذاك لا يسمى عالما، بل عارفا فاحترقت إذن علميته ؛ وأما الوصف الآخر فهو أن يخرج عن العلم لا إلى المعرفة بل إلى أسفل، وهو إن يعرض عن العلم فتصدأ مرآته بالجهل فقد احترقت أيضا علميته ؛ هذا معنى الاحتراق فى العلم.

(ب) وأما الاحتراق فى المعرفة فهو أيضا بوصفين :

(١) أحدهما هو أن يرقى إلى الوقفة فيحترق (فتحترق) معرفته فى محوه بالوقفة، وذلك يشبه الاحتراق الحاصل للعلم بنور المعرفة، والاحتراق هنا قرب.

(٢) والوصف الآخر هو أن يتنكر عليه ماشهده من الحضرات الأسمانية بما شهده من حضرات أخرى أسمانية، وصفة ذلك أن يشهد الحق تعالى من

حيث اسمه المعطى فيرى أن لاعطاء (بالله) في الوجود إلا لله تعالى، فيرى كل يد معطية هي يد الحق، وفي هذا المشهد

جسر من عرف منه الورع الشديد حتى تناول من أيدي أهل المكوس، واغتذى من مطاعمهم لامكرا كما يظنه من لاكشف له، إن الله تعالى مكربهم، بل رقيقا في درجات شهود هذا الاسم العظيم، كما ورد أن أربعين سائحا قصدوا مكة مكاس كان في عيذاب وهي بلد بشاطيء بحر جدة، وقد حضهم الجوع فأحضر لهم ذلك المكاس طعاما، فامتنع منهم تسعة وثلاثون نفرا عن الأكل، وأكل واحد منهم، فلما خلوا به طالبوه كعادة الصوفية وسألوه بعد أن علموا أنه صادق في مقاله عدل في حاله، فقال لهم : والله لو كنتم ألفا ثم أكلتم أجمعكم لقمة واحدة لأظلمت بواطنكم، ولوقبضت أنا يدي من الأكل وأنا أرى اليد المعطية لأظلم قلبي، فنعود ونقول :

إن صاحب هذا المشهد الشريف، إذا ورد مشهدا هو في مقابله هذا الاسم، وهو الاسم المانع حتى لا يرى غيره تعالى مانعا، فإنه قد ينكر عليه المشهد الأول لأشغاله بما هو في مقابله، فيكون هذا التكرار خروجا من العارف عن تلك (أ/٤٩) المعرفة الخاصة، فيحترق إذ ذاك بالخروج عن معرفته، وهذا الخروج هو بعد، إلا أن هذا الخروج لا يدوم، ووجه خلاصه منه أن يشهد الحق تعالى في الحد ؛ وذلك أن لكل حضرة اسما ظاهرا وباطنا، وحدا، ومطلعا، فإذا شهد سيده في الحد، والحد هو الذي يجمع بين طرفي المحدودين بوجه مشترك فيلحظ الجامع لذنيك الاسمين في نوره تعالى، فيحصل له المطلع، وبالمطلع يجتمع له التحقق بالاسمين المتقابلين، وحينئذ ينقلب ذلك البعد قريبا، ولكن يكون ذلك القرب بوجه أتم وأكمل، فهذان الوصفان هما احتراق العارف إذا خرج عن المعرفة.

(ج) وأما كون الواقف إذا خرج عن رؤية ربه تعالى احترق، فهو أيضا بوصفين :

(١) أحدهما أن يخرج عن رؤية الحق تعالى بوصف محو لنسبة راء ومرني ورؤية، وهذه هي الوجدانية المطبقة، وهي درجة وليست دركة.

(٢) والوصف الثاني أن يحصل له البقاء بعد الفناء بأن يقوم الحق عنه بوصفه فيكون الرائي هو الحق تعالى، فقد خرج العبد بهذا عن رؤيته فاحترق، واحترقه هو فقد أنانيته، وهذه درجة أعلى من تلك، وهنا (بحر لا

يعام) ومقام حيث لامقام، وسيشير الحق إلى ذلك فى مسلك من المسالك. أما إذا كان العبد هو الرأتى، فإن الحق يكون سمعه وبصره؛ إذ لولاه ما أبعدت العيون مناظرها، ولارجعت الأسماع بمسامعها، وأما إذا كان الحق هو الرأتى فمن يكون سمعه وبصره فأفطن. وذلك أن الحق من حيث وحدانيته وصمدانيته منزّه عن الأسماع والأبصار، ومن حيث إن تلك الصفات لعبده فهى له إذا محاه به عنه، وذلك من حضرة قوله : " جعت فلم تطعمنى " الحديث، وليس تفسير هذا الحديث كما يظنه علماء الرسوم، فنعود ونقول: هذان الوصفان هما احتراق الواقف إذا خرج عن رؤيته (٤٩/ب).
قوله :

(وقال لى: الواقف يرى ما يرى العارف وما هو به، والعارف يرى ما يرى العالم وما هو به).
قلت :

معناه ماتقدم من أن الواقف يسبق كل أحد إلى مبلغه، فهو محيط بكل شئ، وأما العارف فهو محيط بالعالم فيراه، ومعنى قوله " وما هو به " أن الواقف يرى العارف، ويرى ما هو به عارف، وأما العارف فيرى العالم ويرى ما هو به عالم.
وبالجملة يرى كل منهما ماقام بكل منهما من أدواقه أو علومه.
قوله :

(وقال لى: العلم حجابى والمعرفة خطابى والوقفه حضرتى).
قلت : معناه إن العلم خطاب بلسان الغير، والغير حجاب على هو، وأما المعرفة فهى خطاب بلسان الحق، فهى خطابه تعالى، وأما الوقفة فهى حضرته والحق لا يحضره سواه بإجماعهم، فليس معه غيره فهى حضرته، وحده.
قوله :

(وقال لى: الواقف لا يقبله الغيار ولا ترحزه المآرب).
قلت :

الغيار من التغير، وهو لا يقبل الواقف، وذلك لأن صفة الواقف (الديمومة) وهى مناقضة للغيار، وهو أيضا لا ترحزه المآرب وهى الأغراض، وذلك أنه ما وصل إلى الوقفة حتى فارق كل الحظوظ.

قوله :

(وقال لي حكومة الواقف صمته، وحكومة العارف نطقه، وحكومة العالم علمه).

قلت :

الحكومة هي ههنا: ما يحكم به على الشيء، فالمعنى إذن أن الذي يحكم به على الواقف صمته، وأن الذي يحكم به على العارف نطقه، وأن الذي يحكم به على العالم هو علمه. ثم ينبغي أن تعلم أن ليس الواقف صفته هي أن يصمت ولا ينطق، ليس كذلك، بل يصمت وينطق، وليس هو من حيث هو لاصامت ولا ناطق، ولكن المقصود بالصمت هنا هو : أنه لا يعارض أحداً في شيء (١/٥٠) ولا يجادله لأن كل قائل عنده معزور؛ لأنه يعلم مبالغ الموجودات، فيعمل على قوله (ذلك مبلغهم من العلم) فيصمت عن جواب كل ناطقه إقامة لعذره فيما قال بخلاف العارف، وعلامة العارف في نطقه هو أن يجيب عن المسئلة الواحدة بجوابين فأكثر متناقضين بحسب شخصيته مثلاً أو أكثر؛ وذلك لأنه يعين الحل سائل جواباً هو نصيبه اللائق به، فهو أبداً ينطق عن الله، وإذا صمت لم يصمت، وهو يلحظ غير جانب الله تعالى، وأما العالم فليس عنده إلا جواب واحد هو الراجح من مذهبه، وهو في حضرة الأغيار وقراره الأقدار.

قوله :

(وقال لي الوقفة وراء ما يقال والمعرفة منتهى ما يقال).

قلت :

إنما كانت المعرفة نهاية ما يقال؛ لأنها في حضرة الوصول إلى الله تعالى؛ فإليها ينتهي النطق، والذي تحتها هو مبدأ النطق وهو العلم، وأما الواقف فلا يحويه القول، ولا تأخذه العبارة، ولا ينطق إلا ويجد نطقه قد اشتمل على غلط لا يمكن الاحتراز منه، فهو وراء الليل والنهار، ووراء ما فيهما من الأقدار، أي فوق ذلك.

قوله :

(وقال لي: الوقفة تعرف كل فرق)

قلت :

معنى يعرف كل فرق أى يفنى معناه فى عيان المشاهد، وهو على وفق ما تقدم شرحه من معانى الوقفة ويعرف منه، معنى يعرف كل فرق أى يعرف منها معنويات الفروق، وهى الكثرة، فتوجد شئونا للواحد لا توجب له اختلافا فى ذاته، ويعرف منهما أيضا معنى يعرف الفرق، أى يوضح حقيقته فتنسبه إلى العدم فيبقى الواحد فى عيان المشاهد واحدا.

قوله :

(وقال لى قلب الواقف على يدى وقلب العارف على يد (٥٠/ب) المعرفة) قلت معناه راجع إلى ما تقدم، وهو أن قلب الواقف لا يتحرك ولا يسكن إلا بالتحريك المنسوب إلى جناب العزة، وهو فى الكل هكذا، لكن تخفيض قلب الواقف لكونه يرى ذلك ومن سواه لا يراه فيخاطب على قدر مقامه من مولاه، وأما قلب العارف فهو بين جاذبين : أحدهما السوى، والآخر الحق، وحزب الله هم الغالبون فيه.

قوله :

(وقال لى: العارف ذو قلب والواقف ذو رب).

قلت :

معناه أن نسبة كل عبد إلى من هو مقامه، فالعارف هو ذو قلب أى له معرفة بربه، وقلبه هو مابقى من رسمه، وأما الواقف فلم يبق له رسم فسمى قلبا، بل قد يعوض الحق تعالى وهو حسبته فإن قيل فكيف قيل فى التنزل الذى قبله أن قلب الواقف على يده فأثبت له قلبا وأنت هنا تنفى أن يكون له قلب إذ القلب رسم وليس للواقف رسم، فالجواب : إن معنى قوله قلب الواقف على يدى هو معنى التعوض المذكور، ولسنا نعى بالقلب القلب الصنوبرى الشكل وهو البضعة من اللحم التى تلى الجانب الأيسر من الإنسان، بل المقصود معانى الإدراك فمن كان المدرك منه هو شئ من مشاعره فهو ذو قلب ومن كان الحق سمعه وبصره وجميع مشاعره فهو موصوف بوصفين يرجعان إلى حقيقة واحدة، أحدهما أن يقال إن قلبه على يد ربه فمعناه التقريب على الأفهام واليد يد القدرة أو تقدير يليق بجلال الحضرة، وإما أن يكون حقيقة قلبه إذ ذاك هو ربه بتقدير يليق لجلاله ولا يعترف عن كماله، لولا غيرة الأغيار لما ظهرت العبادة وحدانية الأنوار.

قوله :

(وقال لى: عبر الواقف صفة الكون فما تحكم عليه)

قلت :

معناه أن الواقف لا يكلف عبادة العارف، وهى القلبية؛ لأنها لم تخلص من الكون (١/٥١) وهو السوى، ولا يكلف عبادة العالم وهى الجسمية؛ لأنها هى قرارة الكون أى السوى، فهذا معنى لا يحكم عليه، ومعنى عبوره صفة الكون أى شهد بفنائه بقاء الباقي الحق فهو حق فى حق من حق من غير حلول والاتحاد .

قوله :

(وقال لى: لا يقر الواقف على شئ ولا يقر العارف على فقد شئ)

قلت :

معناه ماتقدم، وهو أن الواقف لا يثبت فى عيانه شئ من الشينيات لمحوها فى عيانه ثبوت الحق وحده، وأما العارف فإنه لا يثبت لإدراك هذا الأمر؛ لأنه إنما مقامه إثبات عارف ومعروف، وأما سلب عارف ومعروف لظهور حقيقة (كان الله ولا شئ معه، وهو الآن على ما عليه كان) فهو أمر لا ينطبق سماعه فيقر عليه (أى يسكن) بل يقلق من سماعه ظهور أفعال أهله إلى أن تبدو عليه الوقفة، فحينئذ تتسلب فى عيانه الشينيات..

قوله :

(وقال لى: لا يقر الواقف على كون ولا يقر عنده كون)..

قلت :

معناه الأكوان أخص من الشينيات؛ وذلك لأن الأشياء تنال حتى على اسمائه تعالى وصفاته وأفعاله بطريق الأولوية وتنال على مادون ذلك، وأما الأكوان فلا تنال إلا على عالم الخلق فحسب، ويمتاز عن عالم الأمر، فالواقف إذن ليس عنده إلا عالم الأمر فحسب بطريق دخول عالم الخلق فى عيانه فى عالم الأمر بحقيقة قوله " ألا له الخلق والأمر " واللام فى له ليست للملك، بل كما يقول له حسن وجمال والمعنى الصفة.

قوله :

(وقال لى: كل شئ لى والذى لى من مالى الوقفة)..

قلت :

معناه مآظهر شئ غيرى فالباديات صفاتى وكلها (٥١/ب) تدعى
 فيوافق علم ذاتى من ادعى على دعواه؛ لأن لى حضرة غيرية أقررتها
 وجعلت العلم لسانها فهى الحقيقة لى ولكونى أقررتها للغير المعدوم فى علمى
 فكأنها ليست لى فالذى لى مما هولى هو الوقفة فإنى أجريتها على حكم ماهو
 الأمر لى نفسه فلا جرم حلت عن مقام المعرفة فضلا عن مقام العلم فنقطن
 لقوله : كل شئ لى يعنى فى الوقفة وغيرها، وهذا شاهد أن ليس معه غيره،
 فإن كل شئ لى هو من باب له حسن وله جمال لامن من باب له مال وله
 ثروة، وأما الوقفة فخصوص وصف فيما هو له حقيقة.
 قوله :

(وقال لى: الوقفة نار الكون والمعرفة نور الكون)

قلت :

معناه كما تقدم أن الوقفة تعنى اعتبار الكون فى عيان المشاهد، كما
 تنفى النار الحطب وتحيله إلى مايريده من أنارها الذاتية بخلاف المعرفة فإنها
 تنير الكون أى تنفى بعضه بنور إلهى يستتير مابقى منه بمجاورة نور مافنى،
 فلهذا المجموع استعار للوقفة نارا وللمعرفة نورا والجميع مجاز على عادة
 الكلام الفصيح.

قوله :

(وقال لى: الوقفة ترانى وحدى والمعرفة ترانى وتراها)

قلت :

معنى قوله الوقفة ترانى وحدى أى الواقف يرانى وحدى وإنما عدل
 عن ذكر الواقف وأقام مقامه الوقفة إشعارا بكمال فناء الواقف عن أنانيته
 فنسب النظر إلى مقامه والمراد هو، وأيضا فإن الرؤية هى بعين الحال
 لابعين الجارحة كما أن النطق بهذه المقامات هو بلسان الحال لا بلسان النطق
 فإن شهود الحق فى حضرة الوقفة هو أن يكون لاشئ معه، وأما المعرفة
 فهى مما لا يشهد الحق فيها وحده وإن كان (٥٢/أ) الأمر فى نفسه هو أن
 الحق وحده.

قوله :

(وقال لى: الوقفة وقفة، الوقفة معرفة، المعرفة علم، المعرفة معرفة،

العلم لامعرفة ولاوقفة) ..

قلت : هذا التنزل الشريف من أحسن مامر من المعجزات ومن أحسن ما أعجز من التنزلات وفيه جماع الوقفة، وشرحه يتوقف على توطئة وهى أن كل مقام وقلة اعتباران : أحدهما هو جانب الحق وهو مايفنى النور من الغيريات وتتبدل فيه الصفة الخلقية بالصفة الحقية، وذلك الجانب هو الوجه الخاص، والاعتبار الثانى هو مايبقى من الرسم فى ذلك المقام بحيث يتميز به ذلك المقام عن غيره من المقامات، وذلك هو رسم باق من الغيرية، غير أنها هى من ضرورة ثبوت المقام لئلا يدخل فى المقام المحيط به فنذهب حقيقة من عيان المشاهد له وأعنى بالمشاهد هنا من هو فوق هذا المقام لامن هو فيه، والوجه الأول هو المشار إليه فى هذا التنزل، فالحظه تجده إن شاء الله وذلك هو قوله الوقفة هى وقفة الوقفة ومعناه أن المعتبر فى شهود الوقفة هو جانب الوجه الخاص الذى معناه سلب الأغيار بالكلية حتى رسم مقام الوقفة نفسه، فإنه بذهاب رسم مقام الوقفة نفسه يصير الشهود هو فى مقام وقفة الوقفة فإذا ن قوله الوقفة وقفة الوقفة أى الوقفة المعتبرة هى وقفة الوقفة التى هى اعتبار فناء الرسوم بالجملة حتى رسم الوقفة، ثم قال إنها أيضا معرفة المعرفة؛ وذلك لأن الوقفة تشرف على مقام المعرفة فترى مبلغ المعرفة فتعرفه من الوجه الخاص فيه على ما ذكرت من أن كل مقام فيه وجه خاص هو جانب الحق تعالى منه، فإذا تحققه الواقف فإنما يتحققه من مقام وقفة الوقفة، وهو جانب الأغير بالكلية، وذلك التحقق هو معرفة (٥٢/ب) المعرفة الخاصة، وذلك هو من مقام الوقفة الخاصة، وهى وقفة الوقفة فصارت إذن وقفة الوقفة هى معرفة المعرفة فصح إذن أنها وقفة الوقفة معرفة المعرفة، ومعنى قوله علم المعرفة هو سر غريب حسن عجيب، وذلك أن الوقفة هى تظهر الغيرية فى مقام الغيرية تماما، فيشهد صاحبها وهو فى مقام وقفة الوقفة علم المعرفة، ويعنى بعلم المعرفة الغيرية التى فى مقام المعرفة؛ إذ مقام المعرفة كما علمت غير خال عن السوى بالكلية، فلما كانت وقفة الوقفة تكشف جانب الغيرية من مقام المعرفة كانت الوقفة الحقيقية، إذن هى هذا السياق الذى هو الوقفة : وقفة الوقفة، معرفة المعرفة، معرفة علم المعرفة؛ إذ معنى العلم هو جانب الغيرية، ومعنى قوله معرفة العلم هو أيضا عكس علم المعرفة؛ وذلك لأن علم المعرفة كما ذكرنا هو جانب الغيرية التى تخص المعرفة، فمعرفة العلم إذن هى جانب الوحدانية التى تخص المعرفة، فإذن

الواقف كما يرى علم المعرفة، فكذلك يرى عكسه وهو معرفة العلم، ويعنى بمعرفة العلم هو أن يرى الواقف المشار إليه أن الذى يدعى فى مقام المعرفة غيرا هو غير فى نفس الأمر فصار العلم الغيرى معرفة فى نظر الواقف، فإذا هو معرفة العلم؛ فيكون السياق ماذكر من أن الوقفة وقفة الوقفة معرفة المعرفة علم المعرفة معرفة العلم، ثم ختم ذلك بما هو الأمر فى نفسه وهو قوله لامعرفة ولاوقفة، وذلك أن من قام فى مقام وقفة الوقفة وشهد المراتب على ماهى عليه رأى الواحد الحق ليس معه غيره، ورأى الغيريات الثابتة فى مقام العلم هى أحواله وشئونه لأنه " كل يوم هو فى شأن " أى كل نفس هو فى شأن وحينئذ يذهب المقامات فى نظره لأنها هى والقائم بها (١/٥٣) فى عيانه ليست غيره فأين الوقفة ؟ وأين المعرفة ؟ وأين مادونهما ؟ ليس هناك شئ من الأغيار، فلاجرم كان حقيقة الوقفة بعد إثبات جميع مانقدم أن ينفى جميع مانقدم لفنائه فى شهود الواحد الحق، وهذا لسان لايعيه من فيه بقية رسم، غير أن المؤمن بهذه الطريق وبمعانى أهل التحقيق يشم طيب عرف الحق ويستطعم حلوة معنى الصدق ويسمع أنغام أوتار التحقيق بأسماع الباب أهل الإيمان والتصديق، كل ذلك من وراء حجاب رقيق فلا يجد فى استعداداه مايدفعه ولافى ذاته مايمنعه فيتحدى منتظرا من النور الأقدس ماعليه يتجلى إن شاء الله تعالى..

قوله :

(وقال لى : إخبارى للعارفين ووجهى للواقفين)

قلت :

ختم هذا الموقف بما يليق أن يختم به، وحقيقة ذلك أن يشعر من سمع هذه التتزلات أن من سمعها من حضرة العبارة فأما أن يكون فى حضرة غيبه فإنما يسمعها من مقام العالم، وذلك ليس هو خطاب الحق؛ لأن سامعه إذ ذاك يسكره فيفنى به، وأما أن يسمعه من مقام العارفين فإذا تلك أخبار الحق تعالى لأن العارف إنما يسمع بالحق ويعبر بالحق فهى أخباره تعالى، وأما أن يسمعها من مقام الوقفة فذلك ليس سماعا بل رؤية للحق بعين الحق فى حضرة حق وذلك هو وجهه.. فإذا من هذا التتزل يعلم حقيقة تلقى هذه التتزلات التى فى مقام الوقفة من أى حضرة هو، وهذا آخر ماذكر فى هذا الموقف الشريف، وهو كما قلنا مقام آخر السفر الأول من أسفار أربعة.

والشيخ النفري قدس الله أرواحنا به لم يذكر شيئا من أحكام السفر الثانى ولا الثالث ولا الرابع، وسأذكر نبذة من الإشارة إلى تلك الأسفار : أما السفر الأول وهو الذى فيه (٥٣/ب) يصرف كلام المواقف، فأوله الحجاب، وهو حضرة العلم، وليس سير العابدين أهل العمل بمقتضى العلم النافع ممن ينسب إليه أنه ساير فى هذا السفر الأول، بل أول السفر الأول هو مقام المعرفة من أول مايتبدى السالك فى مقامها ويطلق عليه اسم عارف، فأما العباد فهم عوام ليسوا من العارفين، والعارفون هم الخواص، وأما الواقفون فهم خواص الخواص، أما من فوق مقام الوقفة فأولئك هم قوم فى درجات الأكمليات بعد حصول حقيقة الكمال؛ لأن الوقفة هى الكمال، والذى فوقها هو درجات الأكمليات، فيتحقق إذن أن أول السفر الأول المعرفة وآخره وقفة الوقفة التى هى الوقفة الكاملة.

وأما بداية السفر الثانى فهى فى أول صفة من مقام البقاء بعد الفناء، إذ كان مقام الوقفة هو نهاية الفناء فمبتداء السفر الثانى هو أول دقيقة من مقام البقاء بعد الفناء كما قلنا، والسالك فى هذا المقام سالك فى الحق بالحق إلى الحق، وهو إذ ذاك حق عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله، ثم لايزال هذا السالك يسير هذا النوع من السير إلى أن يصل إلى مقام القطبية، وهو مقام الإنسانية الحقيقية، فيتمركز لمحيط وجود المقامات بأسرها، وتصير رتبته حاكمة، وكل المقامات فى أسرها، ومعنى كون المقامات تصير محيطا لمركز هو مقامه أن المبالغ والغايات من ساير الأناس والخواص من الموجودات، بل والعوام الجهال فى ساير الأطوار النازلات يصير قرب كل مرتبة إنسان منهم قربها من مقامه كقرب أخرى بعدت أو قربت، فإن المقامات تستدير حول مقامه فيكون القرب والبعد^(٤٣) فيها بالنسبة إلى هذا القطب واحدا وإذا حصل هذا المقام الإنسان كان (٥٤/أ) العلم والمعرفة والوقفة كلها جداول من بحر يمدبها من شاء من أهله ويستحق حينئذ المقام المحمود، لست أعنى به الذى وعد به الرسول عليه السلام، فإن ذلك أعلى من هذا المقام، إذ هو فى السفر الرابع ونحن الآن فى ذكر السفر الثانى، بل المقام المحمود هنا هو أن يستحق أن يكون هاديا إلى الله بإذنه (والهاء فى بإذنه عائدة إليه نفسه) فافهم. وهذا المشار إليه قد كان قبل أن يسد باب الرسالة يستحق أن يكون رسولا، وأما فى زماننا هذا فيستحق أن يكون شيخا مربيا وبركة لمن دعاه. ولايزال

لما، وذلك لإحاطته باستعدادات الموجودات فيصير كالحادي يحدو بكل أحد إلى وطنه، ولا يستحق ذلك غير من قام في هذا المقام، وأما مشايخنا في هذا الوقت فهم بركة للعوام، وهم منهم في حقيقة ما هم فيه، إلا أنهم أقرب في مقام الإسلام فافهم.

وأما السفر الثالث : فهو لهذا الكامل المذكور، وهو أن يتوجه إلى الخلق إما بالرسالة كما تقدم وإما بالمشيخة فيتجلى لطالبي الخلاص من أطوارهم وعلى أقدارهم، فيكون للعابد عالما، وللمشاهد الجزوى (الجزئي) عارفا وللعارف واقفا، وللواقف قطبا، فهو أفق كل أحد وفوق سماء كل طالب، وأما نصيب من هو تحت مقام العابدين من العوام، فذلك لا يكون إلا بأحد حالتين : إما بأن يكون واحدا من ملوك الأرض من يستضيء براهه فيشتر بخير واصل إلى الرعية خصوصا إن كان الملك فيه أهلية وإما أن يكون رجلا متوصلا إلى إصلاح الرعية بوجه أو بوجه يراها بحسب وقته وزمانه وحال العامة (٥٤/ب) والبلد الذي معه، وبحسب ما يجد منهم من القبول منه والإقبال عليه لا غير وليس الكلام في هؤلاء العوام، بل فيمن هو إما من العابدين كما تقدم وإما ممن هو فوقهم على ما شرح، فهذا هو السفر الثالث.

وأما السفر الرابع : فأكثره ما يكون عند الموت الطبيعي، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم عند موته " اخترت الرفيق الأعلى فإنه يسمع" وهو يقول الرفيق الأعلى، وفي هذا السفر وقعت أبياتي التي هي :

إلى ذلك المغنى مآلى ومرجعى	وشركى الذى أدى إلى وحدتى معى
تصرفت فى ملكى بملكى فلم أدع	مكانة أوكان ولاوضع موضع
وأسرعت إسراع المشوق إلى الحمى	بساير أنواع الوجود المنوع
وقامت بذاتى معنوياتى التى	بقاى بها فى حال مرأى ومسمع
فإن ترى عينا بصيرة ناظر	إلى بعينى فهو عن منطقى يعى
وإن تقف الأفكار دونى فعذرها	تأخرها فى السير عن قصد ممنع
وما كل عين بالجمال قديرة	ولاكل من نودى يجيب إذا دعى
فقل للعيون الرمد للشمس أعين	سواك تراها فى مغيب ومطلع
وأعرض عن الجهال فى نيل جنسة	جناها الذى لم تجنه يد اقطع

وسامح نفوسا ماجلتها رياضة ولاقوبلت مرآتها بتطلع
ولم يجب داعى هداك فخله بحب فى العمى من جهله كل مدع
(٥٥/أ) وفى هذه الأبيات معانى السفر الرابع إذا تأملته (تأمله) من هو منور
القلب بالحق مؤيد من الله تعالى بالإيمان والصدق، لكن على قدر مقامه
وتناوله ماتيسر من إلهامه إن شاء الله تعالى.

٩- موقف الأدب :-

قوله :

(أوقفنى فى الأدب وقال لى)

قلت :

هذا الموقف المراد منه، وإن اختلفت التنزيلات فيه، الإشارة إلى
ما ينبغي أن يعتمد السالك سواء كان سلوكه إلى الله، أو بالله، أو من الله،
وسيطر ذلك إن شاء الله تعالى فى أثناء الشرح، فإذا سلك الطالب فى هذه
المسالك بالأدب المستفاد من هذا الموقف فقد اهتدى.

قوله :

(طلبك منى وأنت لاترانى عبادة، وطلبك منى وأنت ترانى استهزاء)

قلت :

معناه أن الدعاء بالنسبة إلى الداعى إما أن يكون ممن هو فى مقام
العمل الصالح بمقتضى العلم النافع، وإما أن يكون فوق ذلك، فإن كان الأول
فنصيبه من الأدب مع الله أن يسأله ويدعوه ويطلب منه جميع حوائجه، وذلك
منه عبادة؛ لأنه لا يرى ربه تبارك وتعالى، وهذا هو أدب السالكين إلى الله
تعالى، وهم أهل العمل بالعلم بشرط أن يكون هو العلم المصادف للحكم،
فليس إذن كل عباد هذه الطائفة هم المقصودون بهذا الخطاب فى التنزل، بل
خواص العباد، وهم عوام بالنسبة إلى من فوقهم، وإن كان الثانى فهو إما من
الطائفة الذين يسلكون بالله أو ممن فوقهم، فإن كان الأول فنصيب هؤلاء من
الأدب بالنسبة إلى المسألة أن يكونوا مع ماتعنه لهم أحوالهم من غير تعمل،
وهؤلاء وإن كانوا محجوبين باعتبار ما (٥٥/ب) بقى من رسومهم، فإن ذلك
يقتضى لهم أن يطلبوا من الله تعالى إلا أن الغالب عليهم الاشتغال بالله عن
الطلب منه، وفى هذا المقام قيل لأبى^(٤) يزيد : ما تريد ؟ فقال : أريد أن

لأأريد، ومع هذا لو طلبوا لعذروا، لكن ذلك نقص في حقهم، إلا أنهم لا يؤخذون به لما بقى فيهم من نصيب الذين قبلهم وهم أهل العمل بالعلم، وإن كان الثانى وهم الذين فوق هذا المقام، وهذا المقام مقام المعرفة فيكون القوم الذين فوقه هم أهل مقام الوقفة، وهؤلاء هم الواقفون وليس هؤلاء بسالكين، لكن لهم سلوك باعتبار أن يقوم عنهم فى السلوك وصف مغن لهم، وهم السالكون فى الله بهذا الاعتبار، ونصيب هؤلاء وبعض من دونهم من مقام المعرفة من الطلب من الله تعالى أن لا يطلبوا منه شيئا؛ فإن الطلب منهم استهزاء، وإليهم الإشارة فى التنزل، وإنما كان الطلب من الله استهزاء فى حقهم من جهة أنهم إذا رأوه تعالى فهم يجدونه قد أعطى كل شئ خلقه ثم هداه حتى استوفى حقه، فلا يجدون الطلب منه إلا استهزاء، وحاشا هؤلاء أن يقع منهم استهزاء، بل المراد المجاز، ووجه المجاز أن يكون فعلهم يشبه فعل المستهزىء؛ لأن فاعل ما لا يرى فعله محصلا له نفعاً يقال له مستهزىء، وإن لم نقصد به الاستهزاء، وما بعده معلوم فلا يحتاج إلى شرح.

قوله :

(وقال لى: إذا بلوتك فانظر بما علقك، فإن كان بالسوى فاشك إلى، وإن كان بى أنا فقد قرت بك الدار)

قلت :

هذا أيضا نوع آخر من الأدب المحتاج إليه، وهو إذا حقق لم يكذ المستعد يحتاج معه إلى شيخ مسلك، وهو أن العبد السالك سواء كان (أ/٥٦) محجوبا أو عارفا (والمحجوب من هو فى مقام العلم أو فى مقام المعرفة) فإن المكاتب عبد ما بقى عليه رسم، وأعنى بالمكاتب العارف، وإن لم يكن محجوبا باعتبار ما فإنه ينبغى أن ينظر إلى قلبه حين يبتلى بالتعلق، فإن وجد تعلقه بالسوى فهو مرض وخروج عن السلوك، ودواء ذلك المرض أن يشكو إلى الله تعالى من ذلك المرض، فإن فى الشكوى إليه تعالى ينفصل عما تعلق به واستغفر من ذنبه، فكأنه قد فارق التعلق به أو كاد يفارقه، وهذا هو أدب من هذه حاله، وليس الطريق إلى الله تعالى إلا بالعلم والأدب فى العمل بمقتضاها، وأما إن وجد قلبه متعلقا به تعالى فقد مرت به الدار : أى أنه قد وجد الباب الذى فيه يجد الفتح، وهنا وقفة جليلة، وهى فى مضمون قوله وإن كان بى أنا وهو تأكيد الضمير بلفظة أنا، والمعنى فى ذلك أن قوله وإن

كان بى يقتضى احتمال أن يكون التعلق به مجازا مثلا : مثل أن يطلب معرفته أو الزلفى عنده أو يكون من خواصه أو مطلبا شريفا يتعلق به، فهذه الاعتبارات قد تدخل فى مضمون قوله وإن كان بى؛ إذ لها تعلق به من وجه ما، فلما أكد الضمير بقوله (أنا) خرج اللفظ عن احتمال مرتبة ما من هذه المراتب أو غيرها مما يناسبها، ولم يبق إلا أن يكون متعلقا بالحق تعلقا ذاتيا لا لشيء غير ذاته تعالى، فهذا الطالب الأخير هو المخاطب بقوله فقد قرت بك الدار بخلاف من سلف ذكره.

قوله :

(وقال لى إذا رأيتنى فى بلانى فاعرف حدك الذى أنت به ولا تغب فيه عن رؤيتى فإن (٥٦/ب) كان نعيما فأنعم وإن رأيتك بؤسا فلا تنعم)

قلت :

هذا التنزل من أشرف تنزلات الهداية وأعظم ما يحتاج إليه أهل التوسط والبداية، فتأمل معناه أيها السيد إن رمت السلوك، الله تعالى يعصمك فيه من الشكوك : أما قوله إذا رأيتنى فى بلانى، فالبلاء هنا هو ما يتعلق به القلب، فإن به يقع الاختبار، والبلاء هو الاختبار، فمعناه أنك إذا كنت ممن لا يقطع التعلق بالسوى عن ملاحظة الحق تعالى إما إيمانا من مقام الإحسان، وإما عيانا من مقام محو بعض الأكوان، فإن الأدب فى حقاك أن تعرف حدك الذى أنت به، والمراد بالحد هنا أن يعلم أين مقامه من السلوك، وهو حيث بلغ من طريقه ووصاه تعالى فى مقامه ذلك أن لا يغيب فيه عن ملاحظته له تعالى على قدر مقامه من مقام الإحسان الذى هو " أن تعبد الله كأنك تراه " إيمانا، وإما من مقام تجل جزوى عيانا، فمضمون الوصية إذن الأمر بالحضور مع الله تعالى حسب الطاقة، وفى الحضور المذكور مراتب يظهر الآن بعضها فى تضاعيف الكلام، ومعنى قوله : فإن كان نعيما فأنعم : أى إن كنت ممن رأى الحق تعالى من عالم الجمال فإنك ترى ما علقك به الحق تعالى نعيما، وعلامة بعض صفات ذلك أن يرى التلذذ بجميع الملذذات إنما هو تلذذ بالحق تبارك وتعالى إما من حيث قيوميته الذى بها قامت تلك الأشياء الملذذة، وإما من حيث ظهور اسمه الجميل تبارك وتعالى فيها، وإما من حيث لافاعل إلا الله تعالى عند تصرفه فيها أى يرى ذلك عيانا، فهذه الأشياء وأشباهاها مما لا ينحصر كثرة : كالتعرف فى الدنيا، ومخالطة أهلها

بالبسط الذى لا يخرج عن الحد المشروع هى مما يراه هذا السالك (أ/٥٧) المخصوص نعيما، حيث لم يغيب فيها عن ملاحظة جناب العزة سبحانه وتعالى، وأما إن كنت ممن يراه بؤسا، أعنى هذه الأشياء التى تعلق بها، والبؤس هو ضد النعيم، فإن الأدب أن لا تنعم كما أن الأدب بالنسبة إلى من ذكر قبل هو أنه ينعم، ومن هذه الحقيقة انبسط من انبسط من أهل الله تعالى، وأنا لم ألحق منهم أحدا ظاهرا غير الشيخ على الحريرى من قرية بسر بلد زرع من أرض حوران، وأما أهل المقام الثانى وهم أهل تجلى الجلال، فرأيت منهم جماعة بعضهم أهل مقام العلم (كالشيخ القبارى من مدينة الإسكندرية، وكالشيخ الخزرجى المغربى (مات بمصر) أنعم الله عليه، وبعضهم أهل مقام معرفة، فالقوم اجتمعت بهم فى أوقات متفرقة وبلاد متغايرة غير معروفين عند الناس فإنهم لغلبة عالم الجلال عليهم انقطعوا عن العالم، وفى هذا التنزل دقيقة رقيقة وهى فى مضمون لفظ التنزل، وهى قوله (فإن كان نعيما فانعم) ثم قال فى ضده (وإن رأيته بؤسا فلا تنعم) فقال فى النعيم فإن كان وقال فى البؤس وإن رأيته وذلك يقتضى أن المقام المحقق من هذين المقامين هو ما يقتضى النعيم؛ ولذلك خصه بالكون فى قوله فإن كان نعيما، ولم يثبت الكون فى جانب البؤس، بل قال وإن رأيته بؤسا، فلم يعطه الكون، بل أعطاه رؤية السالك، ورؤية السالك قد لاتوافق الصواب، فدل ذلك على أن البؤس يصحبه الوهم وهو الموجب لأن يراه السالك بؤسا للحجب الغالبة عليه، ولكن الأدب فى حقه هو أن لا ينعم، وإن كان النعيم صوابا فى حق أهل تجلى الجمال كما تقدم، وهو أدبهم الخاص بهم.. فتأمل ذلك.

وجماع هذا الأدب أن تعلم أن كل ما جمعك (ب/٥٧) على الله فهو حق، وكل ما فرقك عنه فهو الباطل، ولا يلتفت إلى من يقول كيف نعرف الحق من الباطل، ولعل الذى نظنه أنه قد جمعنا على الحق هو مفرق لنا عنه، ويكون مقصوده بذلك أن يجعل العلم هو دليله، ويعرض عن الوجد وما يقتضيه من الشوق (الشرف) و(المجد)، وهذا هو، والله، الذى قطع طائفة كثيرة من طلب الحق تبارك وتعالى فاحذر.

قوله :

(وقال لى : رأس المعرفة حفظ حالك التى لاتقسمك)..

قلت :

هذا أيضا أدب ووصية مضمونها ماسبق من حفظ مايجمعك على الله تعالى، وذلك في التنزل هو قوله حفظ حالك الذي لايقف به عن السلوك، ويعنى بالمعرفة هنا معرفة الأدب، وإن كان مايجوز أيضا أن يراد به المعرفة إن كان صاحب الحال المشار إليها هو في مقام المعرفة، والرواية الصحيحة في هذا التنزل هي حفظ حالك التي لاتقسمك، والمعنى لم يختلف فيهما فإنه إن تقسم خاطر السالك فهو وقوف منه عن السير فيرجع ماكان عليه المعنى الأول.

قوله :

(وقال لى : إن راعيت شيئا من أجله أو من أجلك فما هو من المعرفة ولا أنت من المعرفة)

قلت :

معناه : إن نظر القلب إلى مراعاة الشيء إن كان من أجل الشيء في نفسه فالشيئية هي جانب الخلق وهو السوى وفيه يكون الوقوف عن السير والحجاب عن الخير، ولذلك قال فما هو من المعرفة إذ المعرفة إنما هي التعلق بجانب الحق تعالى، وبهذا القدر تفارق العلم، فإن العلم هو التعلق بالسوى، ومعنى قوله ولا أنت من المعرفة الإشارة إلى أن القلب المتعلق بالمراعاة لشيء من أجل القلب نفسه وحظه هو أيضا باق مع الغيرية، وهو جانب الخلق كما ذكرنا.

فصاحب هذا القلب (أ/٥٨) ليس هو من المعرفة في شيء في نفس هذا التعلق، والمراعاة وإن كان قد يجوز في حق العارف أن يتعلق تارة بالحق لما وصل إليه من شهوده تعالى، ويجوز أن يتعلق بالخلق لمافيه من رسمه الذي لم يفن بعد؛ إذ هو عارف والعارف هو الذي فنى بعض رسومه وبقي بعضها، فهو بما فنى منه يعد من الخواص، وهو بما بقى منه يعد من العوام، وجانب المعرفة منه هي جانب الحق لاجانب الخلق.

قوله :

(وقال لى: كل ماجمعك على المعرفة فهو من المعرفة)

قلت :

فى هذا التتزل إرشاد إلى موقع الأدب المطلوب للعارفين خاصة، وهو ينهائ عن التعلق بسواء تعالى، والمعرفة من جملة السوى فأخبره أن كل ماهو يصنفك إلى المعرفة فهو منها لامن المعروف الحق تعالى؛ فاحذر ذلك الجامع..

قوله :

(وقال لى: إن انتسبت فانت لما انتسبت إليه لا لى وإن كنت لسبب فانت للسبب لا لى)

قلت :

هذا أدب ظاهر الحكم؛ إذ قد تحققت أن التعلق بسوى الحق تعالى خذلان فالمحجة أن لا يكون لنسب أصلا حتى ولا إليه فإن ذلك نسب ما، وسيوضح ذلك فى تضاعيف القول، وكذلك لا يكون لسبب أى لا ترى أن السبب يوصلك إليه تعالى، والمقصود أن تفرغ ممن سواه، فإنك بذلك بل عند ذلك تمتلىء به لا بسبب الفراغ بل عنده هكذا أجرى سنته.

قوله :

(وقال لى: خل المعرفة وراء ظهرك تخرج من النسب، ودم لى فى الوقفة تخرج من السبب).

قلت :

إنما صاحب تجلى المعرفة إذا نازل مقام الوقفة وليس ذلك إليه فإنه يفارق النسب وهو فى هذا التتزل لم يرد أن يشعر أن الأسباب محصورة فى المعرفة بل أصل السبب أن يكون فى العلم، لكن يبقى منه بقية فى مقام (٥٨/ب) المعرفة، فمن فارق المعرفة وجعلها وراء ظهره فارق السبب بالكلية.

قوله :

(وقال لى: إن طلبت من سواى فادفن معرفتك فى قبر أنكر المنكرين)

قلت :

هذا الأدب يختص بأهل المعرفة، وقد بينا أن مقام المعرفة فيه اعتبار السوى واعتبار الحقيقة ففیه السوى بالجملة، وحينئذ يتعين خطاب صاحبه

بمثل هذا التنزل، وهو أن صاحب هذا المقام إن كان ممن يغلب عليه باطل هذا المقام على حقه حتى يفضى الأمر به إلى أن يطلب من غير الحق فهذا وإن كان في مقام المعرفة إلا أنه يحق له أن يدفن معرفته في قبر أنكر المنكرين أى قبر جسمه ومعارفه مدفونة وهو بمنزلة أنكر المنكرين، وذلك حيث كان استعداداه قد تفهقر به بعد العرفان إلى أن تعرض إلى الطلب من السوى وهو نهاية النقصان، وهذا التنزل على حكم الاستعارة، فافطن لهذه الآداب، وأعرض فيها عن الأسباب، وتعرض لنفحات مواهب الوهاب.

قوله :

(وقال لى: إن جمعت بين السوى والمعرفة محوت المعرفة وأثبت السوى وطالبك بمفارقتك ولن تفارق ما أثبتته أبدا) ..

قلت :

هذا التنزل فيه تصنيف لمن هو موصوف بهذه الصفة المذكورة آنفا وهو الذى قلنا يكون عارفا ثم يطلب من السوى فهذا هو بعينه الذى جمع بين السوى والمعرفة وأخطأ الأدب، فذكرت فى هذا التنزل عقوبته وهى أن تمحو المعرفة وتثبت السوى، وهو فى نفس الأمر مطالب بمفارقة السوى إذ هى من شروط طريقه فأخبره أنه لن يستطيع مفارقة ما أثبتته وينبغى أن يعلم أن محوه للمعرفة وإثباته (١/٥٩) للسوى ليس هو بالجعل ولا عن قصد أن يكون عقوبة، بل الحقيقة تقتضى لذاتها أن تتمحى المعرفة المجاورة للسوى، وعلامة صحة ذلك قوله عليه الصلاة والسلام " إن الله تعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه غيرى فهو للشريك لالى".

هذا معنى الحديث، فإذا ثبت السوى مع المعرفة هو بعينه ثبت السوى وحده وهما حقيقتان لا تجتمعان من جهة واحدة، وإنما صاحب هذه الدركة (الدرجة) يتوهم جمعهما فيتحقق (فتتحقق) له العقوبة المذكورة عنهما تحققا ذاتيا ..

قوله :

(وقال لى: المعرفة لسان الفردانية، إذا نطق محا ماسواه، وإذا صمت محا ماتعرف) ..

قلت :

هذا التنزل يجب على من نظر فيه أن لايتوهم أن المعرفة لسانها الفردانية من حيث جملة مقامها فإن ذلك ليس كذلك، بل الفردانية إنما هي لسان الوقفة التي تفوق مقام المعرفة، لكن المراد هنا أن المعرفة هي لسان الفردانية بوجه جزؤى (جزئى)، وذلك أن شهود الأسماء على التدرج هو من مقام المعرفة، ومع هذا فلا بد للعارف من بقايا رسم بها ينحط عن درجة الواقف، فإذن الفردانية المشار إليها هنا فردانية جزئية فيما يخص المظهر أو المجلى والاسم الذى فيه وقع الشهود فذلك الجانب هو لسان فردانية ما، وهو الذى إذا نطق أى ظهر محاسنوا (يعنى فى مرتبته لافى كل مرتبة) وإذا صمت (أى ظهرت صمدانية مقامه) محاسنوا اعتبار المعارف لما فيها من الثبوتية. والمراد استعمال الأدب فى الانقياد إلى مايدعوك من لسان الفردانية.

قوله :

(وقال لى: أنت ابن الحال التى تأكل فيها طعامك (٥٩/ب) وتشرب فيها شرابك)

قلت :

معناه أن يعلم العارف الذى له أحوال أن أحواله تحول وأن الأدب الذى يجب على صاحب الحال أن لايعتمد على الأحوال الواردة عليه بل إنما يعتمد على ما هو مقام ثابت وذلك بأن يشهد مثلاً مشهداً ويلبس ما يخص ذلك المشهد من الأحوال ثم يجد تلك الأحوال ترخص له مثلاً إن كانت من عالم الجمال أو تشدد عليه إن كانت من عالم الجلال، ويجد تلك المواجهات ثابتة لا تتغير عندما يشتغل بالبشريات مثل أن يأكل أو يشرب أو ينكح أو غير ذلك، فإن وجد تلك الأحوال فهو إذن صاحب مقام ويستحق العمل بمقتضى تلك المواجهات، وأما إن وجد تلك الأحوال حائلة، وتلك المواجهات زائلة، فإن الأدب الواجب عليه أن يعمل بمقتضى العلم الحجابى ولايفارقة إلا إلى مقام ثابت، وأنه لايزال مع الأوراد إلا بمقامات صحيحة ينتقل إلى أعمال أخرى، وبالجمله: فلا يعتمد على الأحوال، بل على المقامات. فهذا هو أدب هذا التنزل.

قوله :

(وقال لى: آليت لا أقبلك وأنت ذو سبب أو نسب)

قلت :

هذا التنزل فيه تغليظ على من يتعلق بالأعمال ويعرض عن الأحوال، وقد علمت وصيته إلى أن الأحوال هي التي يجب أن لا يعرض عنها إلى الأعمال وأنها الأحوال الثابتة التي يأكل فيها طعامه ويشرب فيها شرابه لاتحبه البشرية مابه عن مشاهدتها ومنازلاتها، وفي هذا التنزل إعلام أن الحقيقة لا يتوصل إليها بسبب صالحا كان أو غير صالح.

١٠- موقف العزاء :

قوله :

(أوقفني في العزاء وقال لي: وقت نعمة الدوام في الجزاء بأيام الفناء في العمل)
قلت :

معنى العزاء هنا هو العوض عن (١/٦٠) الفايث (عمافات)، فتأمل هذا المعنى في جميع هذا الموقف تجد التنزلات التي فيه ناطقة به، فمنها معنى هذا التنزل الخاص وهو قوله "وقت نعمة الدوام في الجزاء" وشرح ذلك أن العامل إذا عمل صالحا مثلاً فإن رأى أنه عامل فإنه ليس بفان فلا يستحق دوام الجزاء ولا نعمة الجزاء، وإن كان فانياً في عمله فهو المستحق لنعمة الدوام في المجازات.

وحقيقة الفناء المشار إليه يظهر بحسب حال صاحب العمل: فإن كان صاحب هذا الفناء هو من أهل العمل بالعلم النافع وهو العمل الصالح فهو من عوام هذه الطريقة، فالفناء اللائق به إذ ذاك هو عدم الالتفات إلى عمله الصالح وغير معتد به ولا معول عليه ولا معتقد أنه ينفعه، بل يقوم له توكله وتفويضه وتسليمه مقام الاعتداد بعمله أن لو يقع الأضداد فكيف وقد ضره ذلك، وإن كان هذا العامل من طبقة فوق هذه الطبقة بأن كان مثلاً من أهل المعرفة وهم الذين أفنت التجليات الإلهية بعض رسومهم فقناؤه في العمل هو أن يشهد الفاعل الحق في كل عمل من أعماله، وهذا العامل الذي هذه صفته هو الذي يستحق نعمة الدوام في العمل؛ لأنه يشهد العامل من هو؛ فلا يرى لنفسه استحقاق مجازاة؛ فهذا هو صاحب نعيم الدوام في المجازات. فكأن مضمون التنزل هو أن يحدث السالك على أن يشتغل بملاحظة الحق تعالى عن العمل،

وإن كان عاملا هذا للناقص وملاحظته لنقصانه بشهود الفاعل الحق عن فعل نفسه فهو إرشاد.

وأما تفسير مافى هذا التنزل من وجه العزاء الذى هو التعوض عن الفايته، فهو ما يذكر إما بالنسبة إلى الناقص المذكور وهو المحبوب فهو أن (٦٠/ب) يعظم له الجزاء عندما يفنى بالتوكل أو التسليم أو التقويض عن اعتبار العمل، فهؤلاء يعظم لهم دوام النعيم فى الجزاء بما يجدونه من حلاوات حصول هذه المقامات التى هى التوكل والتسليم والتقويض، وهى أحوال سنية ومقامات عليية يتحققون عند ذوقها أنه حصل لهم من المجازاة مالم يحصل للقوم الذين هم يعدون الأعمال الصالحة ويتحجبون بكثرتها وأنها ناجحة، فإذن تاريخ النعيم الدوامى لهؤلاء هو أيام الفناء الخاص فى العمل، وهذا التقويض عزاء.. فافهم.

وأما من فوقهم فعزائهم بأن يجدوا من العوض ما هو أعلى من عوض من ذكر، فإن فناءهم كان بالحق تعالى وبتجليه النورى، فيجدون من حلاوة أحوال المواجيد ولذا ذات مطالعات الخباب القدسى ما يستصغرون معه كل مجازاة، فإذن تاريخ نعمة الدوام لهؤلاء هى تلك الأيام التى هى أيام الفناء فى العمل، فالحظ مافى هذا اللفظ من هذا التنزل من الحلاوة، وما على فصاحته من الطلاوة، ولتعلم أن الحال فى السلوك هو هذا فاعمل بموجبه، فإنه يوصل كل سالك إلى سنى مطلبه ولا يعدل عن مذهبه، وقد بمنصبه تسعد وهذا هو عزائهم.

قوله :

(وقال لى: إن قلت لك أنا فانتظرت أخبارى فلست من أهلى)

قلت :

اعلم أن خطاب الحق لأوليائه إنما هو تجلى (تجل) لا بالحروف والصوت، ولى فى هذا المعنى أبيات وهى :

إذا وافا خطابك عن تجل	بلا مثل ولا صوت وحرف
فذاك الحق لا ما جاء نطقا	على قانون عادات وعرف
فإن قال امرء فخطاب موسى	فقل لا كيف فيه وذاك يكفى (٦١/أ)

وهذا التنزل هو ناطق بمضمون ما ذكرناه، وبيانه أن معنى قوله (إذا قلت لك أنا) أى إذا حصل لك تجلى (تجل) منى ذاتية مشاهدة، فهذا هو المراد، وأما بقية التنزل فيشهد بذلك، وقوله (فانتظرت أخبارى) أى النطق بالصوت والحرف، فلست من أهلى، فدل على أن أهله هم الذين لهم الشهود الذاتى الذين لاتعلق لهم بالحروف والأصوات، فإن قال قائل فهل للحروف والأصوات حضرة نسمع منها، فالجواب نعم، وهى عالم الشهادة بالشروط التامة، ووجه كون هذا التنزل من مقام العزاء، أن مشاهدته له عزاء عن النطق، وعن الحرف والصوت بالتجلى الذاتى، وفيه معنى آخر هو واقع محقق وهو أن يقال للعبد: أيها العبد إذا تعرفت إليك كشفا وتجليا فتركت إقبالك على ما تعرفت به إليك وجنحت إلى ما يقتضيه العلم الخبرى فأنت من أهل الحجاب لامن أهلى، فإن نصيب المحبوب هو الخبر، ونصيب أوليائه تعالى هو العيان والتجلى وهو المعبر عنه بقوله (إذا قلت لك أنا) وهذا هو العوض.

قوله :

(وقال لى: أنا الحليم وإن عظمت الذنوب وأنا الرقيب وإن خفيت

الهموم)

قلت :

هذا التنزل يشبه أن يكون فى طور العلم؛ فإنه فى تنزل سبق ذكر فيه ما مضمونه: اجعل ذنبك تحت رجليك واجعل حسنك تحت ذنبك. وهذا فيه تحريض على اعراض السالك عن الحسنه والسيئة لاشتغاله بالحق تعالى وفيه مطلوبه. ومعنى الحليم: المتجاوز عن ذنب المذنب، والرقيب هو الذى لاتأخذه الغفلة، فيخفى عنه ما يرقبه، والهموم هنا هى جمع هم، وهو ما يهم المرء أن يفعل وهو القصد بالقلب.

قوله :

(وقال لى: من (٦١/ب) رآنى صمد لى، ومن صمد لى لم يصلح

على المواقيت)

قلت :

معناه: من رأى صمدانيتى كان من جملة ماصمد، ولايعتبر فى معنى الصمد هنا أحد معينيه (معانيه) وهو المفسر بأنه الذى يصمد إليه الحوائج،

بل يفسر بالمعنى الثانى وهو أن الصمد الذى لاجوف له، والإشارة فيه هى موافقة لهذا المعنى الثانى؛ وذلك لأن الصمود بهذا المعنى هو شهود الوجدانية المطبقة التى لاتفاصيل فيها، ومن شهدها انفسد (أفسد) عليه طور العلم، وانفسد تبعا للعلم العمل، وذلك لغيبه عقله، فلم يعتبر المواقيت، بل إنما ينصلح حاله فى المقام الذى انتهى إليه فى عدم الالتفات إلى السوى بوجه من الوجوه، فلم يتأت منه العمل الصالح ولا العلم النافع فضلا عما سواهما.
قوله :

(قال لى: قد تعلم علم المعرفة وحقيقتك العلم فلست من المعرفة)

قلت :

هذا التنزل يحتاج كل أحد إليه ليعرف مراتب الناس، وفيه الفرقان بين المحق والمبطل ممن يدعى معرفة الحق تبارك وتعالى، وحقيقة ذلك أن تعلم أن من نقل التوحيد نقلا عن أهله أو عن كتب أهله وهم خلق كثير فهؤلاء هم الذين علموا علم المعرفة، إذ كل ماتوصل (ماوصل) إليهم فإنما وصل إليهم نقلا، ولا فرق فى حقيقة النقل بين من نقل أحكام المعرفة وبين من نقل أحكام العلم، فصاحب هذا النقل يتكلم فى المعرفة وحقيقته العلم (أى حقيقة مقامه هو مقام العلم) فليس هو إذن من المعرفة (أى من مقام المعرفة) وينبغى أن يعلم أن هؤلاء الموصوف حالهم لهم فى هذا المقام مراتب وكلهم يجمعهم المقام فمنهم من ينقل أحكام المعرفة من أهلها، أو من كتبهم وهو يحس بمقام المعرفة فى وجوده كأنه ينظر إلى مانقل من وراء حجاب رقيق (٦٢/أ) فيصدق بذلك تصديقا تاما (تاما) ولايقدر على جحود ما أدرك، وهؤلاء طوائف أعنى منهم المقل ومنهم المكثر، وعلى قدر الإحساس يكون التصديق بالمعرفة.

ومنهم من لا يحس بشئ من أحكام المعرفة أصلا، وهؤلاء هم أهل مقام العلم؛ لأن الكلام ليس هو فى الجهال وإنما هو فى أهل الإدراك، فإذن هؤلاء هم أهل العلم وهم أيضا على مراتب فمنهم من هو قريب من الإحساس وهؤلاء هم الذين يسكتون عن أهل المعرفة ولا ينكرون أحوالهم ولا يعترفون بها، وهؤلاء منهم القريب والأقرب.

وسكوتهم عن الإنكار على أهل المعرفة هو على قدر قربهم من الإحساس وبعدهم منه وإن جمعهم القرب من الإحساس لكن يتفاوتون فيه،

ومنهم من لا يقرب أن يحس بمقام المعرفة وهؤلاء هم أهل الإنكار على أهل المعرفة وهم أيضا متفاوتون في ذلك: فأشدهم إنكارا هو أشدهم بعدا من مقام المعرفة وعلى حقيقة مقادير البعد يكون مقادير الإنكار، وكل من عرف ماقالته حقيقة واعتبر حال العالم وجد ماقالته حقا، فإذن كلا هذين الفريقين ليسوا من أهل المعرفة.

قوله :

(وقال لى: قد تعلم علم الوقفة وحقيقتك المعرفة فلست من الوقفة)

قلت :

قد علمت ماقيل في شرح التنزل الذى قبل هذا التنزل في الفرق بين العلم والمعرفة فانقل ذلك البحث برمته إلى ههنا تعلم ما اشتمل عليه هذا التنزل، فإن قال قائل إن قولنا علم المعرفة هو أمر متوجه لأن المعرفة تلى مقام العلم فيوصف به منها ماتناوله النقل أما الوقفة فلا يليها العلم إذ بينه وبينها مقام المعرفة، فكان القياس أن يقول معرفة الوقفة في موضع قوله علم الوقفة، فالجواب: أن العارف والحالة هذه إنما تناول أحكام الوقفة نقلا، وحقيقة النقل حيث كانت (٦٢/ب) هي العلم؛ لأن العارف إنما تناول أحكام الوقفة صورا فقط، غاية ما في الباب أن صور أحكام الوقفة تكون سلبية مثل أن تعلم أن أحكام الوقفة مثلا هي أن ليس فيها واقف ولا علم ولا معرفة وأنها ليس كمثلها شيء، وأن كل ما يخل في بالك فالوقفة لاتشابه ذلك، وهذا هو نصيب ما ينقل نقلا عن مقام الوقفة. لكن العارف إذا نقل هذا النوع من النقل كان الناقلون فيه أيضا على مراتب شبيهة بتلك المراتب المذكورة في شرح التنزل الذى قبل هذا التنزل، وهو أنهم ينقسمون إلى طائفة تحس بصدق أحكام الوقفة لشغوف حجابهم عنها، وهؤلاء متفاوتون أيضا كما تقدم، وإلى طائفة لا يحسون وهؤلاء على مراتب كما تقدم فمنهم من يسكت عن الإنكار على الواقفين وهم أيضا متفاوتون، ومنهم من ينكر وهؤلاء المنكرون أيضا منهم شديد الإنكار، ومنهم دون ذلك على قدر أحوالهم في القرب والبعد.

فإذن كل هؤلاء ليسوا من الوقفة، وفي كل هذه التنزلات معنى التعويض عن الغايبة (الفائت)، وذلك التعويض في حق من ذكر في هذين التنزلين هو اكتفاؤهم بمقاماتهم عن المقام الذى نقلوا أحكامه وهم في الحقيقة دونه..

قوله :

(وقال لى: حقيقتك مالاتقارقه لاكل علم أنت مفارقه)

قلت :

بين هنا (أن) العلم قد يفارقه من هو مقامه؛ وذلك لأن العلم هو المستودع، وما هو المستقر، وأن المستقر (هنا) هو الوقفة، وأما المعرفة فهي متوسطة المقام بين الوقفة وبين العلم، فهي أبعد مفارقة من العلم، لكن هي أيضا مستودع؛ إذ ليس قرار دون الوقفة، وهو مضمون قوله تعالى (ألا إلى الله تصير الأمور) فإذن الوقفة هي حقيقة الواقع وليست المعرفة هي حقيقة العارف فضلا عن أن يكون العلم حقيقة العالم.

١١ - موقف معرفة المعارف (٤٥) :-

اعلم أن معرفة المعارف هي مقام لكنه دون مقام المعرفة، وذلك لأن المعرفة هي (٦٣/أ) معرفة الله تعالى من مراتب أسمانه وصفاته وأفعاله على التدرج، فنسبتها إلى الله تعالى، وأما معرفة المعارف فهي معرفة تلك المعرفة فنسبتها إلى صور معرفة الله تعالى لا إلى الله تعالى، فهي برزخ بين العلم الحجابي وبين معرفة الله تعالى.

ولذلك تعرض فيها لذكر صور العلم ولذكر صور المعارف فهي كيف كانت إنما تتعرف في عالم الصفات، وحقيقتها هو علم صور الأشياء، فهي علم في ماهيتها، وإنما سميت معرفة لأن فيها مع صور العلم صور المعرفة فأضيفت في اللقب إلى أشرف قسمي صورها وهو قسم صور المعرفة، فلاجرم أطلق عليها اسم المعرفة ولم يطلق عليها اسم العلم.

وتنزلت هذا الموقف يحتاج إلى معرفة شرحها العلماء والعارفون جميعا وفيه إرشاد كاف لأهل البداية في سلوك الطريق إلى الله تعالى، وفيه خلاص للعلماء من ظلمة عدم ظفرهم بالحكم، والحكم هو ما يلزم الأمر الذي يسميه أهل رياضة العقول وسطا؛ إذ هو الذي يقترن بقولك؛ لأنه حين تقول لأنه كذا. غير أن في الحكم المشار إليه هنا معنى هو به أخص من ذلك المسمى وسطا عندهم، وذلك المعنى هو كون هذا الحكم حقا في كل صورة من صور معرفة المعارف، وعلته أيضا يكون (تكون) حقا، وليس الأمر في

الوسط الذى يشيرون إليه هكذا، بل قد لا تكون العلة صحيحة فى أنها علة لذلك الحكم ولا توسطها صحيح، لكن توهموا أنه علة صحيحة وأن التوسط حق وإن كانوا لم يقصدوا به كونه باطلا، بل كونه حقا، لكنهم يخطئون فى الحكم، فإن الحكم الذى يعتبر فى معرفة المعارف هو أخص من الحكم المعروف بين أهل الصناعة المذكورة.

فلنعد الآن إلى شرح ما يشتمل عليه تنزلات هذا الموقف من الصور العرفانية والعلمية وبالله التوفيق (٦٣/ب).

قوله :

(أوقفنى فى معرفة المعارف وقال لى: هى الجهل الحقيقى من كل

شئ بى)

قلت :

فى لفظ هذا التنزل مجاز وهو تسمية معرفة المعارف جهل كل شئ بالله تعالى، وهى فى الحقيقة سبب الجهل الحقيقى، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وأعربه بإعرابه، وإنما كانت سبب الجهل لأنها صور العلوم وصور المعارف كما ذكرنا، والصور هى تعينات والتعينات عدمية فى النظر الحق، والعدميات لاتدل على الوجود، ولما كان الحق تعالى هو الوجود الصرف لم يدل عليه ما هو عدم صرف، وبهذا الاعتبار أيضا سمي معرفة المعارف جهلا حقيقيا - إذ من المعلوم أن الجهل الحقيقى هو عدم الصرف؛ ولذلك كان هو الجهل الصرف بالوجود الصرف.. فافهم.

وفى هذا التنزل سر لطيف وهو فى قوله (من كل شئ بى) مع العلم* وذلك بعض الأشياء لأكملها، لكن المراد شئ آخر به صح إطلاق الكلية وهو غامض فنظن له، وهو أن صور الأشياء من كونها عدمية هى منشأ الجهل بالحق تبارك وتعالى، فكأنه قال: صور الأشياء كلها هى تكون منشأ الجهل (٦٤/أ) لكل جاهل به تعالى، فالكلية المشار إليها إشارة إلى صور الأشياء كلها، فافهم ذلك، واعلم أن طريق حصول التجهيل والتغليب بها إنما هو من كونها تشير إلى عدم إشارات ذاتية لها لأنها عدمية.

قوله :

* بأن كل شئ لا يصلح بأن ينسب إليه الجهل إذ لا ينسب الجهل إلا لما يصح منه العلم.

(وقال لى: صفة ذلك فى رؤية قلبك وعقلك هو أن تشهد بسر كل ملك وملكوت وكل سماء وأرض وبر وبحر وليل ونهار ونبى وملك وعلم ومعرفة وكلمات وأسماء وكل ما فى ذلك وكل ما بين ذلك يقول ليس كمثله شئ، وترى قوله ليس كمثله شئ هو أقصى علمه ومنتهى معرفته)
قلت :

رؤية القلب هو إدراك أهل القلوب المنورة بالصدق، ورؤية العقل هو إدراك القوة المفكرة، وأما الشهود بالسر فهو نور الفطرة وهو محيط بالإدراكين المذكورين ولذلك أخبر أنه يشهد ولم يقل به يدرك، وذلك لأن الشهود فى اصطلاح طائفة أهل الله تعالى هو أعلى من الفهم والإدراك، وفى ذكر السر معنى آخر وهو الإشارة إلى استجلاء تلك الصور العدمية فى النفس وذلك أقوى لأن يكون سبب الجهل المذكور إذ مدارك الحس أوصل إلى الوجود من مدارك التوهم وصوره، والملك هو الفلك المكوكب بما حوى، والملكوت ما فوق. وقد كان فى ذكر هذين كفاية لكن لما لم يكن يعلم أكثر الناس من ذلك لم يكتف به، أو أنه أراد التفنن فى التمثيل، ومعانى ألفاظ بعد مفهومه، وبقي معنى قوله : (يقول ليس كمثله شئ) ومعناه ظاهر، وهو أن صور هذه الأشياء يقول لك (تقول لك) بلسان الحال إن الصفات التى تليق بالحق إنما هى الصفات السلبية، وذلك هو مضمون قوله : (ليس كمثله شئ) وإنما كانت دلالتها عند القلوب والعقول على هذه الصفات السلبية لأنها عدميات، والشئ إنما يرشد (٦٤/ب) فى الحقيقة إلى نفسه وهى عدم، فأشار إلى العدم، وذلك ذاتى للصور؛ إذ هى تعيينات كما سبق ذكره؛ ولذلك قال (وترى قولها "ليس كمثله شئ" هو أقصى علمه) يعنى فى الصور العلمية، ومنتهى معرفته يعنى فى الصور العرفانية، وهذا هو التجهيل المشار إليه، إذ معرفة الحق تعالى تدعو العارف إلى الإثبات لا إلى السلب، ولذلك قالت الحقيقة الحيوية إن الحق تعالى هو الظاهر والعالم غيب وهذا إثبات يعرفه أهله لأنهم إنما يرون الأشياء بالله تعالى لا بأنفسهم، أعنى رؤية أصل (أهل) المعرفة. وأما ما فوقها فالأمر على نحو آخر لا هو ذا ولا غيره فائدة شريفة. اعلم أن من جملة حقيقة قول الأشياء كلها ليس كمثله شئ وكونها مجهلة هو ما عرض للفلاسفة وأهل النظر من عدم الرى بعلمهم وكونهم لم يصلوا إلى ما يتلج به الصدور ولا إلى ما يحصل به اليقين حتى أن نهاية أحدهم إذا

انتهى إلى الغاية أن يقول علمت أنى لا أعلم شيئا، وقد نقل إلى من حضر وفاة الأفضل الخونجى رحمه الله وسمع منه عند الموت قوله : "نهاية ما وصلت إليه أنى علمت أنى لا أعلم شيئا غير مسألة واحدة وهو كون هذا المصنوع مفقود إلى صانع". والفقر يرجع عندى أنا إلى أمر سلبي، فما علم شيئا أصلا ونقل إلى أحاد ثقات عن الحسن الخسروشاهى رحمة الله عليه أنه قال : "علمت أننى لا أعلم شيئا ثم افتخر بأنه علم ذلك.

ومعلوم أن علمه بالسلب سلب للعلم، وسمعت من شيخنا الجمال الشريشى رحمه الله نقلا عن شيخه ببغداد أنه قال : "والله ما أفرق بين حقيقتى البياض والسواد علما حقيقيا أو قال ما أعلم حقيقتهما، وهؤلاء جلهم وكلهم على هذا المنهج درجوا، وعن الاعتراف بالخيبة من هذا المطلوب العزيز ما خرجوا، وإنما منعهم من الوصول (١/٦٥) استناد علومهم إلى صور الأشياء وذلك (متعد) ومجهل وصفه إسنادهم إلى صور الأشياء أنهم انتزعوا من المحسوسات صوراً ذهنية هي تلك التى أشرنا إليها بعينها فوجدوا تلك الصور فى أذهانهم متميزة، فأضافوا الأشباه إلى أشباهها وحصروها فى كليات خمسة وحصروا ما يتصرف فيه هذه الكليات الخمسة فى مقولات عشر، وكل هذه هي صور المعلومات، ولذلك لا تحمل إلا على صورة صورة مثل قولهم (كل ج ب) أى كل صورة (صورة) من صور الجيم فهو صورة ما من صور الباء، والصور كما علمت مجهولة نعوذ بالله من تخيلها، ولى فى التحذير منها أبيات وهى :

نفضت منك يدى يا عالم الصور	من العقول إلى الأفلاك والأكر
فكيف بى فى الذى من دون ذلك	من معادن ونبات أو من البشر
قد خاب من (شام برما) منك منتظرا	غيثا من الجهل لا غيثا من المطر
وضل سعى الذى قد سار فى طلب	على طريقك لم يقعد ولم يسر
يهديه منك شعاعات مخيلة	إلى الضلال وترميه على الغرر
فكم سعى بك مغرور يروم علا	فما التقى رابح منهم بمبتكر
إذ يشربون ولا يشربون غليلهم	من مشرب صفوه شر من الكدر
فما يزالون فى بهماء مدهشة	حتى من الأقربين السمع والبصر
إياك إياك والكلسى تجعله	للحصر أهلا تقع منه على الحصر
واجعل مكان براهين العقول سنا	تقليد ظاهر معرى سيد البشر

فإنه راية تهديك سنته
لموطن الوهب لا مما يحصله
كم من قدرة مخلوق مقيدة
مواهب لا تسئل عنهن منطقنا
فالحقيقة تعبير بمنطقها
وما بقى من قصاراه ومنطقه
حتى يزول الذى ما كان قط
ولا يراه سواء فارض إن وقفت
وبعد ذلك أطوار يمر بها
إلى ثلاثة أسفار ورابعها
له الرقى إلى غير النهاية
قوله :

لمنهل رايق فى الورد والصد
كسب فكفر خفى يكسب الفكر (٦٥/ب)
تعطيك أو قدرة الخلاق للقدرد
فالنطق ليس بمأمون على الخبر
عما العبارة تعزوه إلى العبر
إلى الفناء بمحو الغير والأثر
ولا يزال من لم يزل فى بادى النظر
بك المطامع دون الحسد واقتصر
من فى سبيل السوى لم يسر أو يسر
لواحد أحدى الجمع فى السفسر
فى الدارين يتبع المختار فى الأثر

(وقال لى: إذا عرفت معرفة المعارف جعلت العلم دابة من دوابك
وجعلت الكون كله طريقا من طرقائك).
قلت :

قد تقدم أن مقام معرفة المعارف برزخ (بين مقامى العلم والمعرفة)
والبرزخ حد إذا حقق صار مطالعا على ما هو حد بينهما، أعنى الظاهر
والباطن، وذلك أن العلم هو الظاهر والمعرفة هى الباطن، ومعرفة المعارف
هى الحد، فإذا أكملت صارت مطالعا (مطلعة) على الظاهر والباطن فهذا
معنى قوله "إذا عرفت معرفة المعارف جعلت العلم دابة من دوابك" وهو
الظاهر، وقوله دابة من دوابك استعارة: أى يكون العلم بيدك تملكه وتنتصرف
فيه وتركبه فتصل به إلى حيث تحب أنت، فكأنه قال: لا يحكم عليك بخلاف
الجاهل (١/٦٦) بها.

ومعنى قوله : "وجعلت الكون طريقا من طرقائك" أى لم أقفك مع
الكون، وفيه معنى آخر وهو أن يجعل الكون مظاهر ومجالى تستجلى فيه
المحاسن العرفانية من حيث حسن الصورة لا من حيث صورة الحسن،
ويجوز أن يكون معناه هو من حيث صورة الحسن فيكون القصد فى كونه
طريقا من طرقائه، أى يتعدى فى الكون سالكا إلى الحق، فيكون الكون طريقا
له يسلكها إليه تعالى، فإن التجليات فى الكون تنقل السالك فيها إلى المكون،

فإن العالم إنما سمي عالما لأنه علامة على الحق تعالى، فكل حقيقة منه لها وجه خاص إليه تعالى بذلك الوجه هي قائمة، وذلك الوجه الخاص هو الذى منه يكون الترقى، وتلك الدققة علامة على ذلك الوجه الخاص بها.
قوله :

(وقال لى: إذا جعلت الكون طريقا من طرقاتك لم أزودك منى، هل رأيت زادا من طريق)
قلت :

هذا يؤيد التفسير الأخير من التنزل الذى قبل هذا التنزل وهو أن يجعل الكون طريقا من طرقاته يرتقى منه إلى الوجه الخاص، ومعنى قوله (لم أزودك) أى لم أجعلك تستصحبه، بل كلما استجليت منه مجلس (مجلسا)، أخذك الوجه الخاص منه فتعلقت فيه بالحق، فيكون فى كل كون بالحق تعالى لا بذلك الكون، ثم قال "هل رأيت زادا من طريق" أى الزاد معين على الطريق فالزاد صديقك والطريق عدوك تستعد له فلا يكون فاهو صديق هو ما هو عدو.

قوله :

(وقال لى: الزاد من المقر، فإذا عرفت معرفة المعارف فمقرك عندى وزادك من مقرك، لو استضفت إليه الكون لوسعهم)
قلت :

معناه أن المطلع إذا كان به السالك كان بالحق لا بالكون فهى العندية المشار إليها فى قوله (فمقرك عندى) (٦٦/ب) فكأنه قال: زادك من عندى، ومعنى (لو استضفت إليه الكون لوسعهم) أن عندية الحق تعالى مظهر أنوار تجلياته، ونور التجلى الوجدانى يصنع الأكوان فى غير فى العين، فكأنه قال: الكون يذهب منه صفة الإمكان بظهور صفة الواجب الحق.

وحاصل ذلك أنه لا تزوده من العلم - كما ذكر قبل (قبلا) - من معرفة المعارف فتصير أحكامه فى العبادة أحكام العارفين لا أحكام العلماء وحسناته حسنات المقربين لاحسنات الأبرار وزاده (المعرفة، فإنه يحيل الغير فى نظره إلى العين، والكون إلى نور المكون الحق، فإن قلت فما وجه الكلام إذا كان هذا هو المراد، فالجواب أن الزاد هو الذى يبلغ المسافر، وتجليات الأنوار هى (التي) تبلغ المسافر بالسلوك، وفى قوتها تبليغ كل

محجوب إلى المطلوب، فيأذن لو استضاف المحجوبين بالكون لوسعهم (أى لكفيهم).
قوله :

(وقال لى: لا يعبر عنى إلا لسانان: لسان معرفة يئته إثبات ما جاء به بلا حجة، ولسان علم آيته إثبات ما جاء به بحجة).
قلت :

التعبير عن الحق فى هذين المقامين، أعنى مقام المعرفة ومقام العلم، فى إثبات التعبير، وأما مقام الفردانية فليس منه عبارة، نعم هناك طور ثالث فيه يكون التعبير حقيقة بلا حجاب لكن لا عن الحق بل عن مراتب أسمائه وصفاته، وهو مقام التحقيق وليس هو من المقامات المعروفة للمساكين، وإنما هو كمال ينتهى إليه الأقطاب، وهذا المقام هو فوق مقام الوقفة (لأن الوقفة فناء عن الغير ووقوف عن السير) وهذا إثبات بعد الفناء وصحو بعد المحو، فنعود إلى شرح اللفظ ونقول : لسان المعرفة يهدى إلى (الأسماء) بنور التجليات (٦٧/أ) وآيته (أى علامته) أنه شاهد لنفسه لا يحتاج إلى إثبات حجة عليه، كما أن الحس شاهد لنفسه لا يحتاج إلى دليل، فهذا معنى قوله (آيته إثبات ما جاء به بلا حجة).

وأما لسان العلم وهو (علم المنقول) والمعقول فعلامته إثبات ما جاء به بحجة أى بدليل، فأما أدلة المنقول فالأدلة السمعية، وأما أدلة المعقول فهو (فهى) إظهار الوسط، وهو الذى تعترف به لأنه حين يقال لأنه كذا.
قوله :

(وقال لى: لمعرفة المعارف عينان تجريان: عين العلم، وعين الحكم، فعين العلم تتبع من الجهل الحقيقى، وعين الحكم تتبع من عين ذلك العلم. فمن اغترف العلم من عين العلم والحكم، ومن اغترف العلم من جريان العلم لا من عين العلم، نقلته ألسنة العلوم وميلته تراجم العبارات، فلم يظفر بعلم مستقر، ومن لم يظفر بعلم مستقر لم يظفر بحكم).
قلت :

يريد أن مقام العلم غيريه محضة وحجاب قاطع، وهو الجهل الحقيقى، وأما عين الحكم وإن كانت حجابية أيضا لكنها علم عليه دليل وفيه

تفسير آخر، وهو أن الجهل الحقيقي هو الفناء، والعلم الذى ينبع منه هو أسرار التوحيد ولطائف المواجيد، وأما عين الحكم النابعة من عين ذلك العلم فهي العلوم الحقّة التى ظواهرها للعمل الصالح وبواطنها للعرفان الواضح، وأما إن تجاوز المغترف هذين العيين فإنه إنما يغترف من جريان العلم فتتقله السنة العلوم وتميله تراجم العبارات، والتراجم بالجيم صفة التراجم ومعناها ظاهر، والتراجم (بالزاء والحاء) فمعناه كثرة اختلافات العبارات وكون كل عبارة يتبعها (شبهها) أو شبه أكثر من واحدة فلا يستقر لا لعلم ولا مظفر بالحكم.

قوله :

(وقال لى: قف فى معرفة (٦٧/ب) المعارف وأقم فى معرفة المعارف تشهد ما أعلمته، فإذا شهدته أبصرته، وإذا أبصرته فرقت بين الحجة الواجبة وبين المعارضات الخاطرة، وإذا فرقت ثبتت، ومالم تفرق لم تثبت).

قلت :

هذا التنزل نافع جدا، وطريق الانتفاع بها أمران: إما ذوق يراعيه يكون هو الهادى إلى مراد الشارع من الأحكام، وإما تقليد أهل الأنواق دون من سواهم. وأما علامة واجد هذا العرفان فهو فى المثال بمنزلة من شهد أن المقصود من العبادة هو جمع القلب على الحق تعالى، فهو يلاحظ هذا المعنى، فأين من وجد وجهها فى المسئلة (المسألة) يشير إلى ما يجمع على الحق تعالى علم أنه الحكم المراد للشارع (عليه وسلم) فيدع ما سواه من الوجوه المحتملة، وصاحب هذا المقام هو الذى يظفر بالحكم ويثبت فى العلم.

قوله :

(وقال لى: من لم يغترف العلم من عين العلم لم يعلم الحقيقة، ولم يكن لما علمه حكم، فحلت علومه فى قوله لافى قلبه، كذلك تحل فيمن علم).

قلت :

ما يشرح هذا التنزل بأوضح من لفظه.

قوله :

(وقال لى: إذا ثبت فانطق فهو فرضك)

قلت :

معناه: لا ينطق حتى يثبت لك العلم على النحو الذى أشرنا إليه فإذا ثبت فيه فرض عليك إذ ذاك الفتيا.

قوله :

(وقال لى: كل معنوية ممعنة فإنما معنيت لتعرف، وكل ماهية ممهاة إنما أمهيت لتخترع).

قلت :

هذا التنزل فى قوته الإعلام بأن موجودات الحق تعالى التى توجه إليها الإيجاد لايتناهى (لا تنتهى)؛ وذلك لأن المعنويات هى معانى الممكنات، ومثالها الكليات مثل المقولات العشر وما فى تفاصيلها، وهى معنويات نتعرف فيما تحتها وفيما يقال عليه، وكل ممكن له ماهية. وقد ذكر أن كل ماهية فإنما أمهيت لتخترع، فإذن كل ممكن لا بد أن يخترع (١/٦٨) وهذا يشهد للغزالى رحمه الله فى نصره قوله (ليس فى الإمكان أبدع من العالم) ^(٤٦) ولست أقول من هذا العالم فإنى أرى فى شهودى أن الفلك التاسع بما حواه شخص نوع واحد من أنواع لا تنتهى.

قوله :

(وقال لى: كل محلول فيه وعاء، وإنما حل فيه لخلو جوفه، وكل خال موعى وإنما خلا وإنما أوعى لفقره).

قلت :

هذا التنزل فيه علوم جمّة، والتعرض لذكرها يفتح باب الكلام فيما يضيق به العمر ويستنفذ الزمان وهو لا يفرغ والمعجز عن استيعابه يقتصر على الإشارة وهى أن الحقيقة تقتضى أن تطلب كل ماهية أن يستغنى بذاتها عن (غيرها) ثم أنه يدرك كلها العجز فتخلو أجواف بعض فيحل فيها بعض مما يفتقر إلى الوعاء، وهذا مثل الأفلاك فإنها أوعية لما احتوت عليه وإنما خلا جوفها لعجز مادتها أن تكون مصمتة، ثم إن موجودات أخرى مفتقره إلى الوعاء فحلت فى أجواف هذه الأفلاك كالأركان ونحوها وجميع ما تولد منها.

قوله :

(وقال لى: كل مشار إليه ذو جهة، وكل ذى جهة مكتنف، وكل منظور متخيل وكل معلوم مفهوم وكل مفهوم متخيل وكل متخيل متجزء، ومفطون به وكل هواء ماس وكل ماس محسوس وكل فضاء مصادف)
قلت :

كون المشار إليه ذو جهة ظاهر، وقوله وكل ذى جهة مكتنف إشارة إلى عدم النهاية فى المحيطات، وهو خلاف ما يقوله أرسطو وأشياعه من تنهى الأبعاد وما أيده من أدلتهم الظاهرة الفساد، وعلامة صحة ذلك أن كل ذى جهة إذا اكتنف كان ما اكتنفته أيضا ذوجهة (ذاجهة) فيكون أيضا مكتنفا والكلام فيه كالكلام فيما قبله، ولا يفضى إلى التسلسل، بل يفضى إلى عدم تنهاى الوجود وذلك لعدم تنهاى الجود (٦٨/ب) الإلهى وسعة المملكة الربانية، وأما كون المنظور متخيلا فإن صورة الخيال هى له كالمثال ومن ذلك المثال تقطن النفس بوجود ذلك المنظور.
وبقية التنزل فيه إشارة إلى عدم الخلاء فى الوجود.

قوله :

(وقال لى: اعرف سطوتى تحذر منى ومن سطوتى، أنا الذى لا يجبر منه ما تعرف (به). وأنا الذى لا يحكم عليه ما بدا من علمه، كيف يجبر منى تعرفى، وأنا المتعرف به إن أشاء تتكرت به كما تعرفت به، وكيف يحكم على علمى وأنا الحاكم به إن أشاء أجهلت به كما أعلمت به)
قلت :

سطوته ذكرها فيمن تعرف إليه فصدده العلم عن المعرفة وسيأتى ذكر ذلك وإليه الإشارة فى تنكره بالتعرف إذا شأوا (شأء)، مثال ذلك لو تعرف إليه بالقرب حتى رآه أقرب إليه من كل مرئى فإن شاء أحيا فى قلبه ظلمة حجاب العلم فينكر بمقتضى العلم خصوصا علم القائمين أنه لا يرى لافى الدنيا ولا فى الآخرة لتتزيهم (لتنزيهم) إياه عن الرؤية، ثم إنه كما إذا شاء ينكر بالعلم عن المعرفة، فإذا شاء أيضا ينكر بالعلم فأداه علمه إلى الجهل كأضاليل الفلاسفة وكثير من النظار.

قوله :

(وقال لى: اسمع إلى معرفة المعارف كيف تقول لك سبحان من لا تعرفه المعارف وتبارك من لا تعلمه العلوم، إنما المعارف نور من أنواره وإنما العلوم كلمات من كلماته).

قلت :

قد تقدم أن لمعرفة المعارف مقام يقال له المطلع وهو الذى بين الظهر وأعنى به العلم وبين البطن وأعنى به المعرفة، وله موضع وهو الحد ومظهر فى الحد وهو المطلع، وذلك المطلع يجمع بين (١/٢٩) حقيقتى الظهر والبطن فى الحد فيخرج الظهر عن ظهريته والبطن عن بطنيته فينكر المعروف الحق عن المعرفة بجمعه بين الأضداد، فإن الظهر ضد البطن فيظلم نور المعرفة بالنسبة إلى نور الجمع وتغيب الكلمات فى المتكلم الحق، ولما كان العلم أكثره يحل فى القول لافى القلب سماه كلمات، ولذلك قال قبل فحلت علومه فى قوله ولم تحل فى قلبه.

قوله :

(وقال لى: اسمع إلى لسان من السنة سطوتى ما إذا تعرفت إلى عبد فدفعنى عدت (إليه) كأتى نوحاه إليه يفعل ذلك منى كرم سبقي فيما أنعمت ويفعل ذلك (منه) بخل نفسه بنفسه التى أملكها عليه ولا يملكها على، فإن دفعنى عدت إليه ولا أزال أعود ولا يزال يدفعنى عنه فيدفعنى وهو يرانى أكرم الأكرمين وأعود إليه وأنا أراه أبخل الأنخلين أصنع له عذرا إذا حضر، وأبتدئ بالعمو قبل العذر حتى أقول له فى سره أنا ابتليتك، كل ذلك ليذهب عن رؤية ما يوحشه منى فإن أقام فيما تعرفت به إليه كنت صاحبه وكان صاحبي وإن دفعنى لم أفارقه لدفعه الممتزج بجهله، لكن أقول له أتدفعنى وأنا ربك.. أما تريدنى ولا تريد معرفتى؟ فإن قال لا أدفعك قبلت منه، فلا يزال كلما يدفعنى أقرره على دفعه فكلما قال لا أدفعك قبلت منه حتى إذا دفعنى فقررت على دفعه فقال نعم أنا أدفعك وكذب وأصر نزعت معارفى من صدره، فعرجت إلى، وارتجعت ما كان من معرفتى فى قلبه حتى إذا جاء يومه جعلت المعارف التى كانت بينى وبينه نارا أوقدها عليه بيدي، فذلك الذى لا تستطيع ناره النار لأنى أنقم منه بنفسى لنفسى، وذلك الذى لا تستطيع خزنتها أن تسمع بصفة من صفات عذابه ولا بنعت من نعوت نكالى به أجعل

جسمه كسعة الأرض القفرة وأجعل له ألف جلد بين كل جلدین مثل سعة الأرض، ثم أمر كل عذاب كان فى الدنيا فيأتیه كله (٦٩/ب) لعينه فيجتمع فى كل جارحة منه كل عذاب كان فى الدنيا بأسره لعين ذلك العذاب وعلى اختلافه فى حال واحدة لسعة ما بين أفكاره وعظم ما وسعت من خلقه لنكاله ثم أمر كل عذاب كان يتوهمه أهل الدنيا أن يقع فيأتیه كله لعينه التى كانت تتوهم فيحل به العذاب المعلوم فى الجلدة الأولى (الأولى) ويحل به العذاب الموهوم فى الجلدة الثانية ثم أمر ثم أمر بعد ذلك طبقات النار السبعة فيحل عذاب كل طبقة فى جلدة من جلده، فإذا لم يبق عذاب دنيا ولا آخرة إلا حل بين كل جلدین من جلوده أبدیت له عذابه الذى أتولاه بنفسى فيمن تعرفت إليه بنفسى، فدفعنى حتى إذا رآه فرق لرؤيته العذاب المعلوم وفرق منه العذاب الموهوم وفرق له عذاب الطبقات السبعة فلا يزال عذاب الدنيا والآخرة يفرق أن أعذبه بالعذاب الذى أبديته فأعهد إلى العذاب أنى لا أعذبه فيسكن إلى عهدى ويمضى فى تعذيبه على أمرى ويسألنى هو أن أضعف عليه عذاب الدنيا والآخرة وأصرف عنه ما أبديته فأقول له أنا الذى قلت لك أتدفعنى فقلت نعم أدفعك فذاك آخر عهده بى، ثم أخذته بالعذاب مدى علمى فى مدى علمى فلا يثبت علم العالمين ولا معرفة العارفين لسماع صفته بالكلام، ولا أكون كذلك لمن تمسك بى فى تعرفى وأقام عندى إلى أن أجىء بيومه إليه فذلك الذى أوتيه نعيم الدنيا كلها وموهوما ونعيم الآخرة كلها بجميع ما يتنعم به أهل الجنان ونعيمى الذى أتولاه بنفسى من تنعيم من أشياء ممن عرفنى فتمسك بى).

قلت :

هذا التزل ظاهر بنفسه مع أن المجال فى شرحه واسع، وفى قوة هذا التزل الإشارة إلى معاصى العصاة على اختلافها وإلى أنواع عذاب كل مخالفة على اختلاف أنواعها هذا هو فى عموم (٧٠/أ)، وأما فى خصوصه فالمقصود إنما هو الإشارة إلى من تعرف إليه الحق جل جلاله بأنواع التجليات فبنى عنها استعدادها وحجبه اعتياده واعتقاده، وكان من إثبات أنانيته بحيث يقول نعم أنا أدفعك، فإنه ما كفاه إثبات نفسه مع الحق فى قوله أنا حتى قال نعم أدفعك، والحقيقة تعلم أنه كذب فى قوله أنا؛ فإن الأنانية هى لله تعالى، وكذب فى قوله أدفعك؛ فإنما الدافع هو الله تعالى، ثم لم يكفه ذلك

حتى كان من عدم الأهلية بحيث يعبر فكأنه ممن رضوا بالحياة (بالحياة) الدنيا واطمأنوا بها، فإن الرضى بالحياة الدنيا حجاب كثيف وأكثف منه الطمأنينة بها.

ثم المراد إنما هو الحث والتحضيض على التمسك بالحق تعالى عند تعرفه إلى القلوب بأنوار الوجدانية، والتحذير من معارضتها بالعلم، والتنبيه أيضا على الأدب الذى يجب على الطالب أن يعتمد عليه عندما يجد فى قلبه تجليات الخطاب العرفانى وبوارق النور الوجدانى، وسوف يذكر فى التنزل الذى يلى هذا كيفية الأدب الذى يجب على من تعرف إليه الحق تعالى فى قلبه أن يعتمد عليه وذلك مفسر بعد إن شاء الله تعالى.

قوله : (وقال لى : سلنى وقل يارب كيف أتمسك بك، حتى إذا جاء يومى لم تعذبنى بعذابك ولم تصرف عني إقبالك بوجهك، فأقول لك تمسك بالسنة فى علمك وعملك، وتمسك بتعرفى إليك فى وجد قلبك) قلت :

هذا هو الأدب المشار إليه آنفا وهو الذى يجب أن يعتمد عليه السالك، أما أوله فالتمسك بالسنة النبوية فى علمه، ويعنى بالعلم علم الشريعة وهو علم الفقه، لكن فيما يخص العبادات لا ما يعم المعاملات، والمراد بالعمل العمل بهذا العلم المشار إليه وذلك هو العبادة نفسها وإلى هنا انتهى نصيب العباد، ثم أمره بأدب السالكين إليه تعالى بجواذب الاستعدادات الشريفة (٧٠/ب) والسوابق المنيفة، وهم القوم الذين إذا عبده ظاهرا بمقتضى العلم تملقوا إليه باطن (باطنا) بمقتضى الشوق الحثيث السوق ونازعتهم الهمم أن يقتحموا البهم ولا يخشوا من التهم ولهم فى ذلك مراتب فمنهم من يستمر له الشهود فلا يعود، ومنهم من يرجع بعد القيام إلى العقود، وينزل بعد الصعود إلى أوج الوجود إلى حضيض النكوص والهبوط فيعود فيما بين تلك الدرجات وهذه الدرجات يكون ما ذكر فى التنزل السابق من تعرف الحق تعالى إلى قلوب هؤلاء السالكين، فأشار بلسان الإرشاد إلى ما ينبغى من الاعتماد، فقال (وتمسك بتعرفى إليك فى وجد قلبك) وهذا التمسك الثانى هو نصيب هذه الطائفة فى سلوكهم وعلى قدر الاستعداد يكون تعرفه إليهم وتمسكهم به، وهذا التمسك المذكور تجهله العقول المحجوبة وتعرفه القلوب المحبة المحبوبة.

ومن أعرض عنه فجزاؤه ما تقدم من ذلك النكال نعوذ بالله من
الخدلان وبه منه نعتصم في خطرات الجنان.
قوله :

(واعلم أني إذا تعرفت إليك لم أقبل منك من السنة إلا ما جاء به
تعرفي لأنك من أهل مخاطبتي تسمع مني، وتعلم أنك تسمع مني، وترى
الأشياء كلها مني).
قلت :

هذا أيضا مزيد بسط في الإرشاد المذكور، فإن السنة مجالها رحب،
وفيها لكل أحد ولا يتميز نصيب، وتلك الأنصبة (الأنصبة) غير متميز منها
ما يخص كل واحد واحد من أفراد الأمة ولا يتميز (ولا يغير) فيها نصيب
السالكين إلى الله تعالى من نصيب السالكين إلى الجنة، وإنما يتميز نصيب
كل أحد عند تعرف الحق تعالى إلى قلبه، فإن التعرف هو الذي يميز له
نصيبه من مطلق أحكام السنة، فإن الأمر مجهول عند العلماء، وهو عند
العارفين متميز.

وليس نصيب زيد مثلا من السنة هو نصيب عمرو، ولا ما هو
مقرب لخالد يكون هو بعينه مقربا كزيد (١/٧١) وإنما يظهر ذلك بأمرين: إما
بالتعرف الإلهي في القلوب، وإما بإرشاد المشايخ رضوان الله عليهم، ولذلك
قال (لم أقبل منك من سنتي إلا ما أثبتته لك تعرفي).

ورأيت في كلام الشيخ القرشي رحمة الله عليه معنى هذا التناول وهو
قوله الولي مشرع للخاصة (منبه) للعامة، وتشريع هو إعطاء كل سالك من
الإرشاد ما يليق به ويشرع له منها يسلكه إلى محبوبه الحق.
قوله :

(وقال لي: عهد عهديته إليك أن تعرفي لا يطالب بفراق سنتي، لكن
يطالب بسنة دون سنة، وبعزيمة دون عزيمة، فإن كنت ممن قد رآني فاتبعني
وأعمل (لي) ما أشاء بالآلة التي تشاء أليس كذلك تقول لعبدك فالآلة هي
سنتي فاعمل لي منها بما أشاء منك لا بما تشاء لي وتشاء مني فإن عجزت
في آلة دون آلة فعذري لا يكتبك غادرا وإن ضعفت في عزيمة دون عزيمة
فرخصتي لا تكتبك عاثرا، إنما أنظر إلى أقصى علمك إن كان عندي فانا
عندك).

قلت :

قد صرح هذا التنزل بجميع ما يجب اعتماده على من أراد الحضرة، ودعته همته إلى محبوبه، ولم يكن سواء تعالى من مطلوبه، فتأمله أيها السيد تجد فيه أجوبة المنكرين على أهل الأحوال والمواجيد، فإن قوله بسنة دون سنة فيه إشارة إلى سعة السنة وأن نصيب كل أحد منها ما يخصه له التعريف الإلهي ويعرض ظاهرا عما سواء فهذا قوله بسنة دون سنة وبعزيمة دون عزيمة، ثم قال (فإن كنت ممن قد رأى فاتبعني) أى تمسك بما يبدو لك من أدب رؤيتي وأعرض عما يأمر بك به من لم يره، ثم قال (واعمل ما أشاء) معناه اعمل لى من العبادة ما يوافق مقتضى نظرك (٧١/ب) إلى وأنه لا محالة مخالف لظاهر العلم فإن ظاهر العلم للعامة، وأما أهل الرؤية فنصيبهم من السنة ما يقتضى وجد القلب، ثم قال والآلة السنة، ثم نبه على كرم الحق تعالى فى حكمه فقال ما معناه أن الرخص كثيرة فاحملها عند الناس على استعمال الرخصة إرضاء لهم وهى باطنة لموافقة الوجد لا غير، ثم نبه على جماع القاعدة المعتمدة فى هذا الشأن فقال (إنما أنظر إلى أقصى علمك) أى الذى تعمل بمقتضاه فإن كان عندى) أى إن كان مما يجمعك على (فأنا عندك) وإلا فليس وإن كان علما منقولا وصحيا إذا اعتبرته معقولا.

وفى هذا التنزل كفاية فى الاعتذار عن أهل الأحوال، وبينهم وبين الفقهاء حروب لاتزال ومواقعات لا تتفصل إلا بين يدي ذو الجلال (ذى الجلال)، وفى اليوم الأعظم ينعم من ينعم ويندم من يندم. وقد أردف هذا الموقف بموقف الأعمال، وذكر هنالك إشارات مخلصه لمن قصد الخلاص والسلوك على النهج المحمدى لا يشوبه تعمق، ولا لمنصف من الاعتراف به مناص وهو هذا.

١٢- موقف الأعمال :-

قوله :

(أوقفنى فى الأعمال وقال لى: إنما أظهرتك لتثبت بصفتى لصفتك، فأنت لا تثبت لصفتى إنما تثبت بصفتى وأنت تثبت لصفائك ولا تثبت بصفائك).

قلت :

الحظ هذا التنزل فإنه يشبه إلى ما كنا فيه أنفا من التمسك بوجد القلب من مطلق السنة، ومعناه أنك إذا عملت عملا فانسيبه إلى الفاعل الحق بصفة القيومية، وصورة ذلك أن تجعل نفسك ثابتا بالحق فيكون عملك بما يثبت لابلك حتى تلحظ مثلا أنك إنما ثبت في التعيين الخاص بك به (تعالى) لابلك فثبت لك أى لتعينك العدمى (٧٢/أ) بالوجود (الحق)، وقوله (لا تثبت لصفتي) أى إذا أظهر لك أن الوجود لى امتحيت أنت فلا تثبت لصفتي وكذلك لا تثبت أنت بصفتك، إذ هى تعين والتعيين عدمى لكن ثبت لصفتك أى صورتك وهى مجموع صور عدمية.

قوله :

(وقال لى: إنما صفتك الحد وصفة الحد الجهة وصفة الجهة المكان وصفة المكان التجزئ وصفة التجزئ التغاير وصفة التغاير الفناء.

قلت :

الحد هو النهاية وهى نقطة عدمية فى جهة من الجهات المفروضة، فإن الجهات نسب أيضا ثم إن الجهة تقتضى المكان، ولو مكان الإشارة، وصفة المكان التجزئ يعنى لموازاة كل جزء من المتمكن بجزء من المكان، والتجزئ يقتضى التغاير لا شك والتغاير يقتضى الفناء.

قوله :

(وقالى لى: إن أردت أن تثبت فقف بين يدى فى مقامك ولا تسألنى عن المخرج).

قلت :

مقامه هو العدم فلا يخرج منه.

قوله :

(وقال لى: أتدرى أين محجة الصادقين هى من وراء الدنيا ومن وراء ما فى الدنيا ومن وراء ما فى الآخرة).

قلت :

مقصود هذا التنزل الإرشاد إلى الأعمال التى هى لله تعالى لا للدنيا أى للحياة (للحياة) الدنيا، ولا لما فى الدنيا أى من محبوباتها ولا لما فى الآخرة من محبوب وهوب ولم يقل من وراء الآخرة فإن الآخرة هى دار

القرار، فإذا سلوك السالك إلى الله تعالى ليس هو لأجل شيء، ولا معللاً بشيء. ولي في هذا المعنى أبيات وهي:

كل الهوى إلا هواك معلل	والصبر إلا عن جمالك مجمل
وشروط حبك إن ماصان الفتى	مما يعز فإنه لك يبدل (٧٢ب)
يامانحي نعماً لبست برودة	فعدوت من طربي وزهوى أوفل
لا كان من لسواك فيه بقية	يجد السبيل بها إليه العزل
عندى غرام قد تقادم عهده	والراحة أقدمها الذي هو تقتل
ماهينم الهادي بذكرك في الدجى	إلا وسابقت المطى الأرجل
وتفاخرت عيني وقلبي هذه	لك منهل فيها وفي ذا منزل
يا عرب نجد كم سالت فلم أجد	إلا صدق عنكم كمثلي يسأل
وجهلت عرفان الديار تقوضك	عنها بكم وجهلت أنى أجهل

قوله :

(وقال لي: إذا سلكت إلى من وراء الدنيا أنتك رسل متلقين تعرف في عيونهم الشوق وترى في وجوههم الإقبال والبشرى، رأيت غائباً غاب عن أهله فأذنهم بقدمه، أليس إذا قطع مسافة القاصدين، وسلك في محبة الداخلين تلقوه أمام منزله ضاحكين وأسرعوا إليه فرحين مستبشرين). قلت :

مضمون هذا التنزل الحث على العود في السلوك إليه تعالى على الدرجة التي منها أتى العبد، وذلك أن العبيد كانوا قبل الإيجاد في علمه تعالى وليس إذ ذاك (إذ ذاك) بين العالم والمعلوم فاصلة ولا ثالث، فينبغي أن يكون الرجوع إليه تعالى بالتعري عن الثالث، وذلك إنما يكون إذا أعرض عن غير الحق تعالى. والغیر كله من الدنيا، ثم إن الرسل التي تتلقى هذا السالك هي ملائكة ربه تعالى وهم من الآخرة وهذا السالك لم يسلك من وراء ما في الآخرة، ولو كان من الذين سلكوا من وراء ما في الآخرة لكان المتلقى لهم هو تعالى دون رسله، وهؤلاء هم أهل التجليات، فلما اختص أولئك بالسلوك من وراء الدنيا فقط تلقاهم (٧٣أ) الوسائط الذين هم من وراء الدنيا وليس إلا أهل الآخرة وهم ملائكة الرب عز وجل، وفي هذا التنزل سر غريب وسألوهم بمعناه وذلك أن الذين يسلكون من وراء الدنيا هم من أهل الآخرة فلذلك يتلقاهم ملائكة الآخرة تلقى الأهل للغائب فلو لم يكونوا من أهل الآخرة لما

شبههم بالنسبة إلى أهل الآخرة بالغائب عن أهله وقد أذنهم بقدمه ففرحوا واستبشروا به فرح الأهل بالأهل،. فحصل من هذا أن لكل أحد غاية تخصه لا يتجاوزها.

فإن قلت هذا الموقف هو موقف الأعمال، ولم أره قد ذكر في هذا التنزل عملاً فالجواب ذكر ذلك ضمناً وهو كونه جعل هذا السالك ممن أعرض عن الدنيا فخلص عمله من الرياء فكأنه قال أهل الإخلاص في العمل هذا شأنهم وهم الصادقون.

قوله :

(وقال لى: من لم يسلك محبة الصادقين فهو (كيفما)، كان فى الدنيا مقيم ومما فيها أخذ أنته رسلى مخرجين، وتلقته مرحلين مزعجين، (فسابق سبق له العفو) فرأى فى عيونهم آثار هيبة الإخراج، ونظر فى وجوههم (وجوههم) آثار هيبة الإزعاج، وآخر سبق له الحجاب فما هو من الخير ولا الخير خاتمة ما عنده)

قلت :

قد تقدم فى شرح التنزل الذى قبل هذا أن الصادقين أعرضوا عن الدنيا، وأما هؤلاء فسلكوا وقلوبهم فى الدنيا فهم فى الدنيا كما قيل إذا تذكرت داراً وهى نازحة فأنت بالذكر ممن حل فى الدار.

فإن من لم يسلك محبة الصادقين فهو فى الدنيا مقيم ولا يمكن الإقامة فى الدنيا وهذا السالك لم يخرج بنفسه، فالرسل إذن تأتيه (٧٣/ب) مخرجة له وهؤلاء على نوعين نوع لم تكن الدنيا أكبر همهم، بل كانت عندهم ميل مال لكنهم إلى الآخرة أميل فهؤلاء معفو عنهم وهو قوله (فسابق سبق له العفو). والنوع الآخر : قوم رضوا بالحياة (بالحياة) الدنيا، واطمأنوا بها فهؤلاء هم أهل النار نعوذ بالله منها.

فالطائفة الأولى ترى فى أعين الرسل هيبة الإخراج وهيئة الإزعاج، وأما الآخرون فليسوا من الخير أى ممن سبق لهم أن يكونوا من أهل الخير، ولا الخير خاتمة ما عندهم أى وليسوا صائرين إلى الخير.. ووجه ذكرهاتين الفرقتين فى موقف الأعمال ما فيهما من نوعى الأعمال وهما العمل الصالح يشوبه من الرياء ما يشق الاحتراز منه وهذا هو عمل الطائفة الذين سبق لهم العفو.

والعمل الثانى : عمل أهل الرياء فقط وهم الطائفة الأخرى. وأما سر
القدر فى الطائفتين ولم كان كل منهم على حاله تلك فأمر سوف أشير إلى
شئ منه فيما بعد إن شاء الله ولا أصرح به فى كتاب.
قوله :

(وقال لى: احذر وبعدد ما خلقت فاحذر إن أنت سكنت على رؤيتى
طرفه عين فقد جوزتك كلما أظهرته وآتيتك سلطانا عليه).
قلت :

يقول : إن سكنت إلى غيرى طرفه عين فاحذر على رؤيتى أن
تفوتك، وكيف وقد جوزتك عن الغير بما بينته لك من حال الفريقين
المذكورين أنفا وفيه وجه أعلى نظرا من هذا، وهو أن يقول له قد جوزتك
بشهودى محو الأغيار شهودا جزوياً (جزئياً) فاحذر من ملاحظة السوى
بالبقية التى بقيت فيك لم تمنح بعد فإن الشهود الكلى يستحل معه شهود السوى
فلا وجه للحذر منه وإنما ذلك فى الشهود الجزئى وهو السلطان الذى أتاه
على السوى (١/٧٤) وذلك السلطان هو الشهود الجزئى.
قوله :

(وقال لى: كما تدخل إلى فى الصلاة تدخل إلى فى قبرك)
قلت :

يعنى أن العبد إذا دخل فى الصلوة (الصلاة) مشاهدا الحركات
والسكنات هى بالله لا بنفسه فذلك يكون فى قبره هو بالله لا بنفسه، وذلك
الذى يأمن عذاب القبر وما بعده.
قوله :

(وقال لى: آليت أن تمشى مع كل واحد أعماله، فإن فارقها فى حياته
(حياته) دخل إلى وحده فلم يضق به قبره، وإن لم يفارقها فى حياته (حياته)
دخلت معه إلى قبره فضاق به لأن أعماله لا تدخل معه علوما، إنما تتمثل له
شخصا فتدخل معه).
قلت :

قد زاد التنزل السابق بيانا وذلك أنه أعلمنا أن من يرى أنه بالله فى
جميع الحركات والسكنات، فهذا ليس له عمل، فقد فارق عمله فى حياته، وأما
من لم يبلغ هذا المشهد فما فارق عمله فتمثل له العمل شخصا يدخل معه قبره.

ولا فرق عند هذه الطائفة من أن يكون ذلك الشخص حسنا أو قبيحا بعد أن يكون معه فى صورة غيريه.

وأما أهل الشهود فالأغيار فى شهودهم علوم وتلك العلوم لا تخرج عن اسمائه تعالى أوصفاته أو أفعاله، وكيف كانت، فالعبد مع ربه تعالى.
قوله :

(وقال لى: انظر إلى صفة ما كان من أعمالك كيف تمشى معك وكيف تنظر إليها تمشى منك بحيث تكون بينك وبين ما سواها من الأعمال والاتباع فتدافع عنك، والملائكة يلونها، وما سواها من الأعمال وراء ذلك كله فأبدى ما كان لى من عملك من خلال تلك الفرج تدافع عنك كما كنت تدافع عنها، وتتنظر أنت إليها (٧٤/ب) كما تنظر إلى المتكفل بنصرتك وإلى البازل نفسه دونك حتى إذا جنتما إلى البيت المنتظر فيه ما ينتظر، وماذا ينتظر ودعتك وداع العائد إليك وودعتك الملائكة وداع المثبت لك ودخلت إلى وحدك لا عملك معك وإن كان حسنا لأنك لا تراه أهلا لنظري ولا الملائكة معك وإن كانوا أوليانك، لأنك لا تتخذ وليا غيرى، فتتصرف الملائكة إلى مقاماتهم بين يدى، وينصرف ما كان لى من عملك إلى).

قلت :

هذا التنزل مضمونه ثلاثة أمور: أحدها: العمل الذى هو طمعا فى الجنة وخوفا من النار، وهذا العمل هو الذى سماه أنه ليس لله. والثانى: العمل الذى يناضل عن العبد ويتكفل بنصرتة فهو العمل الذى هو لله. ثم إن الملائكة تحجز بين العاملين.

الثالث: كيفية شهود أن لا عمل وذلك بأن يشهده تعالى أنه هو الذى كان يحركه للعمل فيتحرك كما يتحرك الخاتم بحركة الإصبع فيطلب إذ ذاك لنفسه عملا فلا يجد إلا كما يجد الخاتم أنه تحرك، وهذا الشهود هو دخوله إليه وحده إذ لا عمل له، فأما البيت الذى ينتظر فيه ما ينتظر فهو القبر، وما بعده وماذا ينتظر فهو إشارة إلى أن الشهود الذى ينتظر هو دائما موجود فلائى شئ ينتظر فهو استفهام معناه التقرير.

فإذن العمل للجنة والنار ليس هو لله ولا يدخل معك إليه تعالى، والعمل لله تعالى وإن كان عظيما ففى شهود تجلى التوحيد لا يدخل معك، وباقى التنزل ظاهر. (١/٧٥)

قوله :

(وقال لى: تعلم ولا تسمع من العلم، واعمل ولا تنتظر إلى العمل)

قلت :

هذا تسليك، وذلك يقتضى رؤية أن العمل للعبد، وأنه أجبر فيه يعمل بالأجرة، وذلك ليس من شأن العبيد إذ لا أجرة للعبد، فهذا معنى قوله (ولا تسمع من العلم) فإن قلت فلأى شئ قال له تعلم إذا لم يسمع من العلم فالجواب أن التعلم هو من جملة العمل فلذلك قال تعلم فإنه قال بعد واعمل. قوله (ولا تنتظر إلى العمل) فمعناه فى زمن الحجاب أى لا تعتد بالعمل، ومعناه فى زمن الكشف، أى لا تثبت لك أنك العامل فى كلاً التقديرين لا ينبغى النظر إلى العمل.

قوله :

(وقال لى: عمل الليل عماد لعمل النهار)

قلت :

أجرى الحق تعالى سنته أن من قام الليل عاملاً فإنه يصبح نشيطاً لعمل النهار أما أولاً: فلأنس الحاصل له فإن العمل يستدعى الأنس بالله، والأنس يستدعى النشاط لعمل آخر خصوصاً عمل الليل، فإن الأنس به أقوى، وأما ثانياً: فلأن النفس بالعمل الأول تتفعل للعمل، والانفعال استقامة، والاستقامة تستدعى دوام العمل، قال الله تعالى (فاستقم كما أمرت).

قوله :

(وقال لى: تخفيف عمل النهار أدوم فيه، وتطويل عمل الليل أدوم

فيه).

قلت :

معناه أن الشواغل بالنهار كثيرة فهو أشق عملاً فإن خففه فيه أمكن دوامه وإلا عجز وانقطع وأما عمل الليل فتطويله أدوم من جهة أن العائق فيه أكثر ما يكون النوم، ومتى طول العبد فى عمل الليل أخذت العين عادة واحدة فى النوم فيستيقظ ويذهب نومه فى الوقت المعلوم، هكذا جربه أهل (٧٥/ب) الأوراد فى الليل، وإذا زال نومه الذى هو الشاغل نشط والتذ بالعمَل فدام فيه، خصوصاً أن صحبته المحبة أو كان دون ذلك بأن تعمل لله تعالى لا للجنة ولا للنهار، وأما العمل لهما فاللذة قليلة فيه.

قوله :

(وقال لى: إن أردت أن تثبت بين يدي فى عملك فقف بين يدي لا طالبا منى ولا هاربا إلى، إنك إن طلبت منى فمنعتك رجعت إلى الطلب لا إلى أو رجعت إلى اليأس لا إلى الطلب، وإنك إن طلبت منى فأعطيتك رجعت عنى إلى مطلبك وإن هربت إلى فأجرتك رجعت عنى إلى الأمن من مهربك من خوفك وأنا أريد أن أرفع الحجاب بينى وبينك، فقف بين يدي لأنى ربك ولا تقف بين يدي لأنك عبدى).

قلت :

الحق تعالى وصى عبده فيما تقدم أن لا تقف وقفا أصلا، ثم ذكر ههنا فقال إن أردت أن تقف بين يدي فكأنه قال إن كان ولا بد من إرادة الوقوف بين يدي فليكن على هذه الصفة وهى أن تقف بين يدي لأنى ربك فتكون مع صفة الربوبية وهى لى، ولا تقف بين يدي لأنك عبدى فتكون مع العبودية وهى منك، فوقوفك مع صفتى أشرف من وقوفك مع صفتك، ومنعه أن يقف مع صفته التى هى أشرف صفاته وهى العبودية فلأن يمنعه الوقوف بين يديه طلبا منه أو هاربا إليه، وكلاهما وقوف مع حظوظ عن صفات دينة (دنية) بالنسبة إلى صفة العبودية من باب الأولى.

فحاصله أنه نهى أن يسكن إلى غيره لا إلى الطلب أو اليأس إذا منع ولا إلى مطلبه إذا أعطى ولا إلى الأمن من المهرب من خوفه إذا أجبر؛ لأن المراد رفع الحجاب وهو لا يحصل لمن فيه بقية من حظ ولا رسم ولا اسم.

قوله :

(وقال لى: إن وقفت بين يدي (١/٧٦) لأنك عبدى ملت ميل العبيد، وإن وقفت بين يدي لأنى ربك جاءك حكمى القيوم فحال بينك وبين نفسك).

قلت :

قد بين له الحكمة فى أنه إن وقف بين يديه كما أمره ما ثمرته، وإن وقف بين يديه كما عنه نهى ما مضرتة، فأما مضرتة فإن يميل ميل العبيد والعبد لا يردعه (لا تردعه) إلا العصى فيخشى على الواقف وقوف العبيد أن يعمل خوفا أو طمعا وهاتان الخلطان إليهما ميل العبيد. وأما إذا وقف بين يديه لأنه ربه كان ذاهلا عن صفة نفسه التى هى العبودية، وبذهوله عن نفسه شغلا بربه تعالى يتهيا له الانسلاخ عن النفس سريعا وحصول الفناء الذى هو

المطلوب سهلاً، ثم بين كيف ذلك فقال (جاءك حكمى القيوم) أى يشهده القيومية التى بها قام، وذلك أن يشهده أن الوجود الخاص به ليس هو وجوده بل وجود ربه تعالى فضلاً عن الوجود العام، ويشهده أن حقيقته هى التعيين وهو أمر عدمى كما تقدم، والمتغير ليس هو العبد فىرى أن لا وجود له فيكون ذلك حائلاً بينه وبين نفسه، إذ لا يرى إذ ذاك له نفساً، فهذا معنى قوله (جاءك حكمى القيوم فحال بينك وبين نفسك).

قوله :

(وقال لى: إن انحصر علمك لم تعلم، وإن لم ينحصر علمك لم

تعمل).

قلت :

الحصر للعبد والإطلاق للرب تعالى، فإذا إن انحصر علمك فنسبتك إليك لا إليه فلم تعلم شيئاً، لأن العلم مم (مما) يقع فى محله، وأما العمل فبالعكس، والمعنى المعتبر فيهما واحد بعينه، فإنه إن لم ينحصر العمل كان العامل هو الحق إذ له الإطلاق فلم يكن للعبد عمل.

قوله :

(وقال لى: العمل عملان: راتب، وزائر، فالراتب لا يتسع العلم ولا

يثبت العمل إلا به، والزائر لا يتسع العلم له).

قلت :

الإشارة إلى أن الراتب يتسع به العلم وهو العلم الإلهى من مضمون "واتقوا الله ويعلمكم الله" وبه يثبت العمل أى يتضح أن نسبته إلى الله تعالى وأما (٧٦/ب) الزائر فما أجرى الحق تعالى سنته أنه يؤدى إلى الكشف الموسع للعلم.

قوله :

(وقال لى: إن عملت الراتب ولم تعمل الزائر ثبت علمك ولم يتسع،

وإن عملت الزائر والراتب ثبت علمك واتسع).

قلت :

معناه: إن كان الاستعداد قوياً بأن يوجب عليك الراتب والزائر أوجب

ثبوت العلم واتساعه، وإن قصر فاقتصر على الراتب ثبت العلم ولم يتسع.

قوله :

(وقال لى: اعرف صفتك التى لا يغيب العلم فيها عنك ثم اعرف صفتك التى لا تعجز فيها عن عملك فتعلم ولا تجهل وتعمل ولا تفتر). قلت :

هذا التنزل سوف أشرحه على حكم ما يقتضيه (تقتضيه) قواعد هذا الطريق خصوصا ما يعتمد النفرى رحمه الله فى إشاراته، وذلك أن الصفة التى لا يغيب العلم فيها عنك هى رؤية أن كل ما جمعت على الحق فهو إشارة العلم الحق، وهذه قاعدة تشتمل المنقول وغير المنقول بعد أن تضبط القاعدة، فإن الأصل يطرد، فهذه القاعدة هى الصفة التى لا يغيب فيها العلم عنك، وذلك يقتضى أن تعلم ولا تجهل إذ هو معنى واحد يرشدك فى كل الصور، فلا يجد الجهل إليك سبيلا، فإن الجهل إنما يكون مع كثرة الصور التى لا يجمعها أصل واحد، والمراد بالعلم ههنا علم العبادات دون ماسواه، فإن القوم إذا نزلوا إلى أدنى الرتب تكلموا فى العلم بالعبادات والعمل به، وأما ماسواه فالقوم مشغولون بالله تعالى عنه، وأما الصفة التى لا تعجز فيها عن عملك فهى أن يرى العامل الحق فتكون كل حركة من حركاتك كانت ما كانت فإنها عبادة وذلك لأنها بحضرة مجلى من مجالى الحق تعالى، ومظهر ظهر لك به، فكيف تفتر من نومه ويقظته وسكونه وحركته حضور مع مظاهر الحق تعالى (أ/٧٧) وأشرف رتب العبادة أن يصير مظاهر فهذه مظاهر فلا تفتر صاحبها عن العمل.

هذا الشرح هو الذى يقتضيه نفس المواقف وفيه كفاية إن تأملوه وشفاء لما فى الصدور من سقم الإنكار إذا عرفوه. قوله :

(وقال لى: إن لم تعرف صفتك علمت وجهلت وعملت وفترت بحسب ما بقى عندك من العلم تعمل وبحسب ما عارضك من الجهل تترك). قلت :

هذا التنزل فى شرحه ما سبق وفيه زيادة وهى أن تعلم وتجهل هو الذى لا يدوم على ضبط الأصل المذكور بل يغفل عنه، وأعلى مراتب ذلك الوصف أن ترى إشارات هداية العلم هى من الاسم الهادى فترى العلم للعالم الحق تعالى، وأدنى مراتب (مراتبه) أن تضبط القاعدة المذكورة وهى أن كل

ما جمعتك جمع على الحق تعالى فهو إشارة علم حق. وأما العمل الذى يتعاقب عليه الفتور فهو الذى يكون بعضه مشاهدا فيه الحق تعالى غائبا عن ملاحظة العبد نفسه وصفته وبعضه يغيب فيه عن رؤية الحق تعالى بل يرى نفسه وكل عمل يرى فيه النفس فهو فتور إن كان كثيرا (اجتهاده) دائما فعلة وضده هى معارضة الجهل لعلمه.

قوله :

(وقال لى: زن العلم بميزان النية، وزن العمل بميزان الإخلاص).

قلت :

هذا التزل يؤيد ما سبق من الشرح، وذلك أن وزن العلم بميزان النية هو أن ينوى بأى حركة كانت بها القربة (القربى) إلى الله تعالى فيكون ذلك علما متى عمل بمقتضاه ثبت علمه ونفع كانت تلك الحركة مشروعة فى المنقول أو ليست بمشروعة فيه وذلك لأنه ضبط أصل مراد الشارع بالعلم الدال على منهج العبادة.

ثم إنه أمر بوزن العمل بميزان الإخلاص (٧٧/ب) هو أن يخلص النية فيه من شائبة ملاحظة السوى فالنية إذن معتبرة فى العلم والعمل على قاعدة واحدة وهى تجنب رؤية السوى.

١٣- موقف التذكر (٤٧) :-

قوله :

(أوقفنى فى التذكرة وقال لى: لا تثبت إلا بطاعة الأمر، ولا تستقيم إلا بطاعة النهى).

التذكرة هى كما علمت أن تذكر ناسيا أو غافلا، ولا يستقيم هنا أن يراد بالناس هو الذى نسى الله فنسيه أو غفل عن الأعمال بالأصالة، فترك العمل وأهمله، فإن القوم لا ينكرون من هذه حاله، بل يستبعدون أن يكون أحد بهذه المثابة حتى أن من كانت هذه حاله منهم قديما ثم صار من القوم فغلب عليه وصفهم حتى ينسى حاله الأول ومن كان معه عليها، لأن الحق يذهب الباطل ويدمغه، فإذا هو زاهق.

وإذا لم يكن المراد بأهل النسيان والغفلة هذه الطائفة الرنله، فالمراد من فوقهم وهم القوم الذين إن نسوا مرة فإنما ينسون الأولى، وإن غفلوا غفلة

فلعلها ليست فعلة بل قولاً، فالتذكرة إذن إنما هي لهؤلاء، فإذا التذكرة لا تثبت إلا بطاعة الأمر الذى هو نصيب هؤلاء ولا يستقيم تماماً إلا بطاعة النهى، ويجوز فى معناه شرح آخر وهو أن من لا ياتمر فى نفسه بأوامر الطاعة، ولا ينتهى فى نفسه بزواج النهى عن المعصية لم يثبت له أن يذكر غيره ولا يستقيم أن ينهى عن المنكر سواء. وهذا الشرح الثانى هو فى مضمون قول الشاعر (١/٧٨) :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

قوله :

(وقال لى: إن لم تأتمر ملت، وإن لم تنته زغت)

قلت :

معناه: إن لم تأتمر ملت عن مواجهة التذكرة، وإن لم تنته زغت عن استعداد قبول التبصرة. واعلم أن الميل أقرب حالا من الزيغ لأن ترك الائتمار وقوف عن الخير فقط، وترك الانتهاء فيه الأمران معا الوقوف عن الخير والمشى إلى الشر، الأول ميل، والثانى زيغ.

قوله :

(وقال لى: لا تخرج من بيتك إلا إلى تكن فى ذمتى، وأكن دليلك، ولا تدخل إلى إذا دخلت تكن فى ذمتى وأكن معينك).

قلت :

لم يرد ببيت البيت المبنى من اللبن ونحوه، بل معناه لا تخرج من خاطر من خواطر نفسك إلا إلى الحضور معه تعالى على النحو الذى بينه تكن فى ذمته، والذمة الحفظ وكونها فيها الدليل المذكر بسلوك الواجب، وكذلك قوله لا تدخل فى خاطر من خواطر نفسك إلا إليه تعالى تكن فى ذمته أى فى حفظه ويكن معينك، والإعانة أقلها أن العبد يكون عمله بحضور سيده معه أبلغ من عمله إذا كان طالبا بنفسه.

قوله :

(وقال لى: أنا الله لا يدخل إلى بالأجسام، ولا تدرك معرفتى بالأوهام).

قلت :

لما قال في التنزل الذي قبل هذا التنزل (ولا تدخل إلا إلى) أراد أن يبين أن الدخول إليه ليس كدخول البيوت فإنها إنما تدخل بالأجسام، وأن معرفة الأغيار إنما هي بالأوهام، وهو تعالى منزّه عنهما مع ثبوت كل واحد منهما، إذ لو لم يثبتا معا في وجه مع انتفائهما معا في وجه آخر لكان الداخل بالجسم فاقدا لربه تعالى من كل وجه، وذلك باطل فإنه تعالى (٧٨/ب) موجود على الإطلاق، وإنما المراد أنه تعالى ليس منحصرا في مدخول إليه أو في ضده بخلاف الصور إذا دخل إليها بالأجسام، فإنها محصورة في مدخول إليه وضده، وأما أن معرفته لا تدرك بالأوهام، فمن قبل أن كل متوهم فهو ذو صورة والحق تعالى ليس له صورة، ولذلك لم يمكن أن يراه غيره، وإذا سمعت قول أحد من هذه الطائفة يقول (رأيتُه أو ما رأيت غيره) فإنما يعنى أن الحق تعالى قام بالوجود كله في نظر هذا القائل، فرأى وجوده من جملة الوجود الحق منها وهى عند غيرهم توهم أن المخلوق يرى الخالق مع بقاء خلقيته، وذلك ليس من قصد هذه الطائفة.

فإذن الحق تعالى لا يدرك بالأوهام، فإن الأوهام إنما تكون مع بقاء

الخلقية.

قوله :

(وقال لى: إن وليتني من علمك ما جهلت فأنت ولي فيه).

قلت :

معنى هذا التنزل أمر يغفل عنه علماء الرسوم؛ وذلك لأنهم يحاولون أن يجدوا لكل حكم علة فلا يولون الحق تعالى أمرا لا يشاركونه في حكمته، وطريق هذه الطائفة في مبدأ سلوكهم إلى نهايته ضد ذلك، وحال هذه الطائفة أشرف من حال العلماء في هذا.

ولقد شرف الأميون إذ كانت هذه حالهم بمضمون قوله عليه الصلاة والسلام "نحن أمة أمية لا نحسب ولا نكتب" وإنما سماه وليا من قبل أن التوكل يلى مرتبة التوحيد، ألا يرى أن التوحيد هو شهود أن لا فعل إلا لله تعالى، وكذلك حال من اتخذ وكلا في جميع أموره، فلا يرى فعلا من أفعاله لنفسه بل لو كيله تعالى فاتخذ وكلا فحال الموكل قريب من حال الولي المشاهد (فسماه) وليا في العلم الذي (٧٩/أ) ولاه ربه تعالى.

قوله :

(وقال لى: كل ما رأيته بعينك وقلبك من ملكوتى الظاهر والخفى، فأشهدتك تواضعه لى وخضوعه لبهاء عظمتى لمعرفة أثبتتها لك فتعرفها بالإشهاد لا بالعبرة فقد جوز لك عنها وعما لا ينفد من علوم غيرها وألسنة نواطقها، وفتحت لك فيها أبوابى لا يلجها إلى إلا من قويت معرفته بحمل معرفتها فحملتها ولم تحملك لما أشهدتك منها، ولما لم أشهدا منك فوصلت إلى حد الحضرة وقيل بين يدى فلان بن فلان فانظر عندها من أنت، ومن أين دخلت، وماذا عرفت حتى دخلت، ولماذا وسعت حتى حملت).

قلت :

يقول كل ما رأيته من الأجسام أو المعانى والأرواح وهى من ملكوته تعالى فشهدتها بإشهادته تعالى أى بتجليه فى مراتبها فقد جوزها عنها، وذلك أن المقصود بصور الوجود إذا ظهرت بالشهود كان الظاهر بها الواحد المعبود فقد قطع السالك بالإطلاق قيود رسومها والحدود وصار الشاهد فى مراتبها هو المشهود، وإن كثرت واختلفت ألسنة نواطقها، ومن ترقى عن مراتب حقائقها ورأى مخلوقاتنا صوراً إلى الآن فى علم خالقها فقد وصل الحضرة وتسمى باسم أثبتته له تلك النظرة فإن الأسماء هناك تبدل والصفات تنقل، وأما قوله : (فانظر من أنت) فهو إذ ذاك حق لا باطل فيه، وأما (من أين دخلت) فهو من باب العلم الذى سلم إلى ربه توليه وأما (ماذا عرفت حتى دخلت) فإنه عرف لنفسه فى مظاهر الحق ومجاليه فدخل إلى نفسه من حضرة جمع الغيب والشهالة (هكذا ولعلها والشهادة) ولذلك قالوا انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم، وأما (ماذا وسع حتى حمل)، فإنه وسع الحق من مضمون قوله (٧٩/ب) (ما وسعنى أرضى ولا سمانى ولكن وسعنى قلب عبدى)، وأما قوله (حتى حمل) فإنه حمل الأمانة التى لم يظلم فى حملها، ولا عرضت على الجبال فأشفقت من ثقلها ولو كانت نفوسهم التى عرفوها هى النفوس التى أهل البداية وصفوها لم يحمل شيئاً إذهى عدم، بل هى نفوس كان الحامل فيها هو المحمول، فافهم. والتواضع المذكور هو دخول صورها فى متصوره.

قوله :

(وقال لى: إذا أشهدتك كل كون إشهدا واحدا فى رؤية واحدة قلى فى هذا المقام اسم إن علمته فادعنى به، وإن لم تعلمه فادعنى بوجد هذه الرؤية فى شذائك).

قلت :

إشهداه الأكوان إشهدا واحدا هو أن يريك الأغيار عينا واحدة فيشهدها شهادة واحدة رؤية الرائي فيها من جملة المرئى، فهى من كل وجه واحدة، واسمه فى ذلك المقام هو الرحمن، إذ له الأسماء الحسنى التى يتعلق بها الكون. وقوله : (فادعنى به) أى سمنى به هذا هو قولى، وأما الحلاج فالاسم الذى علمه هو لفظة أنا، ولذلك قال أنا الله، وأما أبو يزيد فجعله الضمير الذى للمتكم فى قوله (سبحانى) وأما غير ذلك فجعله حقيقة ما فى الجبة، فقال ما فى الجبة إلا الله، وأما غير ذلك فجعله الشئ على العموم فى قوله ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله.

وكل هؤلاء وغيرهم عندما اضمحلت رسومهم شهدوا الحق فسموه بكل اسم ووصفوه بكل صفة إذ رأوا قيوميته وفنى فى نظرهم ما قام بها إذهى تعينات عدمية. وقوله : (فادعنى به) لم يرد المسئلة (المسألة) والدعاء بالعرف الخاص بل التسمية فقط، ودليل ذلك أن صاحب هذا الشهود (٨٠/١) لا يطلب من الله شيئا إذا طلبه منه وهو يراه استهزاء، وقد ذكر مثل ذلك فيما تقدم، وأما دعاء المسألة فهو الذى قاله فى هذا التنزل بعد وهو قوله : (وإن لم تعلمه فادعنى بوجد هذه الرؤية فى شذائك) أى اسألنى، ووجد الرؤية ووجدانها واحد.

قوله :

(وقال لى: صفة هذه الرؤية أن ترى العلو والسفل والطول والعرض وما فى كل ذلك، وما كل ذلك به فيما ظهر فقام، وفيما سخر فدام، فتشهد وجوه ذلك راجعة بأبصارها إلى أنفسها إذ لا يستطيع أن يقبل كل جزئية منها إلا إلى أجزائها، وتشهد منها مواقع النظر المثبت فيها الوجود تسبيحها متعرجة إلى بتماجيد ثنائها شاخصة إلى بالتعظيم المذهل لها عن كل شئ إلا عن دؤوبها فى أذكراها، فإذا شهدتها راجعة الوجوه فقل يا قهار كل شئ بظهور سلطانه، ويا مستأثر كل شئ بجبروت عزه، أنت العظيم الذى لا

يستطاع ولا تستطاع صفته، وإذا شهدتها شاخصة للتعظيم فقل يا رحمن يا رحيم أسالك برحمتك التي أثبت بها في معرفتك، وقويت بها على ذكرك، وأسमित بها الأذهان إلى الحنين إليك، وشرفت بها مقام من تشاء من الخلق بين يديك).
قلت :

هو يقول صفة هذه الرؤية ولا يقول شهودها نفسه، فإن ذلك لا تحمله العبارة، لكن كل ما لا عبارة عنه فإن النفس تقبل منه صور علم تلك الصورة العلمية تعبر عنها إلا أنها لا تفي بإيصال الشهود إلى السامع إلا إن كان ممن قد رأى؛ إذ لا يقتصر على مضمون العبارة بل ينظر بعين الشهود الوجداني فيشارك أهل شهوده، فهذا معنى (٨٠/ب) قوله صفة رؤيته ولم يقل رؤيته، أما اقتصاره على العلو والسفل والطول والعرض ففيه معنى شريف؛ إذ لو أراد نفس الجهات لا يستدعي ذلك ذكر سننه، لكن ذلك إنما يكون في المحويات خاصة وهو يريد ما هو أوسع حيطة من ذلك، ولو أراد نفس الجسم لا اكتفى (لا يكتفى) فيها بثلاثة (بثلاثة) وهي الطول والعرض والعمق، لكنه ذكر أربعة وهي العلو والسفل والطول والعرض، وأراد بالعلو والله أعلم ما يلي نقطة وسط محدب قوس الكرة مما لا بداية إلى نقطة مقر قوس الكرة واحدا إلى غير نهاية وهو السفل، وأراد بالطول والله أعلم ما يلي نقطة محدب الكرة من جانب مشرق الشمس إلى غير نهاية، وبالعرض ما يلي نقطة محدب القوس من ناحية الجنوب إلى غير نهاية، فهذه أربعة أبعاد وجمعها بعدان متقاطعان.

وقال الأكثر من الفلاسفة إلى أن الأبعاد متناهية، وأدلتهم على ذلك غير وافية بالمطلب، قوله (وما بين ذلك) يعني من الموجودات المتناهية، قوله (وما كل ذلك) إشارة إلى أن الموجودات التي بين ذلك هي بعض ما غير ذلك، فكأنه يقول إن جوهر العالم واحد. قوله (فيما ظهر مقام) إشارة إلى المولدات والأمهات، قوله (وفيما سخر فدام) يعني الأفلاك وقوى الوجود الكلية، قوله (فشهد وجوه ذلك) إشارة إلى ملاحظة الوجدانية في الكثرة، فإن الوجود واحد، والموجودات كثيرة وتمايز الوجود بالإعدام لتعينه. قوله (راجع بأبصارها إلى أنفسها) معناه كما تقدم انتهى سفر الطالبين (٨١/أ) إلى الظفر بنفوسهم، وهنا حال من أحوال العارفين، وهو أنه يراها شاخصة بأبصارها

إلى مواقع الوجود منها من حيث النظر الذى أثبت فيها الوجود كما ذكر بعد،
 فربما ظن ذلك خارجا عنه وليس كذلك بل حقائقها التى فى وجود الشاهد هى
 التى شاخصة إلى أنفسها من نفس شخوصه هو إلى نفسه، لكن الإخبار فى
 هذا التنزل هو على مقدار ما يراه فى بادئ الشهود، فإنه مما بعد يتنبه على
 ما قلته لافى بادى الراى إذ بادى الراى هو أن يراها هى شاخصة إلى
 أنفسها. قوله (إذ لا تستطيع كل جزئية جزئية منها أن تصل إلا إلى أجزائها)
 أى أنفسها؛ وذلك لأن الجزئيات لها تعين ولا تقدر أن ترى من حيث هى
 متعينة إلا ما كان متعينا والحق تعالى وجود مطلق فلا ترى هى منه إلا ما
 ثبت لها من مطلق وجوده الذى يسمى القيوم.

قوله :

(وتشهد منها مواقع النظر المثبت فيها الوجود) معناه نظر الوجدانية
 الوجودية تسبيحها إنما هو بتعريض إليه تعالى بتمجيدها، وكل هذا فى شهود
 الشاهد، والتماجد والأنكار كلها بالأسنة الأحوال لا بالأسنة الأقوال إلا من
 حيث إن الأقوال تختلف بقول كل جزئية (جزئية) هو نطق يليق بها، وحالها
 فيه حال واحدة، وإنما الإنسان هو عن الجميع بنطقه اللائق به وهو نطق
 جامع للمراتب التى شهدها لا مالم يشهده منها. قوله (فقل يا قهار كل شئ
 بظهور سلطانه) معناه يا من تثبت له عبودية كل شئ طوعا وكرها فى العلم،
 وطوعا فقط فى المعرفة، والمراد بسلطانه عند هذه الطائفة الوجدانية، والقهر
 إحاطة وحدانيته بكل موجود، وكذلك العز، وكذلك الاستسار.

وفى هذا التنزل إشارات منها قوله المذهل لها بالتعظيم أى أنها
 مخلوقة على حالة واحدة لا تتغير عنها ولا لها التفات إلى غيرها، كما قيل
 إن الملائكة منهم قيام لا يركعون، ومنهم ركوع لا يسجدون، ومنهم سجود
 إلى غير ذلك، فإن الملائكة الأعلى أكثرهم هكذا على حالات لا تتغير.
 ومنها قوله : (أنت العظيم الذى لا يستطاع) يعنى أنه إذا تجلى فى ما
 سواه، قوله (لا تستطاع صفته) أى صفته أنه وجود وليس غيره يسمى
 وجودا، هذا عن هذه الطائفة، بل إن كان فموجود، وقوله : (إذا رأيتها
 شاخصة إلى بالتعظيم فقل يارحمن يارحيم أسالك برحمتك التى أثبت بها فى
 معرفتك) فإن الإشارة إلى أن المشاهد إذا غلب عليه شهود التعظيم رأى كل
 شئ شاخصا بالتعظيم إلى ربه عز وجل، وهذه صفة مع شرفها بعيدة،

وأشرف منها شهود الرحمانية، فكأنه قال له اجنح إلى شهود الرحمانية الموجبة للأنس والبسط تخلص من شهود العظمة إلى يقتضى القبض والخوف والمصيبة، فإن شهود الجمال أنس وشهود الجلال وحشة، والأحوال ما بين هذين، وأما شهود الكمال فسكون لا حركة فيه لا إلى البسط ولا إلى القبض، وحال صاحبه فى ظاهره (ظاهرها) شبيهة بحال العوام مع أنه أعلى مقاماً، وأبعد مرأماً، وأسهل زمأماً وأهملاً غمأماً، وإذ بيده المراتب، وهو لكل أحد مصاحب، لا يعرف الإنكار إلا على أهله.

فنعود ونقول : إن قوله يارحمن يارحيم إشارة إلى خواص الأنكار الأسمانية، فإن المشايخ رحمهم الله بها يداوون أرباب الأحوال من (٨٢/أ) أمراض الاختلال، فإذا رأوا مريداً غلب عليه التعظيم فأخرجه عن المنهج القويم لقنه (لقنوه) ذكر الرحمن، أو الحى، أو القيوم، أو ما يناسبه حاله من أمثال هذه الأسماء فينقص ما يجده من ذلك، ويعوض عنه ما هو أشرف فى المسالك المسالك وبالعكس، إذ رأى من غلب عليه البسط والجمال فأخرجه عن اعتدال الأحوال، لقنه من الأنكار الاسم الجبار أو الاسم القهار أو المنتقم أو الشديد البطش، فتلازم ذكر اسم يناقض حاله فتسرى خاصته ذكره إليه فيعتدل حاله فى المثال هذا، فأما الرحمة التى أثبت بها فى معرفته فهى شهود القيومية، والقيوم من الاسم الرحمن بمنزلة الفرع من الأصل، وأما الرحمة التى قوى بها على ذكره فهى من الرحمن بمنزلة فرع الفرع، وذلك كالاسم الجواد واللطيف فإنها من الاسم القيوم الذى هو الفرع من الرحمن، وأما الرحمة التى اسمى بها الأذهان إلى الحنين إليه فهو الاسم الودود وأمثاله الذى من فروع الاسم الرحمن فى المرتبة الثالثة فإنه من ذكر اسم المحبوب ومن ذكر عرف، وأما الرحمة التى بها شرف من شاء بين يديه فهى بمنزلة الاسم الهادى الذى هو أول مراتب اليقظة القريبة من التوبة، وهو من الاسم الرحمن بمنزلة المرتبة الرابعة فى الفرعية.

ففى هذا التنزل ترتيب لمقامات السلوك الأسمانى على الترتيب الحق.
قوله :

(وقال لى: إذا سلمت إلى ما لا تعلم فأنت من أهل القوة عليه إذا أبديت لك علمه، وإذا سلمت إلى ما علمت كتبك فيمن أستحي منه).

قلت :

معناه أن ما يعلمه العبد من أحكام علوم العبادات إذ هي المقصودة دائماً من ذكر العلم ثم عمل عملاً قلد فيه وسلم تعليله (٨٢/ب) إلى ربه تعالى، فإنه إذا أظهر له الحق تعالى حكمة ذلك الحكم وجد قلبه ساذجاً فقوى على تلقي الحكمة، وأما إذا علم حكماً ثم عمل به مع شهود حكمة نقلاً كما يفعله الفقهاء في تأويلاتهم لعلل الأحكام ثم سلم إلى ربه تعالى فيه فإن الحق تعالى يكتبه فيمن يستحي منه، وسبب ذلك أن التعليل يظهر على خلاف ظاهر فتأول به الحكم فكان العبد إذا رأى خلاف معتقده الذي سلم فيه إلى ربه فتبقى صورته توجب أن لو كانت مع غير الحق استحياء، فإن استحياء الحق مجاز، فإن الاستحياء متأثر والتأثر انفعال من فعل فاعل هو العبد، وهذا بعيد في الحق الحضرة المنزهة واستعمال المجاز مستحسن فلا إنكار فيه.

قوله :

(وقال لى: المعرفة ما وجدته والتحقق بالمعرفة ما شهدته)

قلت :

جعل الوجدان للأحوال وهي معارف جزئية جزئية وجعل التحقق بالعرفان للشهود، والشهود هو الفناء في المشهود.

قوله :

(وقال لى: العالم يستدل على، فكل دليل يدلّه إنما يدلّه على نفسه لا على، والعارف يستدل بى).

قلت :

هذا اللفظ نقله ابن العريف بعينه في رسالته الملقبة بمحاسن المجالس (٤٨) وهو قوله (العالم يستدل على والعارف يستدل بى) وتفسير ذلك أن العالم فاقده، والعارف واحد، ثم إنه ليس في الأدلة ما يدل على الحق تعالى، أما الأول: فلأن مقدمات البرهان إذا سلمت وكانت كلية في الضرب الأول من الشكل الأول لم يدل عليه تعالى، وذلك أن معنى الكلية أن يقول أن كل واحد واحد في الإيجاب فيشير إلى الموجودات والحق تعالى وجود ولا يطلق عليه أنه موجود إلا مجازاً، وكل الموجودات بالوجود، فالبرهان إنما يدل على الموجود لا على الوجود (٨٣/أ). وقوله (فإنما يدل على نفسه) أى على ما

فى قوته من الموجودية لا من الوجودية. وأما العارف فيستدل به تعالى وهو يدل على نفسه من شاء برحمته ^(٤٩).
قوله :

(وقال لى: العالم حجتى على كل عقل فهى فيه ثابتة لا يذهل العقل عنها وإن تذاهل، ولا يرحل عن علمه وإن أعرض).
قلت :

إنما كان العلم حجة على العقل من قبل أن العقل يثبت الغيرية، ومعنى العلم فهو فى الغيرية فالحق تعالى دعا الخلق إلى طاعته على قدر عقولهم إذ قد دعاهم بالعلم المساوى للعقل فى إثبات الغيرية، فقامت الحجة على العقول إن هم أعرضوا عن الاستجابة لله ورسوله إذا دعاهم بما يعترفون بصحته.
قوله :

(وقال لى: لكل شئ شجر، وشجر الحروف الأسماء، فاذهب عن الأسماء تذهب عن المعانى).
قلت :

يريد بالحروف عالم (الخلق) والخلائق كلهم لهم الأسماء الدالة على حرفيتهم، فإذا ذهب العبد إما بالشهود وإما بالإعراض عن مراتب الوجود تاركاً الأسماء ذهب من معانيها فسلم قلبه من الأغيار، وصفى من دنس الأكدار فحينئذ تتجلى له الأنوار.
قوله :

(وقال لى: إذا ذهبت عن المعانى صلحت لمعرفتى).
قلت :

معناه: إذا خلا ربك من الخلق صلح للحق.

١٤- موقف الأمر :-

قوله :

(أوقفنى فى الأمر وقال لى: إذا أمرتك فامض لما أمرتك، ولا تنتظر به علمى ^(٥٠) إنك إن تنتظر بأمرى علم أمرى تعص أمرى)

قلت :

معناه أن العمل بالأحكام العبادية تعبد لا تعقل معناه هو المطلوب
لامايعلم الحكمة فيه.

قوله : (٨٣/ب)

(وقال لى: إذا لم تمنع لأمرى أو يبدو لك علمه فلعلم الأمر أطعت لا
للأمر).

قلت :

معناه: طاعة الحق عبادته حسب أوامره تعبد، أو طاعته للحكمة التى
عليها يتبنى الحكم خطأ (خطأ)، وانتظار علم الأمر إشرط (إشرط) على
الله فى عبادته أن يبدى مراده فى أمره، فالوقوف مع الشرط عبودية للشرط.
قوله :

(وقال لى: أئدرى مايقف بك عن المضى فى أمرى وتتنظر علم
أمرى هى نفسك تبتغى العلم لتتفصل به عن عزيمنى ولتجرى بهواها فى
طرقاته، إن العلم ذو طرقات، وإن الطرقات ذوات فجاج، وإن الفجاج ذوات
مخارج ومحاج، وإن المحاج ذوات الاختلاف)
قلت :

انتظار العلم بالأمر تسويف، وانتظار العرضيات تبطل العزيمة فيه
إما بتأويل يخصص عمومه، أو يقيد إطلاقه، أو توقفه على شرط يبطى
حصوله، وذلك كله من فعل هوى النفس لتخلص من التكليف فى البعض إذا
عجزت عن الكل، فطرقات العلم تأويلات والتأويلات كثيرة الاتساع،
والاتساع كثير المخارج إلى ضد المقصود من الأمر والمحاج كذلك ذوات
اختلاف، والاختلاف أخو الخلاف، والخلاف يقتضى الجدل، وما أهلك أمة
من الأمم حتى أوتوا الجدل.
قوله :

(وقال لى: امضى (امض) لأمرى إذا أمرتك، ولاتسألنى عن علمه
كذلك أهل حضرتى من ملائكة العزائم يمضون لما أمروا به، ولايعقبون،
فامضى (فامض) ولاتعقب تكن منى وأنا منك).

قلت :

ملانكة العزائم كهذه الأفلاك تمضى بأمر ربها عزوجل ولا تعقب،
والتعقيب النظر إلى العقب، وهو التفات إلى الققاء (وراء)، والصوفى لا يرجع
(٨٤/أ) إلى وراء ولا يسمع النداء من خلف الققاء.

قوله :

(وقال لى: ماضنة عليك أطوى علم الأمر إنما العلم موقف لحكمه
الذى جعلته له، فإذا آذنتك بعلم فقد آذنتك بوقوف به، إن لم تقف به عصيتنى
لأنى أنا جعلت للعلم حكما، فإذا أبديت لك العلم فقد فرضت عليك حكمه).

قلت :

الضنة البخل، ومن كان طالبا للحكمة فى مسائل العلم فمطلوب منه
الوقوف على حقيقته ومعاقب على ترك ذلك إذ كان الحق هو الذى جعل للعلم
أحكاما معلولة العلل وباقية ظاهر.

قوله :

(وقال لى: إذا أردتكم بحكمى لا بحكم العلم أمرتكم، فمضيت للأمر
لاتسألنى عنه ولا تنتظر منى علمه).

قلت :

معناه إذا أردتكم أن تكون بحكمى لباحكم العلم، ومن حقق هذا جعل
العمل قبل العلم بالحكمة فى مسائل العبادات، ولو قال السطان لبعض أمرائه
اذهب إلى البلد الفلانى فسأل عن الحكمة فى ذلك قبل أن يكون سلطانه هو
الذى يعلمه بالحكمة فيه فقد أساء أدبه مع سلطانه.

قوله :

(وقال لى: إذا أمرتكم فجاء عقلك يجول فيه فائفه، وإذا جاء قلبك
يجول فيه فاصرفه، حتى تمضى لأمرى ولا يصحبك سواه، فحينئذ نتقدم فيه،
وإن صحبتك غيره أوقفك دونه، فعقلك يوقفك حتى يدرى، فإذا درى رجع،
(٥١) وقلبك يوقفك حتى يدرى، فإذا درى ميل).

قلت :

هذا التتزل ظاهر مما تقدم، وفيه ما يحتاج إلى مزيد إيضاح وهو
الفرق بين العقل والقلب، وبين الترجيح والميل..

فأما العقل: فهو خصوص وصف في النفس، وذلك الوصف هو كمال في النفس وبه يقع الفكر وثمرته الترجيح، وأما القلب: فهو قوة طبيعية تميل بالنفس إلى الشهوات الحيوانية. فقد ظهر العقل والقلب والترجيح والميل.

(٨٤/ب)

قوله :

(وقال لي: إذا أشهدتك كيف تنفذ أوليائي في أمري لا ينتظرون به علمه، ولا يرتقبون به عاقبته رضوا به بدلا من كل علم، وإن جمعوا العلم على ورضوا بي بدلا من كل عاقبة، وإن كانت دارى ومحل الكرامة بين يدي، فأنا منظرهم لا يسكنون أو يروني ولا يستقرون أو يروني، فقد آذنتك بولايتي لأنني أشهدتك كيف تأتمر لي إذا أمرتك في تعرفي، وكيف تنفذ عني وكيف ترجع إلي، عدي لا تنتظر بأمرى علمه، ولا تنتظر به عاقبته، إنك إن انتظرتهم بلونك فحجبك البلاء عن أمري وعن علم أمري الذي انتظرتهم ثم أعطف عليك فتتعب (فتعود)، ثم أعود عليك فأتوب، ثم تقف في مقامك، ثم أتعرف إليك ثم أمرك في تعرفي فامض له ولا تعقب أكن أنا صاحبك، عدي أجمع أول نهارك وإلا لهوته كله، واجمع أول ليلك وإلا ضيعته كله، فإنك إذا جمعت أوله جمعت لك آخره).

قلت :

تفسير هذا التزل من نفس أفاضه فإنه فسر كيفية نفوذ الأولياء في أمره بما معناه أنهم رضوا به تعالى بدلا من كل علم ومن كل عاقبة، وأما كيف الحق بدلا من العلم، ومن العاقبة فسأبينه من نفس المواقف، فإنه ذكر فيما معنى ماصورته (واعلم أنني لأقبل منك من سنتي إلا ما أثبتته لك تعرفي) ونفس قبول التعرف، والاقتصار به على بعض السنة دون بعض هو اتباعه للحق ورضاه به بدلا عما ترك من العلم الذي اقتصر عنه. وسبب الاقتصار أن السنة الشريفة تتضمن أحوالا شتى بحسب أحوال العبيد، ونصيب كل عبد منها هو الذي يعينه حاله مع الله تعالى. ويشبه ذلك في العلم أن صيام شهر (١/٨٥) رمضان فرض على المقيم وليس يتعين له فيه رخصة، والمسافر بخلاف ذلك، كل واحد منهما عين نصيبه من السنة، وقال في موضع (تمسك بالسنة في عملك وعلمك وتمسك بتعرفي إليك في وجد قلبك) ففي معنى هذا بعض شبه مما نحن فيه، فالقوم رضوا به تعالى بدلا

عن كل علم، ومعنى قوله (وإن جمعوا العلم على) أى وإن كان العلم منصوباً عليه وتحقق عندهم مثلاً أن الحكم من عند الله تعالى، إما من كتاب، أو من صحيح خبر، ومع ذلك فتلجهم الضرورات فى أمور المحبة إلى سلوك ما لا يليق بأدب السنة، ولست أقول (بالأدب مطلقاً فإن القوم أدباء، وإذا حقق أمرهم وجد ما فعلوه هو حقيقة السنة) وما تركوه لم يكن سنة فى حقهم، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين. ولى فى هذا المعنى شعر من قصيدة طويلة وهو :

يا عاذلى أنت تنهاني وتأمرنى والوجد أصدق تنهات وأمار
فإن أطعك وأعصى الوجد عدت عمى عن العيان إلى أوهام أخبار
وعين ما أنت تدعونى إليه منى حقيقته ره المنهى يا خسار
ولست أريد بأوهام الأخبار مالم يصح إسناده من السنة فضلاً عما صح،
ولا أخبار قوم وردوا إمام الحياة من غير المنه بل أخبار غير الأخبار.
فنعود ونقول معنى رضاهم به تعالى بدلاً من كل عاقبة، والعاقبة هى الجنة،
ودار الكرامة عند الله تعالى ومحل ذكره، وإنما جعل الذكر عاقبة فإنه أخص
ما أظهر، فقد ورد فى المواقف قوله (أخص ما أظهرت ذكرى وذكرى
حجاب).
قوله :

(وأنا منظرهم) أى يشتغلون به تعالى عن كل شئ، وهذه حالة
لا تكون إلا لأحد (٨٥/ب) رجلين : إما مشاهد موله وإما محب، وقوله (لأنى
أشهدتك كيف تأتمر لى إذا أمرتك فى تعرفى) معناه لا تطلب له علة، ولا ترم
عليه من العقل دليلاً، وتخصيصه بلفظ تعريفى إشارة إلى التسليم عند ورود
التجليات عليه، فإن التسليم قد صار له خلقاً. قوله (وكيف تنفذ عنى) يعنى
بالنفوذ رؤية وجه الصواب بالنور الذى يصحبه من الحق تعالى كقوله
عز وجل " وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس " ومعنى قوله (وكيف ترجع
إلى) أى يلوح لك أنك فيما نفذت فيه راجعاً فيه إلى الله لا إلى نفسك. قوله
(بلوتك) معناه اختبرت لك فيما تجنح إليه من علم الأمر فاحتجب عنه بالسكون
ولا العقل الذى يجول بك فى طرقات العلم وفجأته، وكل ما شغلك عن الحق
فهو حجاب. ولم يرد بالبلاء ما يقتضيه العرف من أنواع المصائب أو الآلام

أو الأسقام فإن القوم وإن علموا أن هذا اختبار من الله تعالى لعبيده إلا أنهم لا يلتفتون إلى ذلك وإنما العذاب الأليم عندهم هو الحجاب. وأكثر ما يرد في هذه المواقف من ذكر البلاء فليس المراد منه إلا هذا أعنى الحجاب فتأمله وذلك لأن الحق تعالى هو أكبر هم القوم.
قوله :

(ثم أعطف عليك فتتیب من الإنابة والإنابة لبس من فعل العبد بل عاطفة الحق تعالى فلذلك قال ثم أعطف عليك. قوله (ثم أعود وأتوب) أى أقبل إليك بالعفو بعد الإعراض عنك بالابتلاء.
قوله (ثم تقف فى مقامك) أى فى مقام الائتمار.
قوله (ثم أتعرف إليك) أى أريك بارقة من نورى ليقبلها بتقليد التعبد الذى لا يعقل معناه.

قوله (أكن أنا صاحبك) أى بالرضى والإقبال. (أ/٨٦)
قوله (عبدى اجمع أول نهارك وإلا لهوته كله) يعنى الانبعاث فى أول النهار بحكم وتتفعل له النفس، هكذا أجرى الله تعالى العادة، ومن جرب المعاملة معه تعالى وجد الأمر كذلك، وكذلك أول الليل، فإن البداوات لها الحكم بجمع أول النهار وأول الليل للاشتغال بالذكر والورد.
قوله :

(وقال لى: اكتب من أنت لتعرف من أنت، فإن لم تعرف من أنت فما أنت من أهل معرفتى).
قلت :

الفرق بين اعرف ما أنت، وبين اعرف من أنت، فجواب ما أنت فهو يقين عدمى إذ التعينات عدمية، وأما جواب من أنت فهو فى حالة التعرف اسم من الأسماء، ولا أصرح بأكثر من هذا. ولقد بلغنى عن الشيخ الحريرى البسرى بيت حسن على طريق أهل الشوق وهو :

الحم رطل بدرهم ما قدر جثتى من كان يعرف وجوده هذاك غلام جيد
وأما كونه أمره أن يكتب، فإن الكتابة فى أول مبادئ التجليات توجب ثبات العدم فى العرفان، وسكون القلب عند مطالعتها بعد انقضاء الوارد، فإن الوارد إذا فارق صحى (صحا) صاحبه بعد سكرة، فربما نسى بعض علومه

وارداته. ومعنى قوله إن لم تعرف من أنت فما أنت من أهل معرفتى فإنها نهاية الإنسان فى العرفان أن يعرف من هو، فمن عرف نفسه عرف ربه.
قوله :

(وقال لى: أليس إرسالى إليك العلوم من جهة قلبك إخراجا لك من العموم إلى الخصوص، أوليس تخصيصى لك بما تعرفت به إليك من طرح قلبك وطرح بأن من العلوم (٨٦/ب) من جهة قلبك إخراجا لك إلى الكشف، أوليس الكشف أن تنفى عنك كل شئ وعلم كل شئ وتشهدنى بما أشهدتك، فلا يوحشك الموحش حين ذلك، ولا يؤنسك المؤنس حين أشهدك وحين أتعرف إليك ولو مرة فى عمرك إيدانا لك بولايتى، لأتلك تنفى كل شئ بها أشهدتك فأكون المسئولى عليك، وتكون أنت بينى وبين كل شئ فتلبنى لا كل شئ، ويليك كل شئ لا يلبنى، فهذه صفة أوليائى فأعلم أنك ولى وأن علمك علم ولايتى فأودعنى اسمك حتى ألقاك أنا به ولا تجعل بينى وبينك اسما ولا علما، وأطرح كل شئ أبديه لك من الأسماء والعلوم لعزة نظرى، ولئلا تحتجب به عنى، فلحضرتى بنيتك لا للحجاب عنى ولا لشئ هو من دونى جامعا كان لك أو مفرقا، فالمفروق زجرتك عنه بتعريفى، والجامع زجرتك عنه بغيره ودى فأعرف مقامك فى ولايتى فهو حدك الذى إن أقمت فيه لم تستطعك الأشياء وإن خرجت منه تخطفك كل شئ).
قلت :

إرسال العلوم هو ميراث نبوى يحصل للعبد يشرع به للخاصة وينتبه به للعامة، وهذه المرتبة تكون فى بداية الولاية، ويلبها طرح تلك العلوم وهو الكشف، وحقيقة الكشف محو الأشياء فى نظر الشاهد حتى لا يرى إلا الحق تعالى، وهو قول بعضهم حجت فرأيت رب البيت ولم أر البيت، وعلامة ذلك أن لا توحشه المعصية ولا تؤنسه الطاعة، وذلك لاستيلاء الحق تعالى عليه، فلا يرى غيره وإن كان بين الحق تعالى وبين الأشياء، فإن نظر شهوده هو كونه غافلا عن البرزخية التى له بين بحرى الغيب والشهادة، وأما إيداعه اسمه فأن يفنى عن (٨٧/أ) رؤية نفسه فضلا عن اسمها. وحاصله سمنى باسمك مادمت فى مقام العرفان حتى ألقاك فى مقام القطبية، والتحقيق إذ هو المقام الذى فيه تتميز الحقائق وتثبت بعد الفناء، والبقاء بعد الفناء معروف عندهم، وأما قوله (جامعا كان لك أو مفرقا) فالجامع ما جمعك على

الله تعالى من علم وعمل، والمفرق هو ما دعاك إليه الهوى والشيطان من المعاصي، فأما المفرق فالزجر عنه بنعمة نفسه تعالى على لسان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه نهى عن المعصية، وأما الجامع فما نهاه عنه العلم بل العلم يأمر به، وإنما نهاه عنه شهود الوحدانية الحاصلة وهو قوله (هنا) عزة نظري، والإضافة هنا إلى المفعول أى لعزة المنظور أى الحق تعالى، وذلك لاشتغال المشاهد بالمشهود عن عبادة كل موجود، وذلك غيرة وده تعالى، إذ لولا (وده) تعالى وهو الودود تعالى لم يعز عليه حتى حماه عن رؤية الأغيار ومعرفته حده هو أن يرى نفسه عدما والحق هو الوجود وأن صفاته وأسمائه هي المعبر عنها بالموجود لا غير. فإن خرج عن هذا الشهود تخطفته الأشياء فاحتجب بها عنه تعالى.

قوله :

(وقال لى: أنترى ما صفتك الحافظة لك بإذننى هي مادتك في جسدك، وذلك هو رفق بصفتك وحفظ لقلبك، احفظ قلبك من كل داخل يدخل عليه يميل به عنى، ولا يحمله إلى، وارفق بصفتك في عبادتى تجمع همك على).

قلت :

معناه: لانتك الجسد بالرياضة كما يفعله الجاهل، وهذا هو حفظ المادة الجسدية، وبقي حفظ المادة النفسانية وهو أن لا تمكن من قلبك داخلا يميل عنه تعالى (٨٧/ب) لكن برفق لنلا ينفق خاطر عن الجمعية.

قوله :

(وقال لى: مقامك منى هو الذى أشهدتك ترائى أبدى كل شئ، وترى النار تقول ليس كمثله شئ، وترى الجنة تقول ليس كمثله شئ، وترى كل شئ يقول ليس كمثله شئ فمقامك منى هو ما بينى وبين الإبداء).

قلت :

الشئ عند هذه الطائفة اسم للموجود، والحق تعالى وجود، فهو منزه عن الشيقية، وإذا كان كذلك فكل ما أبداه الوجود فصار شينا فليس هو كمبدئه تعالى، فالشاهد إذا شهد هذا رأى كل شئ يقول ليس كمثله شئ، أى ليس هو من عالم الشينية فصاحب هذا الشهود إذن فوق الإبداء.

قوله :

(وقال لى: إذا كنت فى مقامك لم يستطعك الإبداء لأنك تلىنى،
فسلطانى معك وقوتى وتعرفى).

قلت :

معناه: إذا دمت فى شهود ما فوق الشينية الذى هو فوق الإبداء لم
يحجبك الإبداء، والسلطان هو القوة وبها يكون التعرف.

قوله :

(وقال لى: أنا ناظرك وأحب أن تنظر إلى، والإبداء كله يحجبك
عنى، نفسك حجابك، وعملك حجابك، ومعرفتك حجابك، وأسمائك حجابك،
وتعرفى إليك حجابك، فأخرج من قلبك كل شئ وأخرج من قلبك العلم بكل
شئ وذكر كل شئ، وكلما أبديت لقلبك باديا فألقه إلى بدوه وفرغ قلبك لى
لتنظر إلى، ولا تغلب على).

قلت :

معناه أن الحق قد صار بصرا له من مضمون "كنت سمعه وبصره"
ومن كان الحق تعالى بصره رأى وجود الأشياء واحدا، ورآه فيضا من نور
الحق تعالى، والحق تعالى نور، فإن نزل عن هذا النظر بحيث يرى الإبداء
والبادى احتجب، والمراد النظر (أ/٨٨) إلى الجنب الأقدس لا إلى الباديات
به فى الآفاق والأنفس.

١٥- موقف المطلع :-

قوله :

(أوقفنى فى المطلع وقال لى: أين اطلعت رأيت الحد جهرة ورأيتى
بظهر الغيب).

قلت :

هذا الموقف أعلى من الذى قبله، وذلك لأن الذى قبله كانت إشارات
تنزلته إلى شهود وحدانية الحق وهو الفناء، وهذا المقام هو أول مقامات
البقاء بعد الفناء، وذلك لشهود صاحبه من حضرة المطلع عالم الخلق وهو
الظاهر، وعالم الأمر وهو الباطن، والحد بينهما وهو برزخ البحرين، فهو

يقول له : إذا رأيت الحد كان الحق تعالى غيبا وكان الخلق شهادة، وستعرف كيف إن شاء الله تعالى.
قوله :

(وقال لى: إذا كنت عندى رأيت الضدين والذى أشهدهما فلم يأخذك الباطل، ولم يفتك الحق).
قلت :

معناه : إذا رأيت الوجود الصرف تعالى الذى أشير إليه بعندى رأيت الضدين، ويعنى بهما الحق والباطل وحقيقتهما الوجود والماهيات، فلم تأخذك الماهيات إذ هى الباطل، ولم يفتك الوجود إذ هو الحق، وإنما سمى الماهيات باطلا لأنها تعينات عدمية، والعدم باطل، وأما الوجود فحق.
قوله :

(وقال لى: الباطل يستعير الألسنة ولا يوردها موردها كالسهم تستعيره ولا تصيب به).
قلت :

معناه أن الماهيات التى هى الباطل تستدعى التعبير عنها، ولولا أنها نسب فى الوجود لما كان (٨٨/ب) عنها عبارة، وذلك هو استعارة الألسن، ثم أنه إذا وقع التعبير عنها كما يذكره المنطقيون فى مقولة المضاف، لم ترد العبارة فى موردها؛ إذ العبارة إنما تقع باعتبار الوجود إذ فيه التمايز (لا فى العدم) فأعجب لهما من متلازمين متقابلين فالتمييز فى الوجود لا به، وبالعدم لا فيه، فإذا تبعت التميزات والنسب والإضافات كانت فى الذهن لا فى الخارج، وإذا تبعت ما فى الذهن تكرر الأمر، وذلك أنك تجد إذا استحضرت الذهنيات فى الذهن أيضا فتجد النسب الأول إعداماً، ثم تعتبر الثانى وهكذا إلى غير نهاية، فلا تجد إلا استحضارات ذهنية وجودها للوجود وتفاصيل وجودها للعدم، وفى هذا البحر غرق الأولون والآخرين ولم يقدروا أن يتخلصوا منه سوى أهل الشهود.
قوله :

(وقال لى: الحق لا يستعير لسانا من غيره).

قلت :

الوجود لا يفتقر شهوده إلى عبارة، وذلك هو كونه لا يستعير لسانا من غيره بخلاف العدم فإنه يستعير من الوجود.

قوله :

(وقال لى: إذا بدت أعلام الغيرة ظهرت ^(٥٢) أعلام التحقيق).

قلت :

التحقيق هو أعلى مراتب الأولياء، وهو القطبية، ومنه بعثت الرسل فى زمان الرسل والمشايخ بعد انسداد باب الرسالة، وأعلام التحقيق هو الفرقان بين الحق والباطل فى كل موجود، وذلك علم الماهيات فى الوجود وفى ذلك جميع تفاصيل العلوم والمعارف والأذواق وهو المقام المحيط.

قوله :

(وقال لى: إذا بدت (١/٨٩) الغيرة لم تستتر).

قلت :

اعلم أن الغيرة ههنا هو شهود أن ليس مع الوجود الصرف إلا معانيه وأنها ليست تثبت بدونه؛ فهو هى وليست هى هو، ومعنى تسمية هذا المقام بمقام الغيرة كونه يشهد أن ليس فى الوجود إلا الله تعالى، فكأنه غار على وجوده فى شهود الشاهد أن يكون معه غيره أو يثبت معه سواه، والأمر هكذا هو نفسه أزلا وأبدا فافهم وما فهمك إلا بالله.

قوله :

(وقال لى: اطلع فى العلم فإن رأيت المعرفة فهى نوريت، واطلع فى المعرفة فإن رأيت العلم فهو نوريتها).

قلت :

هذا هو التحقيق، وذلك أن العلوم تقتضى الغيرية، فإن كان عندك شهود يظهره مالك فى عين المعرفة وجدت المعارف كالنور لتلك العلوم وذلك هو شهود الوسط الذى يقال فيه لأنه حين يقال لأنه كذا، وعلامته أن تتكشف له الكليات جزئياتها (جزئياتها) ثم إن قوى عندك النور الإلهى اطرده الشهود وانعكس فتجد العلوم فى المعارف، وذلك ضرورة شهود المطلع الذى هو فى الحد فارقا بين الظهر والبطن، وذلك قولهم فيما نقلوا أن للقرآن ظهرا

وبطنا وحدا ومطلعا، وهذا هو بعينه في الحضرة التي هي الكتاب المسطور
في رق منشور.
قوله :

(وقال لي: اطلع في العلم فإن لم تر المعرفة فاحذره، واطلع في
المعرفة فإن لم تر العلم فاحذرها).
قلت :

معناه : إن لم تر ظاهرا هو العلم وباطنا هو المعرفة انفصل العلم
عن المعرفة وصار كجسم لا روح فيه، أو كظاهر لا باطن له، وبالعكس في
المعرفة فإنهما متضايقان يعلم كل واحد منهما بالآخر، وكل من تصور مسألة
من العلم ولا يشهد الوسط فيها لم يكن له علم بها، وكل من عرف حكما ولم
يشهد مرتبته في العلم فما عرف.
قوله :

(وقال لي: المطلع مشكاتي التي من رآها لم ينم).

قلت :

المطلع سمي مطلع للاطلاع منه على الظواهر وهي العلوم،
والباطن وهي المعارف أو الحدود بينهما التي بها يصير الموجود مجموعا
من ظاهر وباطن، فإذا الاطلاع منه هو يشبه المشكاة التي ترى بمصباحها
الأشياء التي كانت الظلمة تخفيها، وأما قوله (لم ينم)
فمعناه : لم يجهل.

قوله :

(وقال لي: المطلع رؤية الموجب، والمطلع في الموجب رؤية

المراد).

قلت :

أراد بالموجب العلة وبالمراد المعلول.

قوله :

(وقال لي: يا عالم اجعل بينك وبين الجهل فرقا من العلم وإلا غلبك،

واجعل بينك وبين العلم فرقا من المعرفة وإلا اجتذبك).

قلت :

حال الجاهل كحال العامي، فكأنه قال تعلم فيصير العلم يفرق بينك وبين العلم فرقا من المعرفة ليجمعك على الحكم، وهو قوله فيما سبق (تعلم ولا تسمع من العلم) أى الحظ فيه وجه المعرفة فإذك بها تكون غير سامع من العلم خشية أن يجتذبك العلم فيصير جهلا إذ هو يحجب عن المعرفة.
قوله :

(وقال لى : أوجبت إلى التقوى أثبتى وثبتى، وأوجبت إلى المعصية تزلزلى وزلزلى).
قلت :

إثبات التقوى جعله إياها تفيد المعرفة وهو قوله تعالى (٥٣) "واتقوا الله ويعلمكم الله" وأما المعصية فمعنى قوله تزلزلى أى (٩٠/أ) لا تثبتى، وحقيقة لا تثبتى أنها ليس لها حقيقة فى نفس الأمر، ولذلك من نظر الناس بعين المعرفة عذرهم، وأما قوله (وزلزلى) فإن معناه أنه تعالى جعل حقيقة المعصية توجب الوحشة بين قلب المحبوب وبين ربه عز وجل، وذلك هو الزلزال.
قوله :

(وقال لى: العلم بابى والمعرفة بوابه).

قلت :

العلم هو الدليل إلى السلوك، كما يدل الباب على المدخل إلى الدار، وكون المعرفة بوابه فإن معناه أن بها يتمكن الداخل من الدخول إذ ليس دخول إلا بإذن البواب وإلا كان عاصيا.
قوله :

(وقال لى: اليقين طريقى الذى لا يصل سالك إلا منه).

قلت :

هذه التتيزات تليق بموقف الأعمال وتناسبه أكثر من مناسبتها لباب الملطع، والمراد باليقين الإيمان الصرف، وأن لا تنتظر بالأمر الإلهى علمه ولا بالنهى منه تعالى علمه.
قوله :

(وقال لى: من علامات اليقين الثبات، ومن علامات الثبات الأمن فى الروح).

قلت :

قوة الإيمان هو اليقين ومن قوى يقينه ثبت على الطاعة، وإلا فلا،
ومن علامة الثبات أنه لو أراد ملحد أن يفتن العبد في دينه بإكراه مخوف لم
يختلج في قلبه مفارقة طاعة ربه تعالى^(٥٤).

قوله :

(وقال لى: إن أردت لى كل شئ علمتك علما لا يستطيعه الكون،
وتعرفت إليك معرفة لا يستطيعها الكون).

قلت :

هذا مثل من قصد بحركاته وسكناته ونومه ويقظته وجميع تصرفاته
الظاهرة والباطنة وجه الله تعالى، فإنه يستحق بهذا الشرط أن يعلم التوحيد
الذى لا ينفى فى شهوده شهود الأكوان أصلا كما قلت (٩٠-ب) لو كنت
شربت مع الندمان فى حضرة ساق دائم الإحسان.

قوله :

(أفنتك بها عنك، وأبقتك لها فى حضرة غيبه عن الأكوان).

قلت :

فحضرة الغيب عن الأكوان هى التى لا يستطيعك فيها الكون،
والباقي ظاهر من هذا.

قوله :

(وقال لى: عارف علم عاقبته فلا يصلح إلا على علمها، وعارف
جهل عاقبته فلا يصلح إلا على جهلها).

قلت :

العارف رجلا: رجل علم المبدأ والمعاد فلا يصلح إلا فى العمل
على مقتضى العاقبة فى المعاد، ورجل شغله السرور بشهود الحق غير
ملتفت إلى مبدأ ولا معاد فلا يصلح إلا ذلك.

قوله :

(وقال لى: من صلح على علم عاقبته لم تعمل فيه مضلات الفتن،
ومن صلح على جهل عاقبته مال واستقام).

قلت :

معناه أن الأول من الرجلين المذكورين صاحب مقام، والمقام دائم والثاني صاحب حال والأحوال تحول.

قوله :

(وقال لى: من يعلم عاقبته ويعمل يزدد خوفاً).

قلت :

هذا رجل ثالث غير أولئك الرجلين المذكورين قبل (قبلاً) لأن من ذينك (هذين) الرجلين عارف، وأما هذا فعالم والعلم حجاب والحجاب يقتضى الخوف، وصورة حال هذا رجل عالم علم العبادة فعمل على عاقبة الخلاص من النار فيشتد خوفه بالعمل لأن قلب العابد حى فيقوى حبه فيزداد خوفه، وأما العصاة نعوذ بالله من حالهم فقلوبهم ميتة.

قوله :

(وقال لى: الخوف علامة من علم عاقبته، والرجاء علامة من جهل

عاقبته).

قلت :

الخوف شرح سببه، وأما الرجاء فلأن الراجى غلب عليه الخير وذكر العفو والكرم وحسن الظن، وهنا أسرار لا يجوز كشفها. (١/٩١)

قوله :

(وقال لى: من علم عاقبته وألقاها وعلمها إلى أحكم فيها بعلمى الذى

لا يطلع عليه لقيته بأحسن مما علم وجنته بأفضل مما فوض).

قلت :

الإشارة بهذا التنزل إلى أهل التقليد الصرف، والتفويض البحت،

والتوكل المحض وهو مما يحصل ما وعد به.

قوله :

(وقال لى: يا عارف أين الجهالة منك إنما ذنبك على المعرفة).

قلت :

معناه أن الجهل بعيد من العارف وليست ذنوبه هى ذنوب الجهال بل

ذنوب العارفين وهو قوله إنما ذنبك على المعرفة.

قوله :

(وقال لى: ياعارف إن ساويت العالم إلا فى الضرورة حرمتك العلم والمعرفة).

قلت :

معناه النهى عن العمل بعمل العالم فإن مقام المعرفة له عمل يخصه وهو أن ينتقل العمل من الصور إلى المعانى إلا فى الضرورة، وهى مراعاة الظاهر وموافقة الجمهور.

قوله :

(وقال لى: ياعارف اطلع فى قلبك فما رأيته يطلبه فهو معرفته وما رأيته يحذر فهو مطلعه).

قلت :

معناه أن مقام المعرفة دون مقام المطلع فالمعرفة قد يقع فيها الطلب لمزيد العرفان وأما المطلع فالمعارف حجب فيه فلذلك يحذر.

قوله :

(وقال لى: ياعارف دم وإلا أنكرت، يا عالم افتر وإلا جهلت).

قلت :

معناه أن مقام المعرفة إذا تحقق اقتضى الدوام على ما شهد لأنه حق، وأما العالم فإن لم يلح له ما يوجب الفترة فى العمل لم يكن العلم حقا فيجهل، وحقيقة هذا الفتور المذكور ههنا هو رؤية الفاعل الحق فيذهب هو عن رؤية كونه عاملا فقط.

قوله : (٩١/ب).

(وقال لى: ياعارف أرى عندك قوتى ولا أرى عندك نصرتى أفتتخذ

إلها غيرى).

قلت :

معنى قوته كونه به يسمع به يبصر إلى غير ذلك من المشاعر، وأما النصر التى لم تحصل بعد للعارف فهى صفة الفناء الذى يذهب فيه ثنوية عارف ومعروف، ومالم يذهب ذلك فالشرك الذى هو الثنوية باقى (باق)، وذلك هو موجب التوبيخ بقوله (أفتتخذ إلها غيرى) وكأنه يشير إلى أن العارف لا بد أن يكون فيه بقايا الشرك لأنه لم يتخلص بعد والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم.

قوله :

(وقال لى: يا عارف أرى عندك حكمتى، ولا أرى عندك خشيتى
أفهننت بى).

قلت :

الخوف والخشية فى العلم وقد يجاوزهما العارف بالحكمة التى بها
ترقى عن ظاهر العلم، قوله (أفهننت بى) معناه أن حال العارف فيما يبدو
شبيهة بحال المستهزئ لكونه فى الغالب يفتقر عن الأعمال الظاهرة تشاغلا
بالأحوال الباطنة.

قوله :

(وقال لى: يا عارف أرى عندك دلالتى، ولا أراك فى محبتى).

قلت :

الدلالة كونه يستدل به تعالى بخلاف العالم فإنه يستدل عليه، فإن
عنده الدلالة وليس هو فى المحبة إذا المحبة هى طريق العوام بالعلم،
وأعنى بالعوام علماء الرسوم، وليست للعارف محبة وهو قول أبى يزيد أو
غيره (قلت كيف الطريق إلى الله فقل لى ما إلى الله طريق فعرفت الله
تعالى) فإن المحبة وهى الطريق ليست للعارف.

قوله :

(وقال لى: من لم يفر إلى لم يصل إلى ومن لم أتعرف إليه لم يفر

إلى).

قلت :

الفرار إليه تعالى حقيقة مفارقة السوى إما علما وعقدا، وإما شهودا،
والمراد هنا الثانى (٩٢/أ) وهو الشهود بدليل قوله وإن لم أتعرف إليك لم تفر
إلى، والتعرف مفارقة الأغيار ولو بوجه ما، ولقد أحسن الشرف ابن الفارض
فى بيت من قصيدته الثانية وهو :

فلن ترنى ما لتكن فى فانيا ولم تن مالم تجتلى فىك صورتى
ومحل الشاهد من البيت هو شطره الثانى مع أن ألفاظ هذا الرجل توهم
الجاهل بمراده خلاف مقصوده، فإن اجتلاء الصورة فيه توهم الظرفية وهى
ليست مراده وكيف وهو ينفى المعية فى قوله والمعية لم تخطر على المعية.

قوله :

(وقال لى: إن ذهب قلبك عنى لم أنظر إلى عملك).

قلت :

فى قوله عليه السلام "الأعمال بالنيات" كفاية ولكن حظ الخواص من تفسير هذا التنزل غير هذا، وهو قوله إن ذهب قلبك عنى أى عن رؤيتى فى العمل لم أنظر إلى عملك أى إلى العمل المنسوب إليك^(٥٥).

قوله :

(وقال لى: إن لم أنظر إلى قلبك طاببتك بعلمك، وإن طاببتك بعلمك لم

توفنى بعملك).

قلت :

معناه: إن لم يكن القلب عنده فلم ينظر إليه لم يكن هذا الشخص من أهل الشهود العرفانى فأذن هو مما دون ذلك وهو درجة العلم لأن العلم تحت منزلة المعرفة، وحينئذ يناقش مناقشة يقتضيها العلم، وحينئذ لا تخلص أبدا لأنه من نوقش فى الحساب عذب، وأما لو كان القلب عنده لم يطالب بصور العلم هكذا أوجده القوم فتأمله، وصورة ذلك أن تتمسك من السنة بوجد قلبك وتعرض بباطنك عما أشار إليه العلم، ويؤيد ما ذكره فى التنزل الذى بعده وهو قوله :

(وقال (٩٢/ب) لى: إن لم تعرض عما أعرضت عنه لم تقبل على ما

أقبلت عليه).

قلت :

معناه: إذا وجدت العلم قد نص على ما يفرق عنى بأنه الذى يجب عمله فأعرض عنه لأنى أنا عنه معرض فإن لم تفعل لم تقبل على ما عليه أقبلت من ضرورة أن الذى عليه أقبل هو الذى نهى عنه العلم بكونه حض ونص على العمل به؛ وذلك لأن الأمر بالشىء نهى عن ضده مصور هذه الأشياء إذا مثلت اتضحت، لكن ذلك إفشاء لسر لا يحمل العلماء وهم الجمهور وإظهار مخالفة الجمهور محذور.

قوله :

(وقال لى: إن أخذتك فى المخالفة ألحقت التوبة بالمخالفة، وإن أخذتك

فى التوبة ألحقت المخالفة بالتوبة).

قلت :

معنى هذا التنزل الأمر بأن العبد لا يرى نفسه فى معصية ولا فى طاعة، فإذا لا يرى أنه الفاعل هذا كان حال سلوك النفرى رحمة الله عليه لأنه كان فوق رتبة العلم، وهذا هو حكم ما فوق العلم ومعنى (اخذتك) أى وجدتك وعبر عن الوجدان بالأخذ تخويفا وأشارة إلى أنه أن رأى نفسه فاعلا عوقب، فالمعاقب مأخوذ قطعاً. فحصل من هذا أن المخالفة تلحق بالتوبة، والتوبة تلحق بالمخالفة، كل هذا إذا كان يرى نفسه فيهما. وفيه وجه آخر يفرق بين المعرفة والعلم، ويعطى لكل منهما حكمه فإذا أخذه فى المخالفة كانت التوبة مخالفة أيضاً لتساويهما فى وجدانه فيهما وأما بالعكس بأن يأخذه فى التوبة فإنه تصير المخالفة بالعفو عنها والأثابة عليها كأنها توبة.

قوله :

(وقال لى: حدث عنى وعن نعمتى وعن حقوقى فمن فهم عنى فاتخذة عالماً، ومن فهم عن حقى فاتخذة نصيحاً ومن فهم عن نعمتى فاتخذة أخاً).
(١/٩٣)

قلت :

العالم أشرف الثلاثة لأنه قد صادف الحكم الذى لأجله شرع الحديث وذلك لأن المراد من العبادة هو مضمون قوله تعالى "قفروا إلى الله تعالى" أعنى فرار تعبد لا يعقل معناه، وأما الثانى فنصيح وهو الفضل من الثالث لأن النصيح محسن وأما الأخ فلا يلزم أن يكون محسناً.

قوله :

(وقال لى: من لم يفهم عنى، ولا عن حقى، ولا عن نعمتى، فاتخذة عدواً، فإن جاءك بحكمتى فخذها منه كما تأخذ ضالتك من الأرض المسبعة).

قلت :

معناه من رأيت له ليس مع الله تعالى فى التعبد الذى لا يعقل معناه كما هو حال العلماء العلم النافع ولا مع الله تعالى فى التعبد الذى يعقل منه وجوب حق الله تعالى بالعبادة على عبدة كما هو حال النصحاء ولا هو مع الله بالتعبد الذى حقيقته الشكر على نعمة فاتخذة عدواً فإنه ليس من الخير فى شئ وذلك لأنه لم يصلح للحق تعالى من حيث ذاته وهو العالم ولا من حيث

صفاته وهو الثانى ولا من حيث أفعاله وهو الثالث، وليس فى حضرة الحق تعالى شئ خارج عن الذات والأفعال، فإذن منابذة هذا والأعراض عنه كالأعراض العدو عن عدوه وأجبه لأنه نووى بقربه وبعدى الصحيح بحريه.
قوله :

(وقال لى: الذى يفهم عنى يريد بعبادته وجهى، والذى يفهم عن حقى يبعبنى من أجل خوفى، والذى يفهم عن نعمتى يبعبنى رغبة لما عندى).
قلت :

نيات الثلاثة فرقت بين مراتبهم فنية الأول : وجه الله لاخوفا ولاطمعاً، ونية الثانى : خوفاً، والثالث طمعاً، فأما شرف الأول (٩٣/ب) عليهما فظاهر، وأما شرف الثانى فلأن الخائف من الله تعالى هو مراقب، وأما الثالث فهو يراقب حظوظ نفسه، فإن قلت أن الخائف طلب للسلامة وهى أيضاً حظ من حظوظ النفس وكان حقه أن لا يفضل على الثالث، فالجواب : أن الثالث له حظان أحدهما السلامة وهو يرى أنه حصلها ثم تعادها إلى حظ آخر وهو طلب النعمة، فالأول بسيط النية، والثانى مركبها.
قوله :

(وقال لى: من عبدنى وهو يريد وجهى دام، ومن عبدنى من أجل وجهى فتر، ومن عبدنى من أجل رغبته انقطع).
قلت :

بين اختلاف هؤلاء الثلاثة فرق هو الاستعداد الذى عليه أثبت السابقة فمن كان استعداده لحضرة الحق تعالى فهو من الذين يعملون لوجهه لا يمكنهم غير ذلك وهؤلاء هم المعطفون للحضرة واسم كل واحد منهم عبد الله، أعنى فى الحضرة الإلهية فعبد الجبار، وأما الثالث فعبد المنعم، ثم إن فتور الثانى إذا اعتبرته وجدته يقاتل على حفظ رأس المال، وأما الثالث فإنما يريد الكسب وقاتل الحافظ للنفس المحامى أشد من قتال من يريد الغنيمة ولذلك يفتر الثانى ولا ينقطع، ويفتر الثالث وينقطع.
قوله :

(وقال لى: العلماء ثلاثة، فعالم هداه فى قلبه، وعالم هداه فى سمعه، وعالم هواه فى تعلمه).

قلت :

معناه أن الذين يريدون بالعبادة وجه الله فعلمهم يتعرف إليهم من تلقاء قلوبهم، فإنهم هم الذين إذا سمعوا العلم (١/٩٤) كانوا أعرف بمعناه من قائله وأما الذين علمهم من تلقاء أسماعهم فهم المقلدون يقلدون الناس ولا يقدرّون على ما فوق ذلك، وأما الطائفة الثالثة فهم مثل الصدا - يحكى ما يقول الناطق وليس هو فى نفسه بناطق.

قوله :

(وقال لى: القراء ثلاثة: فقارئ عرف الكل، وقارئ عرف النصف، وقارئ عرف الدرس).

قلت :

الذى عرف الكل هو الذى حصل له المطلع فرأى الظهر والبطن والحد، وأما الذى عرف النصف فهم الذين اهتموا من ظاهر الكتاب العزيز إلى حقيقة باطنة وهم أهل علم بالحكم، والحكمة فيه. وأما الطائفة الثالثة فهم أهل الحفظ للفظ القرآن لا غير.

قوله :

(وقال لى: الكل الظاهر والباطن، والنصف الظاهر، والدرس التلاوة).

قلت :

هذا مفسر لما قبله، فأما الكل فقد علمت معناه، وأما النصف فسماهم أهل الظاهر، ويريد ظاهر تأويله وهو الحكم والحكمة كما تقدم، وأهل الدرس هم أهل التلاوة كما تقدم.

قوله :

(وقال لى: إذا تكلم العارف والجاهل بحكمة واحدة، فاتبع إشارة العارف وليس لك من الجاهل إلا لفظه).

قلت :

مثل العارف والجاهل لحيبتين أحدهما فارغة من الطعم والأخرى ملأى وصورتها واحدة، فإذا بذرا فى أرض قلب أنبتت الملى وخابت الفارغة وكان أبو مدين رضى الله عنه ^(٥١) يقول :

(من قال النمر ولم يجد حلاوته فى قلبه فما قال التمر) والتمثيل بكلام الشيخ رضى الله عنه عظيم المقدار، وأعظم منه (٩٤/ب) التمثيل به فى إدراك ملذذات الجنة، وقوة النعيم بإدراك الملائم فيها، وكيفية اتحاد لذذات النفوس بلذذات الجسوم، وكونهما يعودان إلى معنى واحد كلى، فتفهم ذلك إن أمكن، فإنه من أسرار علم المعاد وحقيقة الدار الآخرة.

١٦- موقف الموت :

قوله :

(أوقفنى فى الموت، فرأيت الأشياء كلها سينات، ورأيت الخوف يتحكم على الرجاء، ورأيت الغنى قد صار نارا ولحق بالنار، ورأيت الفقر خصما يحتج على صاحبه، ورأيت كل شئ لا يقدر على شئ، ورأيت الملكوت خداعا، وناديت يا علم فلم يجبنى، وناديت يا معرفة فلم تجبنى، ورأيت كل شئ قد أسلمنى، ورأيت كل خليفة قد هربت منى وبقيت وحدى، وجاءنى العمل فرأيت فيه الوهم الخفى، والخفى الغابر فما نفعنى إلا رحمة ربى) (٥٧).

قلت :

هذا التنزل أيدك الله مبنى على قواعدهم فافهم القاعدة تفهم المراد إن شاء الله، والقاعدة المذكورة أن القوم لا يرون الفاعل إلا الله تعالى وذلك بمعنى أنه لا وجود لغيره تعالى إلا فى الوهم، وأن الموت عنده إنما هو هذا المشهد، لا أنه عندما أوقفه فى الموت أماته إذ ذاك أماته قرأى ما يراه الميت بعد الموت، بل ما ذكرناه وسيرد الشرح مفصلا إن شاء الله تعالى.

فقوله (أوقفنى فى الموت) أى أرانى فقد الأنبيات فى وجوده، وذلك هو شهود الفناء. قوله (فرأيت) الأعمال كلها سينات، أى من رأى أن لنفسه عملا فقد أساء سيئة. قوله (ورأيت الخوف يتحكم على الرجاء) أى غلب الخوف من ظهور فقد الأنبيات (٩٥/أ) فيحكم على الرجاء أى نفاه عن أن يتعلق ببقاء قوله (ورأيت الغنى قد صار نارا) أى صار دعوى الاستقلال موجبا للنار. قوله (ورأيت الفقر خصما يحتج على صاحبه) أى لما كان الفقر هو عدم الاستقلال كان أشبه بمن يرى أنه لا وجود له، فإذا طوّل بالتبرئ

من الحول والقوة والأنانية شهد الفقر له أنه كذلك فكان كالمحتج عنه فسماه
خصما يحتج عن صاحبه لهذه الحقيقة.
قوله :

(ورأيت كل شيء لا يقدر على شيء) أى ليس لشيء من الأمر شيء بل
جميع الشئيات محو فى وجود مشيئتها.
قوله (ورأيت الملك غرورا) أى من ادعى أنه ملك فهو مغرور وفيه معنى
آخر هو أولى، وهو أن عالم الملك يغنى عن شهود الملك الحق تبارك اسمه
فتبقى دعوى ثبوته غرورا، وكذلك الملكوت يخدع من يثبتته، فإذا شهد لم ير
إلا رب الملكوت لا الملكوت.
قوله :

(وناديت يا عملى فلم يجبنى) أى لم أر لنفسى عملا بل العمل عمل
الله وحده، وكذلك المعرفة إذ لا يعرفه (تعالى) غيره.
قوله :

(ورأيت كل شيء قد أسلمنى) أى فارقتى لعدم رؤيته غير الحق
تعالى، قوله (ورأيت كل خليفة قد هربت منى) أى كل ما كنت أقول أنه خلق
غلب على فى رؤيته نظرى إلى الخالق فإذن قد هربت الخلقيات منى.
قوله :

(وجاءنى فى العمل فرأيت فيه الوهم الخفى) أى وهم أنى العامل،
فكان فى نظرى خفيا إن جاز أن يسمى المعدوم خفيا.
قوله :

(والخفى الغابر) أى تفسير قوله الخفى هو الغابر، والغابر الذاهب
الماضى فكانه قال صار (٩٥/ب) العمل ذاهبا عنى.
قوله :

(فما نفعتى إلا رحمة ربى) أى ما نفعتى إلا رؤية الرحمة، والرحمة
هى مرتبة الرحمن الذى يحشر إليه المتقون وفدا وحقيقة الرحمة وجود الحق
تعالى، فكانه قال ما وسعنى إلا ربى، وهو الواسع العليم، وذلك قوله "إن
رحمتى وسعت كل شيء".
قوله :

(وقال لى: أين عملك؟ فرأيت النار).

قلت :

أى رأيت أثباتى للعمل أنه موجب للنار، فسماء ناراً مجازاً.

قوله :

(وقال لى: أين معرفتك؟ فرأيت النار، وكشف لى عن معارفه الفردانية فخمدت النار).

قلت :

أى صارت المعارف ناراً، كما صارت الأعمال، فإنها أعمال القلوب "قوله (وكشف لى عن معارفه الفردانية) أى ثبوت أن العارف والمعروف فرد صمد فرأيت كل شئ هالك إلا وجهه فخمدت النار لأن حطوب النار شهود الأغيار، وبالفردانية تذهب الأغيار، فتجد الجنة فى النار، ولا جنة ولا نار مع ثبوتها بالفردانية فى البصائر والأبصار.

قوله :

(وقال لى أنا وليك، فثبت).

قلت :

أى أرانى ثبوتى به بعدما أرانى محوى فيه، وهذا يسمى البقاء بعد

الفناء.

قوله :

(وقال لى: أنا معرفتك، فنطقت)

قلت :

معناه أنه عرفه أنه معرفته، وذلك بأن صار سمعه وبصره، وجميع مشاعره ومداركه، فلما رأى ذلك كذلك نطق، وكان الناطق من له النطق، فرأيت أنى أنا الطالب وهو المطلوب، وكان ذلك خروجاً عن شهودى فخرجت وذلك لأنه أعاده إلى (أ/٩٦) شهود الثنوية وهى شرك فاحتجب، وذلك حياة إذا كان الموقف موقف الموت.

١٧- موقف العزة:-

قوله :

(أوقفنى فى العزة وقال لى: لا يجاورنى وجد بسواى ولا بسوى آلانى، ولا بسوى نعمائى).

قلت :

المراد بالعزة ههنا عدم تعلق السوى به تعالى فى وجه من الوجوه، فإن العزة الامتناع فكأنه قد منع أن يتعلق به سواء ولذلك قال (لا يجاورنى وجد بسواى) والوجد المحبة، فكأنه قال من تعلق بى لا يحب غيرى، ومن أحب غيرى لا يجاورنى فإن كان ولا بد فبالآلى، أو بذكر آى أو بنعمائى، وأقل المراتب هو التعلق بنعمائه.

قوله :

(وقال لى: اذهب عنك وجد السوى، وما من السوى بالمجاهدة).

قلت :

الإعراض عن كل ما سواه تعالى دفعة واحدة صعب على غير المجذوبين، فإذن هو بالتدريج والرياضة وذلك هو المراد بالمجاهدة (**)
أذهبت نار السطوة :

قلت :

نار السطوة قسمان : قسم للعوام وهى النار المتوعد بها العصاة، والقسم الآخر تجلى الوجدانية المفنية اعتبار السوى فى شهود الشاهد، والمراد ههنا القسم الثانى مع أن كلا من النارين ينقل عن الوجد بالسوى، أما نار جهنم فإنها تحرق الشرك من قلوب أهلها ولذلك قيل إن مآلهم للرحمة أعنى من سبقت لهم منا الحسنى، وأما القسم الثانى فلأن الحق لا يجاوره سواء.

قوله :

(وقال لى: كما تنقل المجاهدة (٩٦/ب) عن وجد السوى إلى الوجد

بى وبما منى)

قلت :

قد تقدم شرح معنى هذا فى الذى قبله.

قوله :

(وقال لى: آليت لا يجاورنى إلا من وجدى أو بما منى).

قلت :

معنى آليت القسم، والمراد تأكيد الخبر، وسبب عدم المجاورة العزة الإلهية.

قوله :

(وقال لى: وجدك بالسوى من السوى والنار سوى ولها على الأفندة مطلع فإذا اطلعت على الأفندة فرأت فيها السوى رأت ما منها فاتصلت به، وإذا لم تر ما هى منه لم تتصل به).

قلت :

معناه محبة العبد الأغيار هو لأن ذاته متغايرة الاستعداد ليست مقبلة على جادة المراد وذلك هو علة الحجاب، والحجاب هو خطب (خطب) العذاب، فإذن المراد أن سبب النار هو السوى الذى فى القلوب الموجب لها الوجد بالسوى والرامى لها على النار نزاعة للسوى.

قوله :

(وقال لى: ما أدرك الكون تكوينه ولا يدركه).

قلت :

يعنى أن القلوب المحجوبة بالأكوان لا تترك التكوين؛ وذلك لأنها هى أيضا من الأكوان، وإنما تترك إذا صار الحق أسماها وأبصارها - الحديث - وحينئذ ينفى القدم الحدث فيرى المكون وهذا سر شريف قد تكررت الإشارة إليه. وعند القوم قاعدة أجمع أهل الشهود على صحتها أنه لا يرى الحق إلا الحق، ولا يرى الباطل إلا الباطل، وأن غير الخقية لا ترى إلا الخلق.

قوله :

(وقال لى: كل خلقه هى مكان لنفسها وهى حد لنفسها).

قلت :

معناه أن الخقية وهى التى (أ/٩٧) ينفصل بها الخلق عن الخالق تعالى ويختص بها وهو معقول ما به يقال للخلق خلق هى مكان لنفسها والمراد بالمكان محل تمكن معقوليتها لا المكان الجسماني، لكنه لما كانت الخقية منعطفة فى التعقل على نفسها كانت كأنها حاوية لنفسها فأشبهت المكان الحاوى للممكن فيه، وذلك فى التعبير مجاز، ولما كانت بمنزلة الحاوى للمحوى سميت حد نفسها؛ لأن حد الشئ هو الذى يحويه جامعاً له مانعاً لغيره من الدخول فيه وهو نهايته.

قوله :

(وقال لى: رجعت العلوم إلى مبالغها من الجزاء، ورجعت المعارف إلى مبالغها من الرضا).

قلت :

معناه أن موضوع العلم لا تخرج عن الجزاء بالحسنات عن الحسنة وبالعقوبة على السيئات جزاء وفاقا، وأما المعارف فليس فيها ذلك لغلبة رؤية الفاعل الحق على شهودهم ورضاهم بما يفعله الحق تعالى، ورؤيتهم جميع فعله جميلا يرضيهم، وذلك لغلبة حب العدل على بواطنهم، وإيثارهم له على شهواتهم، ولما لم يروا فعلا للحق تعالى إلا بمقتضى العدل رضوا به، وعلاقة مثل ذلك فى المؤمنين وهم عوام العارفين ما وصفهم الله تعالى به فى قوله "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما".

وهذا التسليم هو الرضا بعينه، وحاصل التنزل أنه تفصيل لمعنوية الخلقية التى قدم ذكرها فبين معنوية خلقية العلم، وخلقية المعرفة، وسنبين معنوية خلقية القولية والفعلية وذلك هو :

قوله :

(وقال لى: أنا أظهرت القولية (٩٧/ب) بمحتمل الأسماع والأفكار، وما لا يحمل أكثر مما يحمل، وأنا أظهرت الفعلية بمحتمل العقول والأبصار وما لا يحمل أكثر مما يحمل).

قلت :

خلق وأظهر بمعنى واحد ههنا أى أعطيت الوجود وكذلك أوجدت، وتفسير التنزل الإشارة إلى أن العبارة لها موضع تقف عنده ولا تتجاوزها، وهو ما تشتمل عليه المسامع إلى منتهى الأفكار فما بينهما ونهاية الفلسفة نتائج الأفكار وكذلك غيرهم من النظائر، والذى لا تسعه العبارة من أنواع هذه الطائفة هو أكثر مما يمكنه التعبير عنه ؛ وإذا كانت الأفكار وهى دون هذه الأطوار تضيق العبارة عن كثير منها وعن معانيها وكيف بما فوق ذلك المضممار، وكذلك القول فيما أظهر من الفعلية إنما هى ما يحتمله القول ويدركه البصر وبقية الحواس وما لا تحمله هذه المدارك أكثر. وهذا مضمون

"من عرف الله كل لسانه". ثم إن من صدق هذا التنزل لم يسارع إلى الإنكار على هذه الطائفة.
قوله :

(وقال لى: انظر إلى الإظهار تتعطف بعضيته على بعضيته، وتتصل أسباب جزئيته بأسباب جزئيته فما له عنه مدار وإن جال ولا له مستند إذا مال).
قلت :

هذا التنزل من أشرف التنزلات وهو من أكبر الأسرار الإلهية وسأشير لمعة من معناه، وذلك إن تأملت قريب وهو أن الحق تعالى توجه إلى الإيجاد توجهها واحدا فأخذت الممكنات تتعين فى وجوده من عين ذلك التوجه منذ أول إلى هلم وإلى إن شاء تعالى فى المستقبل، وذلك التعين ينفصل فى وجوده (٩٨/أ) أبدا ينعطف فيه أسبابه على مسبباته ومسبباته على أسبابه، ومعلولاته على علله، وعلله على معلولاته، ويستوى فى الاستناد إليه السابق والمسبوق واللاحق والملحوق وهو واحد للجميع يلقاه كل ممكن باستعداده فقبل منه ما يليق بإمداده. وههنا سر شريف خال واسع، ونجم الهداية فيه لمن وافق طالع فمنه أن يقال الممكن القابل قبل الوجود كيف يتحقق فى الشهود، فالجواب هو قوى فى الجود الإلهى لا هى هو بعد كونها، ولا هى غيره قبل كونها. ومثاله المعلوم فى العلم، وقولنا أنفا إن الممكنات تتلقى الوجود باستعدادات متفاوتة، وغير ذلك هو مجاز للتقريب من الأفهام وإلا فإن القابل قوة فى المقبول وهذا هو معنى انعطاف بعضيته الإظهار على بعضيته، وفى انعطاف بعضية الإظهار على بعضيته وجه آخر وهو أن العلة لشيء ما ربما صارت معلولة فى بعض أحوالها المتجددة لحال ما من أحوال المعلول، ولولا ضعف المثال على الوفاء بمعنى الممثل لمثله (بالبر) يزرعه الزارع فتصير الحبة قوتا لزارعها تعطيه وجودا بمادتها بعد ما كان هو قد أعطاها الوجود بفاعليته، فالإبداء ينعطف بعضه على بعض، وحاصله أن التوجه الوجدانى الأول الذاتى والإرادة مع وحدانيته أعطى كل شيء خلقه ثم هداه حتى (استوى) فى حقه، ومن جملة هذا الإعطاء تفاعل الجزئيات بعضها فى بعض، فيعتقد المحجوب أن الجزئيات هى التى فعلت أو انفعلت، لا والله بل النور الأول الواحد هو ذا يتفضل (٩٨/ب) فتفهم هذا المعنى فإن فيه

مجالا رحبا لأهل القلوب المنورة بالحق وبابا عظيما من أبواب سر القدر ومظهرا كريما لسر القيومية، وإيماء قريبا واضحا لرؤية أن لا فاعل إلا الله؛ فتأمله تجد ذلك إن شاء الله تعالى.

فإذن حاصل هذا التنزل الإرشاد إلى ملاحظة إظهار الحق تعالى للجزئيات من أنفسها لترى انعطاف بعضياتها في السببية، والسبب الحق سبب واحد تتفصل فيه الأسباب لمسببات وهو تعالى وحده فاعلها، فهو إذن قد أمره بأن يلاحظ الإظهار حيث دار في كل جزئية ولا يفضل عن شهود أن الحق تعالى هو الذى يفعل ما يفعل ويظهر ما يظهر ومن غلب على نظره هذا المشهد لم ينسب الفعل إلا إلى الإظهار الإلهي وإن أوهمت الأسباب خلاف ذلك بانعطاف بعض الجزئيات على بعض في الأسباب والمسببات، فإن الانعطاف المذكور، والارتباط بين الأمور هو أيضا من جملة الإظهار لحقيقة الواحد النور.

قوله :

(وقال لي: انظر إلى فاني لا تعود على عائدة منك، ولكن تثبت بثباتي الدائم فلا تستطيع الأغيار).

قلت :

الممكن هو معدوم من جهة ذاته، ووجوده إنما هو للحق تعالى فكيف تعود عائدة من المعدوم إلى من هو الوجود الصرف جل وعز ؛ لكن نظر الممكن الموجود إلى الحق تعالى به يريد أن لا وجود إلا لباريه تعالى وأن الممكن في ذاته هو فعل من أفعال باريه، والفعل إنما يثبت بالفاعل الحق جل وعز ؛ وأكثر الغلط الواقع علينا هو من اعتقادنا خلاف الواقع، ويبان ذلك من جهة اصطلاح النحويين، فإن الفعل الحقيقي وهو المصدر عندهم يسمى مفعولا مطلقا، فالعالم كذلك هو مفعول مطلق لله تعالى، ولا تجعله مفعولا به إلا مجازا وإلا وقعت في الشرك الخفى، وإذا عرفت هذا علمت أن العالم بأسره علويه وسفليه مفعول مطلق بالنسبة إلى الله تعالى، وأما باعتبار نسبة بعضه إلى بعض ففيه المفعول به والمفعول فيه والمفعول معه والمفعول لأجله وغير ذلك من الاعتبارات. وفعل الله تعالى وحداني للجميع وهى كلها ليست غير حركة إيجاده فهى كلها حركة لا غير بالنسبة إليه، وأما باعتبار

تفاصيلها بالنسبة إليها وبالنظر إلى بعضها عند بعض ففيها الحركة والمتحرك وأنواع كثيرة.

وهذا القدر لمن وفق كاف في معرفة الإيجاد والإظهار، وفادته رؤية الفعل من فاعله الحق الذي هو نور الأنوار، وبهذه الرؤية يكون العبد معصوما بسيدته حتى لا تستطيعه الأغيار، أي لا ينسب إليها أثر من الآثار، ولا يقدر شبهها أن يلقي في صفو شهوده كدر من الأكدار، فهذا هو فائدة نظره إليه تعالى. ومعنى قوله (ثبت ثبنا في الدائم) أي ترى أن وجودك منى وكل ما منى ثابت بثباتي فتعلم ثباتك وتأمين من العدم إذ لا عدم وإنما هي نقلة ويجوز في قوله يثبت بثباتي وجه آخر وهو أن يرى أنه إشارة إلى ثبات علمه وحاله، فإن العلم يثبت بثبات المعلوم ويتغير بتغيره، والحق تعالى لا يتغير، فالعلم به لا يتغير، ولذلك قال السادة من هذه الطائفة أنه ما تجلى الله (تعالى) لشيء فاحتجب عنه بعد ذلك.

قوله :

(وقال لي: لواجتمعت القلوب بكنه بصائرهما "المضيئة" ما بلغت حمد

نعمتي)

قلت : (٩٩/ب)

المراد بالقلوب هنا ما يجمع قوة شاملة لآلة هي العقل، ولبصيرة هي المعرفة، ولقوة هي الإشهاد، ثم لجموع هذه لواجتمع لم تبلغ حد النعمة الإلهية وذلك لأن هذه القوى أنفسها نعمة منه تعالى ثم حمد هذه القوى نعمة أخرى تستحق الحمد وتتسلسل. وذكر بعض المشايخ رضوان الله عليهم في قوله تعالى "ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله شيئا" يشبه هذا التنزل وهو قوله لا يتجاوز كل نقطة من الأبحر أن تكتب معنى نفسها من جهة أنها كلمة من كلماته تعالى، فإذا لو تضاعفت البحور إلى غير نهاية لم تتجاوز حدود أنفسها من جهة أنها كلمات، وذلك أنه كان يرى أن الموجودات كلمات وذلك أنه كان يرى الوجود نفسه "رقا منشورا" والموجودات به كلمات مكتوبة، والقلم الأعلى منها فهو كاتب مكتوب بمقتضى ما مر من شرح التنزل الذي معناه انعطاف الجزئيات بعضها على بعض في الإظهار الإلهي.

قوله :

(وقال لى : العقل آلة تحمل حدها من معرفتى، والمعرفة بصيرة تحمل حدها من إلهادى، والإشهاد قوة تحمل حدها من مرادى).

قلت :

المراد بالحد النهائية، فكأنه قال العقل ليس له بصيرة ولا قوة ولكن آلة للنفس، ونهاية النفس فى الإدراك به المعرفة، وذلك هو مبدأ الإلهاد، وأما المعرفة فهى بصيرة والبصيرة فوق الآلة وهى إلهاد والمراد به المكالفة التى تمحو الرسوم التى كان العقل يثبتها، لكنها إلهاد جزئى وهذه المعرفة نهايتها وحدها هو الإلهاد الكلى وذلك فى اصطلاحه هى الوقفة ومعناها محو الرسوم كلها حتى يفنى شاهد فى وجود مشهوده وتضمحل الرسوم والحدود، ثم هذا الإلهاد الكلى حده ونهايته مراده تعالى أى لا يكون هناك مراد لغيره تعالى وسببه اضمحلال رسم الخلق فى وجود الحق تعالى. وفى هذا التنزل الذى بعد هذا ما يقوى هذا الشرح.

قوله :

(وقال لى: إذا بدت آيات العظمة، رأى العارف معرفته نكرة وأبصر المحسن حسنته سيئة).

قلت :

المراد بآيات العظمة مقدمات ظهور التجلى الكلى المذكور المفنى للرسوم، وتسمية التجلى المذكور عظمة من جهة أن الحق تعالى تظهر عظمته أى تعظم أن يرى معه غيره، وهذه هى العظمة الحقيقية، وأما كون العارف يرى معرفته نكرة، فمن جهة أنه كان فيه قبل مبادئ هذا التجلى الكلى رسم باق يقتضى شهود عارف ومعروف فلما بدت آيات هذه العظمة المذكورة زالت الثبوتية بالتجلى فانطمست المعرفة وكأنها صارت نكرة (وأما كون المحسن يبصر حسنته سيئة) فمن جهة أنه كان يبصر أن العامل هو المحسن المذكور فلما بدت آيات هذه العظمة الخاصة رأى نسبة الفعل إلى غير فاعله الحق هو سيئة، وفى هذا المقام قيل "حسنات الأبرار سيئات المقربين" وبالجملة فمقصوده محو صفة الخلق فى ثبوت صفة الحق تعالى والصفة هنا هى الخلق.

قوله :

(وقال لى: لا تحمل الصفة ما يحمله العلم فاحفظ العلم منك، وقف الصفة على حدها منه ولا تقفها على حدها (١٠٠/ب) منها).

قلت :

الصفة هنا هي بمعنى الخلقية من المخلوقين، وكونها لا تحمل ما يحمله العلم إشارة إلى أن العلم أصله التعبد الذى لا يعقل معناه، والمراد بالعلم هنا العلم الشرعى، ولكون التعبد مما ينبغى أن تعتقد فيه أنه لا يعقل معناه قال فى موقف الأمر "إذا أمرتك بأمر فامض لما أمرتك به، ولا تنتظر به علمى أنك إن تنتظر بأمرى علم أمرى تعصى (تعس) أمرى". فإذا الصفة البشرية لا تحمل ما يحمله العلم، فيجب إذن أن يحفظ العلم حفظاً أى نصوصاً، وتقف الصفة عند حدها أى نهايتها وهو مبلغها من حفظه لا من تأويله، فإنك إن وقفت الصفة المذكورة على حدها من التأويل وقفتها على حدها منها، أى من نفسها، وذلك إخراج للعلم عن سعته المفضية إلى المعرفة إلى ضيق حصر مدارك العقل الذى هو آلة بلا بصيرة فإن البصيرة إنما تكون من الشهود، فافهم.. وبالله التوفيق.

١٨- موقف التقرير :

قوله :

(أوقفنى فى التقرير وقال لى: تريدنى أو تريد الوقفة، أو تريد هيئة الوقفة، إن أردتني كنت فى الوقفة، لا فى إرادة الوقفة، وإن أردت الوقفة كنت فى إرادتك لا فى الوقفة، وإن أردت هيئة الوقفة عبت نفسك وفانتك الوقفة).

قلت :

التقرير صورته الاستفهام ومعناه مراد الإعلام أو مراد التوبيخ أو هما معاً، والمراد هنا الإعلام، والوقفة هي الإشهاد الكلى الماحى للرسوم كلها، وهيئة الوقفة هو التقليد فى علمها، فمن أراد الحق حصل له كل شئ وهو فى مقام الوقفة لكن بعد البقاء الذى يلى الفناء فى الوقفة وإلا فما دام فانيا فلا شئ له مع أن كل شئ (١٠١/أ) دونه، ومن كان فى سلوكه مريداً للوقفة وهو الفناء فى المحبوب الحق فهو واقف مع إرادته، وإرادة الوقفة تعلق بها

دون المطلوب، وأما مريد هيئة الوقفة فهو توجه إلى صورة من الصور، والتوجه عبادة فهو عابد للصورة، وحقيقة كل موجود من الأكوان أنه صورة، فإذن إنما توجه إلى نفسه فهو عابد نفسه، ومن عبد نفسه فاتته كل خير فكيف الوقفة.

قوله :

(وقال لي: الوقفة وصف من أوصاف الوقار، والوقار وصف من أوصاف البهاء، والبهاء وصف من أوصاف الغنى، والغنى وصف من أوصاف الكبرياء، والكبرياء وصف من أوصاف الصمود، والصمود وصف من أوصاف العزة، والعزة وصف من أوصاف الوجدانية، والوجدانية وصف من أوصاف الذاتية).

قلت :

معنى هذا التنزل الشريف يقتضى أن من حصل له مقام الوقفة شهد هذه الأوصاف مرتبة هذا الترتيب وحاصله أنه من شهد الوقفة شهد الشهود الذاتى وشهوده منزله عن الأخبار عنه فى الكتب، وأما علم شهوده فساد ذكر منه ما يشرح هذه الألفاظ، أما أن الوقفة وصف من أوصاف الوقار فمعناه أن صاحب مقام الوقفة يكون وقورا وسبب فى ذلك أنه ما يبقى فيه طلب للمزيد فيسكن، والسكون هو هيئة الوقار، وأما الوقار هو وصف من أوصاف البهاء فلأن من ليس حلة الوقار كان عليه جلالة وبهاء، وهذا أمر محسوس، وأما أن البهاء من أوصاف الغنى فلأن كل غنى (١٠١/ب) بحسب منظره فى أعين من دونه. وصاحب مقام الوقفة غنى كما ذكرنا فيتصف بالبهاء وأما أن الغنى وصف من أوصاف الكبرياء فإن الغنى يترفع عما يتنزل إليه الفقير فيكون صورته صورة الكبرياء لنزاهته ؛ وأما أن الكبرياء وصف من أوصاف الصمود، فإن الصمود مفسر بأن الصمد هو الذى لا جوف له، وصاحب هذا المقام لما صار باطنه ظاهره، وظاهره باطنه وصار الظاهر الباطن الأول الآخر عنده واحد وفنى هو فى وجود ذلك الواجد فكأن الله فى شهوده ولا شئ معه كان هو كأنه هو فى نفسه لا جوف له لعدم التغاير عنده فى الوجود، وأما أن الصمود وصف من أوصاف العزة فإن العزة هى الامتناع، وصاحب مقام الوقفة هو ممتنع عن إدراك المراتب بأسرهم لا تصل مبالغ العارفين إلى درك مقامه، ولا يطلعون على حكم من أحكام

مبلغه، وهذا الامتناع هو عزة، وأما أن العزة وصف من أوصاف الوجدانية فإن الوجدانية أن ليس مع الذات غيرها، وهذه عزة أى امتناع كلى، فإذا الوجدانية عزة، وأما أن الوجدانية وصف من أوصاف الذاتية فلأن صاحب شهود الوجدانية المطلقة هو صاحب الشهود الذاتى، ومن شهد الشهود الذاتى رأى أن ليس مع الذات غيرها وأهل هذا المشهد هم أهل كمال السفر الثانى من الأسفار الأربع وقد تقدم ذكرها.

قوله :

(وقال لى: الوقفة خروج الاسم عن الحرف وعما انتلف منه وافترق).

قلت : (أ/١٠٢)

الحرف فى اصطلاحه كل ذى صورة سواء كانت الصورة روحانية أو جسمانية حتى الصور المعقولة المعنوية، فإذا كل ما سوى البارى تعالى فهو حرف إذ كل ما سواه هو ذو صورة، وبذلك الصورة يستحق الاسم، فإذا حصل شهود الوقفة عادت الصور إلى العدم ومجئ الحدوث فى القدم فافتقرت الأسماء بانعدامها عن المسميات لانعدامها وفنى الحرف بالكلية، وفنى ما يأتلف منه أو به، وما يفترق عنه وبه، فإذا صاحب مقام الوقفة خارج عن الحرف وعن الأسماء والمسميات.

قوله :

(وقال لى: إذا خرجت عن الحرف خرجت عن الأسماء، وإذا خرجت عن المسميات خرجت عن كل ما بدا، وإذا خرجت عن كل ما بدا قلت فسمعت ودعوت فأجبت).

قلت :

قد تحققت أن الحرفية هى معنى الصورة فإذا خرجت بالوقفة عن عالم الصور حتى عن صور المعانى فقد انتهى الشهود إلى الوجود ورقى عن درجة الوجود ثم أن الصورة فى الاصطلاح بها يكون الظهور، فإذا خرج عن الحرفية التى هى الصورة فقد خرج عن الظواهر وهو قوله (خروج عن كل ما بدا ويبدو) ومنها المسميات والأسماء ومن حصل له هذا المقام كان الحق فى شهوده ولا غنى معه فحينئذ إذا قلت سمعت ولمست أقول

سمعت (بضم الين) إلا مجازا وكذلك إذا دعوت أجبت أى كنت حقيقة الداعى والمحبة وأما بضم التاء فيهما فظاهر .
قوله :

(وقال لى: إن لم تجز ذكرى وأوصافى ومحامدى وأسماي رجعت من ذكرى إلى ذكرى ورجعت من وصفى إلى أوصافك).
قلت :

معناه إن لم تتعد فى الشهود إلى حضرة الوقفة التى تعنى فيها الأسماء (١٠٢/ب) والصفات بالموصوف الحق تعالى فأنت إذن محجوب، والمحجوب يثبت نفسه وكل من نفسه عنده ثابته فهو مع ذكره لا مع ذكر ربه، ومع وصفه لا مع وصف ربه، فإن حضرة الخلق تضيق عن ظهور حضرة الحق، فإذا أشرقت الحضرة الحقية انعدمت الحضرة الخلقية، فمن كان الإشراف عن تجلى جزئى فإنه يحتجب فيظهر الخلقية وظهور الخلقية هو المراد بقوله رجعت عن ذكرى إلى ذكرى الخ.
قوله :

(وقال لى: الواقف لا يعرف المجاز، وإذا لم يكن بينى وبينك مجاز لم يكن بينى وبينك حجاب).
قلت :

معناه أن الواقف شهد الأمر على ما هو عليه، فلم ير إلا الحق وشهود الحق هو حقيقة لا مجاز، فهو لا يعرف المجاز، وهذه حالة من ليس بينه وبين الحق حجاب.
قوله :

(وقال لى: أن ترددت بينى وبين شئ فقد عدلت بى ذلك الشئ).
قلت :

هذا مما يؤكد شرح التنزل الأول وذلك أن من لم يكن فى شهود الوقفة فرأى شيئا فربما غلب عليه العمل فأثبت ذلك الشئ بمقتضى العلم، ونفاه بمقتضى المعرفة فيحصل له التردد هل ما رآه هو الحق أو هو الخلق، فقل إن ترددت بينى وبين شئ فقد عدلت بى ذلك الشئ أى جعلته مثلى ثابتا والثبات لى لا للأشياء.

قوله :

(وقال لى: إذا دعوتك فلا تنتظر باتباعى طرح الحجاب فلن تحصر
عدة ولن تستطيع أبدا طرحه).

قلت :

معناه إذا حصل لك منى تجل جزئى ويشير إلى وحدانيتى، فلا تنتظر
أن يقوى عندك صحته قوة لا معارض لها، فإن ذلك ليس من عملك ولا هو
فى قوتك، (١٠٣/أ) وإنما ذلك يكون من عملى ومن تجل آخر من قبلى ينفى
عك الأغيار وينزه شهودك من الأكدار، وذلك هو شأن مقام الوقفة. فإن قلت
إن قوة هذا الكلام تعطى أن الشهود قد يكون معه منك وأنه ربما اعترض
صاحبه ريب، فالجواب لا. بل الشهود الجزئى تتجلى عليك الأسماء فتشهد ما
تجلى عليك منها ولا يمكن الشك أن يعترضك فى ذلك من جهة الاسم للشهود
ولكن يعترضك الشك من حضرة الاسم الذى هو مضاد لمعنى الاسم الذى
تجلى للشاهد مثاله ولو كان التجلى من حضرة الاسم اللطيف يغلب معنى
شهود اللطف على نظر هذا الشاهد وقامت شواهد ذلك فى الوجود المعنوى
والعينى والشهادى والعينى وفى عالم الظهور والبطون، ودعا الاسم اللطيف
إلى نفسه بلسان الحال فأجابه كل موجود هو تحت حيطه الأيام والليالى ثم
يعرض للشاهد بعض الحجاب لا بقى فيه عالم الانساب، والأسباب فيلحظ
بعين العلم جانب ضد هذا الاسم وهو الاسم الجبار، ولما كان بين هذين
الاسمين تقابل فى الرتب تعارضت معانيهما عند الشاهد فأثبتت عنده المعرفة
ما العلم يتفيه وأثبت العلم عنده ما المعرفة تنكره وتتفيه، فقبل له بلسان هذا
التنزل الذى نشرحه إنك أيها الشاهد لا تقدر أن تعارض العلم بالشهود
الجزئى لكن تنقاد إلى اتباع الشهود حتى يغنى عنك القدم الوجود فى مقام
الوقفة وحينئذ لا يبقى للخلاف باقية وذلك عند اضمحلال رسم الخلق فى
الحق فافهم، ومع هذا فلا يقوى العلم أن يعارض المعرفة بأكثر من أن يختلج
فى الضمير تردد يسير يلمع لمع السراب (١٠٣/ب) فى إيهام السراب.

قوله :

(وقال لى: إن استطعت طرحه فإلى أين تطرحه، والطرح حجاب
والأين المطروح فيه حجاب فاتبعنى أطرح حجابك، فلا يعود ما طرحته،
وأهدى سبيلك فلا يضل من هديت).

قلت :

هذا تقدير معناه قدر أنك تطرحه فالطرح ليس هو أنت وإثبات الفعل لنفسك حجاب. فالطرح المذكور إذن حجاب والأين أيضا اعتبار ما إذ ليس الأين هنا نسبته المكان إلى التمكن بل المراد اعتبار ما هو أعم الأسم، واستعمل الأين مجازا ثم أن كل اعتبار تفرضه فهو إثبات للسوى وذلك حجاب فلم يبق إلا طريق الهداية وهو أن يتبع ما تشير إليه المعرفة وتعرض عما يشير إليه العلم إلى أن يرد بحر التجلى فيفرق السوى فى العين ويذهب المتى والأين وقد كانت لى أبيات طويلة شدت الآن عنى وفيها معنى الطرح وذكر أن الاعراض عنه أولى بأن يطرح الطرح ولا تكون أنت الطارح ومن جملتها :

أيا طارحا تلك الحبال صايدا هي الصين فاطرح طرحها غير طارح
ولا تشك هجرا من حبيب موصل تتكر إذ سميت باسم كاشح
وإن كنت من كوما فليس بلانق مقالك إن المسك ليس بفائح
ثم إن من ذلك قول أبى يزيد (أريد أن لا أريد) فإنه طلب أن ينسلب
فى شهوده عنه نسبة الفعل إليه حتى يثبت الفعل لصاحبه فيكون الله غالبا
على أمره.

قوله :

(إذا رأيتنى فإن أقبلت على دنيا فمن عضبى، وإن أقبلت على الآخرة
(١٠٤/أ) فمن حجابى، وإن أقبلت على العلوم فمن حبسى، وإن أقبلت على
المعارف فمن عتبى.

قلت :

هذا التنزل شاهد بما بين الدنيا والآخرة من الاختلاف وفيه بيان
لمرتبة الدنيا عنده تعالى، ولمرتبة الآخرة، وكذلك مرتبة العلم والمعرفة،
وإنما تظهر هذه المراتب لمن أكمل السلوك. فأما ما قوله (إذا رأيتنى) فإن
الرؤية شرط لصيرورة هذه المراتب بهذا الحال الذى شرحت وأما قبل الرؤية
فليست هذه أحكامها، وبيان ذلك أن الإقبال على الدنيا لا يكون من غضبه
تعالى إلا إذا قادت ذلك الإقبال إعراض عن قسط الآخرة وذلك الإعراض لا
يكون فمن رآه تعالى. وأما الإقبال على الآخرة فلا يكون حجابا إلا إذا رآه
تعالى وحينئذ يكون إيثار ما سواه هو حجاب عنه، وأما أن الإقبال على العلم

هو من حبسه تعالى فلأن العلم بأمر يطلب الآخرة في العمل وذلك حبسى عن مقام العبيد الذين لا يستحقون على العمل أجره وأما كون الإقبال على المعارف من عتبه تعالى، فإن العتاب إنما يكون بين الأحباب، فإذا كان في نسبة الدنيا إلى الآخرة كنسبة الغضب إلى الحجاب، ونسبة العلم إلى المعرفة كنسبة الحبس إلى العتاب فإذا كان العارف معتوب، والعالم محبوس، والعابد محجوب، واللاهى بالدنيا مغضوب عليه، وليس الخالص إلا من هو في مقام الوقفة. فإن قلت فهل يقبل أحد على الدنيا ولا يكون من المغضوب عليهم. فالجواب لا وإنما إذا وصل إلى مقام الوقفة لم ير إلا الحق فإن أخذ الدنيا فإنما يأخذها بالحق من الحق وهذا في الغاية القصوى وفي المنزلة العليا. قوله :

(وقال لى: إن سكنت على عتبي أخرجتك إلى حبسى، إن وصفى الحياء فاستحى أن يكون معاتبى بحضرتى، وإن سكنت إلى حبسى أخرجتك (١٠٤/ب) إلى حجابى وإن سكنت على حجابى أخرجتك إلى غضبى). قلت :

هذا التنزل ناطق بما أجرى الله تعالى به عباده السالكين إليه والحكم فيه يطرد وينعكس وذلك مما جربه أهل السلوك، وهو أن من بلغ إلى مقام العرفان فهو من أهل الرؤية فإن كان ممن وقف استعداده عن العطش إلى المزيد فإنه ضرورة يسكن في مقام المعرفة وهو كما ذكر مقام العتب ووجه العتب هو بما استحقه نقص الاستعداد لا أن المنع كان من جهة المدد المنبعث من الاسم الجواد. ولما كانت حضرة العزة الإلهية لا تقبل الشركة وكان العارف بمنزلة المكاتب الذى ما استحق الحرية بعد فهو فى وطرف من الحضرة طرف من الكون الحجابى، فإذا روى بالمزوج ووقف دون الوقفة عن الولوج استحق الخروج فيخرج عن العرفان الذى هو مقام المعاتبة إلى مقام العلم الذى هو الحبس. فإن استمر نقص الاستعداد وتقهقر عن السعى إلى المورد العذب، والروض المخضر المراد رد إلى مقام الأجراء وهم أهل الآخرة، وذلك مقام الحجاب لأنهم الخادمون لحظوظهم من طلب التواب. فإن سكن على هذا المقام رد إلى مقام أهل الغضب الخائفين من العقاب، وهذا هو أنزل مقامات أهل الإيمان من أهل الطاعة لا من أهل العصيان، فأما العصاة فلما ذكر لهم ههنا إذ ليسوا فى حساب الراغبين ولا فى عداد الطالبين، فإن

المقبلين على دنياهم خائفون غير مخالفين للشرع فإنهم وإن رضوا بالحياة الدنيا لكن لم يطمأنوا بها. وأما العصاة فهم الذين قيل فيهم رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا (١/١٠٥) بها، فهذا هو ميزان انعكاس هذا السلوك. وأما اطراحه فإن من لم يسكن إلى الدنيا انتقل عن مقام غضبه تعالى إلى مقام حجابيه فإن لم يسكن إلى الحجاب نقل إلى مقام العلم وهم المحبوسون حبسوا عن الدخول إلى حضرته في مقام المعرفة وإن لم يسكن نقل إلى حضرة مقام العتاب وهو مقام المعرفة، فإن عاد والعياذ بالله كان حاله ما سبق. وإن اشتد عطشه وقوى دهشه ولم يسكن عن محبوبه ولا يينس (يئس من) عن مطلوبه غشيه نور الرحمن فنقله بالفناء إلى البقاء في العيان وهذا النقل لا يكون باكتساب بل من حضرة الاسم الرحمن على يد الاسم الوهاب فيكون بذلك من أهل مقام الوقفة.

قوله :

(وقال لي: إذا أردت لي كل شيء لم تفتن، وإذا أردت مني كل شيء لم تتخذ).

قلت :

هذا التنازل عند من يفهم معنى ما سبق يجد بينهما المناسبة المقصودة، وذلك أن من يسكن على عتبه إذا كانت حقيقة العتب إنما هي لأجل الوقوف مع الأغيار بمقتضى ما بقى من رسم العبد المتضمن للإنكار، فالعبد إذ ذاك يعتب على ما يبدو حين يرى أن البادى منه هو لا من الفاعل الحق لم يسكن. وأما من رأى الأشياء من الفاعل الحق جل جلاله فإنه ليس ممن يقال أنه سكن على العتب. فإذا هو لا يفتن، ولا ينخدع.

قوله :

(وقال لي: معارف كل شيء توجد به، وأسماءه من معارفه، وإذا سقطت معارف الشيء سقط الوجد به).

قلت :

معناه أن الحقيقة السوى إذا أثبتتها نظر العبد إليها فمعانيها تفتن وتتخذ وأقل ما يكفى في دفع السر أن ترى وترى أنها منه تعالى والحمل من هذا أن لا يرى (الرأى) غير الحق تعالى، وذلك أنه ليس في الوجود إلا الحق تعالى وصفاته وأفعاله، ومن جملة أفعاله كل العوالم فإذا لم ير العبد إلا

الحق تعالى سقط (١٠٥/ب) الوجد بالسوى وبمعارف السوى، والمراد بمعارف السوى معانيه.
قوله :

(وقال لى: لكل شئ اسم لازم ولكل اسم أسماء، فالأسماء تفرق عن الاسم والاسم يفرق عن المعنى).
قلت :

قد عرفنا كيف لكل شئ معارف وذلك أن المعنى متى اشتغل القلب به عن الحق تعالى تفرق فإن اعتبر اسم ذلك المعنى اشتد التفريق فشغل الاسم عن المعنى ولو لمحة بارق، أو رجع طرف وقد كان المعنى غلا عن الحق فتضاعف الشاغل وكثر التفريق، وفي ضمن هذا الكلام التحذير من الاشتغال بأسمائه تعالى أو بصافته إذا كانت شاغلة عنه، وذلك فى ضمن قوله والاسم تفرق عن المعنى).
قلت :

قد عرفنا كيف لكل شئ معارف وذلك أن المعنى متى اشتغل القلب به عن الحق تعالى تفرق فإن اعتبر اسم ذلك المعنى اشتد التفريق فشغل الاسم عن المعنى ولو لمحة بارق، أو رجع طرف، وقد كان المعنى ميلا عن الحق فتضاعف الشاغل وكثر التفريق، وفي ضمن هذا الكلام التحذير من الاشتغال بأسمائه تعالى أو بصفاته إذا كانت شاغلة عنه، وذلك فى ضمن قوله والاسم تفرق عن المعنى).

١٩ - موقف الرفق:

قوله :

(أوقفنى فى الرفق وقال لى: الزم اليقين تقف فى مقامى، والزم حسن الظن تسلك محبتى، ومن سلك محبتى وصل إلى).
قلت :

المراد بالرفق هنا إرفاق السالك بالتبويه على ما يجمعه على الحق تعالى، والارشاد إلى سبيله التى أجرى سنته الجميلة أن يكون الوصول منها، فإذن معنى التتزل إرشاده إلى لزوم اليقين، ولزومه بحسب مراتب السالكين، فمن كان فى البداية فاليقين فى حقه الإيقان بأن الله تعالى حاضر معه مطلع

عليه، وفي حق من هو فوق هذا اليقين بالتوكل عليه وتصديق أنه كافيه، وفي حق من هو فوق هذا أنه سوف يلقاه قبل الموت وتوقا بكرمه وإيقانا بشمول جوده، وفي حق من هو فوق هذا اليقين بما يلوح له من معارفه . ويرتقى اليقين في سلسلة السلوك وفي مدرجة العبيد الذين هم الملوك إلى نهاية مقام الوقفة . وإنما ما بعد الوقفة (١٠٦/أ) فليس لمقام اليقين فيه أثر لنزول مقام اليقين عنه - وأما حسن الظن فله أيضا مراتب بحسب السالكين فمنه حسن الظن بالله أن سيرحمه، وأن لا يعذبه، وفوق ذلك حسن الظن بالله أنه لا يخذله في سلوكه وأن يصرف كيد الشيطان عنه، وفوق ذلك أن يحسن ظنه به تعالى أنه لا يسلبه ما وهبه من محبته ولا ما منحه من إقباله، وفوق ذلك حسن ظنه به تعالى أن لا يتكرر عليه بعد أن تعرف، وأن لا يكرر به بعد أن خصه بعرفانه وشرفه، ولا شك أن من كان مع الحق تعالى على هذين الوصفين فالعادة أن يصل، وإذا وصل لم ينفصل .

قوله :

(وقال لى: اجتمع باسم اليقين على اليقين) .

قلت :

معناه أكثر من ذكر اسم اليقين متولعا به فيوشك أن يستعمل معناه فإن الذكر كله بركة خصوصا ذكره تبارك وتعالى، وهذا التنزل يخص أهل البداية وإلا فالخواص لا يسامحون في ذكر أسمائه تعالى فضلا عن اسم اليقين، وإنما لكل مقام مقال ولكل مجال رجال .

قوله :

(وقال لى: إذا اضطربت فقل بقلبك اليقين تجتمع وتوقن، وقل بقلبك حسن الظن تحسن الظن) .

قلت :

معناه: إذا أحسست بضعف من شك في أمر من أمور سلوكك، فإن دواؤك ذكر اليقين بقلبك، ومعناه بذكر اليقين وحسن الظن تحصلا .

قوله :

(وقال لى: من أشهدته أشهدت به، ومن عرفته عرفت به، ومن هديته هديت به، ومن دلتته دلت به) .

قلت :

الإشارة إلى صحبة المشايخ عند الإحساس بالضعف وتفرقة الباطن ووقوع الاضطراب وعدم موافقة الباطن النفس وإذعانها في السلوك، وقد تبين في هذا التنزل أن المشايخ لا يوصلك أحد منهم إلا إلى مقامه، ولا (١٠٦/ب) يتجاوز ذلك، فانظر أنت لنفسك عند احتياجك إلى الشيخ، فإن كنت قد ترسخت للشهود فاطلب من قد يدلك واخبر به عن نفسه . فإن أهل الله تعالى لا يكذبون عليه ولن يعجز الفطن عن معرفة المحق والمبطل، وإن كنت ممن ترسخت إلى المعرفة فاطلب شيئا تنسب إليه، وإن كنت مبتدئا (مبتدئا) فاكثف بأهل البداية وهم أهل العبادة من المشايخ وأهل الدلالة وهم الذين لهم في العبادة مقام راسخ .

قوله :

(وقال لى: اليقين يهديك إلى الحق والحق المنتهى، وحسن الظن يهديك إلى التصديق، والتصديق يهديك إلى اليقين) .

قلت :

هذا التنزل ظاهر .

قوله :

(وقال لى: حسن الظن طريقة من طرق اليقين) .

قلت :

قد عرفت ذلك مما سبق وهنا زيادة، وهى الإعلام بأن اليقين له طريق آخر غير حسن الظن، فإن حسن الظن يهدى إلى التصديق كما ذكر، والتصديق يهدى إلى اليقين والهادى إلى الهادى هاد أيضا .

قوله :

(وقال لى: إن لم ترنى من وراء الضدين رؤية واحدة لم تعرفنى) .

قلت :

هذه التنزلات التى سلفت فى موقف الرفق كلها للعامة، وهذا التنزل وحده هو أرقى مقاماً مما سبق ذكره فى هذا الموقف، وأما شرح معناه فالمراد أن من لم يشهده الشهود الذاتى لم يعرفه حق معرفته، وذلك أن شهود الذات المقدسة هو بمحو الأسماء والصفات، فيظهور الوجدانية لا يكون الموصوف فيها غير صفاته وهو المراد بقوله (رؤية واحدة) . وأما إشارته

إلى وراء الضدين، فالمراد ما ذكرناه من الأسماء والصفات، وصورة التضاد الذى بينهما، فإن المحيى هو ضد المميت، والنافع ضد الضار، والمعطى (١٠٧/أ) ضد المانع، وشبه ذلك، فإذا شهدت الذات المقدسة شهدت الأضداد واحدة لدخول الصفات فى حقيقة الذات، ومثله فى قولى:

سقتك بكأسها المملوء سلمى فما وانتك بعد اليوم نظمى
وأحضر ك النديم على مدام تريك الاسم فى عين المسمى

٢٠- موقف بيت معمور:

قوله :

(أوقفنى فى بيته المعمور، فرأيتَه وملانكتَه ومن فيه يصلون له، ورأيتَه وحده، ولا بيت مواصلا فى صلوته على الدوام، ورأيتهم لا يواصلون يحيط بصلواتهم علما . ولا يحيطون . فقال لى: أسررت حكومة بيتى فى كل بيت فحكمت بها لبيتى على كل بيت) .

قلت :

هذا التنزل لطيف وإدراكه فى أدواق أهله شريف، وحاصله أنه شهد معنوية البيت المعمور فوجدها مجلى لظهور الوحدانية الإلهية . فأما رسوم البيت التى بها سمى بيتا فرأها تصلى، وكذلك رسوم ملانكتَه، ورسوم من فيه كلهم يصلون له تعالى، ثم شهد فناء تلك الرسوم فى وحدانيته تعالى، فرأه ولاشئ معه كما لم يزل فى نفس الأمر وإن غلط الحس والعقل فرأه تعالى يصلى وصلوته (صلاته) إظهار سبوحيته وسبق رحمته لغضبه، ورأى ذلك منه دواما بمعنى أن صلوة (صلاته) البيت المعمور وصلوة (صلاته) ملانكتَه ومن فيه هى من جملة صلوته (صلاته) تعالى إذ كانت صلوتهم (صلاتهم) إنما هى من مدد سبق رحمته لغضبه، ولكون حركات الوجود بأسره إنما هى بقيوميته التى بها قامت حركاته فهو الفاعل لصلواتهم فى الحقيقة :

وعينى ما كانت ولكن عيونها رنت فانتشت فى طهيه عيونى
فصلواتهم مقيدة وصلوته (صلاته) مطلقة، وإذا وجدت صلواتهم التى هى خاصة وجدت صلوته (صلاته) (١٠٧/ب) التى هى عامة ولا ينعكس، فلذلك كان الدوام لصلوته دون صلواتهم والإحاطة بصلواتهم علما له دونهم . فلما شهد هذا العبد اليد ذلك رأى معنوية البيت المعمور، ومعنوية البيوت كلها

وحاكم بينها وبينه في شهوده فرأى الحق تعالى قد جعل البيوت كلها وحاكم بينها وبينه في شهوده فرأى الحق تعالى قد جعل البيوت كلها في ضمن بيته المعمور بمعنى أنه لا بيت إلا وهو من جملة بيته المعمور، ورأى ذلك سريرة مركزة لا يدركها أهل الحجاب فهو معنى قوله "أسررت حكومة بيتي في كل بيت". ولما كان كل بيت هو من ضمن بيته المعمور قال "فحكمت بها لبيتى على كل بيت" أى أثبت لبيتى الإحاطة بكل بيت فكان البيت المعمور هو كل البيوت ولم يكن بيت من البيوت هو كل البيت المعمور. وقد تقدم أنه رآه وحده ولا بيت فإذن ليس إلا رب البيوت وحده وذلك هو صلوته (صلاته) لأن معنى السبوحية النزاهة، ولا نزاهة أكمل من كونه وحده؛ إذ كل ما سواه نقص من حيث إنه إذا فرض إثباته كان شريكا في الوجود، والحق تعالى منزّه عن الشريك، وهذا التنزيه هو له دواما وسبقه بالرحمة لم يزل له لازما، وقد ورد في هذا حديث نبوي، الله أعلم بصحته.

قوله :

(وقال لى: أخل بيتك من السوى واذكرنى بما أيسر لك ترنى فى كل جزئية منه) .

قلت :

معناه: اخل شهودك من الأغيار واصرف ظلامها بما بعثته إليك به من ذاتك من الأنوار تجد الأسماء كلها علويها وسفليها أسماني فقد يسرت لك الأذكار تجد بمقتضى هذا التجلى حقيقة الظهور لا حقيقة الإظهار، وترى كل جزئية من كل بيت عادت مبالغها إلى العدم، وامتحى حدوثها في القدم، وهذا هو حقيقة الأمر في نفسه، ولا يشهده إلا من كان الحق عوضا عن عقله وحسه .

قوله :

(وقال لى: أما تراه إذا ما عمرته (١٠٨/أ) بسواى ترى فى كل جزئية منه خاطفا كاد أن يخطفك) .

قلت :

يجوز فى معنى هذا التترل أمران، كل منهما واقع لأهل هذا المشهد وسأذكرهما بعد ذكرى قوله "إذا ما عمرته بسواى" فمعنى عمرته بسواى هو حجابته عن شهود وجه الوجدانية، وفى ذلك الحال يرى السوى فتري كل بيت

معمور بالسوى، ومن هنا نشرع فى الأمرين المذكورين وهما فى شرح رأيت فى كل جزئية منه خاطفا كاد يخطفك فتقول أن الملابس لشهود هذا المقام رجلان أحدهما أكمل شهودا من الآخر فحكم الأكمل منهما أنه إذا غلبه وقتا حجاب يلحظ السوى فى البيوت فيكاد السوى يخطفه، أى يكاد الحجاب يستولى عليه بالكلية، فلا يرى إلا السوى كحال العوام، وذلك هو خطف السوى له لكنه يعتصم بحبل الله تعالى فى الشهود فينعدم العدم فى وجود الوجود .

وأما حال الآخر وهو الأنقص مقاما مما ذكر، فهو الذى لاحت له بوارق الوجدانية ولم يستول عليه فإذا فرضنا أن هذا هو المخاطب بهذا التنزل كان معناه أما تراه إذا عمرته بسواى إذا لم يزل بعد عن السوى يكاد فى كل جزئية منه يخطفك خاطف من بوارق التوحيد أو شارق من شوارق التفريد فيكاد يلحقك بالتجريد، وذلك هو الخاطف المذكور، فإذا الخاطف بالنسبة إلى الأول هو لمح من ملاحظة السوى الداعى إلى الحجاب . وبالنسبة إلى الثانى هو لمح من ملاحظة النور الرافع لظلمة الحجاب، وكلا هذين الرجلين يصلح أن يخاطب بهذا التنزل وأمثاله من الخطاب، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

قوله :

(وقال لى: خذ فقه (١٠٨/ب) بيتك بنعمتى تتعم به) .

قلت :

فقه البيت هو رؤية أنه من جملة البيت المعمور وإن الساكن فيه ليس بمغائر، فإذا رآه بهذه العين تنعم وتنعمه لأنه إنما رأى هذه الرؤية بنعمة الله تعالى لا سعيه من حيث هو ساع، بل من حيث لا هو غير .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتى فى بيتك وحدى فلا تخرج منه، وإذا رأيتى والسوى فغط وجهك وقلبك حتى يخرج السوى، فإنك إن لم تغطهما خرجت وبقي السوى، وإذا بقى السوى أخرجك من بيتك إليه، فلا أنا ولا بيت) .

قلت :

معناه : إذا رأيت وجد الوجدانية فى شهود جزئى فلا بد وأن يكون رسم منك باقيا، وحينئذ يقتضى مقامك أحد الأمرين : إما أن يغلب عليك

شهود الوجدانية فيفنى ما بقى من رسمك، فتراه وحده تعالى، وحينئذ تكون به فى البيت لابلك فأقم فيه به، وإما أن يغلب عليك الحجاب فترى السوى فينحجب عنك وجه الوجدانية فترجع إلى السوى لاحائل بينك وبينه فيخرجك من بيتك الذى كنت تستحقه أن لو شهدت الوجدانية ووجه استحقاقك إياه أن يكون الحق سمعك وبصرك ويغنيك به عن كل ما منك فتستحق ما هو تستحقه فقط إذن وجهك وقلبك إذا رأيت السوى فى بيتك . وأما كيف تغطى وجهك وقلبك فهو ما أقوله لك، وذلك أن تصرخ إليه تعالى وتلجأ إليه وتذكره بنسيان ما سواه حتى يصير غالبا على أمرك فترى نظرك إليه أقرب من نظرك إليك، وذلك وأن استحقاقك لنصره لك فينقذك بشهوده من شهود سواه، وحينئذ تستحق البيت .

قوله :

(وقال لى: حكومة خروجى من بيتك أخرجتك) .

قلت :

معناه أن ببونك إنما هو إذا كنت به وفى رؤيتك السوى أنت فتقطع عنه فى زعمك وليس يصيبك إلا ما هو فى زعمك؛ فتكون منقطعا، فلا يثبت لك شئ، فإن ما كان الحق تعالى له (١٠٩/أ) فله كل شئ وإلا كان هو لا شئ ولا شئ لا يكون له شئ . فإذا الحكم بأن السوى عندك هو ساكن البيت هو الذى قطعك إلى السوى فأخرجك إلى لا شئ . فإذا حكومة خروجك أخرجتك .

قوله :

(وقال لى: لا تحجبني عن بيتك، فإنك إن أقمتنى على بابه وأغلقتى من دونى، أقمتك على كل أبواب السوى ذليلا وأظهرت تعززم عليك) .

قلت :

حقيقة حجب العبد ربه تعالى عن بيته هو الإعراض عن الوجد بتصرفه تعالى إليه فى قلبه وإقامته إياه على بابه هو ومداومة مدافعة العبد لوجد التعرف فإن الحق تعالى أكرم الأكرمين . وقد قال فى معرفة المعارف "إذا دفعتى عدت إليه كأنى ذوحاجة إليه يفعل ذلك منى كرم سبقتى فيما أنعمت ويفعل ذلك منه نجل نفسه بنفسه التى أملكها عليه ولا يملكها على" ومعنى كون الحق تعالى يقيم العبد الذى هذه حاله على كل أبواب السوى هو

من نفس دفع العبد لوجه المعرفة فى القلب والإعراض عن تعرف الرب من حيث إن ذلك الإعراض إنما كان الاشتغال بالسوى فإذن هو الذى جنى على نفسه، ومعنى عمومته بكل أبواب السوى لأن السوى هو حقيقة واحدة، فكل محجوب بمرتبة من مراتب السوى فإنه محجوب بكل مراتبه . ومعنى ظهور تعززه عليه هو أن السوى لا حقيقة له، فإذا استند القلب المحجوب إليه استند إلى عدم، والعدم ممتنع الحصول فإذن هو عزيز إذ كل ما امتنع تعزز . والعز فى اللغة الامتناع .

قوله :

(وقال لى: وجهى قبلته وعينى بابه أقبل عليه بلكك تجده مسلماً لك) .

قلت :

هذا التنزل غامض، وإدراكه يحتاج إلى لطف (١٠٩/ب) الفطرة وحاصله الإخبار عن معنى قوله تعالى " أينما تولوا فثم وجه الله" (٥٨) . فإذا نظر العبد إلى بيته، والمراد بالبيت (القلب) وجد وجه الحقيقة قبله له، وليس على من أقبل عليه بلكه عتب إذ من أقبل بلكه دخل البيت فلا يعتب، والعتب إنما هو على الباب، ومنه إله عبد نظر إلى قلبه فإن صرف عنه السوى وجد الحق، فإن توقف عن الإقبال عليه فهو بالباب وهو موضع العتاب، وإن أقبل عليه بلكه كان فى البيت، ومن كان فى البيت لم يكن غير صاحب البيت الحق، وهذا هو معنى قوله وجدته مسلماً، ويجوز تخفيف اللام فى مسلماً لك إلا أن شرح ذلك مما يقال مشافهة .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتنى وحدى فى بيتك فلا ضحك ولا بكاء، وإذا رأيتنى والسوى فبكاء، وإذا خرج السوى فضحك) .

قلت :

معنى رؤيته وحده هو أن لا يرى فى الوجود غيره، وحينئذ من هو الذى يضحك، ومن هو الذى يبكى، والضحك والبكاء إنما هما مع رؤية الغير . وأما إذا رآه والسوى فالرؤية كاذبة؛ وذلك لأن الحق تعالى لا يرى مع حضور السوى فليبك البواكى على صاحب هذا النظر، فإن قوله فبكاء أى موجب بكاء على حذف المضاف . وأما قوله وإذا خرج السوى فضحك فمعناه موجب للسرور الوارد على المحل بخروج الضد منه وأشرف هذه

المراتب الثلاث المرتبة الأولى، ثم الثالثة لأن لا ضحك ولا بكاء علامة فقد السوى بالكلية، وأما الضحك فرسم الضاحك باق، ولولا ذلك لم يكن هناك ضاحك، وأما الباكي فذلك غير السوى، وعالم البكاء .
قوله :

(وقال لى: انظر إلى أصناف ردى لك عن أصناف السوى أغرت عليك (١١٠/أ) أم أطرحتك) .

قلت :

هذه الاختلافات التى بين عبارات هذه التنزلات هى أصناف الرد عن أصناف السوى، وفى كل تنزل منها اعتبارات للسوى وعدميات من التعينات العدمية، وعلامة سعادة العبد رؤية هذه التنزلات بمنزلة الأنوار وأحكام السوى فى القلب بمنزلة الظلم، فكل ما ورد نور صرف من القلب ظلمة حتى يصير القلب كله نورا كما قال عليه الصلاة والسلام "اللهم اجعل لى نورا واجعلنى نورا" وهذه الحالة علامة العناية الإلهية لا الإطراح .

قوله :

(وقال لى: احفظ عينيك وكل الجميع إلى) .

قلت :

هذا معنى ذكره فى تنزل آخر وهو قوله الإطراق عبور الدنيا والآخرة والنظر حبل الدنيا والآخرة، فكأنه يأمره بالإطراق، وهو الإعراض عن المبصرات . وفى معنى الإعراض عن المبصرات الإعراض عن بقية المحسوسات، ومعنى قوله (وكل الجميع إلى) أى إذا عرضت عنها فلا تتكل فيما أعرضت عنه على غيرى وإذ حل بى عنها كلها .

قوله :

(وقال لى: إنك إن حفظتهما حفظت قلبك حكومتها) .

قلت :

معناه أن اعرض عن المحسوسات اكتفاء بالحق تعالى لقنه الحق حجته وهى الحكومة المذكورة أى الحجة عند الحكومة، ويشبه هذا المعنى أن المتوكل على ربه تعالى لا يحاسب كما ذكر فى الحديث النبوى "أن سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يرقون ولا يترقون ولا يتطيرون

وعلى ربهم يتوكلون" ووجه الشبه أن المتوكل أن لوحوسب لكانت حجتة ظاهرة بأن يقول إني ممن اتخذ ربه تبارك وتعالى وكيلا فهو يقوم عنده بالحسنات وهذه هي الحكومة . وقد علمت أن المعرض عن (١١٠/ب) المحسوسات اكتفاء بربه تعالى فهو متوكل عليه .
قوله :

(وقال لى: بيتك هو طريقك، بيتك هو قبرك، بيتك هو حشرك، انظر كيف تراه كذا ترى ما سواه) .
قلت :

معناه أن المراد بإخلاء بيتك من السوى هو كل هذه المراتب، وهذا إشارة إلى الإعراض عن السوى فى سلوك الطريق إلى ربه تعالى، وفى ملاحظة سكناء القبر أى لا تستصحب فيه العمل الصالح فضلا عن سواه، وذلك لأن العمل الصالح إذا رأى أنه هو العامل له فإنه لم يخل من السوى، ولذلك يخلى ملاحظته للسوى فى الحشر، وذلك بأن لا تتكل فى الحشر على عمل ولا على غير ربه تعالى . ثم أكد فقال انظر كيف ترى بيتك الذى هو هذه المراتب المذكورة كلها فإن كنت تراه خاليا من السوى فكذا ترى ما سواه، وإن رأيت فيه أثرا لسوى فكذا ما لسواه (ما سواه) هو مشغول بالسوى .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتنى فى بيتك وحدى فهو الحرم الأمن يؤمنك سواى، وإذا لم ترنى فى بيتك فاطلبنى فى كل شئ، فإذا رأيتنى فاهجم ولا تستأذن) .

قلت :

معناه: إذا كانت أحكامك فى جميع المراتب التى ذكرنا أنها بيتك ظاهرة عن ملاحظة السوى فذلك حرم لك لكن أمن، ومثال ذلك ما فى بيتك الذى هو طريقك فإنك إذا سكلت إليه تعالى به لباك بأن لا تعتد بالعمل الصالح مثلا أنه صادر عنك بل عنه فقد سلمت طريقك من قاطع وسارق ورصدى وعدو وسبع مثلا، فإن هذه قواطع الطرق الحسية ولها نظراء (أى نظاير) من قواطع فى طريق الله عز وجل . ومثال ذلك بيتك الذى هو القبر (١١١/أ) لا تضيقه عليك باستصحاب العمل الصالح فضلا عن خلافه، بل لا

يصحبك فيه غير الله تعالى (عز وجل)، وكذلك بيتك الذي هو الحشر لا تحضر ومعك غيره تعالى .

فإذن المقصود أن ترى بيتك ليس فيه غيره تعالى وحده وحينئذ تأمن، وأما إن لم تره وحده تعالى فاطلبه في كل شيء سواء كان ذلك الشيء مشروعاً أو غير مشروع فإن رؤيته في المشروع فالهجوم عليه سهل، وفي غير المشروع نظر تحكم به الحال لا القيل والقال، وفي قوله لاستأذن إشارة إلى ما يحكم به الحال، ولذلك قيل إن هذه الطائفة تسلم إليهم أحوالهم، وحكى عن بعض أهل الأحوال أنه فقد حاله أربعين يوماً فمر بقينة تغنى فجلس يسمع غناءها فقيل له أما بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من جلس قينة يسمع غناء صب في أذنيه ألانك يوم القيامة" فقال له ويحك ذاك من جلس لا من أجلس، قال فما قام من مجلسه ذلك حتى عاد إليه حاله . والمراد بالاستئذان أن يستفتي العلماء هل يجوز الهجوم على ما رأى الحق تعالى فيه أم لا فقيل لا تستأذن؛ فإن لسان العلم ينهك ولسان الحال يحثك على الهجوم على ما رأيت الحق تعالى فيه لأنك من أهل الرؤية فنصيبك ما يفتي به الحال، ولو كنت من أهل الغيبة لكان نصيبك ما يفتي به العلم .

قوله :

(وقال لي: القول حجاب فناء، القول غطاء فناء، الغطاء خطر فناء،
الخطر صحة، علم ذلك يكون وحقيقته لا تكون) .

قلت :

هذا التنزل مشير إلى آخر التنزل الذي قبله وهو في مادة قوله "فاهجم ولا تستأذن" فكانه قال إن استأذنت العلم أفنأك بمضمون القول والقول حجاب فنهك عن الهجوم، وأما فناء القول فإنه وإن كان أقرب إلى الكشف من القول، فإنه غير خال من حجابيته باعتبار آخر (١١١/ب) غير اعتبار القول وتلك الحجابية لأن الحقيقة تغنى القول في كل مرتبة، بل في مرتبة أهل الشهود والرؤية، وهو مقام فوق مقام أهل العلم وتحت مقامات أهل التحقيق .

ففناء القول غطاء، ثم إن فناء الغطاء هو أيضاً خطر؛ وذلك لأننا قد تبينا أن هذا الغطاء هو فناء القول، ففناء هذا الغطاء يوهم بإبقاء ضده وهو بقاء القول، وبقاء القول خطر يخشى فيه من الحجاب من حيث إننا قد قدمنا أن القول حجاب، فإذن فناء الغطاء إن كان بالارتقاء إلى ما هو أعلى من مقامه

تخلص، وإن التفت إلى وراء بإثبات القول توحل، وحاصله أن يثبت القول بالمقام الأعلى لا من حيث المقام الذى القول فيه حجاب، وإذا تحققت هذا اعرفت أن فناء الخطر المذكور صحة، وذلك الصحة هى بأن يثبت القول الذى هو ترجمان العلم من مرتبة التحقيق التى هى فوق مرتبة العرفان، ثم يبين كيف ذلك بأن يقول إن فتنيا العلم فى حق أهل الحجاب ثابتة وفى حق أهل الرؤية ساقطة، وأما فى حق أهل التحقيق فإن القول العلمى فى حق ظواهرهم ثابت وفى حق بواطنهم موقوف عند حده لا يتجاوزون بالعلم مقامه، فإذا ظاهروهم للعلم وبواطنهم للحقيقة، فإذا عرف هذا عرف أن العلم يفتى بأن هذا الحكم مثلا يكون والحقيقة تفتى بأنه لا يكون، وذلك هو قوله علم ذلك تكون وحقيقته لا تكون، فإذا الحقيقة تأمر بالهجوم من غير استئذان العلم فإن الحقيقة تنفى ما يثبت العلم فى مرتبة هذا السالك، وإن كانت الحقيقة تصحح العلم فى مرتبة الحجاب. فلاحظ هذا التنزل فإنه مفيد جدا .
قوله :

(وقال لى: أنت ضالتي فإذا أوجدتنيك فأنت حسبي) . (١/١١٢)

قلت :

يقول بينى وبينك مضايقة لا تنفك من حيث إن الرب يقتضى أن يكون له مروب وهو الإله تعالى فيطلب المألوه كما أن السيد لا بدله من عبده حتى تتحقق السيادة فى مقابلة العبودية، ويكون العبد قائما بحقوق العبودية، فإن ذلك مما يحقق معنى السيادة لسيد ذلك العبد، فلا بد له منه فهو ضالته، فإذا أمكن العبد ربه عز وجل من نفسه بخروجه عما سواه فهو حسبه أى هو حسبه فى تحقيق معنى السيادة له على عبده، وذلك هو المقصود الأول من البارى عز وجل فى قوله تعالى "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ليعرفونى . وهذا العرفان هو تسليمهم فى العبودية لصاحبها فشبه هذه الحالة بطالب الضالة فإذا وجدها اكتفى .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتنى ولم تراسمى فانتسب إلى عبديتى فأنت

عبدى) .

قلت :

شهود الحق تعالى يمحوا الأسماء والصفات بظهور أحدية الذات، فمن رآه تعالى ولم ير اسمه صحت له العبودية فلينتسب إلى عبوديته فهو عبده، وهنا تفاصيل يطول شرحها، ومن بعضها أن صاحب الشهود إذا رآه شيخه أو مربيه عرف المقام الذى منه حصل له الشهود، فإن كان المشهد ذاتيا سماه شيخه عبد الله، وإن كان المشهد وجوديا سماه شيخه عبد الرحمن، وإن كان المشهد من مرتبة أخرى من مراتب محو الأسماء الجزئية سماه بذلك الاسم كعبد الواحد، وعبد الأحد، وعبد اللطيف، وعبد الجبار . وعلى ذلك وسواء كان اسم المشاهد هو ذلك الاسم أو كان الاسم الذى سماه به أبواه هو غير ذلك فإن الاسم الذى يحصل له من شهود الحضرة (١١٢/ب) هو اسمه الحقيقى لا ما سماه به أبواه .

وقد ينتقل المسالك من اسم إلى اسم إلى أن يكمل له حضرة الجمع فيسمى بعبد الله ويصير صاحب ميراث محمدى، فإن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم هو عبد الله حقيقة أى صاحب أكملية هذا المقام، وأما من دونه فهم ورثة عنه . قال الله تعالى فى تسمية محمد صلى الله عليه وسلم بعبد الله وأنه لما قام عبد الله يدعوه فسماه عبد الله .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتى ورأيت اسمى فأنا الغالب) .

قلت :

معناه أنه من شهد الاسم فى نور المسمى كان نور المسمى غالبا ولذلك أظهر الاسم .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيت اسمى ولم ترنى فما عمك لى ولا أنت عبدى) .

قلت :

هذه صفة المحجوبين وهم الذين لا يعرفون الحق إلا بأسمائه الحسنى المحفوظة، وعبادة هؤلاء هى لأغراضهم، فمن عبده رغبة فهو عبد حظه ومستنده الاسم المعطى والاسم المنان والجواد . وبالجمله : أسماء النعمة كالمنعم وأشباهاه ومن هو عبد حظه فما عمله إلا لنفسه لا له تعالى . وأما من عبده رهبة فهو عبد حظه أيضا طالبا للخلاص

من النار ومستنده الاسم الواقى لظهور سلطنة الاسم الجبار، والمنتقم على من هذه صفته، وهؤلاء كلهم عبيد أنفسهم لا يرون إلا الأسماء اعتقادا لا شهودا وهي صفة المحبوب .
قوله :

(وقال لى: أزح علك ترنى مستويا) .
قلت : إزاحة العلل أن لا تعبد لغرض أصلا .

قوله :

(وقال لى: قف بحيث أنت، واعرف نفسك ولا تتس خلقك ترنى مع كل شئ فإذا رأيته فألق المعية وأبق لى فلا أغيب عنك) .
قلت :

وقوفه بحيث هو ليس إلا أن يرى نفسه عدما، ويرى الوجود له تعالى والعدم لا يبق مع الوجود؛ فلذلك قال له ألق المعية والله الموفق^(٥٩) .
(١/١١٣)

٢١- موقف ما يبدو :-

قوله :

(أوقفنى فيما يبدو فرأيت لا يبدو فيخفى ولا يخفى فيبدو ولا معنى فيكون معنى) .
قلت :

معناه أن الباديات صفات لاسمه الظاهر، والظاهر هو عين الباطن الذى لا يبدو، فإذا ما بدا هو حقيقة ما لا يبدو، وهذا إذا عرف شهد ما ظهر أنه من الحق تعالى، وإن شهد أن الذى يبدو سوى فالسوى عدم والعدم لا يبدو فيخفى ولا يخفى فيبدو؛ ولأن هذه صفات الوجود .
قوله :

(وقال لى: قف فى النار، فرأيتك يعذب بها ورأيتها جنة، ورأيت ما ينعم به فى الجنة هو ما يعذب فى النار) .

قلت :

هذا التنزل هو سر عظيم، وأنا ألوح بمعناه، اعلم أن المخالف إنما يعذبه بتجل من تجلياته لتخليه عن كيفية الخلاف الذى فى ذاته وهو الذى كان سبب معصيته أعنى السبب القريب فى لسلن العلم، فإذا أحاله ينعم بعد فخلود العذاب ليس إلا طوله، فإذا انتقل إلى النعيم فهو بأن صار ذلك التجلى مناسباً وبه نفسه يصير النعيم .

قوله :

(وقال لى: أحد لا يفترق، صمد لا ينقم (لا ينقسم) رحمن هو هو) .

قلت :

هذا تكلمة لما قبله، أى الحق واحد فتجليه الذى به يعذب هو بعينه الذى به ينعم وهو هو . والصمد هنا هو الذى لا جوف له أى ظاهره باطنه وباطنه ظاهره، وذلك هو الرحمن الذى هو هو بكل الاعتبارات .

قوله :

(وقال لى: قف فى الأرض والسماء فرأيت ما ينزل إلى الأرض مكراً وما يصعد منها شركاً، ورأيت الذى يصعد هو عما ينزل، ورأيت ما ينزل يدعو إلى نفسه، ورأيت ما يصعد يدعو إلى نفسه) .

قلت :

هذا التنزل الشريف هو مضمون قوله تعالى " الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل (١١٣/ب) الأمر بينهما" (١٠) وهذا الأمر المتنزل هو مكره تعالى لما يقتضيه العلم من الشرك، وهذا الشرك لا يجوز كشفه . حكى شيخنا رضى الله عنه فيما رواه أن ابن عباس رضى الله عنهما تلا هذه ثم قال لو أخبرتكم معناها لقلتم ابن عباس لا يؤمن بيوم الحساب أى لا يسعه عقولكم، كما قال عليه السلام خاطبوا الناس على قدر عقولهم أتحبون أن يكذب الله ورسوله . وسألوه ببعض المعنى : ما ينزل من السماء من الأوامر يقتضى الغيرية وهى مكر، وما يصعد هو العمل بمقتضى ذلك الأمر وهو شرك لرؤية العامل أنه هو صاحب القدرة فى العمل وأنه هو العامل حقيقة وهذا شرك، وأن هذا الشرك إنما أصله مما ينزل لاقتضائه الثبوتية فقوله قال لكم ثم إن ما ينزل يدعو إلى نفسه بالربوبية وما

يصعد يدعو إلى نفسه بالعبودية، والحقيقة هو أمر آخر، وهو محو المرتبتين
فى شهود أحدية الذات وقد تكرر معنى هذا .
قوله :

(وقال لى: ما ينزل مطيتك، وما يصعد مسيرك، فانظر ما تركب
وأين تقصد) .
قلت :

ما ينزل هو الأمر والنهى، وسماه مطيته لأنه خبر مبتدأ، فافهم .
قوله :

(وقالى لى : تنزل مسافة، تصعد مسافة بعد بعد فالبعيد لا يحدث)
قلت :

هو ظاهر لأن الصعود والنزول يستلزم المسافة، والمسافة بعد لأن
قرب الحق تعالى وبعده بلا (١١٤/أ) مسافة، وإذا كانت المسافة بعدا فالبعيد
لا يحدث .
قوله :

(وقال لى: كيف تكون عندى وأنت بين النزول والصعود) .
قلت :

النزول والصعود بمسافات وهو مذهب العباد وهم على الحق العلمى
لا الحقيقة العرفانية، ولا يصح لهم العبودية الذاتية بل الأسمانية وهى حضرة
حجاب .
قوله :

(وقال لى: ما أخرجت من الأرض عينا جمعت بها على، ولا أنزلت
من السماء عينا جمعت بها على، إنما أبديت كل عين قسمته بها على
وحجبت، ثم بدأت فجمعت بى وكانت هى الطرق وكانت الطرق جهة) .
قلت :

مضمون هذا التنزل أن الخطاب الإلهى المنزل على الأنبياء عليهم
السلام هو على قدر عقول البشر المحجوبة، وقد ورد ذلك فى السنة الكريمة،
وذلك يقتضى الفرق والجمع خلافة، وهو مما يشهد لامما ينقال، أعنى الجمع
وصورة هذا أن أعيان الموجودات هى بالذات متميزة، والتمايز هو عين

الفرق، والحق تعالى لا يشهد إلا بعين الجمع بحيث لا يراه سواه؛ فلذلك لم يتجمع بالحق على الحق في طرق هي الأعيان ذوات الجهة .
قوله :

(وقال لى: قف فى الجنة فرأيتہ يجمع ما أظهر فيها من العيون فيكون الورا ظرفا ورأيتہ لا يبدو فيخفى ولا يخفى فيبدو ولا معنى فيكون معنى).
قلت :

يعنى أن شهوده أعيان الجنة بعين الجمع لقوة معنى الجمع هناك وضعف معنى الفرق، ويحتمل وجه آخر وهو أن وقوفه فى الجنة هو شهوده لأحكام الترغيب الذى ورد فى العلم، والعيون هي الأوامر (١١٤/ب) بالترغيب فهو يجمع قلوب الراغبين بالرغبات فى الجنة، وراه هو من وراء الرغبات أى ليس هو منتهى الراغبين فى الجنة، بل أنا هو منتهى الأعزاء عنده وهم الراغبون فيه . وقوله (كما جمع لى الأرض) أى كما أجرى العادة فى أن الرغبات هي التى تجمع القلوب على الطلب فى الأرض والحق تعالى من وراء ذلك كله، وليس العداء ظرفا ولا ظرفا لشهوده الوجوديين معا عينا واحدة، وإذا لم يكن شئ معه فهو لا يبدو فيخفى لأنه هما معا، ولا يخفى فيبدو لأنه أيضا هما معا، ولا هو معنى بشيره لفظ أو فهم؛ إذ هو هن جمعيا، لأن من هو عين الجهات لا يقال هو فى جهة .
قوله :

(وقال لى: إن أقمت فى العرش فما بعده فابق فارا، وإن أقمت فى الذكر فما بعده فابق محجوبا) .
قلت :

(العرش فما بعده هو حضرة الوجدانية، وهو قرار مكين وأما الذكر فهو يقتضى مذكورا غائبا وذلك حجاب . قوله (إن كان غيرى ضالتك فاظفر بالحرب) قلت الحرب والويل متقاربان
قوله :

(وقال لى: إن كان غيرى ضالتك تهت إلا عني وحرث إلا معي) .

قلت :

معناه إذا كان مطلبك الحق لا الجنة وجدت السكون عند إفرادك إياه بالطلب، ووجدت الحيرة والتيه عند طلب الجنة أو طلبه لأجل الجنة، أو الخوف من النار، فتقع في الاضطراب لا السكون، وهذا أمر جربه أهله فوجدوه كذلك .

قوله :

(وقال لى: انظر إلى لما جعلتك ضالتى ألم أقبل عليك) .

قلت :

معناه تذكره بإقباله عليه لما خصه بالطلب الاصطفائي .

قوله :

(وقال لى: أنت ضالتى، وأنا ضالتك (١١٥ / أ) وما منا من غاب) .

قلت :

الضالة إنما تقع الحيرة فيها إذا غابت، والحق تعالى لم يغيب فى نفس الأمر، وأما العبد فإنه لم يغيب عن الحق إذ هو به لا بنفسه .

قوله :

(وقال لى: كلما أراك نفسه، وأراك غيره به، فقد ربطك به وبغيره ونفضك عنه وعن غيره) .

قلت :

معناه إذا أراك الخلق بالحق قائمين بالقيومية، فإن لم يفز فى نظرك الخلق فقد خصمك عنه وفصلك من أجل أنه ربطك معه بالسوى .

قوله :

(وقال لى: ما أراك سواه ولم يرك نفسه، فقد مكر بك، وما أراكه، ولم يرك سواه رأيت كل شىء فى نور نوريته) .

قلت :

هذا كما ذكر من قبل، أن النازل من السماء مكر وهو فى الخطاب العلمى هداية للمحجوب، ومكر بالخواص فليحذروه، وأما الخطاب العرفاني، وهو المأخوذ عن التجليات الشهودية فهو الذى يريك الأشياء فى نور ذاته التى هى نور .

٢٢- موقف لا تطرف :-

قوله :

(أوقفنى وقال لى : أظهرت كل شئ وأدرأت عنه وأدرأت به عنه) .

قلت :

معناه خلقت كل شئ ظهر، ودافعت بعضها عن بعض أى ما يزن بينها، ثم جعلتها حجباً على؛ ولذلك إنما أظهر لمن تتمحى رسومها فى نظره.

قوله :

(وقال لى: إذا نظرت إلى أثبت كل شئ، فقد أدنك بمواصلتى) .

قلت :

من شهد الحق رأى كل شئ به ثابتاً، لكن ثبوت الصفات لموصوفها الحق، وأما من رأى الأشياء ثابتة بإثبات الحق إياها من حضرة العلم، فذلك لا يرى الحق والحالة هذه أبداً . فالمقصود بالمواصلة هو الأول، المأذون بها هو الأول .

قوله :

(قال لى (١١٥/ب) كل له علامة ينقسم بها، وتنقسم به) .

قلت :

معناه كل ما سواه فله فصل يمتاز به .

قوله :

(وقال لى: كن بالمثبت لا يقوم لك الثبوت) .

قلت :

معناه كن مع شهود الوجدانية يذهب عنك الفرق، وهو الثبوت المشار

إليه .

قوله :

(وقال لى: إذا كان إلى المنتهى سقط المعترض) .

قلت :

معناه : إذا كان آخر ما يتخلص إليه الكشف والشهود هو أن ليس

معنى غيرى، فالمثبت مما تراه سواى يسقط، وذلك هو المعترض .

قوله :

(وقال لى: لا يكون إلى المنتهى حتى ترانى من وراء كل شئ) .

قلت :

معناه لا يكون ممن يشهد معنى قوله (وأن إلى ربك المنتهى) ^(٦١) حتى ترانى عاقبة كل مفقود فى شهودى فترانى وحدى بعد ذهاب المعترضات، وذهابها هو بأن تراها صفات له وليست غيرها له .

قوله :

(وقال لى: إثباتى لا يمتحى به ولابى، إنى أنا الحكيم المتقن على علم ما وضعت) .

قلت :

معناه أن تشهد الأشياء غير معدومة، لكن تشهدها منه فليس غيره، فإذن لا يمتحى، فإن الحكيم المتقن لأوصاف العلم لا يمحو شينا أثبتته لكن من حيث إنه وصف فيجد الكثرة فى غير الوحدة، وفى نسخة وضعت ومعناه خلقت .

وقوله :

(وقال لى: انظر إلى ولا تطرف يكن ذلك أول جهادك فى) .

قلت :

معناه إن الجهاد فى سبيل الله هو نصيب العلم، وأما الجهاد فى الله حق جهاده فهو أول ذلك أن يرى الحق فلا يطرف عنه إلى ملاحظة السوى، ولو كان اسمه أو صفته .

قوله :

(وقال لى: ابن أمرك على الخوف أثبتته بالهم، ولاتبن أمرك على الرجاء أهدمه إذا تكامل العمل) .

قلت :

هذا التنزل (١١٦/أ) ليس هذا الموقف موقفه إذ هو لائق بأهل البداية، وهو مما يدل على ما قيل إن الذى ألف هذه المواقف هو ولد الشيخ النفري رحمه الله، وليس هو الشيخ نفسه إذ كان الشيخ لم يؤلف كتابا إنما كان يكتب هذه التنزلات فى جزازات أوراق نقلت بعده، فإنه كان مؤلها لا يقيم بأرض، ولا يتعرف إلى أحد، وذكر أنه توفى بأرض مصر فى بعض قراها، والله أعلم بجليه أمره. ^(٦٢)

وأما التنزل فهو لأهل البداية الذين بين الرجاء والخوف وقد أثر الخوف على الرجاء باللازم عن كل واحد منهما، فإن الخائف لا يخرج إما أن يكون خوفه مع الطاعة فيخاف أن لا تقبل، أو مع المعصية فيخاف الجزاء عليها، وأيما (أياماً) كان فهو صاحب هم (أى اهتمام) فى طلب الخلاص، والهمة والاهتمام يقظة . وأما الراجى فلا يخرج إما أن يكون رجاؤه بعد طاعته أو غيرها .

فإن كان طاعة انهدمت الطاعة بسكونه إليها لرجائه أنها شافعة له، والحق تعالى غيور لا يرضى لعبده السكون إلى غيره، وأما إن كان رجاؤه بعد معصية فذلك طمع سكن إليه مجرد عن الاهتمام بالخلاص والسكون كما تقدم مناف لإيثار الحق، وهذا المعنى لم أره للقوم الذين تكلموا فى التفصيل بين الخوف والرجاء .
قوله :

(وقال لى: إذا أذهبتك عن الأسماء فقد أذنتك بحكومتى) .
قلت : هذا التنزل موافق للموقف بخلاف الذى قبله، ومعناه إذا أشهدتك فناء الصفات فى رؤية الذات، فقد أذنتك أى أذنت لك أن لا (١١٦/ب) تلاحظ الحكومة التى بين الذات والصفات، وأشهدتك كيف تعود الصفات بوجه خفى إلى الذات حتى لا يكون معها، وتلك الحكومة هى مشاهدة وحدانية الوجود وأن الوجود عين ذاته لا زائد عن الذات .

٢٣- موقف وأهل المنطقة :-

قوله :

(أوقفنى وقال لى : إذا رأيتنى كان ففرك فى إجابة المسئلة) .

قلت :

معناه أن العادة لما كانت أن الغنى يحصل فيما سألته السائل بإجابة المسئلة، وكان الحال مع الحق تعالى بخلاف ذلك كانت الفائدة فى الإخبار هذه الواقعة، ووجه الفقر هنا بما به فى العادة يكون الغنى هو أن الطالب من الحق تعالى، وإن أجيب إلى طلبته فهو يشهد له بالفقر من وجهين : أحدهما أنه فقير من الشهود؛ إذ لو كان مشاهدا لم يسأل، وذلك قد تقدم فى قوله "طلبك منى وأنت لا ترانى عبادة وطلبك منى وأنت ترانى استهزاء" فالطلب

إما لأهل العبادة وهم أهل حجاب وإما لأهل استهزاء وهم أراذل وحالهم حال فقير .

وأما الوجه الآخر، فإن الذى يطلب لابد وأن يكون صاحب غرض ومطلوب، وصاحب الحق تعالى ليس بصاحب غرض وقد ورد عن سادات هذه الطائفة أنهم قالوا "لا يكمل فقر الفقير حتى لا يكون له إلى الله حاجة" وهذا ليس غنى عن الحق بل غنى بالحق فافهم .
قوله :

(وقال لى: إذا رأيتى فلا تسألنى فى الرؤية ولا فى الغيبة؛ لأنك إن سألتنى فى الرؤية اتخذتها إلها من دونى، وإن سألتنى (١١٧ / أ) فى الغيبة كنت كمن لم يعرفنى، ولا بد لك أن تسألنى وأغضب إن لم تسألنى فسألنى إذا قلت لك سألنى) .
قلت :

سؤاله فى الرؤية يوجب عليه أن يسأل الموجودات، وذلك معلوم عند هذه الطائفة فى حق من رجع إلى الخلق بالحق، ورجع إلى الأزواج وهجر السياحة وسكن المدن وعاشر الناس لما لم ير إلا الله عز وجل، فهو يأخذ من يد الله تعالى بلا جهة حجه فيظهر فى ظاهر حاله عند الناس أنه اتخذ الأسباب وجهة يتوجه إليها فيعتبر كأنها ربه الذى كان يتوجه إليه بترك الأسباب، وهذا إنما معيب إذا كانت فيه بقية . فأما من تخلص فى هذا المقام فإنما يسأل الخلق من حيث أمره الحق أن يسألهم، وهو فى المسئلة هو المتوجه إليه، إذ لا يرى غيره، وأما من سأل فى الغيبة فهى حال المحجوبين والمسئلة لهم عبادة غير أنها حال من لم يعرفه . وأما قوله "ولا بد لك من مسئلتي" فإنك لو سألت خادمك عن إبريق الطهارة ثم شهدت الوجود لم تجدك سألت غيره تعالى . فلا بد إذن لك من المسئلة . وأما أنه يغضب إن لم تسأله فإنك إن لم تسأله أى تستحضر أنك إذا سألت مسئلة ما أنه المسئول فقد استوجبت غضبة الغيرة الإلهية .
قوله :

(وقال لى: إذا رأيتى فانظر إلى أكن بينك وبين الأشياء، وإذا لم ترنى فنادنى لا لأظهر لك ولا لترانى، لكن لأنى أحب نداء أحبائى لى) .

قلت :

معناه : إذا كنت من أهل رؤيتي فانظر إلى الوجود تجتمع على الواحد ولا تنتظر إلى الموجود وينقسم بك التعادد، وإن لم تكن من أهل رؤيتي فنادني بنية أنك فاعل لي ما أحببت منك أن تفعله لي .

قوله :

(وقال لي: إذا رأيتني أغنيك الغنى الذي لاضد له) .

قلت :

معناه إذا شهدت الوجود شهدت ما لا ضد له، ولا تقل إن (١١٧/ب) العدم ضد للوجود، فإنني لست أعني بالموجود وجود موجود ما فإن العدم لا حقيقة له إلا عدم موجود ما، فأما أن يؤخذ العدم على الإطلاق فهو لا شيء من كل وجه . واستحضاره يشبه العبث، وأيضا فإن مشاهدة الوجود المطلق تغني عن شهود موجود موجود فإن الحق يغني عن ملاحظة الخلق وفيه أن يراد بالغنى رجوع الشاهد إلى نفسه، فلا يطلب من الغير، ويستثمر ذلك أبدا. فإنه قد قيل (ما تجلى تعالى لشيء فاحتجب عنه بعد ذلك)

قوله :

(وقال لي: إن تبعك السوى وإلا تبعته) .

قلت :

معناه : أن المشاهد يرى أن السوى من أحكام العبد، وهي اعتبارات نسبية عدمية، وهي من لواحق اعتبارات ذات مفروضة هي العبد، فمن شاهده كذلك وجده تابعا له، فقد تبعه، ومن رأى له وجودا صار هذا الرائي عبدا لذلك السوى بقدر ثبوته عنده؛ فإن العبودية لله تعالى هي أن لا ترى لشيء غيره وجودا وذلك معروف عندهم .

قوله :

(وقال لي: ذكرى في رؤيتي جفاء فكيف رؤية سواي، أم كيف ذكرى

مع رؤية سواي) .

قلت :

معناه أن الذكر للحاضر حقا لأنه من أحكام المحجوبين، وأحكام المحجوب كلها جفاء، فكيف إذا كان الذكر مع إثبات أن ثم سوى، وذلك أقوى الحجب، ثم بين أنه كيف يمكن أن يصح ذكر الله تعالى من ذاكر يرى أن

معه تعالى سواء؛ لأنه يلزم أن يكون المذكور إذ ذاك غير الله تعالى؛ لأن الذي معه غيره هو غيره تعالى، وأما هو فليس معه غير هو غيره تعالى .
قوله :

(و قال لى : أفل الليل وطلع وجه السحر، وقام الفجر على ساق، فاستيقظى أيتها النائمة إلى ظهورك، وقفى فى مصلاك، فإبنى أخرج من المحراب، فليكن وجهك أول ما ألقاه فقد خرجت إلى الأرض مرارا وعبرت (١/١١٨) إلا فى هذه المرة فإبنى أقمت فى بيتى وأريد الرجوع إلى السماء، فظهورى للأرض هو جوازى عليها ببديع قطرتى، وخروجى منها بتبديلها بقدرتى وهو آخر عهدها بى، ثم لا ترانى ولا ما فيها أبد الأبدىين، وإذا خرجت منها إن لم أمسكها لم يقم وأحل المنطقة فينتثر كل شئ وأنزع درعى ولأمتى فتسقط الحرب وأكشف البرقع ولا ألبسه وأدعو أصحابى القدماء كما وعدتهم فيصيرون إلى وينعمون، ويتنعمون، ويرون النهار سرمدًا، ذلك يومى ويومى لا ينقضى) .

قلت :

اعلم أيدك الله أن معنى هذا التنزل ليس إلا إشارة إلى ما يتجدد لأهل الشهود الذاتى لا على ما يسبق إلى أفهام الذين لا خبرة لهم بمعانى التجليات فأول ذلك قوله (أفل الليل) أى زالت شدة ظلمة الحجاب، (وطلع وجه السحر) وهو البرزخ بين الكشف والحجاب، (وقام الفجر على ساق) أى زالت الثوبية فى شهود ولى الله تعالى، (فاستيقظى أيتها النائمة) يعنى اللطيفة الإنسانية التى كانت مغمورة بالحجب، ونومها هو جهلها .
قوله :

(إلى ظهورك) معناه أنه ما تجلى عليك غيرك، وهو قولهم : انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم .

قوله : (وقفى فى مصلاك) : يريد بالمصلى هنا خلاف ما يفهمه العباد، وذلك أن المصلى عند العباد هو مكان الصلاة، وأما عند أهل التجليات فهو عبارة عن ملاحظة العبد عند توجهه إلى ربه تعالى أنه لا شئ، وأن القوة التى بها تكون الصلاة هى قوة الله تعالى . قال سبحانه إن القوة لله جميعا فيكون العبد فى حالة الصلاة فارغا من نفسه، ذاهلا عن حسه، فكأنه عدم، فهذا هو مصلى العارف، وهذه الحالة (١/١١٨) هى التى تستدعى من الحق

تعالى تجليه لأهله الذين قد أقامهم فى مصلاهم وهو شهودهم معنى الآية التى هى " هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا "،
قوله :

(فإننى أخرج من المحراب) أى من تلقاء وجه هذا المصلى وهو المحراب والذى هو تلقاء وجه المصلى هنا إنما هو العدم، وذلك هو اضمحلال الرسم الذى ذكره بعد وهو قوله وإنما يتعين الحق عند اضمحلال الرسم أى عند انعدام الرسم. قوله (فليكن وجهك أول ما ألقاه) أى وجه حقيقتك العدمية، وذلك أن حقيقة كل موجود غير الله تعالى إنما هو تعين ما والتعين أمر عديمى، وإنما وجود المتعين هو لله تعالى، والعدم لا يتركب معه الوجود، فما ثم إلا وجوده تعالى، وهذا كلام واضح لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد، فهذه النسبة العدمية هى وجه العبد، وهو إخلاء الوجود من غيره تعالى.

قال بعض شيوخ العجم :

"خرگاه وجود خود زخود خالنى كن نا حون خالى شد شاه بحرگاه ایدسه".
قوله :

(فقد خرجت إلى الأرض مرارا وعبرت) يعنى بالأرض الكائنات كلها، ومعنى هذا أنه تجلى لعبده فى أسمة الظاهر، أعنى مظاهر هذه الكائنات، ثم احتجب عنه بحكم أن التجلى لم يكن ذاتيا .
قوله :

(فإننى أقمت فى بيتى وأريد الرجوع إلى السماء) معناه أن التجلى يدوم فلا ينحجب وجه الحقيقة عن هذا العبد أبدا، ومعنى رجوعه إلى السماء أنه يشهده عبده ووليه أن ما كان يشهده من التلى والتنزل فى التجلى (١١٩/أ) ليس إلا تأنيا وتقريبا إلى فهمه، وإلا فليس للحق نزول، فإن معنى العود إلى السماء إنما هو إشهدا وليه أنه فى السماء أى العلو لم يزل، ويعنى بالعلو عدم الجهة، فإن الجهة سفلى وعدم الجهة هو علو، وتسمية العلو والسفل مجاز تعالى عن حقيقته .
قوله :

(فظهرى إلى الأرض هو جوازى عليها) معناه أن نفس التجلى هو الجواز، ويعنى بالجواز ظهور النزاهة عما يتعلق بالأرض .

قوله :

(ببديع فطرتي) معناه شهود الولي لهذا الجواز هو بالفطرة الإلهية لا بالأذهان والعقول المعقولة بالعقائد والعوائد، قال الله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) فنسب الفطرة إلى نفسه والناس مفطورون عليها .

قوله :

(وخروجي منها بتبديلها) معناه أن الولي إذا شهد هذا المشهد رأى الحقيقة التي كانت تتجلى في المشاهد الجزئية، وذلك التنزه هو الخروج، واستعمال المجاز في هذا الكلام كثير بسبب ما فيه من الفصاحة، ومعنى تبديلها أن يرى ما كان يراه خلقا يتحول في عينه فيراه حقاً، فالتبديل يوم القيامة غير هذا التبديل . قال بعضهم حجت بعض سنيه فرأيت رب البيت ولم أر البيت، وهذا هو التبديل المشار إليه، ويسمى ذلك قدره لأنه هو الفاعل لذلك، وكل فعل فبقدرته عز وجل .

قوله :

(وهو آخر عهدا بي) معناه أنه لا يرى من بعدها أن هذه المظاهر هي مجال للحقيقة، بل يرى الحق وحده، فهو آخر عهده بالظهور الجزوي (الجزئي).

قوله :

(وإذا خرجت منها إن لم أمسكها لم تقم) معناه أن ظهوره الذاتي في (١١٩/ب) تلك المظاهر والمجالي هو خلف عن ظهوري الجزوي الذي كان يشهده، فإمسكها هو بأن نقيمها القيومية الذاتية، واعلم أن كل مرتبة من مراتب التجليات تشهد فيها القيومية بحسبه، وأما التجلي الذاتي فقيوميته هو قيام الأشياء بذاتها من حيث هو ولا شيء معه، فالذات حينئذ وحدها وقيوميتها بها لها منها، وهذه هي خاصية التجلي الذاتي .

قوله :

(وأحل المنطقة فينتثر كل شيء) يريد بالمنطقة عالم الملك والملوك، بل ما فوق ذلك من عالم الجبروت، وحلها هو إشهاد الولي غيبوبة عالم الخلق في هوية عالم الأمر، وغيبوبة عالم الأمر في الحق، وغيبوبة الحق في الحقيقة، فيفنى السوى في العين، ويفنى المتى والأين، ومثل هذا من وجه ما

عالم الآخرة، لكن بعد فراغ الحساب وأن يبلغ أجله الكتاب، فانتثر كل شئ هو فناؤه في الباقي الحق .
قوله :

(وأنزع درعى ولأمتى فتسقط الحرب) معناه تحويل حكم العلم إلى حكم المعرفة من جهة أن لسان العلم لما فيه من التنزل للأفهام يقتضى أن يكون لله تعالى أعداء ومحاربون كما قال تعالى بلسان التنزل إلى الأفهام يحاربون الله، وأما في لسان المعرفة فليس لله عدو ولا محارب، وهنا للكلام مجال رحب وسماعه على قوم سهل وعلى قوم صعب، ومعنى التحول فى حق الشاهد أن يشهد بعد العلم أن لله أعداء ومحاربين، ويراه حقا أنه ليس له عدو ولا محارب ويراه حقيقة، فالحقيقة باطن الحق، قال عليه الصلاة والسلام "إن لكل حق حقيقة" وهذا الكلام فى هذا التنزل فيه مجاز مستملح وهو تعبيره عن إظهار أن لا عدو له بقوله أنزع درعى ولأمتى وعن إظهار أنه لم يفعل (١٢٠ / أ) فى وجوده إلا مراده بقوله فيسقط الحرب .
قوله :

(واكشف البرقع ولا ألبسه) معناه أن يكون بعد تجليه هذا لوليه حجاب أبد الأبدین (أبد الأبدین) وذلك هو شأن التجلى الذاتى .
قوله :

(وأدعوا أصحابى القدماء كما وعدتهم فيصيرون إلى) معناه فى لسان المعرفة أن أصحابه القدماء هم الذين أشهدهم قدمه وألزم شهود كل أحد منهم عدمه، ومعنى الصيرورة إليه بهذا اللسان أن يروا وجودهم فى طى وجوده فلا يرون معه غيره مع بقاء ذواتهم منه له به فيه لا منهم ولا لهم ولا بهم ولا فيهم .
قوله :

(ويرون النهار سرمدا) أى لا يرون ظلمة الحجاب بعدها .
قوله (ذلك يومى) معناه يوم شهود ذاتى وهو مالا ينقضى أبدا .
قوله :

(وقال لى: آليت لا يجدنى طالب إلا فى الصلاة، وأنا مليل الليل ومنهر النهار).

قلت :

لما كانت الصلاة هي مؤداة في الليل أشار إلى عبده ووليه أن يشهده في الضدين معا، فتكون الصلاة منصبة بهذا الشهود، فذلك هو وجدانه في الصلاة، والآلية هي إشارة إلى أن الوجدان إن لم يكن في صلاة منصبة بهذا الشهود فإنه لا يعد عنده وجدانا . قالوا وفي قوله وأنا مليل الليل هي الحال فتنبه لها .

٢٤- موقف إن لم ترني فلا تفارق اسمي:-

قوله :

(أوقفني بين أولية إيدائه وآخرية إنشائه وقال لي إن لم ترني فلا تفارق اسمي) .

قلت :

أمره أن يلحظ ما بين الأزل والأبد، فلا يرى فيه غيره، فإن لم يقدر على ذلك فعليه بالذكر .

قوله :

(وقال لي: إذا وقفت بين يدي ناداك كل شيء فاحذر أن تصغي إليه (١٢٠ / ب) بقلبك، فإذا أصغيت إليه فكأنك قد أجبتَه) .

قلت :

الإصغاء مبدأ الإجابة، ومبدأ الشيء منه، ومعنى ناداك كل شيء أي رام أن يحجبك .

قوله :

(وقال لي: إذا ناداك العلم بجوامعه في صلاتك فأجبتَه انفصلت عني)

قلت :

جوامع العلم علل الأحكام، فمن كانت صلاته لعلة فهو منفصل عن الشهود .

قوله :

(وقال لي: إذا نظرت إلى قلبك لم يخطر به شيء)

قلت :

معناه أن خلو قلبه من السوى هو ليس إليه، بل هو من آثار نظر الحق تعالى إلى ذلك القلب .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتى فى قلبك قويت على المصابرة) .

قلت :

معناه أن الصبر على العبادة تكون بنور من ذات الحق توجد فى

القلب .

قوله :

(وقال لى: أحابى الذين لا رأى لهم) .

قلت :

معناه : لا غرض لهم فهم مسيرون لا مخيرون، وذلك هو الذى طلبه

أبو يزيد فى قوله (أريد أن لا أريد) .

قوله :

(وقال لى: بدنك بعد الموت فى محل قلبك قبل الموت) .

قلت : معناه إذا كان قلبك فى الدنيا عنده، فبدنك فى الآخرة عنده، وحاصل

أنك إن كنت ممن لا ترى غيره فالقبر هو جملة حضرة القدس .

قوله :

(وقال لى: إذا وقفت بين يدى فلا يقف معك سواك) .

قلت :

معناه أذهل عما سواك .

قوله :

(وقال لى: إذا صار السوى خاطرا مذموما سقطت الجنة والنار) .

قلت :

معناه أن الوعد والوعيد من جملة أحكام السوى، فإذا كرهت السوى

سقط عنك حكمها، بانتقالك عن أحكام العلم إلى أحكام المعرفة .

قوله :

(الصدق أن لا يكذب اللسان، والصدقية أن لا يكذب القلب) .

قلت :

معناه أن التعلم هو محل الصدق وهو اللسان، والمعرفة محل الصديقية وهي للقلب، ونسبة (١٢١ / أ) العلم إلى المعرفة كنسبة اللسان إلى القلب، فانظر أيهما الأصل .

قوله :

(وقال لى: كذب اللسان أن يقول ما لم يقل، وأن يقول ولا يفصل، وكذب القلب أن يعقد فلا يفعل) .

قلت :

معناه : الحث على إمضاء العزم الحادث فى القلب إذا كان لله

تعالى .

قوله :

(وقال لى: كذب القلب استماع الكذب) .

قلت :

معناه أن من جملة كذب القلب أن يميل إلى الصد عن إمضاء العزم إلى الخير والصد كاذب .

قوله :

(الكذب كله لغة سوى والحق الحقيقى والصدق لغتى إن شئت أنطقت بها حجر أو بشرا) .

قلت :

معناه أن مادعاك إلى السوى فهو من السوى، ومادعاك إليه تعالى فبلغته دعاك وإليه هداك، وأهل الاعتبار ينطق لهم بالهداية حتى الأحجار .

قوله :

(وقال لى: كل ما علقك بى فهو نطقى عن لغتى) .

قلت :

هذا فعل الذى قبله .

قوله :

(وقال لى: التمنى من كذب القلب) .

قلت :

معناه أن من لم يعزم على المطلوب ويبذل الذات في المرغوب فهو
متمن والمتمنى مصغ إلى التواني وهو كذب القلب في صحة الطلب .

قوله :

(وقال لى: الأمانى غرس العدو فى كل شئ) .

قلت :

يعنى بالعدو خاطر السوى، فإنه من الشيطان .

قوله :

(وقال لى: الرجاء فى مجاورة الأمانى والمجاورة اطلاق) .

قلت :

الأمانى تتعلق بالمستحيل أيضا، وأما الرجاء فلا يتعلق بالمستحيل،
والتعلق - كيف كان - قبيح، ويعنى بالاطلاع الإشراف ؛ فكأنه قال الرجاء
مشرف على الأمانى، وكلاهما قبيح .

قوله :

(وقال لى: لكل متجاورين صحبة) قلت : نهى عنهما معا .

قوله :

(وقال لى: حقيقة الترجية أن أعلقك بى لا فى معنى ولا بمعنى، ولن
تتاله (١٢١ / ب) حتى يحرق الخوف ماسواه) .

قلت :

أن يحرق الرجاء بالخوف .

قوله :

(وقال لى: أفسدتك على كل شئ، وجعلت ذلك حجابا بينك وبينه فلا
تخرق الحجاب بالتعرض له فأرسل عليك مثلته) .

قلت :

معناه أنى أشهدتك أنى عين كل شئ، وحجبت بهذا الشهود بينك وبين
ما اعتقدت أنه غيرى فلا ترجع إلى اعتقاد أنه غيرى فأجعلك أنت أيضا
غيرى إذ لا فرق بينك وبينه، فألبسك بذلك مذلة من هو غيرى فيكون عبدا
وقد أشهدتك أنك حق هذه مثلته .

قوله :

(وقال لى: لو صلحت لشي ما أبديت لك وجهي).

قلت :

معناه: أنى اصطفتك لنفسى، فاستعدادك لا يقتضى غيرى، فلذلك أشهدتك جمالى، ولولا ذلك لما أبديت لك (وجهي).

قوله :

(وقال لى: إذا اعترض لك السوى بفتنة فانظر إلى أولية إنشائه ترى ما يسقطها عنك، فإن لم تر فى أولية إنشائه فانظر إلى آخرية إيدائه تر الزهد فيها ولا تراها).

قلت :

يعنى إذا أردت أن ترى السوى بمبلغه فانظر إلى ماله ابتداء تعرف أنه سوى أو إلى ماله آخر فتعلم أنه سوى، فتعلم من ذلك أن ما سواه تعالى عدم من جهة أن ماله بداية فله نهاية والنهية العدم، وأما الباقي فمزال ولا يزول تبارك وتعالى (١٣).

قوله :

(وقال لى: الأولى قوة والأخرى ضعف فاستغفرنى من ضعف قويت عليه بضعف).

قلت :

معناه أن من شهد أن ماله أولية فهو سوى فهو قوى، ومن لا يقدر على ذلك بل لا يقدر أن يعرف أن ماله أولية سوى بل لا يعرفه إلا بماله انتهاء فهو ضعيف.

قوله :

(وقال لى: إذا لم ترنى (١٢٢/ أ) فلا تفارق اسمي).

قلت :

معناه : إن فرض من لم يشهد الحقيقة هو أن يذكر الله تعالى دائما، فإن الذكر سوف يوصله إلى المذكور، إن شاء، وهو العزيز الغفور وله الحمد وبه الغبطة والحبور (١٤).

٢٥- موقف أنا منتهى أعزائي :-

(أوقفنى وقال لى: العلم على من رأى أضر من الجهل على من لم يرى)
قلت :

معناه أن العلم شاهد بإثبات السوى من جهة أنه يرشد إلى عبادة غير فيثبت السوى، وذلك ضرر شديد لا يبلغ مبلغه الجهل .
قوله :

(وقال لى: الحسنه عشرة لمن يرى، والحسنه سيئه لمن يرى) .
قلت :

معناه أن من يرى السوى يرى أن المعبود غيره فالحسنه عشرة كما ورد عن الشارع، وأما من يرى أن لاغير فإن الحسنه سيئه عنده لإثباتها السوى .
قوله :

(وقال لى إذا رأيتنى كانت سلامتك فى الفترة أكثر منها فى العبادة، وإذا لم ترنى كانت سلامتك فى العمل أكثر منها فى الفترة) .
قلت :

الحرص على العبادة دليل الحجاب، والحرص على ترك العبادة دليل الشهود، والسلامة أبدا مع الشهود لا مع الحجاب، فإن الحجاب هو حطب العذاب، وأما بالنسبة إلى من لم ير، فالعبادة منبهة للقلب تحيى المحبة وتذكر بجناب الربوبية .
قوله :

(وقال لى: إذا رأيتنى قسمك عنى كل ما تراه سواى بعينك وقلبك) .
قلت :

معناه إذا رأيت شيئا ظاهرا بحسك أو شيئا باطنا بخيالك أو وهمك أو فكرك فرأيت غيرته تعالى حببك عنه تعالى، وذلك هو التقسيم المشار إليه .
قوله :

(وقال لى: استغفرنى من فعل قلبك أكفك نغلبه إليك) (١٢٢/ب)

قلت :

معناه أن فعل القلب هو المعتبر لا فعل الجسم فإذا رأيت فعل قلبك هو فعل الله تعالى لا فعل قلبك فقد استرحت من نسبة الفعل إلى نفسك وهو كفاية .

قوله :

(وقال لى: فعل القلب أصل لفعل البدن فانظر ماذا تغرس، وانظر الغرس ماذا يثمر) .

قلت :

معناه إن كان ما يفعله القلب من اعتقاده هو إثبات السوى فإنه يوجب على البدن التعبد للسوى وهو ثمرته، وإن كان ما يفعله القلب إنما هو نفى السوى فإنه يوجب على البدن التعبد لله تعالى وحده لا شريك له، وذلك هو ثمرته .

قوله :

(وقال لى: يدى على القلب فإن كفت عنه يده لا تأخذ به، ولا تعطى غرس تعرض به فأثمر أن ترانى) .

قلت :

معناه أن يده وهى شهوده، وهى شهود أن لاشئ غيره هو أبدا على قلب ذلك الولى فإن أعرضت عن ذلك أيها الولى احتجبت وإن دام ذلك غرس أنواع تعرض التى توجب أن ترانى فى قلبك فأثمر، وذلك الغرس أن تراه وإلا فلا .

قوله :

(وقال لى: خف حسنة تهدم حسناتك، وخف ذنبا يبني ذنوبك) .

قلت :

معناه: إن رأيت أنك الفاعل للحسنة انهدمت حسناتك، وإن رأيت أنك بقدرتك فعلت الذنب فقد بنيت ذنوبك (٦٥) .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتى فحصلت ما تتصرف به عنى لم أغب عنك) .

قلت :

معناه: إذا كان فى رؤيتى ما نفسك لم أغب عنك وإلا غبت .

قوله :

(وقال لى: البلاء بلاء من رانى، ولا يستطيع مداومتى، ولايستطيع مفارقتة، فأنا بين ذلك أطويه وأنشره، وفى الطى موته، وفى النشر حياته) .
قلت :

معناه أن من فى رؤيته بين المحو والإثبات فهو فى محل الاختيار (١٢٣/أ) وهو البلاء فالموت محوه والإثبات حياته، والموت هنا أفضل من الحياة .
قوله :

(وقال لى: أنا منتهى أعزائى إذا رأونى اطمأنوا بى) .

قلت :

معناه : أن من ثبت محوه انتهى إلى ربه عز وجل، وكان من أعزائه ومن أهل الطمانينة به .
قوله :

(وقال لى: من لم يرنى فهو منتهى نفسه) .

قلت :

معناه أنه يكون مع عدم الرؤية مع نفسه .

قوله :

(وقال لى: شاور من لم يرنى فى دنياك وآخرتك، واتبع من رانى ولا تشاوره) .
قلت :

معناه شاور الفقهاء فى العبادة وهى معاملة الله وفى إصلاح دنياك وهى معاملة الناس، وإذا رأيت أهل الأحوال فاتبعهم ولا تشاورهم، فإن ما هم فيه ليس من عالم الكلام .
قوله :

(وقال لى: الاستشارة عن ضلال والمشورة هجوم، فمن رانى أين يهجم، ومن لم يرنى أين لا يهجم) .
قلت :

معناه أن الاستشارة هى استهداء والاستهداء يكون بعد ضلال، فإذا أشير عليه هجم على ما لا يعرف عاقبته، فالمشير محجوب، والمستشير

محجوب ومن رأى الحق تعالى لم ير غيره، فلا هاجم ولا مهجوم عليه، فأين نهجم والمحجوب أين لا نهجم .
قوله :

(وقال لى: اصحب من لم يرنى يحملك وتحمله، ولا تستصحب من رآنى يقطع بك آمن ما كنت به) .
قلت :

معناه أن أحوال المحجوبين مفهومة فتتحمل أيها المحجوب بها، وأما أحوال أهل الرؤية فغير مفهومة فتقطع عندما ترى من فعلهم مالاتفهمه وليس المراد أن أهل الرؤية أهل عذر فهم يعذرون بمن آمن إليهم وبهم لا بل ماسبق ذكره فافهم .
قوله :

(وقال لى: إذا رأيتنى ورأيت من لم يرنى فاسترنى عنه بالحكمة، فإن لم تفعل وتاه أخذتك به، وإذا لم ترنى ورأيت من رآنى فاحفظ حذك فما ترانى برؤيته) .
قلت :

(معناه أيها (١٢٣/ب) الرانى إياك أن تترك العمل بحضرة المحجوب فتتوه بالتشبه بك وإلا أخذتك به، ويا أيها المحجوب إذا رأيت أهل رؤيته عز وجل فاحفظ حذك وهو القيام بالعمل، فإنك لا تنتفع برؤية غيرك له تعالى، وإنما تنتفع برؤيتك أنت له تعالى، وهذه وصية نافعة، وفى أصحاب الشيخ على الحريرى وأصحاب شيخ يونس كفاية .
قوله :

(وقال لى: إذا رأيتنى ورأيت من رآنى فأنا بينكما أسمع وأجيب) .
قلت :

ينبغى أن لاتفهم من هذا الكلام أنه ثالث لهما، بل هو عين السامع منهما والمجيب من غير حلول، ولا ثنوية، هذا هو الذى يقتضيه الشهود فاعلمه، ومعناه انه غير السامع والمجيب .
قوله :

(وقال لى : والذين جاهدوا فىنا الذين رأونى، فلما غبت غطوا أعينهم غيرة أن يشركوا بى فى الرؤية) .

قلت :

معناه أن أهل الرؤية يرون المجاهدة في الله لا في سبيل الله؛ لأنهم لا يرون غيره، فلما احتجب عنهم رأوا الأغيار، فإنه لا يظهر بحضور غيره، وفي ظهوره يحتجب الغير، فهؤلاء منعتهم الغيرة أن ينظروا إلى السوى أى يثبتوه فإنه شرك .

قوله :

(وقال لى: الغيرة لاتصح أو تفنى القسمة، والقسمة لا تفنى وأنا

غائب) .

قلت :

معناه أن الذين جاهدوا فيه وغاروا عليه عند احتجابه لم تكن غيرتهم تامة لأن الغيرة التى تصح هى أن تفنى الكثرة المعبر عنها بالقسمة وهى لا تفنى حالة الحجاب، فما صحت غيرتهم عند احتجابه .

قوله :

(وقال لى: لنهدينهم سبلنا لنكشفن لهم فى كل شئ عن مواقع نظرنا

فيه) .

قلت : مواقع نظره هو شهوده لا فى الأشياء، بل غير الأشياء، والتقدير فى قوله مواقع نظرنا، أى مواقع النظر إلينا .

قوله :

(وقال لى: إنما أمرنا لشئ إذا أردناه بالإرادة نشهده المعرفة، فإذا

عرف قلنا له كن فيكون إجابة منا له) .

قلت :

هذا معنى ما نقل عن سادات هذه الطائفة من قولهم (أ/١٢٤) إذا

صح الفقير قال للشئ كن فيكون، وحاصله يرجع إلى أنه لا يغير من يقول للشئ كن فيكون .

٢٦- موقف كدت لا أواخذه:-

قوله :

(أوقفنى وقال لى: أسرع شئ عقوبة القلب) .

قلت :

معناه أنه المخاطب .

قوله : (وقال لى: كدت لا أغفر له وكدت لا أواخذه) .

قلت : معناه أنه كان مما يغلب عليه السوى، فكدت لا أغفر له، وإلا فكدت لا أواخذه :

قوله :

(وقال لى: إن جعلت لغيرى عليك مطالبة أشركت بى فاهرب

هربين : هربا من الغريم، وهربا من بى) .

قلت : معناه : إن اعتبرت الأغيار أشركت فتطالبك الأغيار لأنك جعلت لها عليك مطالبة فهذه مطالبة ومؤاخنتى لك مطالبة أخرى .

قوله :

(وقال لى: إن جعلت لك معى مطالبة فقد سويت بى) .

قلت :

معناه إن جعلت لنفسك حقا خارجا عن حق ربك فأنت إذن مطلوب

من غريمين : أحدهما ربك تعالى، والآخر نفسك، فقد سويت إذن بربك تعالى نفسك فى أن كلا منهما له حق، وذلك خروج عن شروط القيوم .

قوله :

(وقال لى: أنا بادلا للبدو ولا لنفيه ولا لأرى ولا لأن لا أرى ولا لما

ينعطف عليه لام علة باد ليس فيه إلا باد) .

قلت :

معناه أن البدو إنما يكون بين اثنين، وما ثم اثنان يبدو أحدهما للآخر،

فأين البدو ؟ أو يرى أحدهما الآخر فأين الرؤية أو عدمها ؟ ، وإنما هو باد

ليس فيه ما يخفى فما فيه إذن إلا باد، وهذا إذا كان هو غير الوجود، ولم يكن

مع الوجود إلا الوجود فهو كما ذكر، وإنما لم يكن مع الوجود غيره لأن

غيره ليس إلا العدم وهو لا شئ من (١٢٤/ب) كل وجه .

قوله :

(وقال لى: أنا غيب لا عما ولا عن ولا لم ولا لأن ولا فى ولا فيما

ولا بما ولا مستودعية ولا ضدية) .

قلت :

لما ذكر قبل أنه باد ليس فيه إلا باد، وذكر عوارض البدو، ونفى عوارض الغيبة تنزهة عنها، وحاصله أنه غيب، والظواهرات كلها منه، فما هو إذن غائب عما، وهو عبارة عما لا يعقل، ثم نفى عن بالكلية ونفى العلة بقوله ولا لم، وهي حرف يسأل به عن العلة، ونفى لأن وهي العلية أيضا، ونفى الطرفية بقوله ولا فما، ونفى السببية أو حرف الاستعانة بقوله ولا بما، ثم نفى المستودعية وهي مشتقة من الوديعة، ونفى بعد ذلك نفيا عاما وهو قوله ولا ضدية فإن للعوالم العلوية والسفلية بين كل اثنين منها ضدية مابها يمتاز أحد المتغايرين عن الآخر، ولو أيسر مضادة مثل مابه يقال إن هذا ليس هو هذا وبالعكس، فهو إذن يشير إلى أن وجوده فردانى وفردانيته وحدانية، ووحدانية أحدية وهو هو فقط، وما سواه إثباته غلط .

قوله :

(وقال لى: أنا فى كل شى بلا أينية فيه، ولا حيثية منه، ولا محلية منفصلة ولا متصلة، ولست فيها ولا هو فى وأنا أبدو لك فأفنى منك ما تتعلق به من المعرفة وأبقى لك ما تتعلق به من المعرفة؛ فأنا الواقف بينك وبينها، فتراها بنورى فتجد سلطانها عليك بها أو بك) . (٦٦)

قلت : إذا فرضته وحده وجدت هذه الصفات قائمة به؛ فبالمعرفة تنفى الرسوم، وبالعلم تبقى الأوهام فى الفهوم .

قوله : (١٢٥/أ)

(وقال لى: القلب الذى يرانى محل البلاء) .

قلت : البلاء هو الاختبار .

قوله :

(وقال لى: ما سلمت إلى شينا فأذللته لشي) .

قلت :

معناه من صح انقياده إلى الله عز وجل بعزته تعالى فلا يزل لشي أبدا .

قوله :

(وقال لى: الغير كله طريق الغير) .

قلت :

إن اعتبار الأغيار هو فرض الأغيار، وحاصله أن عبادة من لا يراه عباده غيرية والعابد غير .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتى كان بلاؤك بعدد كل شئ، وكان كل شئ بلاؤك).

قلت :

البلاء الاختبار معناه أنك فى الرؤية مختبر بكل شئ، فإن أفادتك الرؤية أن لا ترى غيره عند رؤية كل شئ فقد فزت وإلا فلا .

قوله :

(وقال لى: يا من بلاؤه كل شئ صرفت البلاء عنك بالعافية داخله فى الشينية والشينية بلاء والبلاء والعافية إذا رأيتى عليك سواء فأيهما أصرف والصرف بلاء) .

قلت :

كأنه يقول: يامن رأتى صرفت عنك اعتبار الصور، وهى عدمية بشهود الوجود، وذلك عافية لكن تبقى شئ وهو دخولها فى الشينية، ومن بلاؤه كل شئ، والعافية شئ فهو مبتل بها أيضا فهى بلاء، ثم إن شهود الوجود يقتضى شاهدا فالنفس بعد باقية، فالشينية إذن بلاء أيضا، وهى والعافية سواء عند الرؤية، فلا يطلب صرف البلاء، فالصرف بلاء، فحاصله أن هذه الاعتبارات كلها أشياء، والأشياء بلاء فى الحقيقة، وأن العافية التى ليست ببلاء ليس إلا أن تراه، وليس معه غيره، ويكون الرانى والمرئى إياه وأخصر من هذا أن يقال إن البلاء هو فى التعرض للأشياء، فالعافية إذن الإعراض عن كل شئ، إلا أن الإعراض حيث كان من فعل البشر فى اعتقاده صار بهذا السبب علة، فمن رأى الحقيقة كان البلاء الذى هو التعرض للأشياء، والعافية التى هى الإعراض سواء لمحو الأنية بالرؤية، ولما (١٢٥/ب) كان الصرف يقتضى مصروفا عنه؛ فثمة إذن بقايا نفس؛ فذلك كان الصرف بلاء .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتنى فلا عافية إلا فى نظرك إالى، وهو بلاء؛ لأن نظرك ضدية غضك والضدية بلاء) .

قلت :

معناه أنك فى نظرك تكون غيرا له لثبوت آثار نفسك وصفاتك : ألا ترى أن نظرك ضد غضك ؟ فإنك بعد لم يستول عليك المحو حتى لا ترى غيره .

قوله :

(وقال لى: حجابى البلاء، وحجابك البلاء، وحرقت حجابى حجابك فازاله الحرق، فخرجت من بلائك إالى بلائى) .

قلت :

معناه أن الضدية وهى الصفات المختلفة هى حجاب لى من جهة أسمائى، وصفاتى تحجبك عنى وعن وحدانيتى، وضدية صفاتك أيضا كذلك وعندما تجلى نورى عليك أزال حجابى حجابك فذهبت عن رؤية عالم الخلق وبقيت فى بلائى، وهو عالم الأسماء الإلهية والصفات الربانية، وهى بلاؤه، وسوف يقوى الشهود حتى تذهب عن رؤية كثرة أسمائى وصفاتى وتقوم بك الأحدية وهى شهود ذاتى .

قوله :

(وقال لى: اتق بى كما اتقيت بك تسربى إالى كل عين فلا ترى عندى سواك وتسرب بى إالىك فإذا سرت فلا ترى عندك سواى) .

قلت :

معناه أن سير العبد المشار إالىه إالى ربه عز وجل يجعل نور ربه عز وجل فى عينيه فيحميه ذلك النور عن رؤية الأغيار، فلا يرى عند ربه عز وجل غيره تعالى فقد اتقى العبد بربه عز وجل ما كان يحذره من رؤية الأغيار ما خلا نفسه، ثم إن الحق تعالى بواسطة نوره الذى صيغ به عين العبد حتى رأى نفسه لايريه عنده غيره أيضا، وأما معنى كون الحق تعالى اتقى بعيدة فذلك حاله الحجاب، فإن العبد يرى وجه الحقيقة فيظنها (١٢٦/أ) وجه الخليفة، فاستترت الحقيقة بوجه الخليفة فى نظر العبد، فذلك الستر هو الوقاية التى اتقى الحق بها، أى : احتجب .

٢٧- موقف لى أعزاء :-

قوله :

(أوقفنى وقال لى: ما صرفت عنك من الحجاب بالآخرة أكثر وأعظم مما صرفت عنك من الحجاب بالدنيا).

قلت :

معناه أنه تعالى يمن عليه بصرف الحجابين عنه : حجاب الدنيا، وحجاب الآخرة، لكن حجاب الآخرة أعظم، وإنما كان أعظم لأن الدنيا مذمومة؛ فالخلاص من التقيد بها أسهل، وأما الآخرة فمشكورة فى لسان الشرع المطهر، فترك التقيد بها لا يحصل إلا لمن اعتنى الله تعالى به، ولا يحصل الحق تعالى إلا لمن تخلص من قيد الدنيا والآخرة.

قوله :

(وقال لى: وعزتى إن لى أعزاء لا يأكلون فى غيبتى ولا يشربون ولا ينامون ولا يتصرفون)
قلت : معناه أنهم لا يرون غيره فكيف يغيبون عنه .

قوله :

(وقال لى: من يجيرك منى إن قلت ما لا أراد به فاحذره فلا أغفره)

قلت :

معناه : إن تعلقت فى مرادك شئ من الأشياء بغيرى لم أغفر لك ذلك .

قوله :

(وقال لى: فرق بين من غبت عنه ليعتذر وبين من غبت عنه

لينتظر).

قلت :

لينتظر أنزل مقاما من ليعتذر .

قوله : (وقال لى: فارقت المنتظر وطالعت المعتذر).

قلت :

المنتظر فى الغيبة والمعتذر هو فى الحضرة .

قوله :

(وقال لى: أنا وعزتى ضيف أعزاتى إذا رأونى أفرشونى أسرارهم
وحجبوا عنى قلوبهم وأضمونى اختيارهم) .

قلت : معناه لم يجعلوا لهم مع ضيفهم اختيارا، ولا قلبا فله فيهم التصرف
(١٢٦/ب)

قوله :

(وقال لى: وعزتى لى أعزاء مالهم عيون فيكون لهم دموع ولا لهم
إقبال فيكون لهم رجوع) .

قلت :

معناه أن الحق تعالى أفناهم فى شهوده، والمبنى لحظ هذا المعنى
قوله وشكيتى فقد السقام لأنه قد كان لما كان لى إعفاء .

قوله :

(وقال لى: لى أعزاء ما لهم دنيا فتكون لهم آخرة) .

قلت : معناه غابوا فى شهوده عن رؤية الدنيا والآخرة، ورأيت لبعض مشايخ
العجم عليهم رضوان الله بيت فى هذا المعنى وهو بالفارسية فاسأل معناه
أهل اللسان :

ودى ديدم نشة بر خشك زمين نه كفرنه إسلام نه دنياونه دين
نه حق نه حقيقت نه كمان ونه يقين اندرد وجهان كرابود زهرة اين

قوله :

(وقال لى: الآخرة أجر لصاحب دنيا بالحق)

قلت :

معناه أن الآخرة جزاء لمن كان من أهل الدنيا على دين الحق لا أنها
لأهل الله عز وجل .

قوله :

(وقال لى: إن لى أعزاء لا يرون إلا لى، وأعزاء لا يرون إلا لى،
الفرق ما بينهم أبعد من البعد إلى القرب، أى : بينهم تباعد ما بين الضدين) .

قلت :

معناه : أهل دين الحق فى الدنيا يرون العمل له، وفوقهم من يرى
العمل به .

قوله :

(وقال لى: أدرك أعزائى بى كل شئ، ولم يحصل أوليائى لى كل

شئ) .

قلت :

معناه : تفضيل من يرى به تعالى على من يرى الأشياء له تعالى .

قوله :

(وقال لى: استشرنى فى مطالبك أقطع ما يتعلق بالمطالب منك) .

قلت :

معناه : اجعلنى مطمع نظرك فيما تطلب أفنك عنه .

٢٨- موقف ما تصنع بالمسئلة (١٢٧/أ) :-

قوله :

(أوقفنى وقال لى: إن عبدتنى لأجل شئ غيرى أشركت بى) (٤٣)

قلت :

معناه أن عبادة أوليائه لا تكون لخوف ولا لطمع، فإن ذلك شرك .

قوله :

(وقال لى: كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة) .

قلت :

معناه : تضيق عبارة العلم لا عبارة المعرفة، ثم تضيق عبارة المعرفة فى شهود الوقفة، فإن الرؤية دون مقام الوقفة .

قوله :

(وقال لى: العبارة سر فكيف ما ندبت إليه ؟) .

قلت :

معناه أن العبارة الواردة بلسان الظاهر هى حجاب وسر، فكيف الفعل المترتب عليها .

قوله :

(وقال لى: إذا لم أسو وصفك وقلبك إلا على رؤيتى، فما تصنع بالمسئلة ؟ أتسألنى أن أسفر وقد أسفرت، أم تسألنى أن أحتجب فأبى من تقيض ؟) .

قلت :

معناه : إذا كنت من أهل رؤيتى لم تجدنى أحوجك إلى مسئلة، وقوله فأبى من تقيض معناه : إن أحتجب عنك كل شئ فأبى من تقيض أى ترجع مشتق من الإفاضة من عرفات .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتى لم يبق لك إلا مسئلتان : تسألنى فى غيبتى حفظك على رؤيتى، وتسألنى فى الروية أن تقول للشئ كن فيكون) .

قلت :

معناه : فى الغيبة يطلب الحضور، وفى الحضور تطلب أن لا تغاير فتبقى الذى يقول للشئ كن فيكون هو إياه .

قوله :

(وقال لى: لا ثلاثة لها إلا من العدو) .

قلت :

يعنى بالعدو الغير، وهو العدم، والشيطان هو من أحكام العدم وإليه يدعو أولياء .

قوله :

(وقال لى : أبحتك قصد مسئلتى فى غيبتى)

قلت : معناه أنك مغرور وحظك العلم والعمل به والدعاء فيه عبادة .

قوله (وحرمت عليك مسئلتى مع رؤيتى فى حال رؤيتى) .

قلت : معناه ما أحله العلم حرمة الروية، وبالعكس .

قوله :

(وقال لى: إن كنت حاسبا فاحسب الروية (١٢٧/ب) من الغيبة

فأيهما غلب حكمه فى المسئلة) .

قلت : معناه إن غلب عليك الشهود فلا تسأل وإلا فسأل .

قوله : (وقال لى: إذا لم أغب فى أكلك قطعتك عن السعى له، وإذا لم أغب فى نومك لم أغب فى يقظتك) .

قلت :

معناه: إذا رأى الحقيقة كان هو الساعى تعالى، وما يغيب عمن يراه فى شهود نومه أبدا .

قوله :

(وقال لى: عزمك على الصمت فى رؤيتى حجه، فكيف على الكلام ؟) .

قلت :

معناه : إذا عزمت على شئ، فأنت بعد ترى أنك العازم، وهى حجه حكمها فى العزم على السكوت، من حيث إن السكوت أقرب إلى المحو الذى هو المط .

قوله :

(وقال لى: العزم لا يقع إلا فى الغيبة) .

قلت :

لأنه يدل على بقاء الرسم .

قوله :

(وقال لى: انظر إلى فى نعمتى تعرفنى فى تعرفى إليك) .

قلت : هذا التعرف معناه أن يرى النعمة عين المنعم .

قوله :

(وقال لى: من لا يعرف نعمتى كيف يشكرنى ؟) .

قلت :

معناه : من لا يعرف أن النعمة وصف المنعم، والوصف عين الموصوف، لم يقدر أن يضيف النعمة إلى صاحبها، وهو الشكر المذكور .^(٦٨)

قوله :

(وقال لى: لا أبدو لعين ولا قلب إلا أفنيته) .

قلت :

معنى الفناء أن يكون سمعه وبصره وذاته، فلا يبقى إلا الله .

قوله :

(وقال لى: ثرانى فيما تقول كيف تقول، ثرانى فى جزعك كيف تجزع، ثرانى فى الفتنة كيف تحتوى عليك الذلة) .

قلت :

معناه: إذا رأيتنى عين القول، كيف تنسب القول إليك ؟ أى : لا تنفى وترانى عين الجزع، فكيف تنسبه إلى نفسك ؟ ثرانى فى الفتنة وهى المعصية فى لسان العلم، فكيف ترى أنك ذليل والفعل (١٢٨/أ) ليس هو فعلك ؟ .

قوله :

(وقال لى: اعرف حالك من المستند) .

قلت :

معناه أنك إن كنت فى شهودك أنك الأصل فليست بمستند وإلا فمستند، والمستند إن كان الحق تعالى فضلا عن الذكر فهو حجاب؛ لأنك باق، وإن كان الذكر أقرب شئ إلى المذكور .

قوله :

(وقال لى: إن كان المستند ذكرى ردك إلى) .

قلت :

معناه أن الذكر طريق المذكور .

٢٩ - موقف حجاب الرؤية :-

قوله :

(أوقفنى وقال لى : الجهل حجاب الرؤية، والعلم حجاب الرؤية، أنا الظاهر لا حجاب، وأنا الباطن لاكشف) .

قلت :

معناه أن الرؤية لا جهل فيها ولا علم، فحيث يثبت العلم والجهل كان الحجاب غير الرؤية .

قوله :

(وقال لى: من عرف الحجاب أشرف على الكشف) .

قلت : النفس هى الحجاب، فمن أدركها كوشف .

قوله :

(وقال لى: الحجاب واحد، والأسباب التى يقع بها مختلفة، وهى الحجب المتنوعة) .

قلت :

معنوية الحجاب واحدة وصوره كثيرة .

قوله :

(وقال لى: رأس الأمر أن تعلم من أنت : خاص أم عام ؟) .

قلت :

إن عرفت نفسك وصلت .

قوله :

(وقال لى: إن لم يعمل الخاص على أنه خاص هلك) .

قلت :

المعنى أن الخاص شأن البسط : فإنه إن خرج عنه هلك، بخلاف العام؛ فإن القبض هو شأنه .

قوله :

(وقال لى: كاد علم العام يشرف به على النجاة) .

قلت :

معناه : كاد ولم يفعل، والعامى يظهر الاستقلال وهو حق .

قوله :

(وقال لى: الخاص يبدو له باد منى يهيمن على سواء ولا يهيمن عليه، والعام ليس بينى وبينه إلا الإقرار) .

قلت :

معناه أن الخاص يحيط ولا يحاط به، وذلك لما يبدو له من الحق تعالى، وأما العام فلا مرتبة له إلا الإقرار باللسان، وأما الخاص فصورته صورة الكمال (١٢٨/ب) لأنه ينسب الفعل إلى نفسه أمر أن نفسه ليست مغايرة، فكانت نسبة الفعل إلى نفسه هى نسبة الفعل إليه تعالى، فكان بذلك إقرار أو به يتم دائرته .

قوله :

(وقال لى: الخاص الراجع إلى فهمه)

قلت :

معنى فهمه حقيقته، أى : ما يفهم منه يرجع إلى أنه الحق .

قوله :

(وقال لى: كلاهما مفتقر إلى صاحبه كرأس المال والربح) .

قلت :

معناه أن الخاص قد كان عاما، فكان رأس مال، ثم هو ربح .

قوله :

(وقال لى: أنت بينهما فى غيبتى) .

قلت :

معناه: فى الغيبة أنت ثابت بين الأضداد والأنداد، وأما فى الحضرة
فما هناك غيره تعالى .

قوله :

(وقال لى: ما فى رؤيتى مال ولا ربح) .

قلت :

معناه هو وحده .

قوله :

(وقال لى: رأس المال فى غيبتى رؤيتى ، وربحه اللجوء فى الحفظ).
معناه أن رأس المال الحقيقى النافع إنما هو الرؤية، وربحه أن يلجى
الرأى إلى طلب حفظ الحال التى لا تقسمه عن الرؤية .

قوله :

(وقال لى : إن كنت ذا مال فما أنا منك، ولا أنت منى) (٦٩)

قلت :

معناه : إن أثبت ذاتك غيرا بحيث تملك انفصلت منه تعالى .

قوله :

(وقال لى: المسئلة صنم، عبادته أن تذكرنى بلغته) .

قلت :

معناه أن المسئلة تشهد بإثبات الأنانية، وذلك هو الصنمية المشار
إليها، وعبادة ذلك الصنم أن تسأل غيرا حين تسأل الله تعالى، وذلك عنده
عبادة صنم .

قوله :

(وقال لى: إنما يريد العدو أن يذكرنى بأذكاره) .
قلت : العدو هو مرتبة الغيرية، فإن كنت إنما تذكره وتراه هو الذاكر لنفسه،
وإلا فأنت عابد صنم، ماش على طريق العدو إى الغير .

قوله :

(وقال لى: الغيبة وطن ذكر، والرؤية لا وطن ولا ذكر) .

قلت :

معناه : أنما الذكر فى الغيبة وهى وطنه، وأما الرؤية فلا وطن ولا
ذكر .

قوله :

(وقال لى : إذا غبت فادعنى (١/٢٩) ونادنى وسلنى ولا تسأل
عنى؛ فإنك إن سئلت عنى غائبا لم يهدك، وإن سألت عنى رائيا لم يخبرك) .
قلت :

معناه أن الفاقد لايعرف الطريق فيهدى، والرائى يرى العبادة لاتفيد
فيهدى أو يخبر .

قوله :

(وقال لى: الرؤية تشهد الرؤية، فتغيب عما سواها) .

قلت :

معناه أن الرؤية لاتخبر، بل تشهد، وإذا أشهدت غيبت عما سواها .

قوله :

(وقال لى: العلم وما فيه فى الغيبة لافى الرؤية) .

قلت :

معناه أن العلم والعمل فى الغيبة لا فى الرؤية .

قوله :

(وقال لى: الجهل حد فى العلم، وللعلم حدود بين كل حدين جهل) .

قلت :

معناه أن تفاصيل العلم فيها حدود من تفاصيل حد الجهل .

قوله :

(وقال لى: الجهل ثمرة العلم النافع والرضابه ثمرة الإخلاص
الصادق) .

قلت :

معناه أن العلم النافع يؤدى إلى الجهل لثبوت التثوية فيه، وعلامة
المخلصين الرضى بذلك، وأما أهل الله تعالى، فهم وراء هذين الوصفين،
ولكل مجال رجال .

قوله :

(وقال لى: إن اعتبرت الغيب بعين الرؤية، رأيت انتلاف الداء
والدواء، فضاع حقى وخرجت عن عبوديتى) .

قلت :

معناه : إن رأيت الغيبة هى حضرة من الحضرات لإلهية، دخلت
الغبية فى الحضرة؛ فصار الداء وهو الغيبة نظير الدواء وهو الرؤية، وحينئذ
يقوم الراى بوظائف الغائب فى الصورة لا فى المعنى، فيسقط فى شهوده
حق الربوبية لغيبته وتزول العبودية، فإن الحضرة لا تقتضى عبودية .

قوله :

(وقال لى : رؤيتى لاتأمر ولا تنهى، غيبتى تأمر وتنهى) .

قلت :

معناه أن الأمر والنهى فى الغيبة لا فى الرؤية .

٣٠- موقف ادعنى ولا تسألنى (١٢٩/ب) :-

قوله :

(أوقفنى وقال لى : الدنيا سجن المؤمن، الغيبة سجن المؤمن)

قلت :

تفسير الدنيا سجن المؤمن بقوله الغيبة سجن المؤمن، فحاصله أن
الدنيا هى غيبة، والغبية سجن .

قوله :

(وقال لى: الغيبة دنيا وآخرة، والرؤية لا دنيا ولا آخرة) .

قلت :

هذا ظاهر .

قوله :

(وقال لى: رؤية خصوص غيبة عموم، لا رؤية ولا غيبة حزب

العدو) .

قلت :

معناه ظاهر، وهو أن أهل الرؤية خواص وأهل الغيبة عوام، ويعنى بأهل الغيبة : خواص العباد، وأما الطائفة الأخرى وهم أهل الغفلة فهم الذين لا ينسبون لا إلى الرؤية ولا إلى الغيبة؛ فهى طائفة العدو وحزبه . والعدو هنا الشيطان .

قوله :

(وقال لى : ليس من أهل الغيبة من لم يكن من أهل الرؤية) .

قلت :

هو هنا جعل أهل الغيبة فوق مقام ما فسرت به أنا أهل الغيبة؛ فهم ذلك أنى قلت إن أهل الغيبة هم العباد، فقال لا، بل خواص العباد، وهم الذين حصلت لهم الرؤية الجزئية ثم غابت عنهم .

قوله :

(وقال لى: الصلوة (الصلاة) فى الغيبة نور) .

قلت :

ورد أن الصلوة نور هو هنا خصها بصلوة أهل الغيبة؛ فإن الرؤية لا

تأمر ولا تنهى .

قوله :

(وقال لى: ادعنى فى رؤيتى ولا تسألنى، وسلنى فى غيبتى ولا

تدعنى)

قلت :

الدعاء ذكر المحادث فى الحضرة، والمسئلة (المسألة) حاجة الفقير

ومحلها الغيبة .

قوله :

(وقال لى: انظر مابدا لك فإن قطعك عن القواطع فهو منى)

قلت :

القواطع المتعلقة، فما قطع عنها فهو منه تعالى .

قوله :

(وقال لى : كلما بدا لك فابتدا يجمعك قبل قطعك فخف مكره) .

قلت :

هذا التنزل فيه تأديب لكثير من أهل الطريق، وذلك أن الباديات لأهل الطريق على قسمين : قسم يبدو فيرشد إلى قطع العلائق ثم بعد ذلك يجمع (١٣٠/١)، وقسم يجمع قبل أن يرشد إلى قطع العلائق وذلك مكر، فإنه ربما أدى إلى استعمال الرخص المختصة بالعارفين حقيقية وليس هو منهم إذ تحقق المعرفة إنما يكون بعد قطع العلائق أولاً، والسلوك وممارسة العبودية تماماً ثم يقع اليقين الذى يعطى الطمأنينة فيحصل الرخص فيما عدا الفرائض. ورأينا قوما يدعون أنهم من أهل الطريق صاروا زبيبا قبل أن صاروا حصرما فما كانت فيهم لا حلاوة الزبيب ولا حموضة الحصرم .

٣١- موقف استوى الكشف والحجاب :-

قوله :

(أوقفنى وقال لى : كل شئ لا يواصلك صلة لى فإنما يواصلك

ويخندعك)

قلت :

معناه أن السلوك ربما لا يكون المحط فيه عليه تعالى؛ فهو خديعة، ولو كان أعلى الجنات ومحل والرضوان .

قوله :

(وقال لى : انظر بعين قلبك إلى قلبك وانظر بقلبك كله إلى).

قلت :

معناه : راقب قلبك لنلا يغفل عن ملاحظتى، ثم اجعل نظرك بعين قلبك إلى قلبك، إنما هو من أجلى لا من أجل قلبك، فإذا فعلت ذلك انحفظ قلبك وانجمع كله على المراقبة .

قوله :

(قال لى : إذا رأيتى استوى الكشف والحجاب) .

قلت :

معناه أنه يرى ما كان يظنه غيرا عينا؛ فيصير الكشف بعد والحجاب كعين واحدة، وبذلك يظهر المحقق بصورة المحجوب فلا يفرق بينها إلا محقق وبهذا الشبه ضاع حق المحقق بين الناس .

قوله :

(وقال لى: إذا لم ترنى فاعتضد بالثمرة ولا تعضدك ولكنها محل ففرك) .

قلت :

يريد بالثمرة ثمرة أعماله الصالحة - هذا على من يروى الثمرة بالتاء المثلثة (١٣٠/ب) - وأما من يرويها بالتاء بنقطتين فمعناه اعتضد بأقل الأشياء كالثمرة مثلا؛ فإنها وإن كانت حقيرة ففرك أيضا حقير أى كثير .

قوله :

(وقال لى: وأرنى عن اسمى وإلا رأيته ولم ترنى) .

قلت :

هذا إشارة إلى التجلى الذاتى الذى يغيب فيه الاسم فى المسمى، فكأنه قال انظر إلى ولا تنظر إلى أسمائى .

قوله :

(وقال لى: سل كل شئ ولا تسألنى عنى) .

قلت :

أى اعتبر كل شئ تجده علامة على؛ لأن العالم مشتق من العلامة عليه تعالى، وأما الحق تعالى فيمحو بتجليه السائل .

قوله :

(وقال إذا رأيته فكانك لم تخرج من العلم) .

قلت :

معناه : إذا رأيت فالرائى باق والثبوتية باقية؛ فكأنه لم تخرج من العلم الوجود الثبوتية، وهى من عالم العلم، ويجوز أن يراد به بعد الرؤية تبقى الأشياء على ما كانت عليه إبقاء للحكمة، وإن كان حاله بخلاف ذلك فكأنه بهذا القدر لم يخرج عن العلم .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتى خرجت عن أهل العذر) .

قلت :

معناه لم تعتذر لأنك لست أنت الفاعل .

قوله :

(وقال لى: إذا رأيتى دخلت فى جملة الشفعاء) .

قلت :

معناه كنت وجيها

قوله :

(وقال لى إذا رأيتى ضعفت عني وحملت الكل) .

قلت :

معناه: ضعفت أى عجزت عن أن تثبت للمحو، وحملت الأسماء والصفات والأفعال، فكانت لك وذلك هو الكل .

قوله :

(وقال لى: سل أوليائى عما أعلمتك وسلنى ولا تسألهم عما أجهلتك) .

قلت :

معناه سلهم عن مسائل العلم لا عن مسائل المحو إذ هو جهل .

٣٢- موقف البصيرة :-

قوله :

(أوقفنى فى البصيرة وقال لى : قصرت العلم عن معيون ومعلوم) .

قلت :

معناه على المبصرات والمعقولات والمعرفة وراء ذلك كله .

قوله : (أ/١٣١)

(وقال لى: المعيون ما وجدت عينه جهرة فهو معلوم معيون، والمعلوم الذى لا تراه العيون هو معلوم لا معيون)

قلت :

هذا ظاهر .

قوله :

(وقال لى: ما أنا معيون للعيون ولا أنا معلوم للقلوب) .

قلت :

المعيون ما ينحصر فى العيان، والمعلوم ما ينحصر فى العلم،
والجامع المحيط لا ينحصر فلا يليق به هذان الاسمان .

قوله :

(وقال لى: كل نطق ظهر فأنا أثرته وحروفى ألغته، فانظر إليه لا
تعد لغة المعيون والمعلوم، وأنا لاهما ولا وصفى مثلهما) .

قلت :

معناه : لا ينحصر؛ إذ وصفه الإحاطة دونهما غير أنهما لا يخرجان
عنه، وكل معيون أو معيوني، فإن العبارة تتمكن منه وأما إذا عبرت عنه
وجدت العبارة من جملة ما عنه عبرت فلا يمكن التعبير عنه، وهذا قول
الغزالي رحمه الله "إن الصوفى إذا اعتبر عن موجوده وجد لفظه فلا يشتمل
على غلط لا يمكنه الاحتراز منه ونهاية أحدهم أن يقول : شعر :
قد كان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخير

قوله :

(وقال لى: مانهاك شئ عن شئ إلا دعاك إليه بما نهاك عنه، وأنا
أنهاك فلا أدعوك إلى بما أنهاك عنه وأدعوك إلى فلا أنهاك بما أدعوك به،
ذلك الفرق الذى بين وصفى وسواه) .

قلت :

معناه : من ننهاك عن شئ دعاك إلى موافقة رأيه فيه، وهوتعالى لا
يجعل المناهى سبب العرفان، وإنما يدعو إليه بالمحو، وليس ذلك فى وصف
سوى وصفه .

قوله :

(وقال لى: فعلك لا يحيط بك فكيف تحيط بى وأنت فعلى) .

قلت :

معناه أنك فعل ونسبتك إليه تعالى كنسبة (١٣١/ب) فعلك إليك .

قوله :

(وقال لى: ألق إلى وحكمنى أحكم بأقصى مسرتك) .

قلت :

معناه سلم إليه ذاتك العبدية يجعلك ربا .

قوله :

(وقال لى: إذا أردت سوى فقل هذا البلاء أرحمك) .

قلت :

اعتراك أنه بلاء هو موجب للرحمة .

قوله :

(وقال لى: إذا رحمتك رأيت رفقى فى طرفك إذا نظرت وفى قلبك

إذا فكرت) .

قلت :

معناه: أتجلى عليك فى العيان الحسى وفى العيان العقلى .

قوله :

(وقال لى: قسمت لك مالا أصرفه وصرفت عنك مالا أقسمه لك،

فكن بى فيما أقسمه أصرفك عما صرفته فأصرفه) .

قلت :

معناه أن رزقك مقسوم لك، وماليس رزقا لك هو مصروف عنك، فتصرف فى رزقك بيده لا بيدك، وهو معنى قوله فكن بى فيما أقسمه لك أظهر لك أن ما صرفته عنك لم يكن رزقا لك فتصرف عنه بى لائبك فأصرفه أنا فى غير صرفك إياه، وهذا من الشريعة الإلهية الخاصة، وفيه معنى آخر وهو أن ما قسمه له مما لا يعرفه هو قسط الحق تعالى وهو الوجود، وما صرفه عنه مما لا قسمه هو الباطل الذى هو العدم . وقوله (فكن بى فيما أقسمه، أصرفك عما صرفته فأصرفه) أى فكن فى جانبى الذى هو الحق أحققك بى؛ ولهذا قال فى موضع آخر (فيك مالا ينصرف) قال تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال والضلال المحال، والمحال الباطل، والباطل العدم .

قوله :

(وقال لى: ما تعرفت إلى قلب إلا أفنيته عن المعارف) .

قلت :

تعرفه تعالى هو نور يتجلى على قلوب أوليائه، والتجلى بمحو الرسوم، والمعارف من جملة الرسوم، وذلك أنه إذا فنى العارف بالتجلى فنيت معرفته أيضا، هذا إذا كان التجلى كلياً، فإن كان جزئياً فنى به ما يناسب الاسم الذى منه وعنه (١٣٢/ أ) كان التجلى، فإن التجليات الجزئية كلها هى من الصفات، وعنها تكون الأسماء .

قوله :

(وقال لى : دم فى التعظيم تدم فى الخوف) .

قلت :

إنه قد سبق إلى الفهم من هذا الكلام أنه أمر بالتعظيم طلباً لدوام الخوف، وليس الأمر كذلك لأن الخوف من مقامات الأنبياء عليهم السلام فلا يطلبه الخواص، وإنما المقصود من التنزيل (التنزل) بيان أن الخوف إنما هو أصل التعظيم وسببه، فإذا دام السبب دام المسبب، ولست أنكر أن مقام الخوف هو بالنسبة إلى قوم أشرف مطلوب لمثلهم .

قوله :

(وقال لى : لى من كل شئ خاصيته، ولك عاميته، فعاميته تنسب إليك وخاصيته تنسب إلى) .

قلت :

يعنى بخاصيته : الأمور، ما منها هو محل تلقى المدد الإلهى، وذلك هو الوجه الخاص، وإذا حقق هذا المعنى وجد هو نصيب الاسم القيوم من كل موجود إذ بالاسم القيوم قام كل شئ أى وجد ودام، فالقيومية فى كل موجود هى الوجه الخاص، الذى هو له تعالى .

وأما العامية التى فى كل موجود، فإنها جانب الإمكان، وهى التعينات، والتعينات عدمية فى الخارج، وجودية فى الذهن، أو هى تنسب إلى العبد كما ذكر .

قوله :

(وقال لى : كل شئ سوى يدعوك إليه بشركه، وأنا أدعوك إلى

وحدى) .

قلت :

كل ما شغلك عن الله تعالى فقد دعاك إلى نفسه بلسان الحال، أو بلسان المقال، أو بهما جميعاً، وهذا الداعي متكثّر في نفسه بصفاته وأفعاله، ولا تجيبه أنت إلا بياعث هو غرض من أغراضك، فإذا أنت مجيب له ولغرضك فقد وقعت الشركة، وأما الحق تعالى قائماً يدعوك بمحو ظلمتك في نوره، فتذهب الاتينية، فيكون (١٣٢/ب) بهذا الاعتبار إنما يدعوك إليه وحده، إذ لا سبيل إلى أن يراه غيره، ولا يجاوره سواه إلا في لسان العلم، فإنه معكم أينما كنتم بعلمه، وتلك معية لا رؤية فيها، وهذا حال العوام، وكلام الواقف إنما هو عن الخواص .

٣٣- موقف الصفح الجميل:-

قوله :

(أوقفني في الصفح الجميل، وقال لي: لا ترجع إلى ذكر الذنب فتندب بذكر الرجوع)

قلت :

ذكر الذنب ولو كان لأن يستغفر منه فإنه حضور مع الذنب لا مع الله تعالى، والقوم يرون أن من الذنب حضور غير الله في القلب، وهذا من باب قولهم حسنات الأبرار سيئات المقربين، ثم إن عفوا الله تعالى عن هذه الخطرات المباحة الخارجة عنه هي من الصفح الجميل .

قوله :

(وقال لي: ذكر الذنب يستجرك إلى الوجد به، والوجد به يستجرك إلى العود فيه) .

قلت :

هذا الظاهر لأن من استحضر شهوة فعلها دعت نفسه إليها بما يجد من استحضار اللذة السابقة، وذلك هو الوجد بها .

قوله :

(وقال لي: حتى متى لا تجمعك إلا الأقوال، وحتى متى لا تجمعك إلا الأفعال) .

قلت :

العباد هم الذين يجمعهم على الله تعالى الأقوال والأفعال، والعباد هم العمال بالأجرة، وأما العبيد فما لهم أجرة، فهو إذن يدعوه إلى أن يكون من أهل الأسرار لا من أهل الأنوار، ومن العبيد لا من الأجراء .

قوله :

(وقال لى: إذا اجتمعت بسواى فنفرت ما اجتمعت) .

قلت :

يعنى أن الأقوال والأفعال هى سواء، فإن كانت (١٣٣/ أ) هى التى تجمعك على الله تعالى فهو جمع التفرقة خير منه، أو هو عين التفرقة، وإنما الذى ينتفع به هو أن تجتمع على الله بالله .
فالأول هو حال العوام، وهذا هو حال الخواص .

قوله :

(وقال لى: متى كان الرسول إليك قولاً أو فعلاً فأنت فى عرضة الحجاب) .

قلت :

القول هو العلم الرسمى، والفعل هو العمل به، ومحجة المقربين هى من وراء هذين وإن كانت بدايتهم هى العمل الصالح حظ المحبوبين .

قوله :

(وقال لى: حكم الأقوال و الأفعال حكم الجدال والبلبال) .

قلت :

الأقوال تستدعى وجوه الاحتمال فيقع الجدال فيكون العمل بمقتضى ذلك لا ينفك عن البلبال، ويريد بالبلبال الحيرة) .

قوله :

(وقال لى: حكم الجدال والبلبال حكم المحال والزلال) .

قلت :

إذا اقتضى الجدال الحيرة كان العمل واقعا إما فى المحال وإما فى حق لا يعلم كونه حقاً فيصعبه إذن الزلال، ويعنى بالزلال الاضطراب .

قوله :

(وقال لى: إن أردت أن تعرفنى فانظر إلى حجاب هو صفة، وانظر إلى كشف هو صفة)
قلت :

يعنى أن الحجاب على قسمين :

حجاب حقيقته عدمية، وحجاب حقيقته وجودية، فمن نظر إلى الحجاب هو صفة فهو الذى قد حصل على حجاب حقيقته وجودية، وبذلك تقع المعرفة، وأما الحجاب الذى حقيقته عدمية فلا يكون فى هذا الاصطلاح صفة؛ فلا يقع به تعرف، وأما الكشف فإن من رأى التجلى صفة حصلت له المعرفة وإلا فلا. وبمقتضى الاعتبارين فلا بد أن يرى الصفة عين الموصوف على وجه يصح.

وطلب الاختصار منعنى عن بيان الوجه الذى به يصح فإنه يحتاج إلى بسط.
قوله :

(قال لى: لا تقف فى رؤيتى (١٣٣/ب) حتى تخرج عن الحرف والمحروف).
قلت :

هذا التنزل فيه بيان للذى قبله، وذلك لأن الحرف فى لغته هو اليقين والمحروف هو المتعين بالتعين، فلما قال فى التنزل الذى قبله إن أردت أن تعرفنى فانظر إلى حجاب هو صفة أشفق أن يغلط فيأخذ الصفة من جهة تعينها، وذلك هو الحجاب الذى حقيقته عدمية، فإن التغير عدمى فخلصه من الوقوع فى هذا الوهم بقوله حتى تخرج من الحرف الذى هو التعين، ومن المحروف الذى هو المتعين . ويرى الوصف فى حقيقة الموصوف، ويرى أن الصفات الوجودية هى الطالعة من أسها الغاربة فى قرصها، وحينئذ لا يلحظ بهذا الاعتبار فى حضرة التجلى لا حرف ولا محروف.
قوله :

(وقال لى: لا تجمع بين حرفين فى قول ولا عقد إلا بى، ولا تفرق بين حرفين فى قول ولا عقد إلا بى، يجمع ما جمعت ويفترق ما فرقت).

قلت :

الجمع والتفرقة وغيرهما لا يحصل إلا بالقيومية الإلهية التى بها قام كل شئ، فمن جمع بها وقع على الحكم الصحيح، ومن فرق بها وقع على الوجه الصحيح، والقيومية لما كانت من القيوم تعالى نسب الأمر إلى نفسه فى قوله (لا تجمع بين حرفين إلا بى) والقول : هو اللفظ باللسان، والعقد : هو الاعتقاد بالضمير .

قوله :

(وقال لى: إذا قلت للشئ كن فيكون نقلتك إلى النعيم بلا واسطة) .

قلت :

يعنى إذا أشهدتك أنك لست بغير، وجدت النعيم لا بواسطة علم نافع ولا عمل صالح ولا شفاعة شافع . والكلام فى أن الولى هل يبلغ إلى أن يقول للشئ كن فيكون أم لا هو مما لا يذكر إلا مشافهة، وذلك الذى يذكر مشافهة هو سر قوله له فى التنزل الذى يعد هذا (وهو قوله المعنى : لأنى أنا الله لا إله إلا أنا، أجعلك تقول للشئ كن فيكون) . قلت (١٣٤/أ) : يقول : أطعنى لا خوفا من النار، ولا طمعا فى الجنة، بل لأنى أنا الله لا إله إلا أنا، وذلك هو إخلاص العبودية، وحينئذ يستحق وصف الربوبية . وأما كيف ذلك فهو الذى لا ينقال إلا مشافهة . (٧٠)

قوله :

(وقال لى: إن جمعتك الأقوال فلا قرب، وإن جمعتك الأحوال فلا

حب) .

قلت :

يعنى أن عبادة الخوف والطمع تتعلق بالأفعال، ويعنى بالأفعال العبادة، وهى فى البعد لأن أهلها أجراء وليسو عبيدا . وأما الحب فإن القرب به يكون، والمحِب إنما يطلب ذات المحبوب لا خوفا من عقاب ولا طمعا فى نعيم، ومن ذاق طرفا من المحبة الصادقة علم هذا المعنى .

وأما كون المحبة سبب القرب فقد ورد " ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ... إلى آخر الحديث " ومن أحبه الله تعالى فإنه أيضا يحب الله تعالى فيستحق القرب .

قوله :

(وقال لى: اجتمع بى تجتمع بمجتمع كل مجتمع، وتسمع كل مستمع، فتحوى سواك فتخبر عنه ولا يحويك سواك فيخبر عنك) .
قلت :

يقول أشهد أجزاءك الجسمية وغير الجسمية كيف تجتمع بقيوميته التى بها يجتمع كل مجتمع، ويفترق كل مفترق، فإنك ترى كل شئ مجتمعا ومفترقا هو قائم بتلك القيومية، فيحوى بهذا الشهود كل شئ فيخبر عنه ولا يحويك شئ فيخبر عنك .
قوله :

(وقال لى: قرب هو صفة، بعد هو صفة، بجانب هو صفة، كشف هو صفة) .
قلت :

القرب والكشف هما وجدان الشاهد فى حقيقة المشهود، وأما البعد والحجاب فهما وجدان المحجوب فى حقيقة الكون، وهذا الوجدان الثانى هو فى نظر أهل الحجاب . وكل هذه صفات .
قوله :

(وقال (١٣٤/ب) لى : قف من وراء الكون، فرأيت الكون، فسألت الكون، فجهل الكون، فسألت الجهل، فجهل الجهل) .
قلت :

الكون هو وجود الصور، فالواقف وراء الكون هو الذى قطع النظر عن الإبداء والبادى فإن كان عن شهود فهو نظر حق وإن كان لم يكن فهو فرض ذهنى ثم إن المسترشد من الكون أو من الجهل فإنه لا يظفر بجواب صحيح، فإنه لا مرشد حقيقة إلا الله تعالى وحده .
قوله :

(وقال لى: القوة فى وجد الجهل الدائم، والعزم فى القوة، والصبر فى العزم، والثبات فى الصبر، والمعرفة فى الثبات وهو مسكنها) .
قلت :

يعنى بالقوة النفوذ فى السلوك، وذلك هو فى الجهل الدائم، ويعنى بالجهل الدائم خروجه عن مقتضى العلم لدخوله بالسلوك عن ملاحظة صور

المعتقدات العلمية، فإن السالك إذا لاحظ له الأنوار أغنته عن العلوم فيرى في النور ولا يخاف أن يضل في سيره وذلك هو العزم الذي هو نسبة إلى القوة، وإذا استمر العزم صحبه الصبر ضرورة، فالصبر إذن في العزم، والثبات أيضا هو في الصبر لأنه لو لم يثبت لما كان صابرا، وأما كون المعرفة في الثبات فإنه لا تحصل المعرفة لغير ثابت، فإذن هو مسكنها .

واعلم أن المعرفة في الثبات الأول الذي لا يصحبه الحجاب، أى أن الثبات سببها . ولنا اعتبار آخر وهو الثبات الذي تكون المعرفة هي التي توجهه، فذلك ثبات هو في المعرفة وليست المعرفة فيه .

قوله :

(وقال لى: انظر إلى الشاهد الذى أنت به فى الغيبة هو الشاهد الذى أنت به فى الذمة) .

قلت :

معنى هذا التنزل هو معنى قوله (١٣٥ / أ) استوى الكشف والحجاب؛ وذلك أنه أراد بالشاهد حقيقة الحال، حتى كأنه قال انظر إلى حالك فى وقت الغيبة عنه تعالى تجده عين الحال الذى أنت فيه مشاهده تعالى غاية ما فى الباب أن يرى الكون كما كنت تراه فى صورته، وينسب معناه لمكونه، فيرى الكون من نور المكون، وذلك مما لا يبقى أن يكون الكون هو الكون بعينه، لكن يتبدل أسماؤه عند المكاشف لتبدل مسماه بالنسبة إلى أصله، إذ هو من نور مشيئة، وكان يظنه منفصلا عنه، ولو انفصل الكون عن قيومية منشئه طرفة عين انعدم فى الأزمان لسرعة انعدامه، فإذن الشاهد واحد فى الغيبة وفى الذمة . والمراد بالذمة الاتصال بالحضرة .

قوله :

(وقال لى: إن أكلت من يدى لم تطعك جوارحك فى معصيتى) .

قلت :

يعنى أنك إن كنت من أهل المشاهدة، وجدت نفسك إنما تاكل من يده تعالى، وكذلك ترى كل أكل، لكن صاحب هذا المشهد لازم له أن يشهد أن لا فاعل إلا الله وحينئذ لا تكون المعصية صادرة عنه . فلورام والحالة هذه أن يلبس المعصية على أنه هو القادر، لم تطعه جوارحه بقيد هذا الاعتقاد فهو

إذن قد عبر عن نسبة الفعل إلى الفاعل الحق بقوله لم تطعه جوارحه بضرب من المجاز، فكأنه قال : لا يفعل معصية أبداً لأن الفعل لغيره لا إليه .
قوله :

(وقال لى: إنما تطيع كل جارحة من يأكل من يده) .

قلت :

هذا أيضا تنمة ذلك الكلام، فكأنه قال : إن الجوارح إذا استجابت إلى داعى فعل من الأفعال، فذلك الداعى إن كان هو الحق فما أطاعت فى فعلها ذلك إلا الحق . لكن حال الشهود لا يرى الداعى غير الحق فهى، أعنى الجوارح، (١٣٥/ب) إنما أطاعت فى فعلها ذلك الحق لا غيره، لأنها، والحالة هذه من أن صاحبها إنما ينسب الفعل إلى الخلق فإذا دعاه داعى فعل معصية مثلا ففعلها نسب ذلك الفعل إلى الخلق ففعل إن جوارح هذا الفاعل أطاعته فى معصية الله تعالى؛ لأنه إنما يأكل فى ظنه من يد المخلوق .

قوله :

(وقال لى: الشاهد الذى به تلبس هو الشاهد الذى به تنزع).

قلت :

يعنى أن الحال فى شهود الحقيقة هو واحد فى جميع الأحوال، فإن كان حاله فى نزع ثيابه مشاهداً فكذا كانت فى لبس ثيابه . وهذا الكلام تمثيل لمعنى ما رأى أن يصرح به، وتقديره من كان مشاهداً فى حال الطاعة، وهو المعبر عنه باللبس، فهو مشاهد فى حال صورة المعصية فلا يبعد بالمعصية ولا يقرب بالطاعة، وربما كانت الطاعة أضرب لقوله فى بعض المواقف : " إذا رأيتنى كانت سلامتك فى الفترة أكثر من سلامتك فى العمل، وبالعكس إذا لم يره "

وهذه المواقف إنما هى إشارات .

قوله :

(وقال لى: الشاهد الذى به تستقر هو الشاهد الذى فيه تستقر) .

قلت :

وهذا أيضا شبيه بما قبله، وذلك أن التجلى الذى به تستقر فى أحكام المعرفة هو بعينه الذى يصير مقاما له يستقر فيه .

قوله :

(وقال لى: الشاهد الذى به تعلم هو الشاهد الذى به تتعلم) .

قلت :

لما ذكر حال أهل الشهود وأخبرنا أنهم بحسب ما يبدو لهم من الحق مكاشفه، شرع بذكر ما يخص أهل الحجاب وهم الذين نصيبهم من الحق إنما هو العمل بالعلم، فقال إن المفهوم من العلم هو بعينه وبحسبه يكون العمل .

قوله :

(وقال لى: الشاهد الذى به تمام (١٣٦ / أ) هو الشاهد الذى به تموت، والشاهد الذى به تستيقظ هو الشاهد الذى به تبعث) .

قلت :

لما ذكر أحكام العلم والمعرفة، وبين كيف يكون الإنسان فى مقتضاهما، ذكر حال الإنسان فى حياته وموته، وشبه النوم بالموت، وذكر أن مقام الإنسان فى حال يقظته هو مقامه فى حال نومه، وفى حال موته وفى حال بعثه؛ لأنه إنما يتكلم مع أهل السلوك الذين همهم معرفة مقاماتهم وقد قال تعالى " سنجزئهم وصفهم " فإذن وصف الإنسان فى حال يقظته هو بعينه ينسحب على نومه وموته وبعثه .

قوله :

(وقال لى: لا يجرى عليك فى نومك إلا حكم ماتمت به، ولا يجرى عليك فى موتك إلا حكم ماتمت به) .

قلت :

يعنى أن مرأى الإنسان فى نومه هى راجعة إلى الخيالات التى مرت له صدورها فى يقظته إلى أن نام، وهذا أمر لا يعرفه حقيقة إلا أهل الخلوات لانقطاع المحسوسات عنهم فترة تكاد ينسون فيها أحكام الحس، فتنتقل الخيالات، فيتمكن السالك من استجلاء معانيها، فيجرب كثيرا منها فيجد أنه لا يجرى عليه فى نومه إلا أحكام يقظته، ولذلك يصير مرأى السالك لونا آخر غير ألوان مرأى غيره لاشتغال يقظته على خلاف ما كانت تشتمل عليه .
ولذلك تكون تعبير مرانيهم مغايرا لتعبير مرأى غيرهم . ومثال ذلك أن السالك إذا رأى فى نومه أنه مات ودفن، كان تفسيره بأنه يحصل على مطلوبه من التجلى الذى يفنيه عنه بالحق، وأما المحجوب فإنه إذا رأى هذه

الرؤيا بعينها كان تعبيرها أنه يموت ودينه ، فأخلف حالهما في التعبير حتى صاراً طرفي النقيض . وأما حالة الموت فإنها كما ذكرنا تابعة لحالة الحياة (١٣٦/ب) .

قوله :

(وقال لى: رد على كل شئ أرد عليك فى كل شىء) .

قلت :

إن أراد رد من الورد فمعناه لاحظ فى مواقع نظرك إلى كل شئ بجميع مشاعرك ومداركك آياتى أرد عليك فيما وردت فيه على، وهذا حال من قال "مارأيت شيئاً إلا ورأيت الله" وإن كان المراد رد من الرد وهو الإعادة، فمعناه أحل على فى كل شئ يرد أمره إلى فإبنى بذلك أشهدك أنك لست غير الذى تصدر عنه الأشياء؛ فيكون بذلك قد رد إليك ما رددته إليه .

والأول أرجح بشهادة التنزل الذى بعده وهو قوله :

(وقال لى: اذكرنى فى كل شئ أذكرك فى كل شىء) .

قلت :

هذا مثل الذى قبله، والمراد بالذكر هنا ذكر القلب، أى الحظ فى كل جانب الحق تعالى فيه .

٣٤- موقف مالايُنقال :-

قوله :

(أوقفنى فى مالايُنقال وقال لى : به تجتمع فيما ينقال) .

قلت :

اعلم أن التجلى الكلى الذى عبر عنه هذا الكتاب بالوقف هو مقام مالايُنقال، لكن صاحبه لا يعرفه ما ينقال؛ لأنه فى مقامه مطلع على كل مقام فإذا به تجتمع فيما ينقال، والمراد بالاجتماع : الطمانينة بوجودان الحق على أتم الوجوه وأكملها .

قوله :

(وقال لى: إن لم تشهد مالايُنقال تشئت بما ينقال) .

قلت :

هذا ظاهر مما ذكر فى شرح ما قبله .

قوله :

(وقال لى: ما ينقال يصرفك إلى قوليت، والقولية قول، والقول حرف، والحرف تصرف، وما لا ينقال يشهدك فى كل شئ تعرفى إليه، ويشهدك من كل شئ مواضع معرفته) .

قلت :

يعنى أن ما لا ينقال كما ذكرته يجتمع فيما ينقال بخلاف ما ينقال، فإنه يشغل (١٣٧/١) الذهن بالقولية عن معناها الذى هو المقصود من القول، فتعلق الحرف بالذهن، ويذهل عن المعنى، ولما كان الحرف هو معنى الخلقية، والخلقية تصرف الخالق عز وجل، قال والحرف تصرف، وأما ما لا ينقال فهو شهود الوجه الخاص بالحق تعالى من كل شئ ومن ذلك الوجه الخاص يكون التعرف الإلهى فإذا أشهده انجمع (اجتمع) بالحق تعالى، ولم يفرقه القولية، وسر هذا أن ما ينقال إنما يقبله العقل من حيث ما هو مفكر والتفكر قوة خلقية، وأما ما لا ينقال فإنما يقبله العقل من جهة ما هو قابل لواردات الحق لا بطريق الفكر ولا بقوة الذهن . فالعقل إذن بالنسبة إلى ما ينقال فاعل أى مفكر، والفكر إنما يكون فى مقدمات مألوفة . والعقل بالنسبة إلى ما لا ينقال هو منفصل وهما ضدان ، ولذلك وقع الاختلاف بين هذه الطائفة وبين أرباب المعقولات والمنقولات .

قوله :

(وقال لى: العبارة ميل فإذا شهدت ما لا يتغير لم تمل) .

قلت :

يعنى بما لا يتغير ما لا ينقال، ويعنى بالميل الخروج عما ينبغى، فإذا شهد ما لا ينقال استراح من العبارة؛ إذ هى محل الميل، وفى بعض النسخ العبادة ميل ما تسميه العبادة ميلا فمراده بالنسبة إلى أهل التجليات وهم الخواص، وإلا فالعبادة هى الاستقامة . قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم "فاستقم كما أمرت" لكون الرسول صلى الله عليه وسلم مكلفا بالقيام بصورة العبادة سيرا منه بسير الأضعف، وأما الخواص فهم أهل القوة وليسوا مكلفين بأحوال غيرهم بخلاف الرسل عليهم السلام، والميل الذى فى العبادة فلأنها لا تكاد تخلص من الشرك الخفى المعفو عنه .

قوله :

(وقال (١٣٧/ب) لى : القول يصرف إلى الوجد، والتواجد بالقول يصرف إلى المواجد بالمقولات) .

قلت :

يعنى بالوجد الذى يصرف إليه القول التعلق الذهنى بالأقوال يصرف إلى أن يصير ذلك التعلق محبوبا هو والمقولات التى تحته والتواجد بغير الحق تعالى حرام على هذه الطائفة .

قوله :

(وقال لى : المواجد بالمقولات كفر على حكم التعريف) .

قلت :

يعنى بالكفر الستر، وأراد بقوله حكم التعريف أى فى رأى أهل المعرفة وهم الخواص .

قوله :

(وقال لى : لا تسمع فى من الحرف ولا تأخذ خبرى عن الحرف) .

قلت :

الحروف هى التعينات، وهى الخلقية وهى رسوم، وإنما يتعين الحق عند اضمحلال الرسم فلا جرم كانت أحكام الخلق لا تدل على الحق، وصورة سماع السامع من الحرف فى الحق تعالى أن تصفه به العقول، فإن العقول حروف، فإن وصفته بما وصفه به الحق فقد سمعت منه من الحرف، وكذلك أخذ خبره تعالى عن الحرف، وصورة ذلك ما يذكره الفلاسفة أو من ينحو منحاه كابن سينا فى ذكره فى مقالات العارفين، وكونه أخبر عن الله تعالى بما الواقع خلافه عند أهل الشهود . (٧١)

قوله :

(وقال لى : الحرف يعجز أن يخبر عن نفسه فكيف يخبر على) .

قلت :

يعنى أن الحروف وهى الخلائق كلها عاجزة عن الإخبار عن أنفسها، فإن أخبرت لم يكن ذلك الإخبار مطابقا، وإن ظن المخبر أنه مطابق، ومن هذه حالة فى نفسه فكيف يخبر عن الحضرة المقدسة التى لا يخبر عنها

سواها، ولا يراها غيرها، وأيضا فإن المخلوقات مقيدة متكثرة والحق تعالى مطلق أحد فلا (١٣٨/أ) يمكن أن يخبر التقييد عن الإطلاق .
قوله :

(وقال لى: أنا جاعل الحرف والمخبر عنه) .

قلت :

أشار فى هذا التنزل أنه لا إخبار صحيح إلا منه تعالى، وإنما يخبر عن الحروف على السنة الخواص بعد محوهم، فيكون المخبر هو حقيقة .
وأما كونه هو جاعل الحرف فظاهر .
قوله :

(وقال لى: أنا المخبر عنى لمن أشاء أن أخبره) .

قلت :

قلت هو تعالى يخبر عن نفسه المقدسة بتجليه على خواصه،
وخواص خواصه . وفهمهم عنه إنما هو شهود جماله وجلاله وكماله .
قوله :

(وقال لى: لإخبارى علامة بإشهاد لا توجد بسواه، ولا يبدو إخبارى
إلا فيه) .

قلت :

علامة إخباره عن الخواص وخواص الخواص هو أن يكون الإخبار
بتجل لا بقول، ولا صوت، وأما ما كان بقول أو صوت فهو تمثيل ولله المثل
الأعلى .
قوله :

(وقال لى: لا تزال تكتب ما دمت تحسب، فإذا لم تحسب لم تكتب) .

قلت :

اعلم أنه ورد فى الحديث النبوى على فائله أفضل الصلوات والسلام
أنه قال "نحن أمة أمية لا نحسب ولا نكتب" ثم إنه لا يحصل التجلى التام إلا
بعد التجلى بالأمية، ومعنى التلازم بين الحساب والكتابة أن الكتابة تتعلق
بالقول، والقول يتعلق بالفكر وهو الحساب، وقد يكون الظن حسابا من قولهم
حسبته زيدا .

قوله :

(وقال لى: إذا لم تحسب ولم تكتب ضربت لك بسهم فى الأمية لأن
الأمى لا يكتب ولا يحسب) .

قلت :

هذا ظاهر مما سبق.

قوله :

(وقال لى: لا تكتب ولا تهمل، ولا تحسب ولا تطالع) .

قلت :

معناه أنه ينبغي للمسالك أن يعرض (١٣٨/ب) عن كل شئ . وهذا
الإعراض لا يجتمع مع الكتابة، لأن الكتابة تتعلق بالمكتوب وهى الأشياء،
قال ولا تهمل سر الكتابة فإنه تعلق أيضا، والإعراض المذكور ينافيه . وكذلك
الحديث هو الحديث النفس عن الأشياء . والمطالعة هى مراجعة ما تضمنته
الكتابة والإعراض عن كل ما سوى الله تعالى ينافى ذلك كله .

قوله :

(وقال لى: الهم يكتب الحق والباطل والمطالع (والمطالعة) تحسب
الأخذ والترك) .

قلت :

يعنى أن الهم الذى هو العزم على الكتابة يقتضى أن يكتب ما هو
داخل تحت القولية، وكل ما هو داخل تحت القولية لم يخل من حق وباطل .
ثم إن مطالعة ذلك المكتوب أو غيره يقتضى تقييم الفكر بين ما هو حق
فيأخذه وبين ما هو باطل فيتركه، فهو يقتضى الأخذ والترك . وذلك كله شاغل
عن الله عز وجل . والحق غير تبارك وتعالى وتقدس .

قوله :

(وقال لى : ليس منى ولا من نسبتي من كتب الحق والباطل وحسب
الأخذ والترك) .

قلت :

أما من كتب الحق والباطل فليس من أهل الشهود، لأن الشهود
عصمة للشاهد عن الباطل فمن كتب الحق والباطل ليس منه، ولا من نسبته
تعالى . وأما من حسب الأخذ والترك فهو محجوب لأنه إنما يأخذ ويترك

بالفكر والفكر كفر عند أهل السلوك إلى الله عز وجل لأن القوم اشتغلوا بذكره، ووكّلوا الأمر إليه فلم يحتاجوا أن يتفكروا . ولا تقل أن الله تعالى اثني على من يتفكر في آياته تعالى، فإن ذلك لأهل العمل لا لأهل الوجدان . وقد نقل فيما يؤيد ما ذكره في هذا التنزل عن الشيخ أبي الغيب الذي كان في أبيات عكا من أرض اليمن، أنه كان ينادي مناديه كل ليلة عند وقت النوم (١٣٩ / أ) فيسمع جميع تلاميذه والواردين عليهم بما صورته معاشر الفقر إلا تبين أحد منكم هنا فإنه من بات هنا بات مع العقل، ومن بات مع العقل لم يخل عن حق وباطل، وهذا الكلام هو معنى التنزل بعينه .

قوله :

(وقال لي: كل كاتب يقرأ كتابه، وكل قارئ يحسب قراءته).

قلت :

يعنى أن هذين متعلقان بالمكتوب والمحسوب، ولو في حال الكتابة والحساب . والتعلق حيث كان فهو انقطاع عن المطلوب .

٣٥- موقف اسمع عهد ولايتك :-

قوله :

(أوقفني وقال لي : ما فطرتك لتأتمر للعلم، ولا ربيتك لتقف على باب سوى، ولا علمتك لتجعل علمي قمرا تعبر عليه إلى النوم عنه، ولا اتخذك جليسا لتسألني ما يخرجك عن مجالستي).

قلت :

ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" ^(٧٢) أنه فسر العبادة بالمعرفة، كأنه قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعرفون، فأذن ما فطر وليه ليأتمر للعلم إلا بمقدار ما يتعداه بالعمل به إلى باطنه وهو المعرفة، فأما دائما فلا وذلك ظاهر من معاني هذه المواقف، وكذلك الوقوف على باب سوى .

ثم إنه أشار إلى وجوب العمل بالعلم في البداية لقوله "ولا علمتك ... إلخ" ثم إنه قد ذكر فيما سلف من المواقف أن المسئلة لا تليق بأهل الشهود، كما قال طلبك منى وأنت تراني استهزاء، والاستهزاء يخرج عن مجالسة مولاه .

قوله :

(وقال لى: ما أسفرت لك عن وجهى فى الشباب لأشقيك فى المشيب) .
قلت :

ورد عن بعضهم :

عشقتك أمرد وتهجرنى وهاشيبي
قبيح أن يطلع غيرك على عيبي
وأراد بالشقاء هنا مكابدة الورع فإنه حمل ثقيل، فكأنه سامحه (١٣٩/ب) فى
الترخص المباح شرعا.
قوله :

(قال لى : اعرف من أنت فمعرفتك من أنت هى قاعدتك التى لا
تنهدم وهى سكينتك التى لا تزل) .
قلت :

هذا معناه : اعرف نفسك، وقد قيل : انتهى سفر الطالبين إلى الظفر
بنفوسهم، ولكن ظاهر اللفظ لا يعطى المراد منه دون ضمنية مقدمات سابقة
دالة على تخصيص المراد، والمراد أنك لست غيرا بعد الغناء فى التوحيد .
وهذا إذا شهد شهودا كليا كان قاعدة لا تنهدم وسكينة لا تزل .
قوله :

(وقال لى: فرضت عليك أن تعرف من أنت، أنت ولى وأنا وليك) .
قلت :

اعلم أن الولاية فى الرسل عليهم السلام لها صورة فى أتباع الأنبياء
عليهم السلام لها صورة . فذكر الشيخ محيى الدين رحمه الله رحمة
واسعة (٧٢) أن ولاية الرسل عليهم السلام فوق نبوتهم، وثبوتهم فوق
رسالتهم .

وقد ذكر فى بيت شعر وهو قوله :

مقام النبوة فى برزخ دون الولى وفوق الرسول
فكأنه قال: مقام ولاية الرسول فوق نبوته، ومقام نبوته فوق مقام رسالته فقط.
وذلك لأن الولاية أخذ عن الله تعالى بلا واسطة، والنبوة مشتقة من الإنباء
الذى هو الإخبار، وذلك أخذ عن الله تعالى بواسطة ملك .

ولا شك أن الأخذ عن الله تعالى بلا واسطة هو فوق مقام الأخذ عنه بواسطة، وأما كون النبوة فوق مقام الرسالة فلأن النبوة أخذ عن الله تعالى بواسطة جبرئيل مثلاً، وذلك حال فوق حال من هو مع الناس في أدائه ما وصل إليه بطريق جبريل . وأما حال الولاية بالنسبة إلى أتباع الأنبياء عليهم السلام فذلك أخذ عن الله بلا واسطة وليس لهم مقام نبوة إلا ماورد أن الرؤيا الصادقة جزء من (نيف) وأربعين جزءاً من النبوة وليس لهم مقام رسالة إلا ما هو (١/١٤٠) مأمول به من الإرشاد كما ورد في الكتاب العزيز من قوله تعالى "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" (٧٤) فقله ومن اتبعني دال على ثبوت الإرشاد . فقله (فرضت عليك أن تعرف من أنت، أنت ولي وأنا وليك) معناه أشهدتك أنه ضروري في حقك أن تعرف أنك ولي وأنا وليك . وللولاية تفسير يذكر مشافهة، فإن الفهم يسبق من ذكر الولاية إلى معنى يقتضى إثبات شرك خفي معفو عنه .

قوله :

(وقال لي: اسمع عهد ولايتك : لا تتأول على بعلمك ولا تدعني من أجل نفسك، وإذا خرجت فإلي، وإذا دخلت فإلي، وإذا نمت فثم في التسليم إلى وإذا استيقظت في التوكل على).

قلت :

معناه أن مما يشترط على الولي في عهد ولايته هذه المعاني التي ذكرت، فمعنى لا تتأول على بعلمك : أنه إذا ورد عليك من حال أو شهود يخالف ما جاء به العلم فارجع إلى البادي عليك مني لا إلى مقتضى علمك . فإن لكل مجال رجالاً . والعلم لأهل الحجاب والشهود للأولياء، ومعنى لا تدعني من أجل نفسك : أي لا تطلب مني شيئاً هو من حظ نفسك، وذلك لأن الولي قد خرج عن نفسه فلا يليق به الطلب من أجلها . وأما خروجه إليه ودخوله إليه فمعناه : لا يكن لك طلب، وذلك مستمر مستصحب إلى حالة النوم فتفارق الحسى إلى النوم وهو في التسليم .

قوله :

(وقال لي: بقدر ما توظف لنفسك من العمل لي يسقط عنك من العمل لك، وبقدر ما يسقط عنك من العمل لك يكون قيامي بك وقيامي لك) .

قلت :

يعنى أن كل عامل فإنما يعمل إما لنفسه وإما لربه عز وجل . فإذن الفاعل إذا عمل فى دار غيره مثلاً فى البناء أو التجارة أو غير ذلك فإنما عمل ذلك العمل لنفسه وطلباً للأجرة التى تعود مصلحتها على نفسه، فكل عامل لمخلوق فإما لخوف أو طمع، وكلاهما (١٤٠/ب) لنفس العامل . لكن الليل والنهار محصوران من وظف لله تعالى على نفسه عملاً؛ فذلك العمل يكون فى جزء من الليل أو من النهار أو منهما ، فذلك الجزء من الزمان قد كان ممكناً فيه أن يكون العمال للنفس ، فلما اشتغل بالعمل لله تعالى سقط ما يخص ذلك الجزء من نصيب النفس، فإذن بقدر ما يوظف لنفسه من العمل لله تعالى يسقط عنه من العمل لنفسه . وفيه لطيفة شريفة وهى أنه إنما يخلص العمل لله تعالى إذا عرف أن الفاعل هو الحق ؛ وذلك إنما يكون بعد أن يضمحل رسم الخلقية البشرية . فلذلك قال (وبقدر ما يسقط عنك من العمل لك يكون قيامى بك وقيوميتى لك) وهذا إنما يكون لمن فنى رسمه وتبدل اسمه وحمل الحق تعالى عنه حكمه .

قوله :

(وقال لى: استعن بالدعاء إلى على الوقوف فى مقامك بين يدي) .

قلت :

الدعاء إليه هو الإرشاد، وهذه الإعانة حقيقتها ما يحصل للشيخ من إرشاد المريدين، فإن الله تعالى مع كل إنسان خصوصية تعرف لا يكون لغيره، فإذا رآها الشيخ قد ظهرت على المريد استفادتها فيكون عوناً له على الوقوف بين يديه .

قوله :

(وقال لى: إن لم تدع إلى فسكوئك يدعو إليك بما عرف منك فاحذرنى لا تكون لسكوئك داعية لنفسك إلى نفسك وأنت تحتسب على بالسكوت قرابة إلى) .

قلت :

يعنى أن الولي يجب عليه أن يدعو إلى الله على بصيرة . فإن سكت فلم يعرف الخلق أن الواجب عليهم أن لا يتعلق بعضهم ببعض أو أشك أن يتعلقوا به لما عرفوه عنه من الإخلاص والصدق، وتعلقهم به شرك وإنما

كان ذلك بسكوته عن أن يعرفهم أن التعلق بسوى الحق عز وجل شرك، فإذن السكوت يدعو الناس إلى نفس الساكت، فإن اتفق أن يكون سكوت الساكت إنما كان ليتعلق به الناس فهو المراد بالتخدير فى قوله (فاحذرنى، لا تكون لسكوتك (١٤١/أ) داعية لنفسك إلى نفسك) فإن ذلك إثم كبير على الأولياء من جهة أنهم ربما اعتدوا سكوتهم قرينة إلى الله تعالى فإذا كان ممزوجا بحظ النفس أو متمخضا لحظ النفس فالواجب أن يقال لمن هذه حاله احذرنى .
قوله :

(وقال لى: اكتب فى عهدك : إذا تعرفت إليك سقطت المعارف من سواك، وإذا لم أتعرف إليك، فمعرفتك على ايدى العارفين) .
قلت :

معناه أن مما يكون من شأن الأولياء أن تعرف الحق تعالى إليهم يغنيهم عن المعارف المكتسبة، وإذا لم يتعرف إليهم استعانوا بغيرهم من المرشدين .
قوله :

(وقال لى: الليل لى لا للقرآن يتلى، الليل لى لا للمحامد والثناء) .
قلت :

هو يذكر ما يخص حال الأولياء، من الوظائف التى تليق بهم من الأعمال فأخبرهم أن الذى يليق بهم فى سواد الليل أن يستجلوا بياض نهار الجلال والجمال والكمال، وهذا حال المقربين الذين الحديث عنهم . وأما الأبرار فليلهم إنما هو للقرآن يتلى وللمحامد والثناء .
قوله :

(وقال لى: الليل لى لا للدعاء، إن سر الدعاء الحاجة، وإن سر الحاجة النفس، وإن سر النفس ما تهوى) .
قلت :

هذا ظاهر غير محتاج إلى شرح .
قوله :

(وقال لى: إن كان صاحبك فى ليالك من أجل القرآن بلغ أقصى همك إلى جزئك فإذا بلغته فارق فلا ليالك ليل القرآن ولا ليالك ليل الرحمن . وإن كان صاحبك فى ليالك من أجل المحامد والثناء بلغ أقصى همك إلى اجتهداك

فإذا بلغته فارق، وإذا فارق خليل النوام نمت أو لم تتم بلى من كان لى ليلة نام أو لم ينم فذاك صاحب الليل، وصاحب فقه الليل أشرفت به على الليل، وعلى أهل الليل فهو بمقاماتهم (١٤١/ب) فيه أعرف، ولمبالغ نهاياتهم فيه أدرك).

قلت :

هذا التتزل الشريف قد نص على حال العباد وهم أهل القرآن يتلى، وأهل المحامد والثناء، وعلى حال أهل الله السالكين إليه لا خوفا ولا طمعا . فأما نصيب أهل السلوك إليه تعالى به فهم المراد بقوله: من كان لى فى ليله .. إلخ . وأما نصيب العباد من هذا التتزل ، فهو ما ذكر فى أول التتزل . فأما تفسير قوله بلغ أقصى همك إلى جزؤك (جزئك)، أى بلغت همك إلى القرآن، والقرآن جزؤ الإنسان بطريق يطول شرحه، ولولا الإطالة لذكرته، وأما قوله فإذا بلغته فارق فمعناه بلغت مقصودك من تلاوة القرآن فاركك فانظر مقصودك ماذا هو فيحسبه تكون الملازمة والمفارقة . وأما (فلا ليك ليل القرآن) فلو قوف القرآن عند الحد الذى قصدت التلاوة لأجله فانقطع السالك بانقطاعه، وأما قوله ولا ليك ليل الرحمن فإن الزية لم تتعلق فى التلاوة بالرحمن ولو كان التعلق إنما هو بالرحمن لكان هذا هو القسم الشريف . وأما قوله لأجل المحامد والثناء فلذلك قال بلغ أقصى همك إلى الاجتهاد، لكن الاجتهاد إنما يقل لعجز المجتهد عن أن يأتى بما هو الشاء الصحيح . وهنا أسرار، وإذا كان ذلك كذلك فذلك الليل ليل النيام وإن لم يناموا . بقى القسم الذى قال فيه بلى من كان لى ليله، وهؤلاء قوم أطلعهم الحق تعالى على مبالغ العباد فى الليل (ليل) كانت عبادتهم أو نهار فهم كما ذكر عنهم .

قوله :

(وقال لى: كيف تنظر إلى السماء والأرض، وكيف تنظر إلى الشمس والقمر، وكيف تنظر إلى كل شئ كان منظورا لعينيك أو كان منظورا لقلبك، (١٤٢/أ) وذلك أن تنظر إليه باديا منى، وهو أن تنظر إلى حقائق معارفه التى تسبح بحمدى وتقول ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) .

قلت :

هذا إرشاد له إلى كيفية نظره إلى هذه الأشياء، فإن شهدها تسبح بحمده وتقول "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" فهو النظر الصحيح والمراد أن نبه (ينبه) أن محامد الخواص لله تعالى وثناؤهم عليه إنما هو أن يشهدوا كل شيء يسبح بحمده تعالى ويقول "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" لا أن يثتوا على الله تعالى بالسنتهم بما بلغهم من أسمائه تعالى عن أهل النقل والعقل .

واعلم أن هذا الواقف قد تكررت عليه التزللات في إثبات معنى "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"

وذلك لأن هذه الآية هي التي تليق أن يثني بها على الله تعالى، فإنها نزلت من حضرة الإطلاق الحقيقي وعلى مقتضى الإطلاق الحقيقي بخلاف بقية صفاته تعالى . فإن الاسم الرازق مثلا إنما هو اعتبار بحسب المرزوق، والخالق اعتبار بحسب المخلوق، فإذا تتبععت الأسماء الإلهية وجدت لها تعلقا بصفات المخلوقين بخلاف قوله "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" فإن نفي الشينية تسريح وتصريح بالإطلاق . فإن قلت هل الكاف زائدة فالجواب نعم . ثم إن حاصل معنى قوله "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" في نظر الأولياء أنهم ظفروا بشهود عدمية التعينات في وجوده عز وجل، فتقوم الذات المقدسة في نظرهم بذاتها لامع حضور شيء غيرها . ومعلوم أن بذلك تنفى الشينية فلا يبقى شيء في نظرهم غيره تعالى . وذلك هو الفناء في التوحيد،

وإذا فنيت الشينيات شاع الإخبار عن هذه الحالة بقولنا ليس معه غيره ؛ وهو قول الأكابر ما في الوجود إلا الله، وشاع الإخبار عنها بقولنا "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (١٤٢/ب) لذهاب الشينيات أيضا . لكن الإخبار بلفظ الآية أدل على المعنى المطلوب ليكون رسما لقوله "وهو السميع البصير" فإن السمع والبصر صفات وجودية لا يمكن صرف شينياتها عنه تعالى، لكن المخلص من هذا الإشكال أن ترى أن حقيقة السمع والبصر لم تقم بغيره عز وتقدس وبهذا يتم تفصيل التوحيد، وهو شهود الكثرة في عين الوحدة، فالذي يخص الوحدة ليس كمثله شيء، والذي يخص الكثرة قوله "وهو السميع البصير" وهذا هو الشهود التام لكنه لا يوجد بالأذهان ولا الأفهام فكيف الخيالات والأوهام .

بقى قوله أن تراها بادية منى : أن لا ترى الشينيات بادية من غيره .

قوله :

(وقال لى: لا تذهب عن هذه الرؤية تختطفك المرنيات، ولا تخرج صفتك عن هذه الرؤية تختطفك صفتك) .

قلت :

هذا التنزل من تمام المعنى الذى قبله، وهو وصيته بالتزام شهوده بمعاطات ما يوجبه، والذى يوجبه هو التعرض لنفحات الرب تعالى، فقد ورد فى الأثر "إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لنفحاته"، ثم إن معنى قوله لا تذهب عن هذه الرؤية أى أنه تعالى قواه على مداومة هذا المشهد، فإن قول الله تعالى هو فعل، وإنما كانت ملازمة شهود هذا المشهد الشريف بعضهم من يخطف المرنيات لأن المرنيات تكاد تثبت الوجودية، وأكثر ذلك فى نظر المحجوبين، فنهاه عما توهم الكثرة لأن الكثرة منافية لقوله "ليس كمثله شئ" وأما "لا تخرج صفتك عن هذه الرؤية" لأن صفته الخلقية قد أفناها التجلى، وأثبت له صفة وجودية إلهية وحدانية، فلو أخرج صفته هذه الوحداية عن هذه الرؤية الموجبة لها عادت الصفة الخلقية وعبر عن عود الصفة الخلقية إليه بقوله "فتخطفك صفتك" يعنى الخلقية (١٤٣/أ). واعلم أن الوصايا الواردة من جانب الحضرة الإلهية ليست ألفاظا، بل هى أحكام مثاله قوله "لا تخرج عن هذه الرؤية" ليس معناه إلا أنى حكمت لك أن لا تخرج عن هذه الرؤية، فلو رام أن تخرج عن هذه الرؤية لم تقدر، وظاهر اللفظ يقتضى فى العادة أنه يقدر، وإلا لما كان للنهى فائدة، لكن من علم لغة التجليات علم أن المراد إنما هو هذا؛ لأنه ما تجلى لشئ فاحتجب عنه بعد ذلك، وهذا من حقيقة الجود الإلهى . واعلم أن لجاهل أن يقول إذا ذهب الكلام عن قانون المصطلح عليه لم يحصل منه فائدة، ولا يدرى أن لغة الحق معلومة عند أهله، والخطاب إنما هو لهم ومعهم لا مع غيرهم، وقد ورد فى المواقف ما صورته "ما كل أحد يفهم لغتى فتحدته ولا كل أحد يعلم ترجمتى فتخاطبه" وفى هذا كفاية .

قوله :

(وقال لى: إن لم تخرج صفتك عن هذه الرؤية صبرت عن صفتك وعن دواعى صفتك، وإذا صبرت عن صفتك وعن دواعى صفتك قيل بين

يدى فلان، وقلت لملائكتى فلان ولى، فشهرتك بى، وكتبت على جبينك ولايتى، وأشهدتك أننى معك أين كنت، وقلت لك قل فقلت وأشفع فوقه).
قلت :

معنى قوله صبرت عن صفتك أنه لا يراها بعد تلك الرؤية صفة للعبد فتتنسب الصفة إلى موصوفها الحق . وباقى التنزل ظاهر .
قوله :

(وقال لى: إن لم تخرج صفتك عن هذه الرؤية، وقفت فى مقام العصمة، وأثبت فيك حشمة من الشهوات، وحياء من تناول العادات).
قلت :

هذا أيضا ظاهر المعنى .

قوله :

(وقال لى: إنما أظهرت الشهوات سترا على المستور؛ لأنه لا يستطيع أن يقوم بين يدى إلا فى سترة، (١٤٣/ب) فمن كشفت له عن نفسه لم أستره من بعدها بنفسه)

قلت : يعنى جعل الشهوات تدعو إلى الفعل؛ فيظن المحجوب أنها الموجبة للفعل، فيستتر الأمر عنده ولا يبدو له الحقيقة لوجدانه داعى الشهوة فى قلبه، ولا ينسب ذلك إلى ربه لأنه لا يستطيع ذلك، وهو معنى قوله "لأنه لا يستطيع أن يقوم بين يدى إلا فى سترة" أى هذه حاله . ثم قال "فمن كشفت له عن نفسه لم أستره من بعدها بنفسه" معناه : أى من عرف نفسه عرف أن الشهوات ودواعيها والأفعال التى تناسبها إنما هى صادرة عن مبدئها ومنشئها وأن ما يراه الحق منها هو ما أثبتته الشهوة فيها من غير مغايرة .
قوله :

(وقال لى: إذا رأيت نفسك كما ترى السموات والأرض رأيت الذى يراها منك هو أنت لا إلى حاجة ترجع ولا إلى خليفة تسكن فلترى إياك ما ابتليتك بصفة لا تثبت فى حكمك ولا تقوم فى مقامك، فصفتك ترجع لا أنت وصفتك تميل لا أنت تميل).
قلت :

يريد أن من علامات ولايتك أن ترى نفسك مفصلة تفصيل السموات والأرض، وقد ورد قوله تعالى "الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض

مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما". فإذا رأى نفسه كما يرى هذه السموات والأرض مفصلات بمراتب يتنزل الأمر بين تلك المراتب وظهر له أن هذه القدرة في ذلك له من حيث لا يغير فيها القادر الحق من مضمون قوله "لتعلموا أن الله على كل شئ قدير" ثم يكون العلم علمك من حيث لا يغير علمه تعالى . وذلك "وأن الله قد أحاط بكل شئ علما" فذلك علامة ولاية كاملة، والإشارة في أن تكون القدرة قدرتك والعلم علمك من حيث لا يغيره إلى شرح قوله رأيت الذى تراها منك هو أنت، ثم قال إن هذه الحالة ليست معلة وهو قوله لا إلى حاجة ترجع، ومعنى قوله ولا إلى خليفة تسكن" أنه لا تكون الفعال فى نظرك معلة؛ وذلك لشمول الشهود عندك، وذهاب صفتك الخلقية عنك وصفتك الخلقية قد فنيت فى الشهود (١٤٤ / أ) وهى التى كانت ترجع وهى الخلقية التى لست إليها تسكن، ثم أخبره عن حجابيه وزمان اغترابه، وأنه كان ابتلاه بالصفة الخلقية وقال له إنها لا تثبت فى مقامك الشهودى، ولا فى حكمك الإلهى، وهى التى كانت ترجع وتميل .

وقوله :

(وقال لى: لو أحببت الدنيا جمعت بها على).

قلت :

الدنيا لا تكون هى الجامعة على الحق لأن أحكامها كلها تابعة لأحكام الغيار ولكن قد تكون هى الجامعة لأهل الله تعالى فى صرف ضروراتهم فهى جامعة لا بذاتها، بل بالعرض، ومعنى كونها ليست محبوبة أنها كما ذكرنا أحكام غيريات .

قوله :

(وقال لى: لأن تكون لك أحسن من أن تكون بك، ولأن تكون بك أحسن من أن تكون فيك، ولأن تكون فيك أحسن من أن تكون لا فى ولا فيك).

قلت :

هذه صور كلها موجودة، وبعضها خير من بعض، فالذى الدنيا له هو الذى ورثها عن مورثه أو حصلت له من غير تكسب، ثم هو لم يسع فى تحصيلها ولا تحصيلها فيه : أى فى قلبه،

ولا هو من الزهاد الذين لا الدنيا موجودة فيهم، ولا في ربهم، فإن الذي الدنيا له بهذا التفسير هو خير المراتب الثلاث، وتليها مرتبة الذي الدنيا به، وتليها في الرتبة الذي الدنيا فيه، وآخرها الذي ليست الدنيا لا فيه ولا في جناب ربه تعالى، ولا يتحقق التقسيم حتى لا يدخل شيء من أحد الأقسام في الآخر .

٣٦- موقف وراء المواقف :-

قوله :

(أوقفني وراء المواقف وقال لي : الكون موقف) .

قلت :

اعلم أن المواقف هي الحضرات الإلهية التي جرت العادة أن يكون فيها (١٤٤/ب) التجليات، وليست تلك المواقف مما يكون الكون شيئا منها، فإنما اعتبار ما وراء المواقف، فإنه يجعل الكون موقفاً، وكل جزئية من الكون موقفاً، فمن أجل ذلك قال الكون موقف وكل جزئية من الكون موقف .

قوله :

(وقال لي: كل جزئية من الكون موقف) .

قلت :

لما تحقق أن الكون موقف قال وكل جزئية منه موقف، والمراد بذلك كله أن يستجلي وجه الحقيقة من مطلق الكون ومن كل جزئية من الكون بمعنى أن يغيب الكون في المكون فيبقى من لم يزل بذهاب من لم يكن، وكذلك الاعتبار في كل جزئية منه .

قوله :

(وقال لي: الوسوسة في كل موقف، والخاطر في كل كون) .

قلت :

اعلم أن الوسوسة تشابه بين وجوه التجليات، وذلك يكون في المواقف الإلهية، وأما الأكوان فتكون فيها الخواطر النفسانية : الأول في الشهود، والثاني في الحجاب . وقد تكون الوسوسة في أحكام العلوم فيكون معناها الاضطراب في الرأي .

قوله :

(وقال لي: طافت الوسوسة على كل شيء إلا على العلم) .

قلت :

اعلم أن كل شئ فلا بد عند تصوره أن يكون في أحد الأقسام الأربعة وهى : العلم، والظن، والشك، والوهم، ولكل قسم منها تفاصيل صورة لا تحصى، فالوسوسة طافت على كل شئ من تفاصيل كل قسم من هذه الأقسام لوقوعها فيه إلا القسم الأول وهو العلم، أى اليقين، فإنها ما طافت فيه : أى أنها لا تقع فيه .

قوله :

(وقال لى: العقود قائمة فى العلوم، والوسوسة تخطر فى أحكام

العلوم).

قلت :

يعنى بالعقود الحقائق، وهى بالنسبة إلى أنفسها لا وسوسة فيها، وبالنسبة إلى العلم لا وسوسة فيها (١٤٥/أ)، ثم هذه العقود التى هى الحقائق تخطر فى أحكام الظنون والشكوك والأوهام، وتسمية هذه أحكاما للعلوم هو من باب تسمية الشئ بما يجاوره كما يقال للفقهاء علم وهو إنما يشترط فيه غلبة الظن، وإن وقع العلم فى بعضه فبمجاورة ذلك البعض صح الإطلاق .

قوله :

(وقال لى: إذا جاءتك الوسوسة فانظر إلى مجيئها ومنصرفها

واعترضك عليها ترى الحق وتشهده وهو ما تنفيها به وترى الباطل وتشهده وهو ما نفيت).

قلت :

هذه الوسوسة الواردة فى "الثلاثة" الأقسام هى ترد على نفس المتوسوس فى عقد من العقود المذكورة، أو فى عقود وهى الحقائق، فأمره أن ينظر إلى ورودها عليه، وفى وجه قبولها إن كان له وجه وإلا دفعها، فإن قبلها فقبولها هو بأن ينظر فيما ينفىها فيجعله الحق، ونضيفه إلى القسم الأول الذى هو العلم فيصير المحكوم عليه إذ ذاك معلوما ويكون الباطل غير المنفى .

قوله :

(وقال لى: من تعلق بالكون عرض له الكون) .

قلت :

يعنى : من تعلق بكون ما من الأكوان عرض له الكون بحقيقته كلها فاحتجب .
قوله :

(وقال لى : الوسوسة فى علم من أعلام التحريض على) .

قلت :

يعنى الوسوسة أن الحق تعالى هو موجبها فى قلب المتوسوس، وكان إنما يتوسوس فى الحق لا فى سواء، فذلك علم أى علامة من علانم التحريض على الحق ولو يكن هناك محرض على طلب الحق تعالى لم تقع الوسوسة فيه وذلك المحرض إما عناية الحق تعالى، وإما قوة فى الاستعداد للكون الحق تعالى جعله أهلاً لأن يكون من خاصته، فهذه مبادئ خصوصية .
قوله :

(وقال لى: قد جاءتك معارفى بلطفى، وأسفر لك تكلمى عن حبى) .

قلت :

يعنى أن لطفه به أوجب مجيئ (١٤٥/ب) معارفه إليه ومخاطبته إياه شفى رداءه عن محبة الإلهية من ربه له .
قوله :

(وقال لى: كل شئ يصدرك إلى يصدرك ومعك بقية منك أو من غيرك إلا الوسوسة، فإنها تصدرك إلى وحدك) .
قلت :

معناه أن الأشياء التى تردده إلى ربه عز وجل من موعظة أو ذكرى، أو خشية، أو رغبة، أو أمنية، فلا بد أن تبقى عند رجوعك إليه تعالى فيك من بقية، إما منك، وإما من غيرك . وأما الوسوسة وهى الحيرة فى الله عز وجل، فإنها قد تخلص حكمها عما ذكر .
قوله :

(وقال لى: الوسوسة ردى إياك إلى بالقهر) .

قلت :

يعنى بالوسوسة هنا الوسوسة الواقعة فيه تعالى، وهى الحيرة فيه، ولاشك أنه من وقع فى هذه الحيرة فإنه مقهور فى طلب الخلاص من الحيرة فيصير طلبه ذلك طلبا للحق فربما محج طلبه فيكون الحق تعالى قد رده إليه بالقهر .

قوله :

(وقال لى: انظر إلى الوسوسة عم تخرجك قلن تصلح إلا على مفارقتة وبم تعلقك قلن تصلح على التعلق به) .

قلت :

معناه ذهاب الحيرة لابد إما أن يكون شئ خرجت عنه، وإما بشئء تعلقت به وأيا ما كان فهو الصواب لنفيه الاضطراب، وقوله عم تخرجك يعنى عما ذا يخرجك، وعما ذا تعلقك، ولو ثبت الألف فيهما لكان أصح لضعف الاستفهام فى مضمونها .

قوله :

(وقال لى: الجهل وراء المواقف، فقف فيه فهو وراء مقام الدنيا والآخرة) (٧٥) .

قلت :

يريد بالجهل هنا التقليد المحض فيما يتعلق بالبارى عز وجل، وذلك هو الإيمان المحض، غير أن فى هذا الجهل صفة أخرى مع كونه هو التقليد المحض، وهى أنه لا يتعرض إلى علم ما قلد فيه، بل يتوجه إلى الحق على حكم الإطلاق (١٤٦/١) عن قيود من الاستفسار خاليا عن مائل الرغبة والرغبة، ولذلك قال فقف فيه فإنه وراء الدنيا والآخرة والدنيا والآخرة هى محل الرغبة والرغبة .

قوله :

(وقال لى: من لم يستقر فى الجهل لم يستقر فى العلم) .

قلت :

يعنى أن من لم يصحبه الإيمان بالغيب، وهو الذى ببركته يحصل العلم، لم يستقر فى العلم لفوات سببه .

قوله :

(وقال لى: الجهل وراء المواقف؛ فمن وقف فيه أدرك علوم المواقف) .

قلت :

يعنى أن ببركة الإيمان يحصل العيان .

قوله :

(وقال لى: اختم علمك بالجهل و إلا هلكت به، واختم عملك بالعلم وإلا هلكت به) .

قلت :

يعنى أن كل مسألة أدركتها علما يجب عليك فيها أن تقول ويحتمل أن تكون فى علم الله تعالى بخلاف ما اعتقدتها، وثمرة هذا أن يكون موجهها إلى أن يبدى له الحق تعالى فى كل مسألة مالم يكن يحتسب كما قال تعالى "وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون" فلو لا بركة إيمانه بإمكان أمر غير ما اعتقده لما أفتح عليه غير ما اعتقده؛ فلهذه الحقيقة وجب أن يختم علمه بالجهل وإلا هلك به : أى انسد عنه باب المزيد . وأما العمل فيستحيل أن يكون بغير علم؛ لأنه إذ ذاك لا ينضبط فى صورة ولا يرتبط بأسلوب .

قوله :

(وقال لى: كل ما على التراب من التراب، فانظر إلى التراب تذهب عما هو منه وتر ما قلبه عن عينه فى مرأى العيون فلا تخطفك عيونه) .

قلت :

هذا إرشاد إلى طريق معرفة وحدانية الكثرة، فإن رؤية الكثير واحد أصعب . فقال له أليس كل ما على التراب فهو من التراب ؟ فالتقدير أنه يقول نعم . فقال له: ما قيمة ما من التراب إلا قيمة التراب ؟ ثم أمره أن ينظر إلى ما قلب التراب فصيره معادن ونباتات وحيوانا (١٤٦/ب) وإنسانا، فإنه لا يجده إلا كصفات عارضة له منه بأمر ربه تعالى . وتلك الكيفيات أكثرها اعتباريات، ومن اعتبر هذا الاعتبار لم تخطفه الكثرة، بل تعرف أن ما كان من التراب فهو تراب، فلم ينخطف عقله بما تعلق به، وأكثر الناس مخطوفون فى هذا المحل

قوله :

(وقال لى: اتخذ أعوانا لتقلب عينك، فإذا لم تتقلب عينك فلا أعوان).

قلت :

أمره أن يستعين ببنى نوعه البالغين مبلغ المعرفة ليعينوه على إدراك وجه الحق فى مسألة انقلاب الأعيان، وهو كون غير التراب يعيد أنواعا من المولدات . فأما إذا أدرك بذاته أو بمعونة من غيره أن غير التراب لم يتغير عن ترابيتها وأن صور المولدات هى صور التراب ظهرت منه فيه بتقدير العزيز العليم، فإنه إذذاك يستغنى عن الأعوان ويرى وحدانية الوجود فى الأكوان، ويجد نفس الرحمن من قبل يمن الإيمان .

قوله :

(وقال لى: لا يكون لا أعوان حتى يكون لازمان ولا يكون لا زمان حتى يكون لا أعيان ولا تكون لا أعيان حتى لا تراها وترانى).

قلت :

قد ذكر له علامة من لم تخطفه هذه الصور المختلفة عن شهود وحدانية الذات بأن قال له شرط غناك عن الأعوان أن يصححوا لك العيان هو أن تشهد وحدانية هذه المولدات الثلاث شهودا ترى معه أن الزمان إنما هو فى الأذهان وليس هو فى الخارج، ثم إنه لا يصح أن يكون لا زمان وأنت ترى الأعيان فى الخارج فإن (فإنه) برفع الزمان يرتفع صحبته الأعيان، ثم إنه لا ترتفع رؤية الأعيان إلا بشهود الحق وحده فلا يرى شيئا غيره فتراه إذن وحده، وذلك هو قوله حتى لا تراها وترانى (١٤٧/ أ) حتى ترانى ولا تراها فأكون وحدى فذلك علامة الغنى عن الأعوان .

قوله :

(وقال لى: إذا أحزنك أمر فى الباب فالوقوف، وإن أحزنك فى الوقفة فالوقوف).

قلت :

اعلم أن الباب هو باب الحضرة الإلهية، وأقل ما يطلق على آخر رسم من رسوم النفس، فإن الباب بالجملة حجاب ما ولا حقيقة للحجاب غير رسوم النفس، فإن الباب هو رسوم النفس، فإن الأمر الذى يحزن بالباب

يحتمل أن يكون حزنا على فوات كشف ما يكون حجاب رؤية الباب سببا له، وذلك هو حقيقة الحزن في الباب، فأشار إلى أن المخلص منه هو الوقفة. وقد ذكر بعد أن الوقفة هي مقام كل يمن منه تعالى أى مبلغه لينظر هذا المحزون في هذه المسئلة (المسألة) إلى مقامه من ربه من حيث الوجه الخاص بالوحدانية لا فيما يقتضيه العلم بوجه ما، فإنه ينحل له بالوقفة المذكورة ذلك الحزن، وأما إن كان العبد محزونا من جهة الوقفة فالوقفة فوق كل مراتب التجلى؛ فلنأخذ أن يقول : كيف يكون الحزن مجتلبا من الوقفة، والوقفة هي التي تنفي الأحزان ؟ فالجواب : أن الوقفة لها اعتباران : اعتبار يبقى فيه رسم الوقفة في عقل الواقف فيكون في الوقفة المذكورة وقفة وواقف، فهذا الاعتبار قد يحصل معه الحزن لبقاء بعض الأغيار، والمخلص من هذا هو الوقفة التي لا وقفة فيها ولا واقف، وقد مضى في مقام الوقفة قوله : ليس في الوقفة واقف وإلا فلا وقفة، فإذن الوقفة هي دواء حزن عرضه في الوقفة.

قوله :

(وقال لى : الوقفة هي مقامك منى، وكذلك وقفة كل عبد (١٤٧ / ب)

هي مقامه منى) .

قلت :

قد ذكر أن الوقفة هي مبلغ الواقف عند ربه من حيث تصوير جانب الحقيقة لا جانب الرسم العبدى وحقيقتها المطلع على الحد الفاصل بين الظاهر والباطن .

قوله :

(وقال لى: خاطب من خاطبته بمبلغه الذى يحب أن يذكرنى فيه فهى

حاله التى عليها ما يقر) .

قلت :

هذا إرشاد للمرشدين يعرفهم كيف يكون خطابهم لمن يدعونه إلى الله عز وجل، وهو أن يخاطبواهم بمبلغهم الذى يناسب بواطنهم وينشطون فيه لذكر ربهم تبارك وتعالى، وهو معنى قوله "الذى يجب أن يذكرنى فيه" فإذا فعلوا ذلك كان أحرى أن تحصل الإجابة منهم وينقادوا إلى ما دعوا إليه وألا

يقروا، فإذا الخطاب يختلف باختلاف مبالغ المخاطبين، وقد ورد في السنة الشريفة "خاطبوا الناس على قدر عقولهم".
قوله :

(وقال لى: لها من خاطبته برغبته وانقطع من خاطبته برهبتة واتصل من خاطبته بمبلغه)
قلت :

يعنى أن المرشد إذا خاطب المريدين بمواعيد الرغبة لهوا عن ذلك، أى نشوة فلم يستجيبوا وإن استجابوا لهم^(٧٦) وإن دعوهم بأبعاد الرهبة انقطعوا إذ لا لذة في العمل بمقتضى الرهبة . وأما من خوطب بمبلغه فإنه يستجيب ولا بد، فإن كانت الرغبة مبلغه خوطب بها، وإن كانت الرهبة مبلغه خوطب بها، وإن كان استعداداه فوق ذلك بأن يكون مراده الحق تعالى خوطب بما يوجهه إليه الحق عز وجل لا فى رغبة ولا فى رهبة .
قوله :

(وقال لى : إذا كان النعت مبلغا فهو مبلغ لا نعت، وإن كان النعت لا مبلغ فهو نعت).
قلت :

هذا من تنمة إرشاده للمرشدين (١٤٨ / أ) إلى طريق طلبهم للمريدين أن يسلكوا إلى الله تعالى فذكر لهم أن خطابهم للمريدين ينبغي أن يكون فى مبالغهم، ثم بينهم فى هذا القول على، إذا اشتبه المبلغ بالنعت، والفرق بين المبلغ والنعت هو الفرق ما بين المقام والحال؛ فالمبلغ بمنزلة المقام، والنعت بمنزلة الحال . وذلك أن الحال يحول كما أن النعت يزول، والمبلغ يدوم كما أن المقام يدوم، فإذا رأى المرشد مريده فى صفته نظر هل هو مستقر فيها أو هى مستودعة فيه، فإن كان الأول خاطبه فى تلك الصفة بمقتضاها؛ وذلك لأنها مبلغ لا نعت، وإن كان الثانى لم يخاطبه فيها لأنها نعت لا مبلغ .
قوله :

(وقال لى: المبلغ منتهى النسب، والنسب منتهى السبب) .

قلت :

يعنى السبب المحرك إلى الله تعالى إنما هو نسب إليه عز وجل، ويسمى ذلك السبب استعدادات وأهليات، فإذا صحت النسب فعل السبب؛ لأن

منتهى النسب إلى السبب، والسبب هو المبلغ، ولذلك إنه ينجع الطلب مضار المبلغ من حيث ما هو السبب هو منتهى النسب كما ذكر .
قوله :

(وقال لى: دام النسب مادام السبب، ودام السبب مادام الطلب، ودام الطلب مادامت، ودمت ما لم ترنى، فإذا رأيتى لا أنت، وإذا لا أنت لا طلب، وإذا لا طلب لا سبب، وإذا لا سبب لا نسب، وإذا لا نسب لا حد، وإذا لا حد لا حجة) .
قلت :

اعلم أن النسب (بكسر النون) هى جمع نسبة، والنسبة والنسب واحد، وقد مضى الشرح على النسب بكسر النون، ونحن الآن نذكرها بفتحها إذ المعنى واحد فنقول إن السبب معلول النسب، ووجود أحدهما ودوامه يشهد بدوام الآخر، ثم إن تحقق السبب فى الوصلة الإلهية إنما يكون مع الطلب الشاهد بالاستعداد . فإذن السبب والطلب متلازمان (١٤٨ ب)، ثم إن الطلب إنما يكون من مطالب، فالطلب إذن دائم بدوام الطالب وبالعكس، ثم إن الطالب إنما يدوم إذا لم يفنه التجلى، والرؤية، فأما إذا أفناك فما أنت كما ذكر وحينئذ يذهب الطلب بذهاب الطالب، ويذهب السبب بذهاب الطلب، ويذهب النسب بذهاب السبب، وحينئذ لا يكون بين الرائي والمرئى حتى يفصل، وإذا لم يكن هناك حد يفصل فكيف يحتجب الشئ عن ذاته ؟ فلا حجة إذن .
قوله :

(وقال لى: المعرفة التى ما فيها جهل هى المعرفة التى ما فيها معرفة) .
قلت :

الجهل هنا يراد به الفناء الحاصل عند التجلى العرفانى فتجل لا يصحبه فناء لم يحصل به فى الباطن عرفان .
قوله :

(وقال لى: العلم الربانى لا يتعلق بالعبودية، ولا تستقر عليه) .
قلت :

يعنى بالعبودية عبودية أهل العبادة لأنها فى مقام الاغتراب، وشعار أهل الحجاب أنهم عوام بالنسبة إلى الخواص .

قوله :

(وقال لى: اعرف المعرفة تعرف بالمعرفة، اعرفنى تعرف بى، ولن تعرفنى حتى لا إلا ما تعرف ولن تجهلنى حتى لا إلا ما تجهل فلا أنا ما عرفت، ولا أنا ما جهلت) .

قلت :

يعنى من عرف المعرفة عرف بها المعروفات، لكن لا يعرفها إلا بمعرفة الحق تعالى، فلذلك أردف الكلام بقوله "اعرفنى تعرف بى"، ثم بين صفة معرفته لربه عز وجل، فذكر له علامة ذلك فقال، ولن تعرفنى حتى لا إلا ما تعرف يعنى حتى لا ترى وجود الغير ما عرفت، وذلك يقتضى فناء وجود العارف فى المعروف، ودليل صحة ذلك قوله : فلا أنا ما عرفت أى إن كنت أنا المعروف، لك كنت أنت غير فان، فلا عرفان وهو قوله فلا أنا ما عرفت، أما إذا فنى فى المعروف الحق صح (١/١٤٩) فلا إلا ما عرفت، لكن بشرط أن تشهد أن العارف حق إنذاك . قال ولا تجهلنى حتى لا إلا ما جهلت يعنى إذا رأيت وجودك محوا فى وجوده جهلته لفناء ذلك فى بقائه لكن لا يكون وجود المجهول إلا وهو داخل فيما جهل؛ إذ لا وجود لغير الحق تعالى؛ فيكون إذن معنى لا إلا ما تجهل ولفنائه فى الحالتين لم يكن الحق تعالى لا ما عرف ولا ما جهل .

قوله :

(وقال لى: المعرفة من كل شئ حدك الكل من كل كلية حدك الحد من كل حدية انتهاك الجزء من كل جزئية تقليبك) .

قلت :

يعنى أن المعرفة من حيث ما هى لا من حيث فنائها فى المعروف الحق هى رسم ما من الرسوم، والرسوم هى حدود العبد فلا جرم قيل له فى المعرفة حدك، ثم عدد الرسوم فمنها الكلية من كل وكل من كل كلية فإنها حدود العبد؛ لأن كل ما سواه تعالى فله كل هو حده، وإن خالف مدعوا المجردات، ثم بين أن الحد هو منتهى العبد المتناسى، ثم بين أن التجزئ يحصل بتقلب أحوال الموجودات، فعبّر عنها كلها بالعبد وبالواجب كان ذلك؛ لأن الإنسان هو مجموع مراتب الأشياء التى فيه، وأما الإنسان الذى هو الإنسان فلا تتناهى مراتبه، ويطول الشرح فى تفصيلها .

قوله :

(وقال لى: إن بقيت للباطن عليك إمرة، فقد بقيت للظاهر عليك

فتنة).

قلت :

اعلم أن الباطن والظاهر هما من أمهات الأسماء الإلهية وبين معنيهما تقابل بالكتاب والسنة، وبالجمل: العلم كله، فهو من مظاهر الاسم الظاهر . والعبد مطلوب بمظاهر هذا الاسم الكريم مادام في عالم الحجاب، وذلك أن المسلك في مسأله هي العبادات وأكثرها بدنية (١٤٩/ب) . فأما الخواص فسلوكهم هو من مظاهر هذا الاسم الكريم الذى هو الظاهر إلى الاسم الآخر الذى هو الاسم الباطن . وبين هذين الاسمين يكون مدارج العارفين ولهذا الاسم الكريم الذى هو الاسم الباطن مسائل فى مقابلة المظاهر المنسوبة إلى الاسم الظاهر، فعلى العارف أن يفصل من كل جزئية من مظاهر الاسم الظاهر إلى معنويتها وسترها وباطنها بوجه يخص فيه كل جزئية بما هو الطريق الناقد إلى سرها ومعناها . فإن معانى الاسم الظاهر ملابس مساوية للابسيها وعلى صورته ولذلك إن كل من تخطى الاسم الظاهر إلى الاسم الباطن من غير طريقه، فهو زنديق يدعى مالىس له، وذلك للتضاييف الذى بين الاسم الظاهر وبين الاسم الباطن؛ لأنه ظاهر لباطن وباطن لظاهر، ولذلك كانت العبادة هي طريق أولى للمعرفة . فنعود إلى ما يخص شرح هذا التنزل، وذلك أن المقصود الأعلى هو الخلاص من قيد هذين الاسمين معا وإن كان السلوك أولا إنما هو من أحدهما إلى الآخر، لكن إذا ترقى العبد عن الاسم الباطن إلى المسمى الحق خرج عن قيد هذين الاسمين معا، فهذا المخاطب إذ قد كان ممن ترقى عن الاسمين معا ففيل علامة رقيق عن الاسمين معا أن لا يكون للاسم الباطن عليك إمرة، فإنه مادام للاسم الباطن عليك إمرة، فإنه للاسم الظاهر عليك فتنة، فإن قلت لأى شئ خص الاسم الباطن بذكر الإمرة وخص الاسم الظاهر بذكر الفتنة؟ فالجواب: أن مسائل الاسم الظاهر بالنسبة إلى سلوك العارف كلها فتنة من طريق أنهم مقربون . وحسنات الأبرار سينات المقربين، ألا ترى أن مسائل العلم حسنات للعباد فتنة للعارفين . وهذا أمر يعرفه أهله .

قوله :

(وقال لى: إذا نفيت ما سواى لقيتنى بعدد ما خلقت حسنات) .

قلت :

هذا يؤيد ما ذكر قبله، وذلك أن إثبات (١٥٠/ أ) الموجودات يقرر للعباد حسنات بعدد ما أثبتوا من جهة أن يتعين عليهم شكر الله تعالى على إيجاده كل موجود موجود، فأما أهل المعرفة وهم السالكون لا بالاسم الظاهر، ولكن من الاسم الظاهر فهم بقدر ما يفنى التجلى فى عيانهم من الموجودات حتى لا يبقى إلا الموجود الحق فذلك هو مقدار حسناتهم؛ فصارت حسنات الأبرار سيئات المقربين، وحسنات المقربين سيئات الأبرار . والمثال ما ذكره فتأمله .

قوله :

(وقال لى: ما كل من نفى سواى رآنى، ومن رآنى فقد نفى ما

سواى) .

قلت :

هذا التنزل الشريف فيه بيان حال أهل الدعوى وتمييزه عن حال أهل الحق، وذلك بأن يجعل منه مساراً لمن يدعى أنه يرى الحق تعالى فيقال له فى حال الرؤية أين يكون العالم، فإن قال فى مكانه فهو كاذب؛ فإن مكانه قبل الرؤية هو عالم الخلق، وإن قال إن الخلاق تفنى عند تحقق الرؤية فيقال له هل فناؤها هو بعدمها البتة أم فناؤها هو بقيام الحق تعالى بنفسه لنفسه والقيومية منه تعالى قائمة بمراتب تلك الفنايات، فإن قال فناؤها هو بعدمها البتة فهو كاذب، وإن قال بالتفسير الأخير فقد صدق قوله، وبقي حاله فإن كان موافقاً لقوله فهو صادق مطلقاً وإلا صدق لسانه فقط فحصل من هذا من نفى السوى فقد لا يرى، وأما من رأى فلا بد أن ينفى السوى.

قوله :

(وقال لى: لا تكون عبدى حتى أدعوك بلسانى إلى السوى فتجيب

الدعاء وتتفى السوى) .

قلت :

اعلم أن السوى إنما هو معنويات عدمية ظهر بها الوجود الحق، فإذا دعاك الحق تعالى بلسانه إليها لا بلسان السوى فأجبتة فيها لكونه (١٥٠/ ب)

الظاهر بها لا يكونها هي الظاهرة بأنفسها فأنت عبده حقا، وذلك أنه دعاك إلى مواطن الشرك فصادفك مخلصا بالتوحيد، وهذه حقيقة العبودية التي هي الحرية حقا.

قوله :

(وقال لى: أنت عبد السوى ما رأيت له أثرا) .

قلت :

قال الشيخ محبى الدين رحمة الله عليه واسعة فى هذه المسئلة ما معناه أن العالم غيب لم يظهر قط، والحق تعالى هو الظاهر الذى ما غاب قط، والناس فى هذه المسئلة على عكس الصواب فيقولون العالم ظاهر والحق تعالى غيب، فهم بهذا الاعتبار فى مقتضى هذا التنزل كلهم عبيد السوى . وقد عافى الله تعالى بعض عبيده من هذا الوباء والحمد لله .

قوله :

(وقال لى: أثر كل شئ حكمه) .

قلت :

هو قد فسر الأثر بالحكم .

قوله :

(وقال لى: إذا لم تر للسوى أثرا لم تتعبد له) .

قلت :

اعلم أن جناب العزة الإلهية غيور، ولذلك سمي بعرض الذهن مثلا لتصوير مدرك ما من المدركات هو عبادة من ذلك الذهن لذلك المتصور هكذا هو معاملة الحق تعالى لخواصه، وأما العباد فلا يصلحون لهذه المنافسة، ولا يؤاخذون هذه المواخذة فإن العلم لم يذهب بهم عن السوى، بل هم مطالبون بإثباته .

قوله :

(وقال لى: لا تبع ما عرفتني فيه من حالك بما لم تعرفه) .

قلت :

(اعلم أن القلب الخاص هو أبدا مترق بين الظاهر وبين الباطن كما ذكرنا أنفا فى التجلى له فيه وجه الحقيقة من قول أو فعل فهو فرض الذى يجب عليه مراعاته . فأما ما نقله الشهود عنه من مسائل الظاهر إلى

مقابلاتها من مسائل الباطن فلا ينبغي أن يقبله فهو لما انتقل إليه وإلا عاد مما انتقل إليه إلى ما انتقل عنه فيكون هذا انسلاخا من حق خاص (١٥١/أ) هو فرضه، وذلك نقص.

قوله :

(وقال لى: هيمنت الرؤية على المعرفة، كما هيمنت المعرفة على

العلم) .

قلت :

هذا من تمام ما قبله، فإنه إشارة إلى الإرشاد فيما إذا كان الانتقال من مسائل المعرفة إلى مسائل الرؤية . فنهاء أن يتعلق بمسائل المعرفة بعد ما لاحت له مقابلاتها من مسائل الرؤية . وذلك كأن الرؤية مهيمنة أى محيطية بمسائل المعرفة، وقد كان منهيها عن التعلق بمسائل العلم بعد أن لاحت له مقابلاتها من مسائل المعرفة، وقد اتفق أن للعلم دعاة وهم على الحق لا على الحقيقة يدعون إلى مخالفة المعرفة وهم مغدورون عند أهل المعرفة . وأهل المعرفة معتوبون عندهم، وماذا لك إلا لكان هيمنة المعرفة على العلم، فسبحان من بطن بما به ظهر، وظهر بما به بطن، وكان كما لم يزل فيما بين الأزل والأبد وفى حقيقة المدى والأمد لا إله إلا هو وحدانية تتفى سواه ولا تثبت إلا إياه .

قوله :

(وقال لى: إن أثبت السوى ومحوته فمحوك له إثبات) .

قلت :

يعنى أن السوى لم يكن قط فينحى، فمن أثبت السوى أثبت ما لم يثبت قط ، فمن نفاه فقد اعترف بإثباته قبل ذلك النفى فيكون بذلك النفى مثبتا له .

قوله :

(وقال لى: من رأى شهد أن الشئ لى، ومن شهد أن الشئ لى لم

يرتبط به) .

قلت :

اعلم أن الشيتية هي للوجود، وهو الوجود المحض، ومن لا يرى وجودا لغيره تعالى لم يكن له خصوصيته بشئ دون شئ، فلا يرتبط بشئ معين .

قوله :

(وقال لى: ما ارتبطت بشئ حتى تراه لك من وجه، ولو رأيت لى من كل وجه لم ترتبط به) .

قلت :

مثاله أن لك سمعا وبصرا وتعتقد أن لربك تبارك وتعالى سمعا وبصرا، فلو شهدت أن السمع والبصر حقيقة إنما هما لله تعالى لم تدع ولا فى لمحة واحدة (١٥١/ب) أن لك سمعا وبصرا وتدعى أيضا أن لك قوة، ولو شهدت حقيقة أن القوة لله جميعا لم تتعلق بدعوى القوة أنها لك أبدا .

قوله :

(وقال لى: من لم يرنى رأى الشئ لى، ولم يشهده لى، وما كل من رانى شهد ما رأى) .

قلت :

يعنى من لم يره عيانا اعتقد أن الشئ ملك له ولم يشهده فإن الشهود فى اصطلاحهم إنما هو بأن يصير الحق تعالى سمع الشاهد وبصره وجميع مداركه ومشاعره، وبذلك يقال للعبد إنه مشاهد؛ فلذلك قال من لم يرنى رأى الشئ لى ولم يشهده لى . واعلم أن من يشهده له لم يجعل اللام فى له للملك، وأما من لم يشهده فإنما يجعلها للملك؛ فظهر مما ذكر أن ما كل من رأى شهد ما رأى .

قوله :

(وقال لى: الشهادة أن لا تعرف، وقد ترى ولا تعرف) .

قلت :

سمى المشاهد عارفا، وسمى "الرأى والمحبوب" ليس بعارف .

٣٧- موقف الدلالة :-

قوله :

(أوقفنى فى الدلالة وقال لى : المعرفة بلاء الخلق خصوصه وعمومه وفى الجهل نجاه الخلق خصوصه وعمومه) .
قلت :

المعرفة بالنسبة إلى خصوص الخلق (وهم العارفون) هى بلاء؛ لأنهم مطالبون بمفارقتها بمقتضى الرؤية وتقدم معنى هذا، وأما المعرفة بالنسبة إلى عموم الخلق (وهم المحجوبون) فهى بلاء أيضاً؛ فهم مطالبون بالتلبس بها، ولا قدرة لهم على ذلك وهم عوام حتى يكونوا خواص . وأما الجهل بالنسبة إلى خصوص الخلق فليس هو إلا الفناء وفيه نجاه الخواص، وأما الجهل بالنسبة إلى عموم الخلق فليس إلا عدم العلم، ولا شك أن الخالى من العلم لا يتركب عليه الحجة المترتبة على العلماء؛ فهذا القدر نجاه لهم .
قوله :

(وقال (١٥٢/أ) لى : معرفة لا جهل فيها لا تبدو، جهل لا معرفة فيه لا يبدو) .
قلت :

قد فسرنا الجهل الخاص بالخواص بأنه الفناء، فمعرفة لا فناء للرسوم فيها هى لا تبدو أى لا تتحقق، وأما الجهل الذى لا معرفة فيه فهو عدم العلم ومعلوم أن الجهل بهذا التفسير هو صفة، عدم أو عدم صفة، والعدم لا يبدو أى لا يتحقق .
قوله :

(وقال لى: أدنى ما يبقى من المعرفة اسم البادى) .
قلت :

اعلم أن المعرفة كما ذكرنا مرارا إنما تكون عن التجلى الإلهى، فقد يكون التجلى هو من حضرة اسم من الأسماء، فأقل ما يبقى فى محل المتجلى عليه أى فى قلبه اسم تلك الصفة الإلهية التى كان منها، وقد يبقى مع اسم البادى معانيه على حسب سعة التجلى وضيقة، وفى هذا التنزل فائدة ينبغى التنبيه لها وهى فى قوله أدنى ما يبقى : فجعل المعارف هى من قبيل ما يبقى بعد ذهاب التجلى . واعلم أن ما يبقى إنما هو علم المعرفة لا المعرفة، غير

أنه سماها معرفة بضرب من المجاز، وذلك بعلاقة أن علم المعرفة هو من لوازم المعرفة، فعبر باسم الشيء عن اسم ما يؤول إليه كتسمية العنب في (أعصر خمرا) بالخمير .
قوله :

(وقال لى: عرفنى إلى من يعرفنى يرانى عندك فيسمع منى، ولا تعرفنى إلى من لا يعرفنى يراك ولا يرانى فلا يسمع منى وينكرنى) .
قلت :

اعلم أن المشايخ رضى الله عنهم متأديون بهذا الأدب، فقد كان قدماهم كذلك حتى الحلاج رحمة الله عليه، فقرب المحجوبين بربه عز وجل فراوه ولم يروا ربه تبارك وتعالى؛ فأنكروا وترتب على ذلك الإنكار مالا ولو حفظ أهل هذا الشأن سره لم ينكر .
قوله :

(وقال لى: إذا عرفت من تسمع منه عرفت ما تسمع) .
قلت :

هذا خاص بالحق تعالى، وهو أنك إذا عرفت عرفت ما تقول، وأما فى المخلوقات فلا يلزم العربى إذا عرف العجمى (١٥٢/ب) أن يعرف ما تقول .
قوله :

(وقال لى: لن تعرف من تسمع منه حتى يتعرف إليك بلا نطق) .
قلت :

هذا أيضا دليل على أنه أراد بمن تسمع منه إياه تعالى؛ ولذلك خص الكلام بما يخصه تعالى دون غيره، وهو تعرف إلى عبده دون نطق، ونفى بالتعرف دون النطق التجلى .
قوله :

(وقال لى: إذا تعرف إليك بلا نطق تعرف إليك بمعناه فلم تمل فى معرفته) .
قلت :

التعرف بلا نطق هو التجلى، والعرفان هو الإحساس بمقام المتجلى بما أفناه من رسوم المتجلى عليه، والمعرفة اسم لما يبقى من علوم ذلك

التجلى فى المحل، وأقلها اسم البادى كما تقدم، ويظهر من هذا أن التعرف بلا نطق هو أعلى من التعرف بالنطق، والأمر كذلك، وإنما يحصل الميل فى التعرف بلا نطق من جهة أن الميل يحصل من العبارات النطقية لما فى الكلام من المجاز والحذف والإضمار والإطلاق والإجمال وغير ذلك، قالتعريف بلا نطق خالص من هذه الاحتمالات .
قوله :

(وقال لى: أنكرتتى كل معرفة لم أشهدها أننى جاعلها، وهربت إلى كل سريرة لم أشهدها أننى مطالبها) .
قلت :

اعلم أن هذه التنزلات إنما هى بالسنة الأحوال، وتتفصل وارداتها فى نطق العبد مطابقة للأحوال أنفسها . فقوله أنكرتتى ليس على ظاهره، فإن الذكرى إنما تكون عن نسيان، وليس هذا محل النسيان، لكن المراد أن حال كل معرفة حال من يذكر بنفسه لا أنها بذكر الحق تعالى، والمعرفة التى لم تشهدها هى التى نقل لا منازلها فهى مجعولة أى من عالم الخلق وإنما السرانر التى لم يشهدها فهى التى لم تنازلها التجليات الإلهية فهى هاربة إليه، وهو مطالبها، فإن لسان العلم (١٥٣ / أ) متوجه إليها وحججه قائمة عليها .
قوله :

(وقال لى: خوف كل عارف بقدر ما استأثرت معرفته بنفعه فى معرفته) .
قلت :

قد تقرر مرارا أن التجلى العرفانى يحو الرسوم ويذهب النوعوت؛ فإذن لا يبقى على العارف خوف إلا بمقدار ما استأثر فيه بنعته أى بمقدار ما لم يفن من نعته، بل بقى فى معرفته والبقية حجاب .
قوله :

(وقال لى: كل أحد تضره معرفته إلا العارف الذى وقف بى فى معرفته) .
قلت :

قد علم أن العارف ما دام عارفا ففيه بقية عارف ومعروف ومعرفة وهذه مراتب للثنوية فيها مدخل إلا العارف الذى وقف بالحق فى معرفته فإنه

خالص من هذا الشرك، ويعنى بالعارف الذى وقف فى معرفته العارف الذى وصل إلى مقام الوقفة، ومقام الوقفة فيه مطلع على كل معرفة، فإذن خلاص العارف إنما هو بوصوله إلى مقام الوقفة .
قوله :

(وقال لى: إن عرفتى بمعرفة أنكرتتى من حيث عرفتتى) .
قلت :

إنما يعرف الحق به تعالى لا بمعرفة ولا بغيرها، فمن جعل المعارف التى هى فى الحقيقة سلما إلى معرفته حصل له الإنكار من نفس ذلك التوصل إلى العرفان .
قوله :

(وقال لى: إذا ذكرتتى عند الواقف فلا تصفى بطلع عليك ما استودعته من أنوارى) .
قلت :

الواقف هو صاحب مقام الوقفة، وهو لا يقبل الصفات من واصف بها، وإنما يقبلها من الوقفة نفسها من حيث لا يعتبر كثرة فى الوقفة. وأما طلوع الأنوار فلأن الوقفة لها أنوار ساطعة مهيمنة على كل أنوار؛ فنهاه أن يتعرض إلى تجلى ما لا يقدر على احتماله، ويجوز أن يكون التقدير: فإن (فإنه) إن لم (١٥٣/ب) يطلع عليك فيكون مأذونا له فى طلب الأنوار، وأما التفسير السابق فإن التقدير فيه : فإنك إن وصفتنى بطلع عليك .
قوله :

(وقال لى: اطرده عني كل من لم يرني تظفر بالحياة بين يدي) .
قلت :

طرده من لم يره هو بكم أسرار ه عنه، فإذا فعل ذلك لم يجد من يكدر عليه بالإنكار فيحيى بمحبوبه الحق حياة طيبة .
قوله :

(وقال لى: من سالك عني فسله عن نفسه، فإن عرفها فعرفنى إليه وإن لم يعرفها فلا تعرفنى إليه فقد أغلقت بابى دونه) .

قلت :

هذا التنزل يشهد أن معرفة النفس هي باب معرفته تعالى، فمن لا طريق له إلى معرفة نفسه لا طريق له إلى معرفة ربه عز وجل، والنفس معروفة عند أهل الله تعالى بطريقتين : أحدهما عنه نشأت وهي لا تغاير أصلها إلا بالاعتبارات التي لولاها لم يسكنها العلم، فإن البسيط لا يعلم شيئا إلا علما ذاتيا لا يشعر به، والطريق الثاني أنها هي الغاية المطلوبة لكل طالب ولا يمكن لطالب أن يتجاوزها، وفي النفس أسرار لا تستطيع العقول غير المتنورة أن تسمع نعت من نعوته .

قوله :

(وقال لى: المعارف المتعلقة بالسوى نكر فى المعارف التى لا تتعلق

به) .

قلت :

السوى إن كان ليس إلا عقائد كاذبة فلا يكون فى المعارف وإنما ههنا معان يدق إدراكها : منها أن الشهود يقضى بأن وجود المشهود يستغرق وجود كل مظهر من مظاهره، فالوجود فى الجميع واحد، وليس هناك شئ سوى الوجود، فالمعارف المتعلقة بالسوى تتعلق بالعدم وهو نكر .

قوله :

(وقال لى: لو أحببى الجاهل لعفوى عما جهل، (١٥٤/أ) ولو أحببى العالم لجودى عليه بما علم، فالجاهل يعلم عفوى ولا يشهده فيحببى بإشهاد، والعالم يعلم عطائى وجودى ويشهد فى جريرتة مواقع عفوى فيحببى لما شهد) .

قلت :

هذا التنزل مضطرب العبارة لأن جواب لو محذوف منه فى الموضوعين معا ، وحاصله أن الجاهل لا يحب لعدم شهوده، والعالم يحب لموقع شهوده مواقع العفو .

قوله :

(وقال لى: من أحببته أشهدته، فلما شهد أحب) .

قلت :

هذا ظاهر ..

قوله :

(وقال لى: المعرفة نار تأكل المحبة لأنها تشهدك حقيقة الفنى

عناك) .

قلت :

قلنا مرارا إن المحبة من مقامات العوام، والمعرفة من مقامات الخواص؛ فالمحبة تقتضى بقاء الرسم؛ لأن المحب صاحب غرض، وأما المعرفة فهي تغنى رسم ما حصل التعرف فيه، فالمعرفة بالقضاء تشهدك أن الوجود ليس لك ولأما وجود له فهو مستغن عنه .

قوله :

(وقال لى: الوقفة نار تأكل المعرفة لأنها تشهدك المعرفة سوى) .

قلت :

هذا ظاهر المعنى .

قوله :

(وقال لى: الشهوة نار تأكل الوقار، ولا طمأنينة إلا فيه، ولا معرفة

إلا فى طمأنينة) .

قلت :

المنهمك على الشهوة مبتذل، ولا وقار لمبتذل، والطمأنينة التى فى الوقار هى السكون وصاحب الشهوة غير ساكن، والمعرفة إنما هى فى السكون، إذن لا معرفة مع الشهوة، ويعنى لا معرفة كاملة لقوله عليه السلام: (لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد) . أى لا صلاة كاملة لأنا نحكم بصحة صلاة جار المسجد فى بيته .

قوله :

(وقال لى: الهوى ياكل ما دخل فيه) .

قلت :

يريد هوى النفس، وهذه التنزلات المكتوبة فى هذه الصفحة هى من مقام التصوف (١٥٤/ب) وهو مقام نازل بالنسبة إلى ما فوقه .

قوله :

(وقال لى: الجزاء مادة العبد إن انقطعت عنه انقطع)

قلت :

إنما يعبد ليجازى وإلا انقطع ..

قوله :

(وقال لى: سرت الدلالة إلا إلى، فلا دليل يعلم ولا مدلول يسلك) .

قلت :

لا يدل على الله إلا الله عز وجل، وأما من سواه فأول ما يرى فيه

الدليل .

قوله :

(وقال لى: الدال كالطالب، فانتظر على ماذا تدل فإنك طالبه وبطلبك

آخذ)

قلت :

الدال طالب للغاية ويطلبه المدلول ليوصله .

قوله :

(وقال لى: الخوف مصحوب المعرفة وإلا فسدت، والرجاء مصحوب

الخوف وإلا قطع)

قلت :

يعنى بالمعرفة التى تفسد إن فارقها الخوف: المعارف المتجلية من عالم الجلال، وأما المعارف التى من عالمه، فلا يصحبها خوف ولا تفسد بعدمه، وأما الرجاء فإنه إن لم يكسر من حدة الخوف وإلا أفضى إلى انقطاع الخائف، فإن الخوف الذى لا رجاء معه قاطع لا محالة .

قوله :

(وقال لى: مصحوب كل شئ غالب حكمه، وحكم كل شئ راجع إلى

معنويته، ومعنوية كل شئ ناطقة عنه، ونطق كل شئ حجاب إذا نطق) .

قلت :

مصحوب الشئ ملزومه، ولولا غلبة الملزوم ما صحبه اللازم، وأما رجوع الحكم إلى المعنوية، فإن المعنوية هى التى يقتضى الحكم كما تقتضى الإنسانية النطق والتعجب والتفكر وأشبه ذلك، وأما كون المعنوية ناطقة عن الشئ فالمراد أنها ظاهرة فيه فلذلك لا يلتبس الإنسان بالفرس، وهذه الأمور اعتبارية لا مدخل للمعارف فيها وهى بالعلوم أشبه . وأما قوله ونطق كل شئ حجاب (١٥٥ / أ) فهو من قبيل المعارف، فإن الإنسان مثلاً إذا نطق فلا بد

أن يرى أنه نطق، فنسبة النطق إلى نفسه في الحقيقة حجاب؛ لأنه دال على ثبوت الأنانية عنده وهي الجاب بعينه، ولذلك قيل :
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه
قوله :

(وقال لى: المعرفة الصمتية تحكم والمعرفة النطقية تدعو).

قلت :

اعلم أن التجليات الأسماوية الجزئية إذا وردت أبقت في القلب معارف يمكن اللسان أن ينطق بها مع ما يشتمل لفظه عليه فيها من الغلط، أما التجلى الذى يحو الأسماء والصفات فذلك لا نطق معه وهو يحكم على السر ذاتيا لا نطق فيه بخلاف المعرفة النطقية، ومعنى كون المعرفة النطقية تدعو أنها تدعو السامع إلى اتباع ما اقتضاه تجليها .

قوله :

(وقال لى: الحكم كفاية والدعاء تكليف).

قلت :

الحكم يقتضى أن يكف العارف عن النطق وغيره فلا يحوجه إلى غير الصمت، وأما المعرفة النطقية فإن فيها تكليف الناطق أن ينطق، وتكليف السامع أن يسمع .

قوله :

(وقال لى: اردد إلى كل قلب ينصح لى فى الموعظة).

قلت :

يعنى ماردد إلى اعتقد أنه منى وإلى لأنه شارد فأنت تردده، والنصح فى الموعظة دليل المحبة من الواعظ لله تعالى .

قوله :

(وقال لى: إن رددت القلوب إلى ذكرى فماردتها إلى).

قلت :

يعنى : إن اعتقدت أن أهل الأذكار هم أهل الله فليس الأمر كذلك .

قوله :

(وقال لى: أنا العزيز الذى لا يهجم عليه بذكره ولا يطلع عليه

بتسميته).

قلت :

معناه أن ذكره (١٥٥/ب) وإن كان أقرب حجبته إليه فحجاب العزة أقرب منه لأن العزة صفة ذاتية، والذكر صفة فعلية فهو لا يهجم عليه بذكره ثم إنا نقول إنه لا وصلة إليه بأشرف من ذكره ولكن عليه إن لم يفن فيه الذكر لم يصح التجلي؛ فلذلك قال لا يهجم عليه بذكره أى لا يشهد بحضور ذكره، وأما قوله ولا يطلع عليه بتسميته، فإن التسمية جعلت فينا دلالة على المسمى، وليس الأمر فى جناب العزة كذلك .
قوله :

(وقال لى: أنا القريب الذى لا يحسه العلم، وأنا البعيد الذى لا يدركه العلم) .
قلت :

العلم عنده يطلق ويراد به مدركات الحس، ويطلق ويراد به مدركات العقل، فقوله لا يحسه العلم يريد به لا يدركه الحس، والحس إنما يدرك القريب فلذلك نسب الأمر فيه إلى الحس فقال لا يحسه، وأما أنه البعيد الذى لا يدركه العلم فالمراد بالعلم إدراك العقل ونسبته إلى البعد لأنه يفتقر إلى النظر فى المقدمات، وهو إدراك الأمور البعيدة .

٣٨- موقف حقه :-

قوله :

(أوقفنى فى حقه وقال لى : لو جعلته بحرا تعلقت بالمركب، فإن ذهبت عنه بإذهابى فبالسير، فإن علوت عن السير فبالساحلين، فإن طرحت الساحلين فبالتسمية حق وبحر، وكل تسميتين تدعوان، السمع يتيه فى لغتين فلا على حقى حصلت ولا على البحر سرت، فرأيت الشعاشع ظلمات والمياه حجرا صلدا) .

قلت :

اعلم أن حقه هو التعلق به دون كل ما بدا (١٥٦/أ) وما لم يبد من سفلى وعلوى وغيب وشهادة وإلهى وكونى، ونعنى بالإلهى ما هو جزوى (جزئى) كالأسماء الإلهية بالنسبة إلى الذات، فإن تعلق بغيره ولو بأقل الاعتبار لم تقبل منه، وقد ضرب فى ذلك مثلا بالبحر ليعلمنا أنا لا يتعلق

بحقه بلا واسطة فقال لو جعلته بحرا تركت أيا الإنسان البحر وتعلقت بالمركب يعنى السفينة ما ذاك إلا لميل نفسك إلى الأغيار، ولو تعلقت بالبحر لكان هو الأجود، ولو قررنا أنا أذهبنك عن التعلق بالمركب الذى هو أظهر أسباب البحر لتعلقت بالسير واعتقدت أن السير يوصلك إلى، ثم لو قررنا علوك أيها الإنسان عن التعلق بالسير على أن يجعله سببا للوصول لتعلقت بالساحلين وهما مبدأ السير ومنتهاه فيكون محصورا بين حاصرين، وقاصد الله لا يجوز أن يكون محصورا، ثم لو قررنا طرحك الساحلين واعتبارك أنها مبدأ ومنتها فلا بد أن يتعلق بالأسماء والتسمية لابد أن تكون بلغة، فاسم البحر واسم حقه مختلفان، والمقصود منهما حقه، فيتيه السمع بين اللغتين اسم حقه واسم البحر فلا يحصل حقه ولا السير على البحر . قال الواقف فلما رأيت الشعاشع ظلمة والمياه حجرا صلدا، والمراد برؤية الشعاشع ظلمة أنه رأى الأشعة التى توهم الإرشاد هى مظلمة بمنزلة الظلمة فرأيت ما البحر الذى يوهم السير عليه حجرا صلدا لا يمكن السير عليه، فكأنه قال لم أجد فى شئ إرشاد إليه تعالى غيره، وقد كان ذكر فى موقف البحر ما يشبه هذا المعنى فانظره هناك .

قوله :

(وقال لى: من لم ير هذا فما وجب عليه حقى، ومن (١٥٦/ب) رآه فقد وجب عليه حقى، ومن وجب عليه فكلم سواى كفر، والحد كله حجاب لا أظهر من ورائه، وليس فى رؤية حقى إلا رؤيته، فرأيت ما لا يتغير فأعطانى حكما يتغير؛ فرأيت كل شئ خلقا) .

قلت :

يعنى من لم ير أنه لا مرشد إلا هو تبارك وتعالى فما وجب عليه القيام بحقه وهو التعلق به تعالى دون غيره ثم كلم سواه فقد كفر أى بتر وجه الحقيقة بالشرك، ثم بين وجوه الكفر الحجابى فقال "الحد كله لا أظهر من ورائه"، ويعنى بالحد ما به تتمايز الأسماء والصفات، بل ما به تتمايز كل الموجودات، وإنما يظهر بما تتحد به، والوجود الصرف المشترك لها كلها، ثم بين كيف رؤية حقه فقال هو شهود الوجدانية وعبر عن ذلك بقوله "وليس فى رؤية حقى إلا رؤيته" أى اعتبار واحد . قال الواقف فرأيت وجه الوجدانية وهو ما لا يتغير وأعطانى ما لا تنفيه حكما (بنفيه) حكم) يتغير أى

يتغير مع المتغيرات بحسبها، وتحفظ وجه الوجدانية فيها كلها، فلما نظرت إلى التغيرات رأيت كل متغير خلقا، والواحد هو الجامع بقيوميته واحد لا يتغير فليس بخلق .
قوله :

(وقال لى: لا نتنن، فما بقى خلق وانقسمت الرؤية عينية وعلمية، فإذا هو كله لا يتحرك ولا يتكلم) .
قلت :

يعنى أن المشهد الذى أشهده فيه ما لا يتغير فأعطاه ما يتغير فأثبت له أن التغيرات كلها هى الخلق، وفى المتغير نظر لا يليق كشف سره فقال له (١٥٧ / أ) عندما أشهده الخلق أنه لا نتنن من التغيرات شئ فما بعد خلقه إلا وهو فيها، ثم قسمها له أعنى التغيرات التى تتغير فى العيان الحسى والتى تتغير فى الأذهان من الإدراك العلمى، ثم أشار إليه إشارة جامعة فقال له "إن التغيرات والمتغيرات إذا اعتبرت ما بين الأزل والأبد وذلك ينفى الأولية والآخريه، لم يجد الكل من حيث هو كل إلا متغيرا"، وقد عبر عن هذا المعنى بعضهم بقوله : لم يتخذ ولدا له فأين التجدد.
قوله :

(وقال لى: كيف رأيته من رؤية حقى، فقلت يتحرك ويتكلم، فقال لى اعرف الفرق لنلا نتية . وعرج بى عن حقه فلم أر شيئا، فقال لى رأيت كل شئ وأطاعك كل شئ ورؤيتك كل شئ بلاء، وطاعة كل شئ لك بلاء، وعرج بى عن ذلك كله وقال لى كله لا أنظر إليه ولا يصلح لى) .
قلت :

هذا التزل والذى قبله لا أستطيع أن أذكر ما فيه إلا مشافهة، وينبغى أن يقنع بالإشارات لتعذر العبارات، فيعود ويقول رآه يتحرك ويتكلم عند رؤيته الخلق ووصاه على معرفة الفرق، وأما كونه لم ير شيئا فإن حقه يستغرق كل شئ، فلما عرج به عن حقه لم ير شيئا، وقوله رأيت كل شئ يعنى فى ضمن حقه وإطاعة كل شئ لخلافية عن الأصل، ثم ينهه عن أن لا يرى الأشياء بقوله رؤيتك كل شئ بلاء يعنى اختبار، وذلك من حيث الشينيات لا من حيث حقه، وكذلك طاعة كل شئ، ثم كشف له عن وجه

الوحدانية فرآه لا ينظر إلى الشينيات لوجوده فردانيا أو لوجودها به والمعنى فيهما واحد .

٣٩- موقف بحر :

قوله :

(أوقفني في بحر ولم يسمه وقال لي : لا أسميه لأنك لي لا له، وإذا عرفتك سوى فأنت أجهل الجاهلين، والكون كله سوى فما دعا إلى لا إليه فهو منى فإن أجبته عذبتك ولم أقبل منك ما تجئ به، وليس لي منك بد وحاجتي كلها عندك فاطلب منى الخبز والقميص، فإنى أفرح، وجالسنى أسرك ولا يسرك غيرى، وانظر إلى فإنى ما انظر إلا إليك، وإذا جنتنى بهذا كله وقلت لك إنه صحيح فما أنت منى ولا أنا منك) .

قلت :

يريد بهذا البحر هنا الحيرة التى تحصل للعبد عند التجلى بين اعتبار عالم الحقيقة وعالم الخلقية . وكونه لم يسمه لأنه لوسماه تحققت الكونية فيه، فإن كل شئ إنما يتسمى بما فيه من اعتبار الإمكان والخلقية . وأما الوجه الخاص فليس له من جهته اسم . وقد ذكر هذه المسئلة (المسألة) الشيخ الغزالي رحمة الله عليه فى كتاب "مشكاة الأنوار" وذكر فيها استشهادا بقوله تعالى "كل شئ هالك إلا وجهه" (٧٧) وقد أفصح، ولكن كلامه من حضرة المعقول لا من حضرة المشهود .

قوله :

(وقال لي: لا أسميه لأنك لي لا له) أى لو أخبرتك بجهة اسمه استحضرت جانب خلقيته فانشغل باطنك عن حقى بخلقى وأنت لي لا للخلق، ثم إن من تعرف سواه فهو أجهل الجاهلين؛ إذ ليس له سوى إلا باعتبار الكون وهو اعتبار أهل الحجاب؛ لأن الشهود بنفسه، ثم إن من نظر الكون بعين الحق وجده يدعو إلى الحق لا إلى نفسه، ومع كونه يدعو إلى الحق لا إلى نفسه فقل له (إن أجبته عذبتك) والمراد أن يرى أن الداعى ليس هو الكون إنما هو الحق؛ فإن أجاب الحق سلم، وإن أجاب (أ/١٥٨) الكون عذب.

قوله :

(وليس لى منك بد) يعنى لأن حضرة الإنسانية هى ظل الحضرة وعلى صورتها وهى لازمة بمظلولها وفيها تتقابل حضرات الأسماء الإلهية والكونية مثل الرازق والمرزوق، والخالق والمخلوق، والمانع والممنوع، .. وأمثال ذلك . وهذا معنى قوله (وحاجتى كلها عندك) . ومعنى قوله (فاطلب منى الخبز والقميص) أى اشهد فى حضرة إنسانيتك فقرك إلى فى القليل والكثير . ومعنى قوله (فإنى أفرح) أى فإنى أرى أن قد عرفت فإنى كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف . فعبر عن معنى أجبث بالفرح؛ فإن المحبوب يفرح به .

قوله :

(وجالسنى أسرك) أى جالسنى بالمراقبة أسرك بتعرفى إليك . ومعنى قوله (وانظر إلى) هو أن تقابل أسماء عبوديته بأسماء الحضرة ولا تشغل بسوى ذلك، وليس فى الموجودات من يستحق نظر الحق تعالى إليه إلا الإنسان لكان أنه الخليفة . ومعنى قوله : (وإذا جئتنى بهذا كله وقلت لك إنه صحيح فما أنت منى ولا أنا منك) أنه إنما يحيى الحق بالحق لا بهذه الأشياء على وفق ما ذكر وتلاحظ فيها وجه الوجدانية فتفنى فيها الكونية، وعلامة من فعل ذلك أن لا يقال له إن هذا كله صحيح، بل يعمى عن رؤية الجميع بأحدية الجمع المتبع .

٤٠- موقف هو ذا تنصرف :-

قوله :

(أوقفنى بين يديه وقال لى : هل ترى غيرى ؟ فقلت لا، قال فانظر إلى فنظرت إليه بخفض القسط ويرفعه ويتولى كل شئ هو وحده)
قلت :

هذا الموقف يشتمل على ما يقتضيه تجليه الكلى وما يوجبه احتجابه، فأما ما يقتضيه قوله بين يديه فهو الكشف والتجلي، وذلك يقتضى أن لا يرى غيره بأن تحتجب الصور عنه، بل أن لا يرى غيره، والصور قائمة، فلا

جرم قال : هل ترى غيرى ؟ فقال لا . وقوله انظر إلى لا بمعنى إعراضك عن الصور، بل العيان يشمل والكيان يتصل لا لأنه كان منفصلا فاتصل .
قوله :

فنظرت إليه يخفض القسط ويرفعه : والقسط العدل . ثم قوله "يتولى كل شئ بنفسه وحده" أى رأى الفعل هو فعله، أعنى أفعال الخلائق أجمعين . فالإنسان المحجوب ينسب الفعل إلى نفسه، وصاحب هذا الشهود لا يرى ذلك . وفى هذا التصريح كفاية .
قوله :

(وقال لى: لا ترانى إلا بين يدي، وهو ذا تنصرف وترى غيرى ولا ترانى، فإذا رأيته فلا تجده واحفظ وصيتى، فإنك إن ضيعتها كفرت، وإذا قال لك أنا مصدقه فقد صدقته، وإذا قال لك هو مكذبه فإنى كذبتة) .
قلت :

النتزل الذكور قبل هذا يقتضى الكشف لكون الواقف كان بين يديه . وأما هذا النتزل فيقول لا ترانى إلا بين يدي، وهذا إخبار لا نهى، ثم أخبره أنه الآن ينصرف من بين يديه وهو قوله (وهو ذا ينصرف) ولفظه هوذا لفظة عواقبه، ثم أخبره بأدب الغيبة عنه إذ هو فيها يرى غيره، ولذلك قال هو ذا ينصرف، وترى غيرى ولا ترانى . والأدب المذكور هو قوله فإذا رأيته فلا تجده وسبب المعصية هنا أنه ربما بقى على خاطر العبد بعد انصرافه من الحضرة الإلهية (١٥٩ / أ) أنه ما كان رأى فيها غيره تعالى، فبقى هذا على ذكره وإن كان هو الآن لا يعاين ذلك فنهاه أن يعتمد على ما بقى فى ذكره من وقت الشهود، بل إنما يحكم الحاضر وهو فى الوقت الحاضر لا يرى الحق تعالى بل يرى السوى، فلا جرم كان من أدب هذا الممقام أن لا يجحد السوى فلذلك قال له فإذا رأيته فلا تجده وأكد عليه فى حفظ هذه الوصية، وهو أن يعتمد على العيان الحاضرون ما أبقاه الشهود فى ذكره من نفى الأغيار، فقال له (إن ضيعتها كفرت) أى سترت وجه الحقيقة، والكفر الستر، ثم حقق له المعنى بقوله (وإن قال لك أنا فصدقه) أى وافقه على ذلك؛ لأن الوقت وقت حجاب، فالغير من حيث هو غير إذا قال أنا فى حالة الحجاب يصدق، فإن حكم الحق تعالى فيه هو كذلك، وإليه الإشارة فى قوله : فقد صدقته قال : "وإذا قال لك هو" أى : وإذا قال لك السوى أنه هو

(أعنى الحق) فقد كذب فكذبه؛ فإن حكم الحق تعالى فيه والحالة هذه التكذيب، وإن كانت الحقيقة في نفس الأمر هو أن لا غير، لكن لكل مقام مقال ولكل مجال رجال .

٤١ - موقف الفقه وقلب العين : قوله :

(أوقفني وقال لي : ما أنت قريب ولا بعيد، ولا غائب ولا حاضر، ولا أنت حي ولا أنت ميت، فاسمع وصيتي، وإذا أسمىك فلا تتسم، وإذا حليتك فلا تتحل، ولا تذكرني فإنك إن ذكرتني أنسىك ذكرى، وكشف لي عن وجه كل شيء فرأيتُه متعلقاً بوجهه، وعن ظهر كل شيء فرأيتُه متعلقاً بأمره ونهيه) .

قلت : (١٥٩/ب)

اعلم أنه قد كشف في هذا المنزل ما يقتضيه الشهود الكلى، والمراد بمعنى الخطاب نفى أنانية المخاطب حتى يشهدا في مضمون المشهود الحق فيكون للحق تعالى لا له، فحاول نفياً بقوله برفع النقيضين معاً، ولو كان الواقع بينهما ثابتاً لما ارتفعاً في حق، فإنهما لا يقعان في حق شيء، فإذا المراد إعدامه البتة، وعبر عن ذلك برفعها في حقه فقال لا قريب، ولا باعتبار واحد من اعتبارات القرب . ولا بعيد ولا باعتبار واحد من اعتبارات البعد، وكذلك معنى قوله : لا حاضر ولا غائب ولا حي ولا ميت، فإن المراد كله إنما هو ليست إليها العبد بثابت مع وجود الحق ولا باعتبار واحد من اعتبارات الثبوت .

هذا في وقت كون العبد في حال الشهود، وهو يرى والمشهد بين يديه تعالى، فإن الحق تعالى لا يرى بحضور غيره . ولما كان المراد إنما هو نفى أنانيته قال له "إذا سميكتك فل انتسم" يعنى أن التسمية إنما تكون لمن هو متعين أو هو ثابت بوجه ما، ولا ثبوت لهذا العبد والحالة هذه . وكذلك معنى قوله وإذا حليتك فلا تتحل، وهو من الحلى أى الصفات . ثم أكد عليه بقوله ولا تذكرنى أى لا تثبت أنك تذكرنى فيلزم من هذا أنك ثابت، فإن الذكر لا يكون من غير ذاكر . ومعنى قوله "أنسىك ذكرى" أى ذكرى الحقيقى وهو شهودك أن ليس فى الوجود غيرى، ثم كشف لعبده عن جواب

سؤال مقدر وهو أن يقال أن العبد يقول تقديرا إذا كنت أنا غير ثابت، وكل الكائنات مثلى فيجب أن تكون هى أيضا غير ثابتة، وهذا أصعب وشنيع، وهو أن تتفى الموجودت كلها مع أن الحس يشهد بثبوتها، فحصل الجواب بقوله وكشف سر هذا هو أنه (١٦٠/أ) كشف له أن كل وجه هو وجهه، فما ثم اثنان ولا يمكنه أن يصرح بأكثر من هذا . والمراد بقوله "عن وجه كل شئ" أى عن حقيقة كل شئ، وخص ذكر الوجهية ليشعر بأنه (بان) المراد حضرة الشهود، وكل شئ فيها هو وجه أى مواجه من حيث لا تغاير، ثم أشار إلى حضرة الحجاب بقوله (وعن ظهر كل شئ)، أى عن حقيقة كل شئ فى عالم الحجاب وبالنسبة إلى نظر أهل الاغتراب فجعل ذلك ظهرا فكان حال العبد بقوله له فما حكم هذه الحقائق فى عالم الحجاب فقال "هى متعلقة بالأمر والنهى" يعنى بالشرعية المطهرة، فاعلم ذلك .
قوله :

(وقال لى: انظر إلى وجهى فنظرت، فقال لىس غيرى، فقلت لىس غيرك) .
قلت :

نظره إلى وجهه يستغرق نظره إلى كل شئ، ولذلك قال فى التنزل الذى قبل هذا "وكشف لى عن وجه كل شئ فرأيتة متعلقا بوجهه، قال لى لىس غيرى فقلت لىس غيرك" . وليس المراد (هنا) هو أن يقول لىس وجهى غيرى، بل المراد "لىس غيرى" أى لىس الوجود غيرى .
قوله :

(وقال لى: انظر إلى وجهك، فنظرت، فقال لىس غيرك، فقلت لىس غيرى، فقال اخرج فأنت الفقيه، فخرجت أسعى فى الفقه، وصح لى قلب العين فقلبت بها بالفقه، وجئت بها إليه، فقال لا أنظر إلى مصنوع) .
قلت :

اعلم أن فهم معنى هذا التنزل سهل والتعبير عنه صعب، وهو متعلق بالذى قبله، وحاصل الأول أنه نظر إلى وجه الحق بالحق فلم ير غيره . وفى التنزل الثانى نظر العبد إلى وجه نفسه أى إلى حقيقته فرأها لىست غيره، لكن إنما رآها (بعين) الحق وهنا بحر . ومن لطائف هذا البحر (١٦٠/ب) أنه لما نظر إلى وجه نفسه بعين الحق فلم ير غير نفسه فإنه شهد حضرة الربوبية

فيطويه في حضرة الإنسانية الشاملة للحضرتين : حضرة الربوبية، وحضرة العبودية . فإن حضرة الإنسانية أوسع دائرة من الحضرتين المذكورتين . وإذا تقرر هذا فنقول إنه لم ير الحضرتين غيره، فقال ليس غيري، وإنه في التزل الأول لما نظر إلى وجه الحق بالحق لم ير غيره لا بالوجه الذي نظر به إلى نفسه، فإن ذلك الوجه كان النظر إلى حقيقته الإنسانية . وهذا النظر هو نظر إلى حقيقة أحدية الجمع المساوقة في الموازنة للمرتبة الإنسانية، ومن خواص هذين النظريين أو أي نظر اعتبرته منهما دخل فيه النظر الآخر بجميع ما يتعلق به دخولا لا يوصف بأنه ضرب من ضروب الفقه، ولدخول كل نظر منهما في الآخر بجميع متعلقاته، وصيرورة كل منهما من حقيقة الآخر يسمى هذا قلب العين . فلما أشهد العبد هذين المقامين وعرف نفسيهما الذي به تتقلب الأعيان تارة من حضرة أحدية الجمع إلى حضرة الإنسانية، وتارة من حضرة الإنسانية إلى حضرة أحدية الجمع، قيل له "اخرج فأنت الفقيه، قال فخرجت أسعى في الفقه" أي أستجلى تفاصيل ما ينقلب أعيانه بموجب هذا الفقه، وسمى ذلك سعيًا في الفقه، قال "وصح لي قلب العين" أي بذلك الفقه، وقال فلما قلبها بالفقه صارت كأنها من المصنوعات فلما جاء بها إليه قال "لا أنظر إلى مصنوع" وذلك أن الخطاب كان من أحدية الجمع وهي محيطة بكل شيء ما خلا الرتبة الإنسانية، فإن كل واحد منهما محيط بالآخر من وجه وجه (١٦١ / أ) .

٤٢ - موقف نور :-

قوله :

(أوقفني في نور وقال لي: لا أقبضه ولا أبسطه ولا أطويه ولا أنشره ولا أخفيه ولا أظهره، وقال يانور انقبض وانبسط وانطو وانتشر واخف واظهر، فانقبض وانبسط وانطوى وانتشر وخفى وظهر، ورأيت حقيقة لا أقبض وحقيقة يانور انقبض) .

قلت :

اعلم أنه لما أوقفه في شهود نور لا يغير ذاته تعالى؛ ولذلك قال لا أقبضه ولا أبسطه إلى آخره، لأنه غير منفصل فلا يكون مفعولا .

ولأن المفعول أبدا غير الفاعل فلا لم يكن هذا النور غيره تعالى لم
يجز أن يكون مفعولا لتغاير ما بين الفاعل والمفعول . وأما قوله "يانور
انقبض إلى آخره" فهذا القول ليس قولاً باللفظ، لكن ذات النور تقتضى هذه
الحركات التى عينها؛ وذلك لأن النور هو حقيقة جوهر الوجود وهو شئ ما
فى الخارج لأن الحق تعالى فى الخارج وهو النور والنور من أسمائه . ولما
كان النور هو الوجود، والوجود لا حقيقة للعدم فيه، استحال سكونه؛ لأن
السكون ضرب من العدم . فلا جرم لما استحال سكونه كانت حركته بالذات.
وإذا اقتضت الذات شيئا اعتبر عن ذلك الاقتضاء بالقول، فهو قوله : وقال
يانور انقبض إلى آخره . وهذه الحركة من شهدا فقد استغنى. قال ابن
سبعين ^(٧٨) فى أثناء كلام له يصف هذه الحركة "وإن كان اللفظ لم يساعده
وصورة لفظه هذا ينعكس قبل فرضه وتتنوع من صفة نفسه من حيث تثبت،
فتنوعه إذن من صفة نفسه، وهذه الحقيقة تمنع من أن يكون النور مما يقبضه
غيره أو يبسطه، فإن لا يقبضه ولا يبسطه". ثم إن ذاته تقتضى أن تتنوع
فيصبح بهذا (١٦١/ب) الاقتضاء أن يقال يانور انقبض، وانبسط إلى آخره .
قال الواقف "قرأيت حقيقة لا أقبضه ويا نور انقبض"، وهو ما أشرنا إليه،
فظاهر الكلام يقتضى تناقضا مع أنه منزله عن التناقض عند من يشهد المراد
وألقي السمع وهو شهيد .

قوله :

(وقال لى: ليس أكثر من هذه العبارة فانصرفت فرأيت طلب رضاه
معصيته، فقال لى أطعنى فإذا أطعنى ولا أطاعنى أحد فرأيت الوجدانية
الحقيقية والقدرة الحقيقية، فقال غض عن هذا كله وانظر إليك، وإذا نظرت
إليك لم أرض وأنا أغفر ولا أبالى) .

قلت :

اعلم أنه صرح فى هذا التنزل بما لم يصرح به فى غيره من إشارته
إلى الحركة الذاتية، ولعظم ما صرح (به) قال له "لا أعطيك أكثر من هذه
العبارة" أى فى هذه المواقف: أما أولا فلأنه أغناه عن طلب المزيد، وأما ثانيا
فلأن ما أعطاه كلى شامل، فإن أعطاه شيئا آخر من العبارة فإنما يكون من
تفصيل ذلك الكلى فيكون كالمكرر الذى لا حاجة إليه .

قوله :

فرأيت طلب رضاه معصيته تقول أى نظرت بمقتضى ما شهدت
فرأيت طلب رضاه هو حركة من جملة تلك الحركات التى هى الانقباض
والانبساط وغير ذلك مما هو فى قوله ذلك النور وتلك الحركات ذاتية له، فإن
أردت أن أجعل بعضها اختياريا لى وقعت فى معصيته ولا سبيل إلى النجاة
من ذلك ما دام الطلب واقعا، ثم خاطبه بلسان الشهود وهو قوله أطعنى،
ومقتضى قوله له هنا أطعنى أى كن معى على ما يقتضيه ما شهدت منى لا
طاعة التى هى عمل بمقتضى العلم، فإن تلك هى الطاعة التى (١٦٢ / أ)
وجدها معصية وصورة طاعته بمقتضى ما شهد أن يعمل، والعامل هو الحق
فى شهوده، ولذلك قال له فإذا أطعنتى فما أطعنتى ولا أطاعنى أحد . قوله
فرأيت الوجدانية الحقيقية أى فى اتحاد العامل بالطاعة . قوله : والقدرة
الحقيقية أى فرأيت القدرة التى بها انعمل ذلك العمل الذى هو الطاعة إنما هو
القدرة الحقيقية يعنى الإلهية؛ وذلك لاتحاد العامل فى شهوده. ثم أمره بعد هذا
أن يغض ويرجع إلى نظره إلى نفسه إغضاء له من الغرق فى بحر
الوجدانية . ثم قال له لا أرضى بنظرك إلى نفسك؛ إذ ليست طريقا إلى لكنى
أغفر لتلك ولا أبالى بما نلت من الزلفى لدى والكرامة عندي .

٤٣- موقف بين يديه :-

قوله :

(أوقفنى بين يديه وقال لى : مارضيتك لشيء ولا رضيت لك شيئا،
سبحانك أنا أسبحك فلا تسبحنى، وأنا أفعلك وأجعلك فكيف تفعلنى؟ فرأيت
الأنوار ظلمة والاستغفار مناواة والطريق كله لا ينفذ، فقال لى سبحك وقديسك
وعظمتك وغطك عنى ولا تبرزك فإنك إن برزت لى أحرقتك وتغطيبت
عنك) .

قلت :

معنى بين يديه هو رؤيته تعالى والمعنى فيها أنه مارضيه لشيء ولا
رضى شيئا له، والمراد بهذا معنى قوله تعالى "وأصطفىك لنفسى" والحق
تعالى لا يشاركه فيما اصطنعه لنفسه، فلما شهد العبد المصطنع أنه منزله عن
التعلق بالأشياء، خوطب سبحانه والسبحان هو التنزيه، وكأنه قال نزهتك عن

التعلق بغيري، ثم عرفه أن الحق تعالى أولى أن يسبح عنده من أن يسبحه عبده (١٦٢/ب) وذلك لأن التسبيح فعل وهو الفاعل تعالى . قوله فرأيت الأنوار ظلمة، ويعنى بالأنوار أنوار العقائد، وكذلك قوله والاستغفار مناواة أى معاداة من العداوة ؛ كل ذلك لبطلان حقيقة العمل فى حقه والحالة تلك فإنه لم يكن حاضر العقل ولأن طريق العمل بالعلم عنده إذ ذاك عطب وهو قوله أن الطريق لا ينفذ، ثم إنه لما سد عليه طريق العمل له تعالى بقوله أنا أسبحك فلا تسبحنى رده إلى نفسه فأمره أن يسبح نفسه بقوله سبحك وقدسك وعظمك؛ وذلك لأنه أشهده أنه إذا سبح نفسه ومع تسبيحه لله تعالى، وذلك لما اقتضاه له الفردانية ولم يرد سبحك من كونك غيرى؛ فإن ذلك لا يمكن بدليل قوله وغطك عنى ولا تبرزك إلى .
قوله :

(وقال لى: اكشفك لى ولا تغطك فإنك إن تغطيت هتكك وإن هتكك)

قلت :

لم أسترِكَ فتغطيت، ولم أبرز وتكشفت، ولم أغط، فرأيتَه يرضى ما لا يرضى ولا يرضى ما يرضى، فقال إن أسلمت أحدث، وإن طالبت أسلمت، فرأيتَه فعرفته ورأيتَ نفسى فعرفتُها، فقال لى أفلحت، وإذا جئت إلى فلا يكن معك من هذا شئ؛ لأنك لا تعرفنى ولا تعرفك) .

قلت :

هذا التزل مرتبط بما قبله، إلا أن ذلك قيل فيه لا تبرزك إلى، وفى هذا القول أكشفك لى ولا تغطك، ولكل منهما وجه هو به حق، وهو فى هذين التزليين استعمل الفاعل والمفعول لعين واحدة، والعادة فى غالب كلام العرب أن لا يستعمل مثل هذا إلا فى أفعال الشك مثل ظننتى وخلتتى، ومعنى أكشفك أى أظهر عدمية ذاتك، ولا تسكت عن التصريح بعدميتها سكوتا (١٦٣/أ) يوهم أنك تراها ثابتة .

واعلم أن الأعيان والذوات إذا جردتها عن الوجود لم يبق لها ذات فإذن ذواتها ليس إلا أحكام الوجود، فما ثم إذن إلا الوجود وهو له سبحانه وأحكام الوجود وهى ذواتنا وما لا ذات له فى نفسه إلا الاعتبار فى الوجود فالعدم أولى به ذاتا ووصفا . قوله فإن تغطيت هتكك أى هتكك بالجهل والحجاب، وإن هتكك بهما لم أسترِكَ بستر العرفان قال . فتغطيت بمقتضى

ما أمره به فى التنزل الأول. قال ولم أبرز وتكتشف ولم أتعط بمقتضى ما أمر به فى هذا التنزل، وحقيقة التغطى هو إسقاط الأنانية من الاعتبار، وحقيقة التكتشف هو أن لا تخفى هذه العدمية .
قوله :

فرايته يرضى ما لا يرضى، أى يرضى فى العلم بما لا يرضى به فى المعرفة . ومعنى قوله :ولا يرضى ما يرضى أى ولا يرضى فى المعرفة ما يرضى به فى العلم، ثم تبين له أنه ليس من أهل العمل بالعلم كما يقتضيه مقام الإسلام . فقال له إن أسلمت أهدت أى رجعت إلى الثبوت المعفو عنها بعد الوجدانية، قال وإن طالبت أسلمت أى وإن طالبت بالجنة كما يقتضيه مقام الإسلام أسلمت أى أعدت إلى مقام الإسلام بعد أن تجاوزته، قال فرايته فعرفته بأنه الوجود ورأيت نفسى فعرفت بها أنها العدم فقال لى أفلحت .
قوله : وإذا جئت إلى فلا يكن معك من هذا كله شئ : أى وإذا اعتبرت شهودى فلا تكن، أى فإنك لا تشهد من هذا كله شيئاً لأنك إذ ذاك يضمحك رسمك فتذهب عنك صفة عارف ومعارف . وعبر عن ذهاب صفة عارف ومعارف بقوله فإنك لا تعرفنى ولا تعرفك، واعلم (١٦٣/ب) أن قوله وإذا جئت إلى لم يرد منه المجئ الحسى، بل المعنوى، وهو اعتبار الشهود فقط .

٤٤ - موقف الحقيقة :-

قوله :

(أوقنى وقال لى : من أنت ومن أنا، فرايت الشمس والقمر وجميع الأنوار) .
قلت :

اعلم أن مراده أن تتبين حقيقة العبد ما هى وحقيقة الحق ما هى ..
قوله :

فرايت الشمس والقمر وجميع الأنوار يعنى فى حقيقة قوله من أنت وأما حقيقة قوله من أنا فسوف يتبين أن ذلك مما يوجب انكساف الشمس وانكساف القمر وذهاب الأنوار كلها وعودها إلى الظلمة، ونعنى بالظلمة العدم .

قوله :

(وقال لى: ما بقى نور فى مجرى بحرى إلا وقد رأيته، وجاء نى كل شئ حتى لم يبق شئ، فقبل بين عيني وسلم على ووقف فى الظل).

قلت :

مجرى بحره هو حقيقة وجوده، والتقبيل بين عينه هو عبارة عن انقياد ما سواه إليه، وذلك هو حقيقة السلام أيضا . وأما وقوف كل شئ فى الظل فإن الظل هو العدم الإضافى؛ فإن الظل لا حقيقة له فى ذاته وإنما يتحقق بالنور المكشف لما بطن أنه مكانه وأدرك حقيقة الظل، ومن عرفه عرف حكمة كثيرة، فقوله وقف فى الظل : أى شهدت حقيقة فوجدتها كحقيقة الظل فوقفت فيه أى كانت من نسبته .

قوله :

(وقال لى: تعرفنى ولا أعرفك، فرأيت أنه كله يتعلق بثوبى ولا يتعلق بى، وقال هذه عبادتى، ومال ثوبى وما ملت فلما مال ثوبى قال لى من أنا، فكسفت الشمس والقمر وسقطت النجوم وخدمت الأنوار وغشيت الظلمة (١٦٤/أ) كل شئ سواه، ولم ترعيني ولم تسمع أذننى وبطل حسى، ونطق كل شئ فقال الله أكبر، وجاءنى كل شئ وفى يده حرية، فقال لى اهرب، فقلت إلى أين، فقال قع فى الظلمة، فوقفت فى الظلمة فأبصرت نفسى، فقال لا تبصر غيرك أبدا ولا تخرج من الظلمة أبدا، فإذا أخرجتك منها أريتك نفسى فرأيتنى، وإذا رأيتنى فأنت أبعد الأبعدين).

قلت :

معنى قوله تعرفنى ولا أعرفك : أى أنا وجود فأعرف وأنت عدم فلا تعرف . وقوله فرأيت الحق يتعلق بثوبى أى بوجودى ولا يتعلق بى أى بحقيقتى فإنها عدم، ثم قال هذه عبادتى أى شهود أنى وجود وأنت عدم هو عبادتى . قوله ومال ثوبى، الميل هو العدول عن الطريق أى مال ثوبى إلى دعوى الأنانية لأنه وجود .

قوله :

وما ملت إلى دعوى الأنانية لأنى عدم، قال فلما مال ثوبى أى انتسبت إلى دعوى الأنانية وشهد العبد ذلك سهل عليه أن يلحظ الوجود الذى الأنانية بالحقيقة إنما هى له فقيل له فى شهود ذلك: من أنا؟ يعنى أن الحق

تعالى يقول له من أنا ؟ فلما شهد العبد الأنانية المطلقة والحقيقة المحققة آنذاك
طوره طور كل شئ فى عينه فهو قوله : فكسفت الشمس إلى آخره . ثم
غشيت الظلمة كل شئ سواه، ويعنى بالظلمة العدم، فكأنه قال انعدم فى
نظرى كل شئ ثم صعق هو فى نفسه وهو قوله ولم ترعيني ولم تسمع أذنى
وبطل حسى . قال : وجاعنى كل شئ وفى يده حربة، وهذا المجئ معنوى :
أى كلما حاولت اعتبار الأشياء والحالة هذه رأيته كأن فى أيديها حرابا،
يقولون لى اهرب إلى الظلمة فوقعت فى الظلمة : أى فى العدم (١٦٤/ب)
أى شهدت أنى عدم، وهو معنى قوله فوقعت فى الظلمة فشهدت نفسى فقال لا
تبصر غيرك أبدا، ويعنى بغيره الوجود وإلا فالحقائق كلها هى ذاته وهى
عدم، وقد رآها لكنها ليست غيره ؛ ومعنى قوله : لا تخرج من الظلمة أبدا،
أى لا تر نفسك أبدا إلا عدما فأما إذا أخرجه منها بإشهاد الوجود فقد أراد
نفسه المقدسة، لكن من حقيقة رؤيته إياه أن لا يرى نفسه ما دام يراه فحقيقته
إنه هى أبعد الأبعدين؛ لأن التجلى أفناها، وما أفناه التجلى لن يعود أبدا .

٤٥ - موقف العظمة :-

قوله :

(أوقفنى فى العظمة وقال لى : لا يستحق أن يغضب غيرى فلا
تغضب أنت فإنك إن تغضب فتغضب وأنا لا أغضب، فإن غضبت أدللتك
لأن العزة لى وحدى، فرأيت كل شئ قد دخل فى الغضب) .
قوله :

وقال لى : انظر كيف أخرجك منه، فأخرجه فلم أر إلا الحجة
وحدها، فقال رأيت الصحيح .

وأوقفنى فى الرحمانية فقال : لا يستحق الرضا غيرى فلا ترض أنت، فإنك
إن رضيت محقتك، فرأيت كل شئ ينبت ويطول كما ينبت الزرع ويشرب
الماء كما يشربه وطال حتى جاوز العرش .

وقال لى : إنه يطول أكثر مما طال وإننى لا أحصده، وجاءت الريح
فعبرتة فلم تتخلله، وجاءت السحاب فأمطرت على العود وانبث الورق فاخضر
العود واصفر الورق، فرأيت كل متعلق منقطعا وكل معلق به مختفا .

وقال لى :- لا تسألنى فيما رأيت فإنك غير محتاج ولو أحوجتك ماأرينك ولا تعقد فى المزبلة فتهر عليك الكلاب واقعد (١٦٥/ أ) فى القصر المصون وسد عليك الأبواب ولا يكون معك غيرك وإن طلعت الشمس أوطار طائر فاستر وجهك عنه، فإنك إن رأيت غيرى عبتة، وإن رآك غيرى عبتك، وإذا جئت إلى فهات الكل معك وإلا لم أقبلك، فإذا جئت به رددته عليك ولا تتفكع شفاعة الشافعين .

قلت :

قد جعل الغضب من العظمة لتخصيصه إياه بموقفها وهو فى قوله : لا يستحق أن يغضب غيرى . والغضب معروف، وإنما لم يستحق أن يغضب غيره لأن الغضب هو حركة الإرادة فى طلب الانتقام من المغضوب عليه، والاسم المنتقم صفة من صفاته وتلك الحركة عن مدد والمدد وجود والوجود له سبحانه .

قوله :

ولا تغضب : أى لا تر أن الذى صدر منه الغضب هو أنت، ولم يطلب منه ألا يصدر منه الغضب البتة فإن ذلك غير ممكن وسنذكره فى قوله، ودخل كل شئ فى الغضب قوله : (فإنك إن تغضب فتغضب وأنا لا أغضب فإن غضبت أذللتك) معنى هذا الفضل أنك إن رأيت الغضب إنما هو صادر عنك فما يكون إذا صادر أعنى لاستحالة مقدور بين قادرين، وهو معنى قوله فتغضب وأنا لا أغضب لامتناع أن ينسب الغضب الواحد إلى غاضبين . **قوله :** أذللتك، أى حجت عنك أنك منى بل غيرى لاختصاصك بالغضب دونى، ولو كان غضبك هو غضبى لم تكن غيرى فعزرت بعزتى، فلما فانتك عزتى وقعت فى ذل الكون .

فحاصل ما يقول إن جعلت الغضب لك كنت غيرى فلبست ذل الأغيار، ولو (١٦٥/ ب) شهدت غضبك عين غضبى لعزرت بعزتى، وإذا كنت أنت إياى فالعزة لى وحدى، فلا يكون لك منها نصيب إذا كنت غيرى .

قوله : فرأيت كل شئ قد دخل فى الغضب، أى يصدر منه الغضب غير أنه أراه كيف يخرج منه وصورة خروجه فى نظر هذا العبد هو أن يشهد أن الغضب الصادر من كل شئ إنما هو صادر عنه تعالى لا بمعنى أنه لم

يصدر عن الجزويات (الجزئيات)، بل بمعنى أن القوة واحدة وأن الغضب واحد، وهذا من حقيقة اتحاد الفاعل .

فهذا الشهود يخرج الغضب أن يكون للأشياء أنفسها بل له تعالى . فهذا معنى قوله أخرجه منه، وهذا الإخراج ليس هو إخراجا حقيقيا؛ فلذلك قال فلم أر إلا الحجة : أى لم أر إلا أن الحجة حجة الله تعالى قائمة بنسبة الفعل إلى نفسه لا أن الفعل خرج عن فاعله المحسوس؛ فإذن لم ير إلا الحجة وحدها فلا جرم قيل له وأنت الصحيح، ثم إن هذا التجلى هو عالم الجلال وهو مقابل لعالم الجمال؛ ولذلك شرع فى وصف عالم الجمال بقوله :

أوقفنى فى الرحمانية فإن الرحمانية هى عالم الجمال، فقال لا يستحق الرضا غيرى فلا ترض أنت فإنك إن رضيت محقتك، والمراد فلا يرى أن الرضى صادر عنك، والشرح فيه كالشرح فى الذى قبله فى نسبة الفعل إليه تعالى مع عدم نفيه عن هو صادر عنه حسا، فإذن ليس نفيه عن هو صادر عنه حسا إلا بالحجة وحدها كما تقدم .

قوله :

(فرأيت كل شئ ينبت ويطول كما يطول الزرع) أى رأيت كل شئ هو مستمد من الحضرة الرحمانية كاستمداد الزرع (١٦٦/ أ) .

وقوله : "وطال حتى جاوز العرش" يعنى وصح اعتبار هذا المعنى فيما بين العرش والعرش وفيما وراء العرش أيضا، وهو قوله وقال إنه يطول أكثر مما طال؛ وذلك لأن الذى فوق العرش من توابع العرش هو أكثر مما تحت العرش، ومعنى قوله لا أحصره هو سر غريب، وهى مسئلة عجيبة تبين منها هل الموت مقصود لذاته أم هو انقضاء أجل بمعنى وقوف قوى عندك حد لم يكن فى قوتها أن يتجاوزه . قال الواقف "وجاءت الريح فعبثته ولم تتخلله" والريح هنا الوهم أى هذه الحقيقة المذكورة هى بحيث لا يتخللها الرياح أى الشكوك. ثم إنه أراه فى هذه الموجودات المستمدة من حضرة الرحمانية كيف تستمد وهو قوله : وجاءت السحابة فأمطرت على العود وهو المستمد فانبل الورق، وهو الشئ المتعلق بالمستمد فإن الورق بالنسبة إلى العود هو أجنبى ومتعلق وكل متعلق منقطع فلا جرم أن العود اخضر وأن الورق اصفر، ثم أمره بأن يدخل فى الشهود ^(٧٩) ويعرض عن التفاصيل ولا يتعرض إلى صحبة أهل التفاصيل بقوله ولا تسألنى وبقوله ولا تعقد على

المزبلة فتهر عليك الكلاب، ويعنى بالمزبلة الدنيا والكلاب هم أهلها . ولم ينه عن أن يجلس مع مثله فى التوحيد فإن ذلك ليس بأجنبى بل هو ذاته كما قيل لو أنهم ألف ألف فى عددهم عادوا إلى واحد فرد بلا عدد، والمراد بالقصر المصون هو كتمان التوحيد واعتباره دون غيره . ومعنى (فإنك إن رأيت غيرى عبدته) أى اشتغل نظرك به ولو (١٦٦/ب) لمحة واحدة، وإن رآك غيرك فكذلك، وأما محى الكل معه فيفنى مراتب الكل التى فى شهوده لا وجوداتهم فإن ذلك لا يمكن، وأما كونه يردهم إليه فمعناه أنه يشهده أن مراتب الوجود بأسرها هى فى ضمنه، وهذا أمر لا يمكن خلاقه، فلذلك قال: "ولا تنفعك شفاعة الشافعين"، أى: ليس فى خلاف ذلك طمع .

٤٦- موقف التيه :-

قوله :

(أوقفنى فى التيه فرأيت المحاج كلها تحت الأرض وقال لى : ليس فوق الأرض محجة، ورأيت الناس كلهم فوق الأرض والمحجات كلها فارغة ورأيت من ينظر إلى السماء لا يبرح من فوق الأرض، ومن ينظر إلى الأرض ينزل إلى المحجة ويمشى فيها) .

قلت :

أراد بالتية هنا تيه العباد فى طلبهم السلوك إلى الله ولم أروا تيه من عبر عن حال الناس هذا السلوك أحسن من هذه العبارة ولا أصح مطابقة من هذا المثال لممثوله المشار إليه؛ وذلك أن السالكين على قسمين : سالك بطريق الشرع وهم أتباع الأنبياء عليهم السلام، وسالك بطريق العقل وهم الفلاسفة والمتفلسفة . وقوله فرأيت المحاج كلها تحت الأرض يعنى محجوبة لأن آراء المحجوبين قد أفسدت وصار حكم الظهور لها فصار الحق تحت الأرض أى محتجبا والناس كلهم فوق الأرض يعنى فى الآراء التى صار الظهور لها، ففوق الأرض عبارة عما ظهر من الباطل فقال ليس فوق الأرض محجة أى مسئلة من مسائل السلوك (١٦٧/أ) إلا ورأى ما قد كدر مشربها، ثم قسم السالكين إلى قسمين : ناظر إلى السماء أى إلى البعد وهم أهل التعمق والتشديد، وأحق الطائفتين بأن يوصف بهذا الفلاسفة لأنهم يرون بالتجرد والمجردات، وأما الذين ينظرون إلى الأرض فهم الذين تحس نفوسهم

بالقرب ويكتفون فى السلوك بالإيمان والإحسان، ومقام الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه، وليس هناك من ينزل إلى المحبة ويمشى فيها غير هؤلاء .
قوله :

(وقال لى: من لم يمش فى المحبة لم يهتد إلى) .

قلت :

ما أنه حجب كل شئ فأنت ترى العالم كيف يفتشون عليه، ومن ذلك بيت من شعري وهو :

يا عرب نجدهم سالت فلم أجد إلا صدى عنكم كمثلى يسأل
وأما أنه أوصل كل شئ فإن وجود كل شئ عين وجوده .
قوله :

(وقال لى: اصحب المحبوب وفارق الموصول، وادخل على بغير إذن فإنك إن استأذنت حبيبك، وإذا دخلت إلى فاخرج بغير إذن فإنك إن استأذنت حبستك فرأيت كلما أظهر إبرة وكلما أستر خيطا) .
قلت :

هذه آداب كلها نافعة للمحسوب والمكاشف، أما المحبوب فصحبته بمحسوب مثله أنفع له؛ لأن الموصول ربما بدت منه أقوال أو أفعال أو أحوال (١٦٧/ب) وهذه كلها فيتبعه المحبوب فيها فيضل، وأما المكاشف الموصول فينبغي أن يفارق الموصول أيضا؛ فإن الموصول يزيد من صحبه سكرًا . ولما كان بكل موجود فى الشهود خاصيته، أمكن أن يغير كل واحد من الموصولين صاحبه فى ذوقه، وليس واحد منهما يشهد مشهود صاحبه بشهود الآخر، وأما إذا صحب الموصول محجوبا فهو بأحواله وأقواله يذكر الموصول نعم الله عليه . وأما قوله وادخل إلى بغير إذن فهو إشارة إلى أن هذا العبد سقط عنه الترتيب بمقتضى مفارقتة الفعل الذى هو شرط التكليف . وأما قوله فرأيت كلما أظهر إبرة إلى آخره، فسوف نشرح (نشرحه) فى التنزل الذى بعد هذا .

قوله :

(وقال لى: أقعد فى ثقب الإبرة ولا تبرح، وإذا دخل الخيط فى الإبرة فلا تمسكه، وإذا خرج فلا تمدّه، وافرح فإنى لا أحب إلا الفرحان، وقل لهم

قبلنى وحدى وردكم كلكم، فإذا جاءوا معك قبلتهم وردتك، وإذا تخلفوا عذرتهم ولمتك، فرأيت الناس كلهم براء).
قلت :

اعلم أنه ذكر في التنزل الذى قبل هذا أنه كلما أظهر إبرة وكلما أستر خيطا والذى يظهره إنما هو مقتضى العلم، والذى يستره إنما هو مقتضى المعرفة، فالمعرفة إذن بمنزلة الخيط والعلم بمنزلة الإبرة، وبين الإبرة والخيط ارتباط شبه ارتباط ما بين العلم والمعرفة؛ وذلك أن الإبرة (١٦٨ / أ) تتصرف والخيط يربط ما تعرفت فيه بعض ببعض . فقوله ههنا أقعد فى ثقب الإبرة أى فى مجرى المعرفة من العلم، وهو الثقب الذى أمره أن يقعد فيه ليكون فى مجرى المعارف، ثم أمره أن لا يعارض المعارف وهى المعبر عنها بالخيط فلا تمسك الخيط فى دخوله ولا تمده فى خروجه؛ وذلك أن هذه المعارف المرتبطة بالعلم ارتباط باطن بظاهر هى المعارف الخاصة، وكونه فى ثقب الإبرة هو منها فى محل مجراها . وقوله اخرج معناه أنه أشهده حقيقة توجب له الفرغ فهذا القول هو بمعنى الفعل . وأما كونه لا يحب إلا الفرحان فإن الفرغ هو من عالم الجمال، وهو حضرة الرحمان، والرحمة من عالم الفرغ بل عالم الفرغ هو من الرحمة، والرحمة من الرحمانية، ثم إن غير الفرحان لم يوجب عدم فرحه إلا لانتقطاعه وحجابه وبعده واغترابه وكونه ليس من المقربين فكيف يكون من هذه حاله محبوبا فلا جرم قال فىنى لا أحب إلا الفرحان . قوله : وقال لى قبلنى وحدى وردكم كلكم، فإن الحضور بين يديه لا يمكن أن يكون العبد إلا وحده، والجمع مردود؛ وذلك لأن حضرته تعالى تنفى الأغيار . وقوله : فإذا جاءوا معك قبلتهم أى لا أخيبهم لصحبتهم إياك، لكنى أردك؛ لأن قبورك ليس كقبولهم، لأن قبورك إنما يكون بالفردانية وقبولهم إنما هو على مقدارهم، فهذا معنى قوله رددتك، ولهذا تخلفوا فالغدر أنهم ليسوا خواصا، وهو عذر مقبول، ويبقى اللوم على من هو من الخواص وهو قوله ولمتك، قال فرأيت الناس (١٦٨ / ب) كلهم براء أى معذورين .

قوله :

(وقال لى: أنت صاحبى فإذا لم تجدنى "فاطلبنى" عند أشدهم على تمردا، وإذا وجدتنى فلا تعصه، وإن لم تجدنى فاضربه بالسيف ولا تقتله

فأطالبك به، وخل بينى وبينك ولا تخل بينى وبين الناس، وخاصمنى وتوكل لهم على، فإذا أعطيتك ما تريد فاجعله قربانا للنار، وقف فى ظل فقير من الفقراء فسله أن يسألنى وتسألنى أنت فامنع غيرك بمسئلتك فتكون ضدا لى وأخذلك، فرايت طرح كل شئ الفوز) .
قلت :

اعلم أن أحوال السالكين تختلف فى مدة السلوك إلى أن ينقضى اختلافا كثيرا، وتكون واردات السالك مختلفة بحسب اختلاف أحواله؛ ولذلك قيل إن الطرق إلى الله تعالى على عدد أنفاس الخلاق، فللسالك الواحد فى كل نفس طريق خاص بذلك النفس، هذا فى السالك الواحد فما ظنك بالحال فى اختلاف السالكين من سائر طوائف أهل الأرض، وإنما قدمت هذه المقدمة توطئة لقبول ما تجده من اضطراب ألفاظ هذه التترلات، واعلم أن من يثبتته للوازم معانى هذه التترلات يحصل على علوم جمة من علوم التوحيد، قوله : أنت صاحبى بشرى عظيمة لهذا الواقف، فإن الله هو الصاحب ولا يقدر كل أحد أن يكون صاحب الحق تعالى إلا من اصطفاه، وهنا قد قيل لهذا الواقف أنت صاحبى فأثبت له مقاما عظيما، ثم إن الصاحب لا يصير عين صاحبه فلا جرم قال له فإذا لم تجدنى فاطلبنى عند أشدهم تمردا على عندك (١٦٩/أ) وهنا أسرار عجيبة وسوف أوضح بعضها . أما طلبه له عند المتمردين فلأن حضرة المتمرّد وهى حضرة ربوبية لا عبودية فيها فهى حضرته المحققة وطلبه لأشدهم تمردا لأن الحضرة إذ ذاك تتخلص إلى الربوبية ولا تبقى فيها للعبودية نسبة، فكانه قال له أشهدنى عين ذلك المتمرّد فإنك ترى جبروته هى جبروتى وعظمته هى عظمتى، وإن كان هو لا يشعر بنفسه فلا يشترط فى تحقق شهود الحضرة أن يشعر بها المظهر، والمظهر ليس إلا مرتبة . وأما الظاهر فهو الظاهر الحق، ثم شرطه له فى طلبه شرطا وهو قوله "وإذا وجدتنى فلا تعصه (تعصنى)" أى فإنك قد وجدت الحقيقة وأما إذا لم تجده بمعنى أنه نظر إلى ذلك المتمرّد فما رأى وجه الحقيقة بل كان إذ ذاك محجوبا فإنه لا يثبت لذلك المتمرّد أنه حضرة ربوبية لأن فرض المحجوب هو أن لا يثبت الحق بل إنما يثبت الخلق وإثبات الخلق هو فى عالم الحجاب فقط، و عالم الحجاب إنما يتصرف فيه العلم، والعلم الشرعى يقتضى أن يضرب هذا المتمرّد بالسيف ويعنى بالسيف سيف الشريعة

المطهرة، فلذلك قال ولا تقتله فأطالبك به، وفي مطالبتة له بذلك المتمرّد وجه آخر هو أن هذا الواقف هو من أهل الشهود فما ينبغي أن يبالغ في العقوبة فإنه إن لم يشهد هذا المتمرّد في هذا الوقت حضرة ربوبية فإن (فإنه) سوف يشهده في وقت آخر، فإنه (فإن) الحقيقة في نفس الأمر هي على حكم ما يقتضيه الشهود لا على ما يقتضيه حكم الحجاب . وأما قوله : دخل بيني وبينك فمعناه لا يعترض عليه فيما يتعرف به فيك، وأما قوله ولا تخل بيني وبين الناس، فإنه (١٦٩/ب) قد أمر أن يتكلف بأحوال الخلق، وقد كان إذ ذاك مكلفاً بهم، ولذلك قال له وخاصمني وتوكل لهم على، وهذه الخصومة والتوكل (والتوكل) هو في حضرة الحجاب ولا يصح حقيقتها في حضرة الشهود، ثم إنه وصاه إذا أعطاه ما يريد فينبغي أن لا يفرح به فإن لا يفرح به فإن ذلك العطاء إنما هو من عالم الحجاب، والحجاب هو حطب العذاب، فلذلك قال له اجعله قرباناً للنار أي اعتقد أنه من عالم النار الذي هو الحجاب، ثم قال له (قف في ظل فقير من الفقراء) أي لا تفرح بأني أعطيتك لهم ما وكلوك فيه على فتخرج عن شهود أن ذاتك هي عدم، بل يجب أن ترى أنك عدم فإن الظل عدم، وقد بالغ في الوصية بقوله في ظل فقير، ولم يقل وقف في مقام فقير وذلك تأكيد في إحطاط نظره عن العجب إلى حضيض عدم، ثم أمره أن يتوسل بالفقير فيخرج من مظنة العجب بنسبته السؤال إلى غيره فيكون العطاء إذن لغيره في الحقيقة، ثم عدد له العقوبة وأنه يمنع غيره مسألته إن هو يسأل وأما بعين الضدية فمن أجل أنه إن سأل أثبت أن له ذاتاً مع الله تعالى، وذلك هو الضدية، ومن كان بها كان مخذولاً . قال الواقف : "قرأيت طرح كل شيء هو الفوز" أي: الخلاص .

قوله :

(وقال لي: إن طرحته أفلست وأنا لا أحب إلا الأغنياء، ولا أكره إلا الفقراء فلا أرى معك غنياً ولا فقيراً فإني لا أنظر إلى الأنواع) .

قلت :

اعلم أنه قد رقى نظر عبده في هذا التزل من مقام حسن وهو مقام الطرح الذي معناه شهوده أنه عدم إلى مقام الغنى التي هي مقام وجود وحقيقة هذا الرقى هو الترقى من مقام الفناء الذي هو (١٧٠/أ) حسن إلى مقام البقاء بعد الفناء الذي هو أحسن منه (فالإفلاس) هو من عالم الفناء، وأما الغنى فإنه

من عالم البقاء بعد الفناء ومحبتة للأغنياء هو عين تعظيمه لأهل البقاء بعد الفناء، وهم أهل التحقيق، وما رأيته تكلم في هذا المقام إلا في هذا التنزل، وإنما أكثر كلامه في مادون هذا ونهايته الفناء وهى حضرة الوقفة وسماه موقف الوقفة. وأما قوله فلا أرى معك غنيا ولا فقيرا، أى كن بين يدي وحدك فإننى لا أنظر إلى الكثرة، وسمى الكثرة أنواعا.

٤٧- موقف الحجاب :

قوله :

(أوقفنى فى الحجاب فرأيتة قد احتجب عن طائفة بنفسه واحتجب عن طائفة بخلقه).

قلت :

إن وقوفه فى الحجاب ليس هو بأن يكون محجوبا حالة وقوفه فى الحجاب، بل هو إذ ذاك مشاهد لحقائق الحجاب، ثم اعلم أن الطائفة الذين احتجب (أى الحق تعالى) عنهم بنفسه لم يخالفوا الطائفة الذين احتجب عنهم بخلقه إلا فى مجرد الاعتبار، فإن كلا من الفريقين دفع نظره على عالم الصور من لدن العقل الأول إلى نقطة مركز الأرض، فأما الطائفة الذين احتجب عنهم بنفسه فهم القوم الذين يرون أن العلوى والسفلى هما جوهر واحد كما قال قائلهم^(٨٠) وأنهما عند الحكيم لواحد لأنهما من واحد متمايز^(٨١) فهم لا يرون من العالم إلا وجوده، والوجود هو هو؛ فهؤلاء قوم قد احتجب عنهم بنفسه، وأما الطائفة الأخرى فهم بالعكس من هؤلاء، وهم قوم لا يرون من العلوى والسفلى إلا صورة، والصورة هى عالم الخلق، فهؤلاء (١٧٠/ب) قوم قد احتجب الحق تعالى عنهم بخلقه.

قوله :

(وقال لى : ما بقى حجاب فرأيت العيون كلها تنظر إلى وجهى شاخصة فتراه فى كل شئ احتجب به وإذا أطرقت رأته فيها).

قلت :

قوله ما بقى حجاب يعنى أن الطائفتين المذكورتين آنفا قد استوعب صور الحجاب كلها لاستغراقها عالم الأمر فى الطائفة الذين احتجب عنهم بنفسه، وعالم الخلق فى الطائفة الذين احتجب عنهم بخلقه، وليس هناك شئ

سوى عالم الأمر وعالم الخلق. قال الله تعالى "ألا له الخلق والأمر" وهذه اللام فى له ليست لام الملك، بل بمعنى منه هكذا تفهمه هذه الطائفة وكذلك يفهمون قوله تعالى جميعا منه، وهذا التنزل يشهد بصحة أن هذا هو مفهومهم ألا يرى إلى قوله فرأيت العيون كلها تنظر إلى وجهه شاحصة فتراه فى كل شئ احتجب به، وإذا طرقت أى إذا لم تنظر رأته فى ذاتها . فحاصل ما يقول أنه رآه عين كل شئ .

قوله :

(وقال لى: راونى وحجبتهم برؤيتهم إياى عنى)

قلت :

يقول حجبتهم باعتقادهم أن الذى رآه هو هم؛ لأنه رأى نفسه فكانت الرؤية المذكورة حجابا لهم، وهذا المعنى (١٧١/أ) يفهم فى الأبيات من قولى وإنما يراها فتى معناه عنها يترجم .

قوله :

(وقال لى : ما سمعوا منى قط ولو سمعوا ما قالوا لا)

قلت :

هذا التنزل جواب لسؤال مقدر كأن قائلنا يقول فقد قيل لهم إنه ما فى الوجود إلا الله تعالى فما لهم لم يشهدوا فحصل الجواب بقوله ما سمعوا ذلك منى، ولو سمعوه منى ما قالوا لا، وسبب ذلك أن سماعهم منه لا يكون إلا بعد شهود ومع الشهود لا يقولون لا .

قوله :

(وقال لى : ادخل السوق وإلا كفرت وافترقت).

قلت :

هذا التنزل يؤكد ما ذكر فى الذى قبله فإن أمره إياه أن يدخل السوق إنما بشرط أن لا يرى أهل السوق غيره ثم حذره عن أن يتأخر عن السوق مصاحبا لهذا الشهود بقوله وإلا كفرت، والكفر : الستر . وقوله وافترقت أى إذا لم تأخذ من يد الحق، وهى يد من أيدى أهل السوق، بل انتظرت حتى يأتىك الرزق إلا من يد صورة، فإنك تفتقر ويطول انتظارك مالا يجئ . ولأهل العقائد فى مخالفة هذا النظام أوهام يكثر فى ساحاتها الكلام والذى

أتحققه أن الفطنة هي موهبة شريفة وأن الذي قال ^(٨٢) خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به قدأتى بالحكمة .

قوله :

(وقال لى : ادخل السوق فناد ولا تقعد تاجرا) .

قلت :

قد أمره فى التنزل الذى قبل هذا أن يدخل السوق ولم يوصه بشئ آخر، وسبب ذلك أن المعنى أراد تقريره بقوله ادخل السوق هو معنى عظيم وهو أن لا يرى فى السوق غيره، فأكتفى هناك بتقرير هذه (١٧١/ب) القاعدة وأما فى هذا التنزل فأراد أن يعلمه طريق الخلاص وهو أن لا يفارق شهود فقره وعدمية نفسه فأوصاه أن يكون مناديا فإن المنادى لا ملك له فأشبهه العبد، وأما التاجر فإن له بضاعة ورأس مال فهو بالسيد أشبه.

قوله :

(وقال لى : إذا أخذت أجرتك فلا تنفق منها شيئا) .

قلت :

معناه أن يوصيه أنه لا يرى أنه مالك الأجرة فإن الإنسان إنما ينفق ما يملك فى الغالب، وكأنه يذكره أنه فى السوق معدوم الذات أيضا، فلا يغتر بكثرة الوهج الذى فى السوق، فإنه ربما حجب لأنه يشغل الذهن عن استحضار ما يجب فى الوقت الذى يجب، فقوله لا تنفق أجرتك أى: لا تملكها، ولم يرد أن ينهاء عن أن ينفق مما حصل له بطريق الأجرة وهذه مسامحات يسامح الحق تعالى فيها وليه خوفا عليه أن يستمده الحجاب .

قوله :

(وقال لى: ما جلست قط على الطريق) .

قلت :

معناه أن يقول ما أنا على طريق عقيدة من العقائد فمن قصدنى بها أو بعقله لم يجدنى فطرق العقل وطرق النقل جميعها ذكر أنه ليس يجلس عليها، فإن تلك إنما هى طرق الجنة وأما طريقه هو فأمر آخر . وقال فى بعض التنزلات أتدرى أين محجة الصادقين؟ هى من وراء الليل والنهار ووراء ما فيها من الأقدار، ولا شك أن الطريق التى هذه صفتها ليست هى من مقتضى المنقول ولا من مقتضى المعقول .

قوله :

(وقال لى : الممالك فى الجنة والأحرار فى النار) .

قلت :

هذا يؤيد ما ذكره فى التنزل (١٧٢ / أ) الذى قبل هذا، وذلك أنه أخبره أنه ما جلس قط على الطريق أى أن طريقك إليه أيها الواقف هو سلوك لا فى طريق لأنك لست من الأحرار ولا من الممالك، لأن هذين الطائفتين لهما طرق ؛ والحق تعالى ليس فى طريقتهما لأنهم بين الجنة والنار. وأما معنى اختصاص الممالك بالجنة، فلأن الممالك هم الذين لا يرون أنهم يستحقون أجره؛ فإن المملوك لا أجره له فى العمل، وأما الأحرار فإنهم لا يدخلون تحت حكم العبودية، والعبودية هى ثمن الجنة .

قوله :

(وقال لى : دور الجنة كلها حمامات) .

قلت :

يعنى أن الجنة تصفو فيها الأنفس من كدر الأغيار فتأهل للطهارة التى بها يصلح أن يروا الحق تبارك وتعالى على النحو الموعود به فى الشرع، فعبر عن هذا المعنى بقوله دور الجنة كلها حمامات .

قوله :

(وقال لى: هذا كله لا يرى إلا عندى) .

قلت :

يعنى أن ما أشار إليه من هذه الأغايز فى هذه التنزلات هى أمور صعبة الإدراك على أهل الحجاب بل إنه لا يمكن وجودها منهم، فاما من كان عنده مشاهدا فإنه هو الذى يرى هذه الأشياء كلها .

قوله :

(وقال لى : إن لم تجالس إلا نفسك جالسك) .

قلت :

هذا يشير إلى حقيقة قولهم من عرف نفسه فقد عرف ربه .

قوله

(وقال لى : تموت ولا يموت ذكرى لك) .

قلت :

يعنى أن العبد هو من عالم الموت، وأما ذكر ربه له فليس من عالم الموت، ثم إن ذكر الرب لعبده ليس هو باللفظ، وإنما هو بالاختصاص، وهذا الاختصاص (١٧٢/ب) هو منزلة عنده تعالى وإذا وهبها لعبده لم ينقطع عنه بعدها أبدا .

قوله :

(وقال لى : ليس من عرفنى منك كمن لم يعرفنى) .

قلت :

هذا متعلق بالذى قبله، وذلك أنه جعل ذكره تعالى لا يموت، وإذا حققت ذكره تعالى لعبده لم تجده غير إلهاده، ثم إن الشهود إذا كان جزؤيا وقع الشهود فى بعض الإنسان دون بعض كمن تجلى له الاسم الظاهر فرأى صورة جسمه الحقيقة داخله فى الظاهر، فكان ظاهره هو ظاهر الحق فهذا الجزء الذى وقع فيه الشهود وهو ما ظهر من الإنسان هو فى التحقيق لا يموت. وبالجمله فكل جزء شهد فيه فإنه لا يموت بمعنى أنه يشهد فيرى ليس بمغاير لحقيقة الذى لا يموت، فهذا هو المعنى بقوله : لا يموت، ثم إن الجزء الذى قدرنا أنه لا يموت هو الذى قيل فيه عرفنى وليس هو كالجاء الذى لم يعرفه قل هذا قال : ليس من عرفنى كمن لم يعرفنى، وكان القياس أن يقول : ليس ما عرفنى منك، لكن لما نسب إليه وصف لا يقوم إلا بالعقل وهو المعرفة عبر عن ذلك الجاء. اعلم أن حقيقة الشهود وهى أن يدرك الجسم والروح والنفس وجميع المشاعر والمدارك وما عادته أن يدرك من أخبر الإنسان، وما عادته أن لا يدرك فإن الجميع فى حال الشهود يصير لهم إدراك واحد متصل غير منفصل، ثم إن السمع يرى والبصر يسمع، وهكذا كل المدارك يقوم بعضها مقام بعض، ولا يتخلف شئ منها فى حال الشهود عن الإحساس والإدراك، لكن بوجه لم يكن له فى المحسوس شبيه، فيبين بالتمثيل، بل هو حال من رآه عرفه، ومن عرفه وصفه، ومن وصفه لم يشترط أن سامعه يقبله منه (١٧٣/أ) فنصفه .

قوله :

(وقال لى : استعذ بى من شر ما يعرفنى منك) .

قلت :

قد علمت أن الحق إنما يتعين عند اضمحلال الرسم، فالذى يعرف ليس أنه عارف فهذا الموصوف بالمعرفة هو رسم من الرسوم، فاستعاضته به إنما هو (هى) من الرسوم .

قوله :

(وقال لى : كلك يعرفنى وليس كلك يجحدنى).

قلت :

أما قولك له كلك يعرفنى فإن الموجودات بأسرها يعرفه وليس الموجودات كلها غير كلية الإنسان، لكن هذه المعرفة معرفة بالذات . وأما أن كل الإنسان يعرفه وهو فى حال عرفانه إياه يكون كلية ثابتة . فهذا لا يمكن . وأما قوله وليس كلك يجحدنى فهو تأكيد لقوله كلك يعرفنى وليس فيه معنى آخر، ولا يلتفت إلى ما يسبق إلى الفهم من حمل ليس كل على الجزئية .

قوله :

(وقال لى : كرهت لك الموت فكرهته ألا أكره لأحبائى أن يفارقونى وإن لم أفارقهم) .

قلت :

اعلم أن الخطاب المتضمن لمعنى هذا الوارد ليس هو من حضرة إلهية صرفة، بل من حضرة ملكية، وذلك أن الواردات إنما تعين حضراتها أحوال السالكين، ألا يرى إلى قوله عليه السلام فى حال بعض العالم وهو قوله : قلب العبد بين لمتين لم الملك ولم الشيطان فما تجدونه من الخير فمن لم الملك وما تجدونه من الشر فمن لم الشيطان. فهذا إخبار عن حضرة ملكية، وقال عليه السلام فى حضرة إلهية ما صورته قلب العبد بين إصبعين من أصابع الرحمن يعنى بالإصبعين اسمين وهما الاسم الهادى والاسم المضل وكلاهما من أحكام الاسم الرحمن (١٧٣/ب) كما قال تعالى "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" (٨٣) .

ونعود ونقول إن مرتبة هذا الخطاب منحة عن مراتب الخطاب الوارد فى المواقف إذا كانت تلك الواردات عن تجليات، وهذا التترل هو عن خطاب محجوب، والذى يتولى صاحب هذا المقام هو معنى التصوف، وهو

منحط عن مقام المعارف، وأما قوله كرهت لك الموت فكرهته فهو بمعنى "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله" ^(٨٤) وأما قوله : ألا أكره فراق أحبائي فإنه بمعنى قوله عليه السلام مخبرا عن ربه عز وجل أنه قال : ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مماته ولا بد له منه". وأما قوله أن يفارقوني فإنها مفارقة الاسم الظاهر واتصاله بالاسم الباطن .

قوله :

(وقال لى : جازف نفسك وإلا ما تغلج) .

قلت :

المجازفة المشار إليها هي أن السالك لا يحاسب ربه عز وجل عن النوافل ولا يجعل له عملا معروف عدد الركعات أو التسبيحات فإن ذلك عمل التجار وصاحب الله من ألقى نفسه إليه معرضا عن الحسنات كانت كثيرة أو قليلة فهذا هو الجراف المطلوب (المجازفة المطلوبة) .

قوله :

(وقال لى : حسابك غلط والغلط لا يملك به صواب) .

قلت :

الغلط في أصل اعتماد الحساب وعدد التسبيح، وإذا كان الغلط في أصل الشيء ففروعه كلها غلط .

قوله :

(وقال لى : الحساب لا يصح إلا منى) .

قلت :

(١٧٤/أ) يعنى أنه تعالى يعلم ما قبله من أعمال عبده، ويعلم حسابها، والعبد لا يميز بين المقبول من غير المقبول فلا يصح له الحساب .

قوله :

(وقال لى : من حجبته بخلقى برزت له، ومن حجبته بنفسى لم أبرز

له ولم يرنى) .

قلت :

الحجاب المحقق هو حجاب من حجب بالخلق فهذا المحجوب إذا وردت عليه الأنوار محت حجب الخلق فإنها ظلم تتجلى بالأنوار، وأما من حجبه بنفسه فالنور لا يمحو النور .

قوله :

(وقال لى : اطلبنى فى ابتداء الصلوات) .

قلت :

ابتداء الصلوات لا يكون إلا بإرشاد إلهى لأن إنشاء العبادة ليس مما تقدم النفس إلا بقهر الهداية لها، وأما استصحاب الصلوة إلى آخرها فذلك أمر للنفس فيه مدخل بأن تقول إبطال العبادة قبيح فتكملها خوف القبيح وتكملها طلبا للثواب، وهو حظ أو تترك إبطالها خوفا من النار وهو حظ .

قوله :

(وقال لى: ما ظهرت قط فى خاتمة صلوة) .

قلت :

خاتمة الصلوة هى منتهى العبادة ومنتهى العبادة عدمها فما يناسبه أن يظهر فى العدم .

قوله :

(وقال لى : اطلبنى فى خاتمة الصيام ولا تكاد ترانى) .

قلت :

الصيام يرق به حجاب الجسم فيشف وجود السالك عن نور لكنه ليس هو الحق ولا يكاد أن يكون الحق لأن العبادات لا توجب الرؤية لحضور الأنانيات فى كل عبادات السلوك، وقد ورد فى الحديث النبوى "أن الله تعالى قال: الصوم لى وأنا أجزى به" وما ذاك إلا لما يقتضيه الجوع من الخشوع .

قوله :

(وقال لى : هذه أوقات العامة ليس بينى وبين من بينه وبينى طلب

نسب) (١٧٤/ب)

قلت :

يعنى أن الذين بينه وبينهم طلب هم عامة وأحوالهم هى هذه الأحوال المذكورة فى أوائل الصلاة وأواخر الصيام وهؤلاء لانسب بينه وبينهم،

والطلب المشار إليه هو تعيين الأمر والنهي في حق المكلفين فقال إن هؤلاء عامة ولا نسب بينى وبين العامة الذين هم مطالبون من جهتي بالعبادة؛ وذلك أن النسب إنما هو العرفان وليس هؤلاء من أهله .

قوله :

(وقال لى : أنا الغنى، فرأيت الرب بلا عبد ورأيت العبد بلا رب) .

قلت :

أنه أشهد حضرة الاسم الغنى وهي حضرة فردانية بنظرين مختلفين أحد النظرين أن يرى وجود العالم والوجود يستغرق كل شيء، ويرى الوجود عين الحق فلا يكون مع الحق غيره فهذا الاعتبار يسمى الحق تعالى به غنيا وهو الذى أشار فيه أنه رأى الرب بلا عبد وهو المعنى الذى نقل عن بعضهم حجبت مرة فرأيت رب البيت ولم أر البيت، والبيت هو من جملة العبيد . والنظر الثانى هو أن يرى الخلق، والخلق عبارة عن كل ذوات الصور الروحانية والجسمانية والعقلية والخيالية والوهمية، ولا يرى نور الموجود الشامل لها بصفة القيومية فيكون من باب قول ذلك القائل أيضا فى قوله حجبت أول مرة فرأيت البيت ولم أر رب البيت، فهذا بمعنى قوله فرأيت العبد بلا رب، فهذه النسبة أيضا يسمى الحق تعالى باعتبارها غنيا. قال الله تعالى "والله غنى عن العالمين" . وأما الحضرة التى فى مقابلة الاسم الغنى فهي الحضرة الشاملة لمراتب الأسماء المتقابلة مثل الرزاق الذى إنما يتعين مقامه بحسب (١٧٥ / أ) المرزوق، ومثل الخالق والمخلوق وأشباه هذه من الأسماء .

قوله :

(وقال لى : أنا الرؤوف، فرأيت الرب فى وسط العبيد، وقد تعلق كل

واحد منهم بحجرته) .

قلت :

يعنى أن الرأفة الإلهية هي التى أوجبت أن الحق تعالى ينظم شمل العبيد فى القيومية التى بها قام كل شئ حتى يسمى بالاسم القيوم، فالقيومية هو التعلق المذكور وأما كونه فى وسطهم فأشارة إلى القيومية فإنها إنما تكون فى الوسط لتتعلق بوجودها ذوات الممكنات من كل الجهات، وذكر الوسط إنما هو مجاز عبر به عن نظم شتات الممكنات .

قوله :

(وقال لى : لو أخبرتك بكل شئ كان بيننا إخبار يجمعك عليك) .

قلت :

يقول لو أخبرتك بمقتضى الاسم القيوم الذى يجمع بحقيقته كل شئ لكنك قد أخبرتك بكل شئ ولم يرد لو أخبرتك بكل شئ على التفصيل، فإن ذلك لا يمكن فكأنه قال: فلو أخبرتك بالقيومية لكان بيننا إخبار يجمعك عليك .

قوله :

(وقال لى : إذا كنت لى فأنت بى وإذا كنت بى فأنت لك) .

قلت :

قد شرع يبين ما ذكرناه من معنى القيومية، فإن قوله كنت بى أى قمت بى، وذلك هو معنى القيومية فقوله إذن إنما يراد به إذا كنت لى دل على ظهور حكم أنك بى، ومن حصلت له هذه الرتبة حصل له أنه لنفسه أى هو مالك نفسه .

وقوله :

(وقال لى : ما أنت لى فى وجودك أوفى منك لى فى عدمك) .

قلت :

اعلم أن معنى كونك له إنما هو إعراضك أيها العبد عما سواه ، وهذا المقام الذى هو مقام أنك له فيه اعتباران : أحدهما أن تعرض عما سواه وتنسب أن هذا الإعراض فعل هو الذى فعله وهذه صفة من نفسه فى اعتقاده موجودة وقد وفى للحق تعالى بإعراضه (١٧٥/ب) عما سواه ، فهذا وفاء خاص . والاعتبار الثانى أن يعرض عما سواه ويرى أن ذاته عدم، وأن هذا الإعراض لم يصدر عنه إنما هو قول الحق تعالى فى هذه المرتبة وهذا وفاء آخر: الأول وفاء من هو فى وجوده ؛ والثانى وفاء من هو فى عدمه، فقال له تعالى (ما وفاؤك فى وجودك بأعظم من وفائك فى عدمك) يعنى العكس أعظم وفاء وهو كونه فى عدمه .

قوله :

(وقال لى : هبك جئتلى بما أريد ورضيت، كيف لك بعلمى بما لو

بلوتك بما لم أبتلك به ماذا تكون صانعا ؟) .

قلت :

هذا التنزل من تمام الذى قبله، وهو إظهار وفاء من كان فى وجوده وفاء ناقص، وقد بين وجه نقصه بصفة لا تكون لمن وفى للحق تعالى وهو فى عدمه تدل نقص هذه الصفة على ذم من وفى له تعالى وهو فى وجوده، وتلك الصفة هو ألا يقال لمن وفى له تعالى وهو فى وجوده هبك قمت بوظائف الأمر والنهى حتى بلغت الرضى يمكنك أن تدعى بلوغ الرضى أن لو ابتلاك بغير ما ابتلاك به الآن مما هو أصعب وكيف يظهر لك ماذا تكون صانعا إذ ذاك، وإذا لم تقدر أن تدعى بلوغ هذا الرضى فى الابتلاء الثانى فلست بالغا الرضى بالإطلاق بل بقيد وحينئذ ما خلص من هذه حاله. أما حال المعدم فى وفائه فذلك لا فعل له ينسب إليه فيه الابتلاء فاستراحت المرايا من التفتيش .

قوله :

(وقال لى : إن لم ينعقد الحياء بهذا الرمز لم ينعقد أبدا) .

قلت :

هكذا وجدت هذا اللفظ فى النسخ التى وقعت فى يدى من هذا الكتاب وإذا فسر المعنى على مقتضى هذا اللفظ كان فى ذلك بعد فتقول أن المراد أن ما ذكره فى التنزيلين المذكورين قبل هذا (١٧٦ / أ) التنزل إنما يدلان على تفصيل من يلحظ أن ذاته من حملة العدم ولم يصرح بذلك بل رمزه رمزا وقال إن ينعقد الحياء بانكشاف معنى هذه الرموز الدالة على أن عدمية الإنسان هي أصدق اعتبارا من وجوديته لم ينعقد أبدا، ووجه وجود الحياء وهو أن العبد الذى ذكر أنه وفى لربه عز وجل فى حال وجوده فقد قيل له ما أنت فى وفائك فى وجودك بأوفى منك فى عدمك فينتبه العبد إلى أنه عدم فيستحى من دعواه الوجود فهذا وجه الحياء والحالة هذه، فإن كان فى نسخة أخرى صحيحة لفظ غير هذا فلعلك تظفر به فيلحق وإلا فهذا .

قوله :

(وقال لى : الرضا الثانى إنما هو فهم فى هذا الشأن) .

قلت :

وهذا اللفظ أيضا فى معناه بعد ويعنى بالرضى الثانى أن يبلغ العبد رضى ربه عز وجل فيما إذا ما ابتلاه بتكليف آخر أشد من هذا التكليف ثم

وفى قال فكانه قيل له ليس أحد ببالغ هذا الرضى الثانى بهذا التفسير، لكن التفسير الصحيح للرضى الثانى إنما هو أن يجعل الرضى الثانى هو فهم العجز عن إدراك الرضى الثانى، فهو إذن فهم هذا الشأن .
قوله :

(وقال لى : خلقه لا يصلح لرب بحال) .

قلت :

يعنى لا يبلغ الرضا أصلا .

٤٨ - موقف الثوب :-

قوله :

(أوقفنى وقال لى : إنك فى كل شئ كرائحة الثوب فى الثوب)

قلت :

رائحة الثوب عارية فى الثوب، فأنانية العبد مستعارة، وليست شيئا له ذات موجودة إلا كوجود رائحة الثوب فى الثوب، وهذا تشبيه .

قوله :

(وقال لى : ليس الكاف تشبيها (١٧٦/ب) هى حقيقة أنت لا تعرفها

إلا بتشبيه) .

قلت :

يعنى بالكاف كاف التشبيه التى فى قوله كرائحة الثوب، والمراد بنفى حقيقة التشبيه أن تنفى وجود أنانية العبد بالكلية . لأنها مع إثبات أن الكاف للتشبيه والتشبيه لا يكون إلا بين موجودين توهم أنها موجودة والمراد أن يجعلها ليست بموجودة فنفى التشبيه بقوله ليس الكاف تشبيها واعتذر عن ذكرها بأن السامع لا يفهم إلا بالتشبيه .

قوله :

(وقال لى : كلما بدا علم فهو لما بين رضوان ومالك) .

قلت :

يعنى أن أصحاب العلم هم أصحاب العمل الصالح إما خوفا وإما طمعا وعبر ذلك برضوان ومالك .

قوله :

(وقال لى : قل للمستوحش فى الوحشة منك أنا خير لك من كل شئ)

قلت :

أكثر من يستوحش هم أهل الجفاء والجفاء موجب الوحشة وهى من جانب العبد والباقي ظاهر .

قوله :

(وقال لى: يوم الموت يوم العرس ويوم الخلوة يوم الأنس) .

قلت :

المراد بالموت هنا موت الفناء بدليل ذكره للخلوة ولو كان المراد بالموت الموت المعروف لكان عرسا لأهل الجنة وماتما لأهل النار .

قوله :

(وقال لى: أنا ظاهر فلا تزال ترانى) .

قلت :

ينبغى حمله على ظاهره .

قوله :

(وقال لى : إن رأيتى فيك كما رأيتى فى كل شئ قل حبك للنديا) .

قلت :

الذين يرونه فيهم هم الذين قيل لهم "سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم" ^(٨٥) وأما كون حبه للنديا يقل فلعلو همته بمشهوده عن الدنيا، وأما كونه وصفه بقلّة الحب ولم يصفه بعدم الحب بالكلية؛ فلكونه يرى ربه فى كل شئ ومن جملة الأشياء الدنيا فيما يمكن المشاهد تركها .

قوله :

(وقال لى : إن شغلتك بدلالة الناس فقد (١٧٧ / أ) طردتك) .

قلت :

هذا ظاهر المعنى .

قوله :

(وقال لى : أنا وشئ لا نجتمع، وأنت وشئ لا تجتمع) .

قلت :

أما كونه تعالى وشئ لا يجتمع فلأن الحق تعالى لا يراه سواء فلا يحضر بحضرته غيره، فهذا ظاهر وأما قوله وأنت وشئ لا تجتمع فإنما يريد إن أنت أعنى لفظ أنت تدل على ثبوت الأنانية وإنها ما أمحت فهي لا تجتمع بشئ لأن الشئ إنما يراد به الحق تعالى، فالحق لا يجتمع ببشر، وبشريته باقية حتى تغنى، وأما أن يراد به شئ آخر من الأشياء المخلوقة، فحقائق الخلق لا تجتمع، ولذلك قال ترجمان هذه الطائفة شعر :

فما فى من شئ لشئ موافق وما منك لى لشئ مخالف
فصرح بأن الخلق ما فيه شئ لشئ موافق، وأما قوله وما منك لى بشئ لشئ مخالف فالمراد ما ذكرناه من أن الحق تعالى لا يراه سواء .

قوله :

(وقال لى : إن كان مأواك القبر فرشته لك بيدى وإن كان مأواك الذكر نشرت عليك ذكرى، وإن كنت أنا حسبك فما فى قبر ولا ذكر ولا مسرح ولا وكر) .

قلت :

يعنى بالمأوى المقام، أى إن كان مقامك عقيدته أنك تنام فى القبر فأنت تستحق أن أفرشه لك بيدى، وأما إن كان مقامك اعتبار ذكرى دون كل شئ نشرت عليك ذكرى أى بسطت لك معانى فغشيك بعدها، وأما إن كنت من القوم الذين لا يطلبون غيرى أو يشهدونى فلم يروا غيرى فأولئك قوم لا يرون القبر ولا الذكر ولا يحضرهم مقام، فيكون لهم منه مسرح وفيه لهم وكر .

قوله :

(وقال لى : إذا رأيت عدوى فقل له مصيبتك فى اعتراضك عليه أعظم من مصيبتى (١٧٧/ب) فى أخذك لى) .

قلت :

عدوه إما من الإنس فهو العادل فى الاشتغال بالله، وأما من الشياطين وكلاهما معترض على الله تعالى، فقد أمر الواقف أن ينزه العدو على أن اعتراضه يستوجب به عقوبة أشد من عقوبة أخذه لهذا المشتغل بالله تعالى حين يرده عن الطريق أو يعوقه بعض التعويق .

قوله :

(وقال لى : أغريتك بى حيث لم أجعلك على ثقة من عمرك) .

قلت :

يعنى من لا يثق بدوام العمر يوشك أن يرجح طلب الحق تعالى
خوف هجوم المنية عليه لكونه ليس من وقتها على ثقة .

قوله :

(وقال لى : أى عيش لك فى الدنيا بعد ظهورى) .

قلت :

يعنى أنه بعد أن ظهر إنما يكون عيشه فيه لأن الدنيا تتصبغ بظهوره
فتصير بعض نوره .

قوله :

(وقال لى : انظر إليك فى قبرك وليس معك ما أردته ولا ما

أرادك) .

قلت :

العبد فى القبر منسلخ عن الأمرين معا .

قوله :

(وقال لى : إن لم تقم بك قيومية لا علم لها لم تقم بك فى كل شئ) .

قلت :

يقول إن لم تشهد القيومية وهى قيام الأشياء كلها به تعالى، ووصف
القيومية بأنها التى لا علم لها يعنى لا يعلم قبل شهودها بطريق النقل ولا
بطريق العقل، فإن كانت القيومية بهذا الوصف قامت به فى كل شئ أى
شهودها فى كل شئ وإلا فلا، وليس شرط هذه القيومية أن لا ينتقل علمها
بوجه من الوجوه بل شرطها أن يكون وجدان هذا العبد إياها إنما هو بطريق
الشهود والكشف لا بطريق من طرق العلم .

قوله :

(وقال لى : دع عنك كل عين وانظر إلى ما سواها) .

قلت :

هو يرشده إلى رؤيته فى كل شئ لا بمعنى الحول ولا الثبوت فقله
وانظر (١/١٧٨) إلى ما سواها أى وانظر إلى .

قوله :

(وقال لى : أنا فى عين كل ناظر) .

قلت :

هو يجمع عبده ليشهده، فأخبره أنه فى عين كل ناظر .

قوله :

(وقال لى : قل لهم رجعت إليكم، فقلت أوقفنى ومن قبل أن أرجع ما كان لى من قول لأنه أرانى التوحيد فكنت به لا أعرف فناء ولا بقاء، وأسمعى التوحيد ولم أعرف استماعه وردنى بعد هذا كله كما كنت فرأيت فى الرد صحيفة فأنا أقرأها عليكم) .

قلت :

هذا التنزل فيه جواب عن سؤال مقدر : كان قائلاً قال له إن كنت من أهل الشهود فى التوحيد، فما فى التوحيد قول ولا فعل ولا وقوف ولا انصراف وأنت تقول أوقفنى وقال لى: فأشهد هذا العبد الجواب وهو ما ذكره فى هذا التنزل . وأما قوله فرأيت فى الرد صحيفة فإن الصحيفة هى حالة من أحوال نفسه بعد انصباغها بالشهود؛ وذلك أن نفسه تكيفت بالصفاء المحض فانتعش فى ذلك الصفو هذه التنزلات شيئاً فشيئاً، وشهد العبد ذلك فلم ير الناطق غيره تعالى، ووجد تلك الأقوال المنقوشة قريبة الوفاء بمعانى التوحيد، فهو يقرأ تلك الصحيفة وليس فيها منه شئ بل يسمعها كما يسمعها غيره، وهذه حالة يعرفها كل أهل هذه المنازلات ولقد بلغنى أن الشيخ عبد اللطيف البغدادى كان يقول الكلام ثم يطرب فقيل له أطررب من كلام أنت قائله فقال والله ما أفهمه إلا بعد ما أسمع من لفظى وإنى والغريب فيه سواء، وهذا ميراث الأولياء من نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم (١٧٨/ب) من معنى ما أوجب أن يقال له عليه السلام "قل رب زدنى علماً" (٨١) .

قوله :

(وقال لى : حصل لك كل شئ فأين غناك؟ فإنك كل شئ فأين

فقرك؟) .

قلت :

معناه حصل لك كل باق وما فاتك إلا كل شئ فان .

قوله :

(وقال لى : أعدتكم من النار فأين سكونك وأظفرتك بالجنة فأين نعيمك ؟) .

قلت :

هذا التنزل دليل على أن الواقع قد حصل له الشهود وهو بعد فى الأعمال الصالحة، فقل له ما معناه أنه من شهد ما شهدت فقد أعيد من النار وظفر بالجنة ووجب له أن يذهب عنه الخوف فيسكن، ويجد الإطلاق فيتتعم فمالك أنت لست كذلك؟! .

قوله :

(وقال لى : الجزء الذى يعرفنى لا يصلح على غيرى) .

قلت :

يعنى أن من كان الحق سمعه وبصره فهذا الجزآن لا يمكن العبد أن يشهدهما والحالة هذه بعين الخلقية، فإن الشهود حاكم على العقول لا يمكنها أن تخالفه لظهور شواهد التجلى الحاكمة على جميع المدارك .

قوله :

(وقال لى : ما بينى وبينك لا يعلم فيطلب) .

قلت :

مشاهد الأولياء عليهم السلام لا تعلم قبل انجلانها لأهلها، فكيف تطلب، وأما الذى يطلب فهو الحق تعالى وهو يعين لعبده ما يكون بينه وبينهم .

٤٩- موقف الوجدانية :

قوله :

(أوقفنى فى الوجدانية وقال لى : أظهرت كل شئ يحجب عنى ولا يدل على فحظ كل إنسان من الحجة كحظه من التعلق) .

قلت :

الشيئيات يراد بها هنا الصور على اختلافها، وهى حقائق نسب متميزة وإنما تدل على الشرك لا على التوحيد (١/١٧٩) فمن كثرت تعلقاته بالصور عسر خلاصه من الحجاب وإلا فلا .

قوله :

(وقال لى : ذكرى أخص ما أظهرت وذكرى حجاب) .

قلت :

أراد بأخص أى أقرب، ومع ذلك أن الذكر غير المذكور فهو

حجاب .

قوله :

(وقال لى : إذا بدوت لم تر من هذا كله شيئا) .

قلت :

يعنى أن الصور تفنى فى نظر أهل المكاشفات حال شهودهم .

قوله :

(وقال لى : اقعد فوق العرش أعرض عليك كل شئ، فقعدت فعرض

على، فرأيت كل شئ حكومة وصف انفصلت عنه وبقي الوصف وصفا

والحكومة حكومة) .

قلت :

يعنى أن الحق تعالى أشهده قيامه به ففنى العبد فوجد ذاته حقيقة

المستوى على العرش بلا ثنوية فاستجلى حقائق كل شئ فرآها على اختلافها

الشديد لا يخلو من أحد أمرين: إما حكومة، وإما وصف له تلك الحكومة،

ومعنى الحكومة ما يجده القاضى مثلا من ظهور الحق حق أحد الخصمين

عند الآخر فيقال إن الحكومة ظهرت لفلان أى الحق المحكوم به له فلما

استجلى ذلك وجد الأشياء كلها صفات إلهية وكان الوهم يجعلها عند

المحجوب صفات كونية، فكانه قال نظرت فوجدت الأوصاف لصاحبها الحق

والحكومة هو أمر اعتبارى، فبقى الوصف وصفا والحكومة حكومة.

قوله :

(وقال لى : انظر كيف عملت، وبسط يده فوق وقال ما بقى فوق،

وبسط يده تحت وقال ما بقى تحت، ورأيت كل شئ بين البسطين والأرواح

والأنوار فى الفوقية والأجسام والظلم فى التحتية) .

قلت : يريد (١٧٩/ب) فرأيت كل شئ عين البسطين؛ لأن اليد الفوقية واليد

التحتية ليس بينهما غيرهما .

قوله :

(وقال لى : الفوقية حد لما فى التحتية وليس لما فى الفوقية حد) .

قلت :

معناه أن الظلم تنتهى إلى الأنوار، والأنوار لا تنتاهى .

قوله :

(وقال لى : التحتية لا حد والفوقية لا حد وقلب الكل بأصابع التحتية وقال أنت وقلب الكل بأصابع الفوقية، وقال أنا وهو فى الكل هو أبدى الباديات بالمعنوية، وأبدى فيها العوالم الثبتية وبدا على الثبتية ففنت وبقيت المعنوية الأحدية) .

قلت :

هذا التنزل قد ذكر فيه الوجدانية وتفصيلها قوله التحتية لا تحد أى بغير الفوقية، وكأنه يشير إلى أن قدرته المتعلقة بالمخلوقات غير متناهية؛ لأنها تساق الإرادة، والإرادة لا تنحصر. قال والفوقية أيضا لا تحد قوله فى تنمة التنزل. وقلب الكل بأصابع التحتية أى أظهر لى اعتبار التشكيل والتخطيط وهو عالم الخلق وقال لى أنت أى هى مثلك خلق، وأما كونه قلبها بأصابع الفوقية فمعناه أنه الحق وحدانية وجودها، والوجود هو لا جرم قال وقال أنا ثم أخبرنا الواقف عنه بما ثبت عنده شهودا وهو قوله وهو فى الكل هو أى ما ثم غيره فى العالمين عالم الفوقية وعالم التحتية فهو هو فى الكل فهذا بيان ظاهر لكنه ما اكتفى به حتى أعاد المعنى بعينه فى قالب آخر وهو قوله مستأنفا الكلام أبدى الباديات بالمعنوية ويريد بالمعنوية ما يتمتعاه العالم فى الوجود الواحد من قبوله للظهور بالصور المختلفة (١٨٠/أ) فكانه قال أظهر الموجودات على طباق ما فهمه من قوة ظهور الصور، فالصور هى التى سماها قوم بالممكنات ثم أفهموا أهل الإمكان صفة لها أم للوجود فغلطوا كلهم فى نسبة صفة الإمكان إليها؛ لأن الإمكان فى الحقيقة هو صفة للوجود أى هو ممكن أى متمكن من الظهور بالصور فإن القادر على الشئ يقال له أنه ممكن وقد خرجنا فينبغى أن نعود ونقول أبدى الباديات بالمعنوية المذكورة. فأما قوله أبدا فيها العوالم الثبتية فيريد بالثبتية ما سوى وجوداتها التى أظهرت تلك الممكنات قوله وبدا على الثبتية ففنت أى كانت فى أنفسها

نسيا وإضافات، فلما تجلى الوجود انعدمت هي في شهود الشاهد وإلا فهي مازالت معدومة في أنفسها وبقي الوجود المعنوي الأحدى .
قوله :

(وقال لى : من يظهر معى أنا أظهرت وأظهرت فيما أظهرت فما محوته محو وما أثبتته ثبت والثبت محو فى الحياطة) .
قلت :

يريد أن الثابت وغير الثابت كله أحكامه فى الوجود وجوده؛ وذلك أن الكل محو حتى الثبت أعنى فى معنى الحياطة والإحاطة بمعنى واحد إلا أن الإحاطة تدل على محاط به بخلاف الحياطة فإنها إنما تدل على أن الكل فيها واحد .
قوله :

(وقال لى : اسمع لسان العوالم الثبوتية فى المبديات المعنوية، وإذا هي تقول الله الله) .
قلت :

هذا المعنى هو معنى قوله وهو فى الكل هو؛ لأن لسان العوالم هو لسان حالها وقولها الله الله أى ما ثم إلا الله تعالى .
قوله :

(وقال لى : لا يسمعا (١٨٠/ب) من هو فيها أو فى الشواهد التى هي فيها) .
قلت :

يعنى لا يسمع لسان الحال من كان فى عالم الخلق؛ لأن عالم الخلق هو عالم الحجاب ، فالخلق وشواهد الخلق الجميع خلقه .
قوله :

(وقال لى : مقالها ثبت وإذا بدوت عليه فى المقال فيكون هي هي فى الثبت وهي البادى فى البادى وهذه منزلة عامية) .
قلت :

يعنى أن مقال العوالم الله الله هو من عالم الخيرية لأن الله الله ذكر والذكر حجاب قال فإن اعتبرت ظهورى فذلك المقال يغنى لأنه غير والأغيار تغنى بالظهور، لكن فناؤها هو بوجه عجيب غريب عند الفهم وهو أن تصوير

هى هو، وذلك قوله وهى البادى فى الباديات والبادى هو بدليل قوله وإذا بدوت عليه، وأما كونها هى هى فى الثبوت فذلك معلوم . وأما قوله وهى منزلة عامية والمراد أن هذا الحكم عام فى الكل أو هو نازل المقام .
قوله :

(وقال لى : إن طاف بك ذكر شئ فأنت فى الثبوت فتعبدلى واجتهد أحسبه وأجازى عليه، وإذا فنيت أنكار الأشياء فلا أنت أنت وأنت أنت وما أنا فى شئ، ولا خالطت شيئا، ولا خللت فى شئ.
ولا أنا فى شئ ولا من ولا عن ولا كيف ولا ما يقال . أنا أنا أحد فرد صمد وحدى وحدى أظهرت ولا مظهر إلا أنا وأظهرت فيما أظهرت العولم الثبوتية، وإذا بدوت فأفانيت الثبوتية كان الإظهار لى لا لها حتى أرده إليها باللبس الوقتية والمعادن الأينية فاحفظ حدك بين المعنوية والثبوتية).
قلت :

يعنى إن رأيت لشئ ثبوتا فأنت من الثبوتية فليزملك عمل العباد هم الذين يجازون على الأعمال . وقوله فما أنت أنت، إشارة إلى الفناء، وقوله أنت أنت إشارة إلى أن حقيقتك هو ذلك الفناء فإن أنت أنت وهو تعالى (أ/١٨١) كما وصف به نفسه فى هذا التنزل. وقوله وأظهرت فيما أظهرت العوالم الثبوتية تقدم شرحه فيما ذكر قبل هذا التنزل، وأما قوله كان الإظهار لى أى إنما أظهرت نفسى متى أرد الإظهار إلى اللبس وهى جمع لبسة من اللبس، وذكر الوقتية أى الزمانية . قوله فاحفظ حدك أى اعرف حقيقتك ولا تغب عنها فتضل بين المعنوية وهى أحدية الجمع والثبوتية وهى عالم الخلق.
قوله :

(وقال لى : يسوءك كل ما منك أغفره لا يسوءك كل ما منى أصرف السوء كله) .
قلت :

هذا كلام هو إلى عالم الحجاب أقرب منه إلى عالم الشهود؛ لأنه رغب له أن يسوءه كل ما منه أعنى من العبد، ولا ينبغي أن يسوءه بشئ من الرب تعالى .
قوله :

(وقال لى : إن التزمت ما ألزمتك بين هذين كنت وليا) .

قلت :

هذا ظاهر ..

٥٠ - موقف الاختيار :-

قوله :

(أوقفنى فى الاختيار وقال لى: كلهم مرضى)

قلت :

يعنى أن أهل الاختيار كلهم مرضى؛ لأن نسبة الاختيار إلى أنفسهم هو المرض بعينه .

قوله :

(وقال لى : هو ذا يدخل الطب عليهم بالغداة والعشى ، وأخاطبهم أنا على السنة الطب، ويعلمون أننى أنا أكلهم وبعدون الطب بالحمية ولا يعدونى) .

قلت :

هو يذكر نظر المحجوبين إلى الأغيار، وكونهم يرون الخلق ولا يرون الحق، والطب بفتح الطاء هو الطبيب .

قوله :

(وقال لى : كانوا فى يدى فقلبتهم إلى (١٨١/ب) يدى وليس أردهم إلى اليد التى كانوا فيها) .

قلت :

يقول إن الخلائق كانوا فى وجوده الغيبى فنقلهم إلى وجوده الشهادى وكلاهما وجوده، وقوله ولا أردهم إلى اليد التى كانوا فيها إشارة إلى بقاء الأنفس أبدا وهى مسئلة (مسألة) مطلوبة .

قوله :

(وقال لى : إذا رأيت النار فقع فيها ولا تهرب فإنك إن وقعت فيها انطفت، وإن هربت منها طالبتك وأحرقتك) .

قلت :

هو يوصيه أن يوافق المعارف وإن نطق لسان العلم بأن من وافقها وقع فى النار فهو يقول له.قع فى النار .

قوله :

(وقال لى : أنا أوقد النار باليد الثانية) .

قلت :

اليد الثانية هى عالم الخلق وفيها يتعين التهديد بالنار .

قوله :

(وقال لى : لا بد أن تتحرك عادة، فإذا تحركت عادة فما لك أدب) .

قلت :

الحركة عادة هى أن لا تراها من المحرك .

قوله :

(وقال لى : صلاتك لما يوقفك أو يعجلك، وقصدك لما يحادثك أو

تحادثه) .

قلت :

يذكر أن عالم العبادة إما أن لا يتخلص فيوقفك أو يخلص فيعجلك .

وأما القصد إلى الله تعالى فهو يثمر المحادثة .

قوله :

(وقال لى : مالى باب ولا لى طريق) .

قلت :

هذا أيضا من تكملة المعنى المذكور أى العبادة تدل على الطريق

والباب . وأن لا طريق لى ولا باب، فدل على أن إخلاص السلوك إليه هو

بأمر آخر .

قوله :

(وقال لى : إذا تكلمت فتكلم وإذا صمت فاصمت) .

قلت :

معناه لا ترى نفسك غيرى فإذا لم يكن غيرى فأنت نطقك نطقى

وصمتك صمتى .

قوله :

(وقال (١٨٢/أ) لى : اخرج إلى البرية الفارغة واقعد وحدك حتى

أراك، فإنى إذا رأيتك عرجت بك من الأرض إلى السماء ولم احتجب

عنك) .

قلت :

البرية الفارغة هو عدم اعتبار الأسباب، فأمره أن يقصد في هذا المقام فإنه باب الترقى إلى الرؤية .

قوله :

(وقال لى: إن لم تصحبك فى هذا كله دعوة عامى تهت) .

قلت :

يقول له هذا الإرشاد كله لابد وأن يكون معك صفة عامى، والعامى هو الذى لا يعتمد فى أموره على نفسه بل على فتيا غيره . فالمطلوب إذن السذاجة المعبر عنها بدعوة عامى .

قوله :

(وقال لى: إذا كنت كما أريد فى كل شئ فابك على نفسك ونادى أعوذ بك من سوء القرين)

قلت :

يعنى إذا عمل الأعمال الصالحة على حسب المراد المكلف به فهو صاحب أعمال، وصاحب الأعمال يبكى نفسه، فإن الأعمال لأهل الجنة نعم القرين، والأعمال عند أهل الله تدل على ثبوت النفوس، والنفوس نفس القرين .

قوله :

(وقال لى : إذا كنت لى كما أريد فى بعض الشئ فقد ركبت الخطر، وإن تحرك بؤبؤ عينك ضرك) .

قلت :

هذا التنزل من نعمة الكلام الذى قبله، وقوله ركبت الخطر بمقدار ما عمل لى منك بما أريد الخطر عنده إنما هو الحركة فى العمل؛ لأن المراد إنما هو أن يفنى عن العمل وغيره، غير أن تخصيصه العمل إنما هو لشدة تبشر النفس به لكونه معدودا من الأعمال الصالحة، وإلا فكل حركة عنده إذا نسب إلى النفس دلت على عدم فنائها فهى ضارة، والدليل عليه قوله وإن تحرك بؤبؤ عينك ضرك .

قوله :

(وقال لى (١٨٢/ب): كلك خلق فماذا تروم^(٨٧) ؟ فرأيت السد وقد أحاط بى ورأيت فى السد يضحك، وقال هذا منزل أهلى ولا أضحك إلا فيه) .

قلت :

يعنى أن الخلق لا يمكن أن يرى الحق تعالى فلا جرم قال له فماذا تروم . وأما السد الذى أشار إليه فهو أحكام الخلقية التى منها دخل عليه ما لا يريد، وقد يريد بالسد معنى غير هذا، وهو: أنه لما غاب عليه التعلق بالأعمال الصالحة العائقة له عن الفناء الذى هو باب البقاء رأى نفسه قد مالت إلى ترك التعلق بالأعمال الصالحة فسمى هذا الترك سدا لما تقتضيه العقيدة الصحيحة ويدل عليه العلم النافع فقال إن السدود أحاط بى إلى ترك الأعمال. قال فرأه فى ذلك السد يضحك، والمراد بالضحك الرضى والإقبال لا جرم قال هذا منزل أهلى، أى ترك التعلق هو منزل أهله الذين هم أهله لا أهل الجنة . و معنى قوله (لا أضحك إلا فيه) أى لا أرضى عن السالك إلا به .

قوله :

(وقال لى : قد جعلت لك فى السد أبوابا مفتوحة بعدد ما خلقت وغرست على كل باب شجرة وعين ماء باردة وأظمأتك لنن خرجت لارددتك إلى منزل أهلى ولا سقيتك من الماء) .

قلت :

لما رأى ترك التعلق بالأعمال سدا، ذكر أن فى ذلك السد أبوابا مفتوحة إلى التعلق بالأعمال الصالحة وتخصيصها بعدد ما خلقه؛ لأن كل تعلق دال على خلق به يكون التعلق فى الحقيقة، فإن العمل الصالح من حيث هو عمل صالح ليس بسد، وإنما جعل سدا من جهة ما يلزمه من ثبوت أنانية الخلقية، وهذه الأعمال هى للأبرار (١٨٣/أ) حسنات، وأما المقربون فهى لهم سيئات . هكذا وجدوا الأمر عندما نازلوا المكاشفات . فنعود ونقول إذا كان الضرر إنما هو من ثبوت الخلقية فيناسب ذلك ما قيل إنه جعل أبوابا بعدد ما خلق، وأما معنى الشجرة والعين الباردة فحقيققتها ما وعد به الصالحين أهل الجنة من مجازاته إياهم على كل عمل من أعمالهم، وأما

توعده لهم إن هم خرجوا فلأنهم من المقربين وعبادتهم هي الفناء في العمل لا العمل نفسه، فإذا خرجوا فقد باينوا منازل الأهل، ومباينتهم هي من استعداد، وما يكون بالاستعداد لا يتغير فلا جرم لا يعودون إلى منازل الأهل ولا يشربون من مشاربهم الباردة .
قوله :

(وقال لي : نم لتراني فإنك تراني، واستيقظ لتراك فإنك لن تراك) .

قلت :

النوم أخو الموت ولا يراه من لم يمّت أعنى الموت الفناء وعبر عن الفناء بالنوم . وأما قوله واستيقظ لتراك، فإن اليقظة قد تكون الشهود، والشهود تقتضي أن لا يرى البشر وفي بعض النسخ فإنك تراك، وعلى حكم هذه النسخة لا تكون اليقظة هي الشهود والكشف بل ما ينافي الفناء وهو الحجاب، وهو الذي يقتضي أن يرى العبد .
قوله :

(وقال لي : إذا وجدتني عند الكذاب فلا تذكره بي، وإذا وجدتني عند

المخلص فذكره بي)

قلت :

الكذاب هو الذي ليس له استعداد أن يكون من أهل الجنة فهذا كاذب الاستعداد، وكثيرا ما يكون هؤلاء من عين ماليس لهم فهم أيضا بهذا الاعتبار كذابون، فقيل له إذا رأيت الكذاب فلا تذكره بي؛ فإنه لا طريق له إلى . وأما المخلص ف ضد هذا .

قوله :

(وقال لي: لابد من أن أتعرف (١٨٣/ب) إليك، وتعرفني إليك بلاء،

أنا لا أزول، أنا أصل البلاء، أحببت فيك البلاء، أظهرت لك بلا معرفتك بالبلاء بلاء، إنكارك للبلاء بلاء) .

قلت :

عبارة هذا التنزل صعبة الإدراك على الفهم، وحاصل معناه أن الحقيقة إذا كانت ليس إلا أنه هو هو ولا سواه . فالتعرف بلاء والأنانية بلاء، وأصل البلاء الأنانية المعبر عنها (بأننا أصل البلاء) وأحببت أيضا هو البلاء، وأظهرت أيضا بلاء وكرهت أيضا بلاء، والمعرفة بالبلاء بلاء،

والإنكار للبلاء بلاء . وما ذاك إلا أن كل ما خالف معنى أنه هو لا سواء
قولا كان أو عملا فهو بلاء.
قوله :

(وقال لى : انكرنى كما ينكرنى الطفل وادعونى كما تدعونى
المرأة) .
قلت :

هذا التنزل لا يليق أن يكون إلى جانب هذه التنزلات؛ لأن مقامه
مغاير لمقامات هذه التنزلات، وإنما أوجب هذا ما نقل من أن الذى رتب هذه
المواقف وألف ترتيبها هو ابن بنت الشيخ ولم يكن الشيخ هو الذى رتبها، ولو
رتبها الشيخ لكانت على أحسن من هذا النظام بحيث لا يكون شئ إلا مع ما
يناسبه، ومعنى التنزل ظاهر^(٨٨) .
قوله :

(وقال لى : لا تكون لى عبدا وأنت تخبر الناس بك أو بما منك فإذا
جئت إلى فكان الذى جرى كله لم يكن) .
قلت :

يقول له لا تخبر الناس بك ولا بما منك، فإنه أمر لا يثبت له حكم فى
الحقيقة؛ لأنك إذا جئت إلى فكان الذى جرى وأخبرت به الناس لم يكن؛ لأنه
يبدو لك منى مالم تكن تحتسب، وتذهب تلك الأمور لأنها إنما كانت لأجل
التنزل إلى مقام فهمك .

٥١ - موقف العهد (١٤٨/أ) :-

قوله :

(أوقنى فى العهد وقال لى : اطرح ذنبك على عفوى وألق حسناتك
على فضلى) .
قلت :

هو يريد أن يخلصه من التعلق بالعمل فإنه بين له أن الذنب يحوه
العفو ولا يلتفت إليه وأن الحسنة هى من فعل الله لا فعلك فلا تعتد بها .

قوله :

(وقال لى : اترك علمك إلى علمى تقتبس نور الهداية، وألق معرفتك إلى معرفتى تثبت الهداية) .
قلت :

يعنى : اسلك إلى لا بعلمك بل أستغن بعلمى عن علمك، واجعل معرفتك لا من كسبك بل من تعريفى .
قوله :

(وقال لى : إذا وقفت بى تعرض لك كل شئ ليدفعك عنى) .
قلت :

عالم الخلق معانيه تعترض السالك فتعوقه عن عالم الحق لما بين حقيقتهم من التضاد .
قوله :

(وقال لى : إنما تأخذ أجرك ممن أصبحت له أجيرا)
قلت :

يعنى إن كان مطلوبك الحق فأنت أجيره وشهوده هو أجرتك، وإلا فالجنة .
قوله :

(وقال لى : إنما أنت أجير من تعمل من أجله) .
قلت :

يعنى إن كان الحق تعالى وإلا فسواه .
قوله :

(وقال لى : إن عملت لى من أجلى فذاك لى، وإن عملت لى من أجل غيرى فذاك لغيرى) .
قلت :

يعنى إن عملت لنفسك طمعا أو خوفا فذلك لغيره .
قوله :

(وقال لى : إن كنت أجير العلم أعطاك الثواب العلم، وإن كنت أجير المعرفة أعطتك السكينة) .

قلت :

العلم يقتضى الأمر والنهى، وأجرة العلم الثواب، وثمره المعرفة السكينة، والسكينة سكون وطمأنينة .

قوله :

(وقال لى : كن أجيرى أرفعك فوق العلم والمعرفة فترى أين يبلغ العلم وترى أين ترسخ المعرفة فلا يسعك المبلغ ولا (١٤٨/ب) يستطيعك الرسوخ) .

قلت :

إذا كان مقام السالك فوق مقام العلم ومقام المعرفة اطلع على ما تحته وهكذا حال كل مقام .

قوله :

(وقال لى : إذا عرضت الجمع وقف الواقفون بى فى فئانى لا يراعون فيتلجلجوا ولا يفرعون فيتحيروا) .

قلت :

الواقفون به هم أهل شهود القيومية وهم فى المواقف كذلك .

قوله :

(وقال لى : إذا وقفت بى أعطيتك العلم فكنت أعلم به من العالمين، وأعطيتك المعرفة فكنت أعرف بها من العارفين، وأعطيتك الحكم فكنت أقوم به من الحاكمين) .

قلت :

جرت سنة الله تعالى مع أوليائه الواقفين به أن يطلعهم على مراد الله تعالى فى معانى أمره ونهيه فيعرفون المراد على التعيين، وكذلك يطلعون على المعارف لأن مقامهم هو مقام الوقفة وهو فوق المعرفة، وأما الحكم فهو العثور على الصواب بين كل متحاكمين فيطلع على المحق منهم والمبطل .

قوله :

(وقال لى : أين جعلت اسمى فثم أجعل اسمك) .

قلت :

يعنى إن جعلته عين المسمى فاسمك ومسماك هناك .

قوله :

(وقال لى : الحرف يسرى فى الحرف حتى يكونه فإذا كانه سرى عنه إلى غيره فيسرى فى كل حرف فيكون كل حرف) .
قلت :

الحرف الخلق فمن كان مقامه فى عالم الخلق سرت الحروف فيه حتى تستولى عليه، ألا ترى الحجوبين إذا جلسوا للحديث كيف تخلو أحاديثهم عن ذكر الحق تعالى حتى أنهم يشغلون من يذكره، ثم يسرى أقوالهم وأفعالهم إلى ما تقتضيه أحكام الخلقية بخلاف أهل الله تعالى، ولقد رأيت منهم الشيخ محيى الدين بن سراقه قدسه الله تعالى كان إذا (١/١٨٥) أضطره الكلام فى الخلق ختم حديثه ذلك بذكر الحق تعالى وتحرك طربا بذكره كأنه مع شيخوخته غصن بان رحمه الله ورضى عنه .

واعلم أن من ذكر الحرف انصبغ به فكان حرفا إذا تذكرت دارا وهى نازحة فأنت بالذكر ممن حل فى الدار .
قوله :

(وقال لى: إذا نطق بالحرف رددته إلى المبلغ الذى تطمئن به فيسرى بحكم مبلغه فى الحروف فيسرى إليك حكم السوى) .
قلت :

إذا نطق الناطق بالحرف صبغ ذلك الحرف بمبلغ فهمه وهو الذى يطمئن به وقد كان مبلغه من السوى فإن كان يسرى إليه حكم فإنما هو حكم السوى.
قوله :

(وقال لى : الحرف الحسن يسرى فى الحروف إلى الجنة، والحرف السوء يسرى فى الحروف إلى النار) .
قلت :

يعنى: الإنسان الحسن إنما يدل الناس إلى الجنة، والإنسان السوء إنما يدل الناس إلى النار.
قوله :

(وقال لى : انظر ما حرقك وما مبلغك) .

قلت :

يعنى: انظر ماذا تتعلق به من الخلق وما معتقدك فيه .

قوله :

(وقال لى : انصرنى تكن من أصحابى) .

قلت :

معناه: من نصر الله وأعرض عما سواه استحق اسم الصحبة .

قوله :

(وقال لى : إذ أردت لك لنصرتى لم أوجدك قوة إلا من نصرتى) .

قلت :

نصر الله هو بإنكار المنكر، والذين أرادهم لهذا المقام يقيم لهم جاها بإنكارهم المنكر فيقوى ذلك الجاه أيديهم على إنكار المنكر، فهذا لمعنى التنزل.

قوله :

(وقال لى : إذا أردت لك لنصرتى علمت لك من علمى ما لا يحمله)
(١٨٥/ب) (العالمون) .

قلت :

وهو فى هذا التنزل يشير إلى نصر خاص غير النصر الذى فسر قبل، وذلك أن هذا النصر هو نصر جانب المعرفة على ما يعارضه وينازعه من العلم، وهذا إنما يكون بأن يعلمه الحق علما بالحكم الحق فى كل مسألة، والحكم الحق لا يحمله عقول العالمين .

قوله :

(وقال لى: إنما يقف فى ظل عرشى أنصارى) .

قلت :

نسب أنصاره إليه .

قوله :

(وقال لى : يا عارف انصرنى وإلا أنكرتني) .

قلت : يقول يا عارف إذا نازعك العلم فى باطنك، وجذبك عما يقتضيه جانب الحق من منى الشهود، فرجح جانب الشهود وإلا صارت معرفتك نكرة .

قوله :

(وقال لى : المتعرض بى ينقلب إلى كل النعيم، والمعرض على ينقلب إلى كل العذاب) .

قلت :

يعنى بالمتعرض له: من رجح جانب تعرفه إليه فى قلبه، والمعرض عليه ضده .

قوله :

(وقال لى : اعرف مقامى وقم فيه) .

قلت :

أى اعرف حضرته وكن من أهلها .

قوله :

(وقال لى : إذا وقفت فى مقامى جاءك الإخبار من السماء ومن الأرض وما بينهما فالقه فى النار فإن كان باطلا حطمته ولم يحطمك، وإن كان حقا رددته إلى ولم يحجبك) .

قلت :

معناه إذا أقمت فى مقامى، فلا تسمع الأخبار من غيرى، بل اجعله فى نار الاختيار، فإن كان باطلا فنى وإلا رجع إلى الحق .

قوله :

(وقال لى : الحرف الذى تكونت به الحروف لا يستطيع محامدى، ولا يثبت لمقامى) .

قلت :

يعنى: أخبار هذا الحرف لا تثبت لمقامى بل تنفى فكيف ما سواه .

٥٢- موقف عنده (١٨٦/أ) :-

قوله :

(أوقفنى عنده وقال لى: انظر إلى الحرف وما فيه خلفك فإن التفت إليه هويت فيه وإن ألتفت إلى ما فيه هويت إلى ما فيه) .

قلت :

عنده يعنى فيما فوق الحرف، والحرف هو السوى والخلق، ونحو ذلك، فإن تعلقت بغير الحق هويت إلى ذلك القبر .

قوله :

(وقال لى : الحق هو ما لو قلبك عنه أهل السموات والأرض ما انقلب، والباطل هو ما لو دعاك إليه أهل السموات والأرض ما أجبت) .

قلت :

إن شأن الشهود أن يظهر الحق أنه حق والباطل أنه باطل، ويكون ما ظهر بحكم الشهود لا يمكن ردا له ولو عاند صاحبه فيه أهل السموات والأرض .

قوله :

(وقال لى : لا تياس منى فلوجنت بالحرف كله سيئة كان عفوى أعظم) .

قلت :

يعنى لو جنت بعدد الخلق سيئات كان العفو أعظم .

قوله :

(وقال لى : لا تجترئ على، فلوجنت بالحرف كله حسنات كانت حجتى أزم) .

قلت :

الحرف الخلاق .

قوله :

(وقال لى: فضلى أعظم من الحرف الذى وجدت علمه ومن الحرف الذى علمت علمه ومن الحرف الذى لم تجد علمه ومن الحرف الذى لم تعلم علمه) .

قلت :

الوجدان ما علم ذوقا، والعلم ما علم عقلا أو نقلا؛ فالوجدان أبلغ وفضل الله تعالى أعظم مما علم ومما لم يعلم .

قوله :

(وقال لى : إذا وقفت عندى رأيت ما ينزل وما يعرج، وجاءك الحرف وما فيه فخاطبك كل شئ بلسانه وترجم لك كل بيان ببيانه، ودعاك كل شئ إلى نفسه، وطلبك كل جنس إلى جنسه) .
قلت :

اعلم أن عندية الحق تعالى تدعو العبد بكل لسان؛ لأنه ما ثم سواه، لكن (١٨٦/ب) خلاص العبد لا يكون إلا بالإباحة بإجابة الحق إذا دعاه إليه بلسان الخلق، لكنه ما ثم من يدعو إلا هو، ولا من يجيب غيره . ولكن هذا المشرع ممنوع حتى يصل العبد إلى الوقفة وتقنى العندية وغيرها، وحينئذ يرى ما قلناه .

قوله :

(وقال لى : الدليل من جنس الحجاب، والحجاب من جنس العقاب) .

قلت :

الدليل يقتضى تغاييرا كثيرا، والحق يسقط معه الدليل والمدلول، فلا جرم قيل هو من جنس الحجاب، وأما أن الحجاب من جنس العقاب فلأنه هو الذى تحرقه النار حتى يحصل الخلاص منه، فإن العقاب إنما هو لمصلحة المعاقب ليذهب حجابهم فما يحترق إلا الحجاب .

قوله :

(وقال لى : من كان دليله من جنس حجابهم احتجب عن حقيقة ما دل

عليه) .

قلت :

يعنى من كان دليله غير الحق تعالى فدليله من جنس حجابهم، فإن الخلق حجاب ودليله لا يحصل المدلول بل يزيد الطالب حجابا .

قوله :

(وقال لى : أنا حجاب عارفى، وأنا دليل عارفى، تعرفت فعرفنى، وعرف أنى تعرفت واحتجبت فعرفنى وعرف أنى احتجبت) .

قلت :

يقول إن أهل المعرفة رأوا الحجب كلها مظاهر للحق فصار الحق في نظرهم هو الذي كان حجابا لهم قبل المعرفة، ثم إنهم لما استجلوا وجه الحقيقة لم تتكرر عليهم أمرها، بل عرفوها في ظهورها واحتجابها .

قوله :

(وقال لي : من لم يكن جاذبه الله لم يصل إلى الله) .

قلت :

معناه أنه هو الدليل وهو الجاذب، فإن لم ير العبد أنه كذلك فسيستجيب للحرف فلا يصل إلى الله تعالى .

قوله :

(وقال لي : من أنسى بالحجاب الداني أماله إلى القاصي) .

قلت :

حقيقة الحجاب واحدة، فمن استسهل (١٨٧/أ) أن يكون محجوبا حجابا رقيقا جذبه ذلك إلى الحجاب الكثيف؛ لأنه إنما مال إلى ذلك الحجاب لضعف في الاستعداد .

قوله :

(وقال لي : إذا علمت العلم من لدني أخذتك باتباع العالمين كما أخذتك باتباع الجاهلين) .

قلت :

يعنى أن العلم اللدني ينهى عن اتباع العلماء أيضا؛ لأن حقيقة ما يدل عليه أمر آخر غير ما يدعو إليه العلم والجهل .

قوله :

(وقال لي : إذا رأيت قربي وبعدي أخذتك باتباع القاصدين كما أخذتك باتباع المعرضين) .

قلت :

من شهد قربه وبعده علم أنه لا بعد ولا قرب، فإن اتبع القاصدين إلى الله تعالى فقد أثبت هنالك بعدا وليس كذلك فهو مؤاخذ باتباعهم كما هو مؤاخذ باتباع المعرضين .

قوله :

(وقال لى : كما آليت أن أظهر حكمتى كذا آليت أن لا أنقض حكمتى).
قلت :

حكمته الشرع المطهر، ولا يجوز لأهل الرؤية أن ينقضوا شيئا منه، فإن له من هو مطلوب بإقامته، وإن كان فرض أهل الرؤية مخايرا لفروض أهل الحكمة.
قوله :

(وقال لى : عفوى لا ينقض حكمتى، وحكمتى لا تنقض معرفتى).
قلت :

يعنى أن أهل الرؤية معفو عنهم فى المطالبة بالظاهر، لكن عفوه عنهم لا ينقض الحكمة التى هى الشرع ، فلا جرم قال عفوى لا ينقض حكمتى، قال والشرع لا ينقض المعرفة؛ فلذلك قال: وحكمتى لا تنقض معرفتى .

٥٣ - موقف المراتب :-

قوله :

(أوقفنى فى المراتب وقال لى : أنا مظهر الإظهار لما لو بدا له (١٨٧/ب) أحرقه وأنا مسر الأسرار لما لو بدا له أحرقه).
قلت :

معناه أن الإظهار هو من فعله، وإنما أوجد الإظهار فى الأذهان هى أذهان المحجوبين ولو بدت حقيقة الإظهار والأسرار لأحرقتهم، ومعنى الإحراق أن يروا الإظهار ظهورا فلا يجدون غير الظاهر فيفنى رسومهم لأنهم لا يرون أنهم وجدوا.
قوله :

(وقال لى : خلقت الخلق فصنفتهم أصنافا وجعلت لها الأفئدة فأوقفها إيقافا فكل قلب واقف فى مبلغه منقلب بحكم ما وقف فيه) .

قلت :

قد خاطبهم فى هذا التنزل على قدر ما أدركته حواسهم، وأراد بالأصناف الأنوع وأراد بالإيقاف تصرفهم فى حدودهم التى هى مبالغهم من العلم وغيره، واعلم أن الأفئدة المذكورة لهم من ما يفهم من الأفئدة، فإن الذى يفهم منها إنما هو مختص ببني آدم، إذ لكل إنسان فؤاد، والمراد أعم من هذا، فإن لكل مخلوق فؤادا يليق به هو به منقلب فى مبلغه بحسب ما هو مجبول عليه .

قوله :

(وقال لى: بالتصنيف تعارفت الجسمية، وبالوقوف تعارفت العلوية).

قلت :

معنى تعارفت الجسمية أى تناسبت، والوقوف قد خصه بالأفئدة فنسبه إلى العلوية، وهو فى هذا يخاطب الأفهام بحسبها .

قوله :

(وقال لى : من عرفنى فلا عيش له إلا فى معرفتى، ومن رآنى فلا

قوة له إلا فى رؤيتى) .

قلت :

المعرفة تحكم على القوى بأسرها ولا تترك لصاحبها عيشا فى غيرها، والرؤية أقوى منها فلا يجد صاحبها قوة فى غيرها، والفرق بين المعرفة والرؤية أن المعرفة جزئية بالنسبة إلى الرؤية فإنها كلية .

قوله :

(وقال لى : إذا عرفتنى فخف مكرى وأنى يعرفه إلا المصطفون

لعلمى) -

قلت :

المعرفة فيها حجب بحسب ما بقى من الرسوم، ومادامت الرسوم باقية فالمكر ممكن، والمكر مراتب: مكر يسلخ العبد من مواهب الله تعالى وذلك لا يمكن فى حق العارفين، ومكر هو أن يتعرف الحق إلى عبده من وراء حجب وذلك التعرف لا يفنى الرسوم فهذا أيضا يسمى مكرا، والذى لا يعرفه (١/١٨٨) إلا المصطفون هو هذا المكر المذكور أخيرا .

قوله :

(وقال لى: اعتبر المكر بالغيرة فإذا رأيتها تحوشك إلى وإلى سبيلي
فقد قر قرار حكمتك وأنار هدى هدايتك، تمسك بها واصلك من واصل
وجانبك من جانب فهي دليلي الذي لا يتيه وتديري الذي لا يحيد).
قلت :

الغيرة قد تكون من الحق تعالى على عبده فهو يحوشه إليه بتعرفاته
فى قلبه وقد تكون غيرة من العبد على ربه فيروم أن ينفرد به دون الخلائق
أجمعين والأولى هي التي تراد، ووجه التمسك بها هو الانقياد والمطواعة
لأحكامها .

قوله :

(وقال لى : إذا جاءك التأويل فقد جاءك حجابي الذي لا أنظر إليه
ومقتك الذي لا أعطف عليه) .
قلت :

السلوك إليه تعالى إذا أسس على أصل ثابت وهو أن العبد سلم نفسه
إلى ربه تعالى فلا يجوز له بعد ذلك أن يتأول فيما نفع، فإنه فيما بعد يجد
الحق تعالى قد خلصه مما لا يقدر التأويل أن يخلصه منه فينبغي أن يجعل
الله تعالى بدلا من عقله وعلمه .

قوله :

(وقال لى : العلم يدعو إلى العمل، والعمل يذكر برب العلم وبالعلم،
فمن علم (١٨٨/ب) ولم يعمل فارقه العلم، ومن علم وعمل لازمه العلم) .
قلت :

هذا كلام ظاهر المعنى .

قوله :

(وقال لى : من فارقه العلم لزمه الجهل وقاده إلى الممالك، ومن
لزمه العلم فتح له أبواب المزيد منه)
قلت :

قال تعالى "واتقوا الله ويعلمكم الله" والباقي ظاهر .

قوله :

(وقال لى : إن عصيت النفس إلا من وجه لم تطعك من وجه) .

قلت :

لا ينبغي للسالك أن يعنف النفس بسد الأبواب المباحة جميعها، فإن لها من الله تعالى تأييدا أيضا فينبغي أن يساس الأمر معها .

قوله :

(وقال لى : بقى علم بقى خاطر، بقيت معرفة بقى خاطر) .

قلت :

يعنى ما دام العلم لم يفن لم تزل الخواطر، وكذلك المعرفة .

قوله :

(وقال لى : صاحب العلم إذا رأى صاحب المعرفة آمن ببداياته وكفر بنهاياته، وصاحب المعرفة إذا رأى من رأى كفر ببداياته ونهايته، وصاحب الرؤية يؤمن ببداية كل شئ ويؤمن بنهاية كل شئ فلا ستره عليه ولا كفران عنده) .

قلت :

مبادئ المعرفة هي العمل الصالح وهو من العلم لا جرم أن صاحب العلم يؤمن ببدايات صاحب المعرفة إذ هي من مدركات عقله وأما نهايات صاحب المعرفة فما هي في طور العلم لأنها أمور غير العمل الذى يدل عليه العلم فلا جرم أن صاحب العلم يكفر بنهايات صاحب المعرفة، وأما صاحب المعرفة فيكفر ببدايات صاحب الرؤية ونهاياته وذلك لأن صاحب المعرفة له رسم باق وأما صاحب الرؤية فلا رسم له البتة، ولذلك حصل له الإطلاق فيؤمن ببدايات كل شئ ونهايات كل شئ فليس عليه ستره أى (١/١٨٩) حجاب ولا عنده كفران .

قوله :

(وقال لى: العلم عمود لا يقله إلا المعرفة، والمعرفة عمود لا يقله إلا

المشاهدة) .

قلت :

يعنى أن المعرفة هي باطن العلم ولا تحمل الباطن إلا الظاهر، ويقل هو بمعنى يحمل ثم إن المعرفة هي أيضا ظاهر المشاهدة، فالمشاهدة هي تحمل عمود المعرفة .

قوله :

(وقال لى: أول المشاهدة نفى الخاطر وأخرها نفى المعرفة) .

قلت :

المشاهدة تجمع النفس على المشهود الحق فلا يبقى معها خاطر إذ كل خاطر فهو عن تشعب ذهن ومع انجماع النفس لا يبقى تشعب، وأما آخر المشاهدة فهي نفى الثبوتية . فإن المعرفة لا بد فيها من عارف ومعروف، فالثبوتية فيها موجودة، والمشاهدة هي بأن يفنى الشاهد في وجود المشهود الحق فلا ثبوتية تبقى فلا جرم يذهب رسم المعرفة .

قوله :

(وقال لى: إذا بدا العلم عن المشاهدة أحرق العلوم والعلماء) .

قلت :

العلم الذى يبدو عن المشاهدة هو علم يبقى في القلب بعد انقضاء حكم المشاهدة، وذلك العلم هو علم المشاهدة وهو مما يفنى في نظر صاحبه أحكام العلوم العقلية والنقلية، بمعنى أن صاحب علم المشاهدة تنتقل عبادته إلى نوع آخر وفهمه إلى نوع آخر . قوله : أحرق العلوم والعلماء، أى أعرض عنهم .

٥٤ - موقف السكينة :-

قوله :

(أوقفنى فى السكينة وقال لى : هى الوجد بى أثبت ما أثبت (١٨٩ب) ومحا ما محا) .

قلت :

السكون إلى الله تعالى بصفة التعشق هو الوجد به وهى السكينة، وأما ما يثبت الوجد بالله فهو الإعراض عما سواه، ويتضمن ذلك أن العبادة التى ترزعج الحاضر بصعوبتها هي تفرق القلب عن سكينته، فالسكينة تمحو هذه العبادة وتستبدل بدلها ما لا تفرق السكينة مثل العبادة القلبية والذكرية، ولست أعنى أنها تنهى عن الفرائض؛ فإن الكلام في هذه الطائفة إنما هو عن النوافل لأنهم أهل النوافل وأهل الأوراد .

قوله :

(وقال لى : أثبت ما أثبت من أمرى فأوجب أمرى ما أوجب من حكمى فخرج حكمى بما (خرج) جرى من علمى، فغلب علمى، فأشهدتك أنه غلب، فتلك سكينتى فشهدت بينتى) .

قلت :

هذا يدل على صحة ما فسر به ما قبله، وذلك أنه بين أن الذى أثبت هو من أمره يعنى أنه خصص بعض الأوامر بالنفس فأثبت ذلك الأمر وجوب حكم ما يليق بمعناه، فذلك الحكم هو الذى جرى فى علم الله تعالى أنه يكون عملاً من أعمال صاحب السكينة . وقوله فغلب علمى أى تعين مضمونه بخلاف ما لم يجد فى العلم من بقية الأمر فأشهد العبد أن العلم الإلهى غلب بتعينه هذا العمل الخاص دون غيره، فسكن بذلك العمل قلبه فهى سكينته، وذلك الشهود هو البيئة على صحة المجموع .

قوله :

(وقال لى : السكينة أن تدخل إلى من الباب الذى جاءك منه تعرفى) .

قلت :

لا شك أن العبد الذى يأتية التعرف يسكن قلبه إلى مضمون ذلك التعرف، مثاله أنه تعرف إليه فى أن الذكر هو ينبغى أن يلزمه من الأوراد فدخوله إليه (١٩٠/١) إذن هو من جهة ما يختص بالذكر هو الذى تحصل له به السكينة لأنه الباب الذى جاء منه التعرف .

قوله :

(وقال لى : فتحت لكل عارف محق باباً إلى فلا أغلقه دونه فمنه

يدخل ومنه يخرج وهو سكينته التى لا تفارقه) .

قلت :

لما كان لكل أحد استعداد يخصه أوجب أن الحق تعالى يعين لكل صاحب استعداد خاص بأن يناسبه، ومنه يقع تعرفه إليه فمنه يدخل بحقيقة العرفان، ومنه يخرج إلى العلم بالوجدان، ولا يمكن أن يغلق لأن ما هو بمقتضى الاستعداد لا يتغير، وإنما يختلف العارفون باختلاف الاستعداد .

قوله :

(وقال لى: أصحاب الأبواب من أصحاب المعارف هم الذى يدخلونها بعلم منها ويخرجون منها بعلم منى) .
قلت :

قد تقدم فى الشرح أن الدخول إنما هو من الوجه الذى حصل منه التعرف وذلك هو علم ذلك الباب لأنه علم حكم ذلك التعرف الذى به دخل، وأما خروجه بعلم منه تعالى فإن كل دخول إليه تعالى لا بد أن يؤثر فى القلب علما لم يكن فيه، فذلك هو الخروج بعلم منه تعالى .
قوله :

(وقال لى : السكينة أن تدعو إلى، فإذا دعوت إلى ألزمتك كلمة التقوى، فإذا ألزمتك كنت أحق بها، فإذا كنت أحق بها كنت أهلها، وإذا كنت أهلها كنت منى، أنا أهل التقوى، وأنا أهل المغفرة) .
قلت :

يعنى لا تكون السكينة لمن لم يدع إلى الله ولو جوارحه وأسراره، فلا يدعو إلى الجنة ولا إلى المعرفة، ولا إلى الرؤية، ومعنى كلمة التقوى (١٩٠/ب) استقامة النفس على الذهول بالله تعالى عما سواه بحسب المرتبة التى السالك فيها، فإن أهل السكينة هم متفاوتون فى مقامها، فهذه الاستقامة هى الالتزام، والحق تعالى هو أهل لأن يعتمد معه هذه الاستقامة فهو أهل التقوى والمغفرة والستر، ويراد بالسر ههنا الاستقامة التى يستر معها ما سوى الله عن نظر أصحاب الكسينة .
قوله :

(وقال لى : فتحت لك بابا إلى فلا أحجبك عنه، وهو نظرك إلى ما منه خلقت فأشهدتك إشهادى فى نظرك فهو بابك الذى لا يغلق دونك، وهو سكينتك التى ترفع عنك) .
قلت :

إنه خلق أولياءه منه، فهو أشهده ذلك فى نظره، وذلك سكينته .

قوله :

(وقال لى : إذا دخلت إلى فرأيتنى، فأية رؤيتى أن ترجع بعلم ما دخلت فيه أو بتمكين فيما دخلت فيه) .

قلت :

قد تقدم في الشرح أن لكل دخول علما يحصل للقلب به، والتمكين يحصل ولا بد من العلم علم ما دخل فيه وعلم التمكين، وقوله وآية رؤيتي أي علامة رؤيتي .

قوله :

(وقال لي : إذا قصدت إلى الباب فاطرح السوى من ورائك، فإذا بلغت إليه فألق السكينة من ورائه وادخل إلى لا بعلم فتجهل ولا بجهل فتخرج) .

قلت :

إلقاء السوى حقيقة ليس هو من مقدور العبد، وإنما هو من توابع تجلى النور الوجداني في نظر العبد فينطرح السوى بذلك النور، فكأنه أراد بقوله فألق السوى أي من أحكامك إذ ذاك (أ/١٩١) ينطرح السوى من ورائك، وكذلك القول في طرح السكينة فإنها سوى أيضا، قوله : (وادخل إلى لا بعلم فتجهل) : أي العلم سوى أيضا، فإن دخلت به كان حكمك حكم الجاهل، وإذا دخلت إليه بالجهل أوجب الخروج، وهو قوله ولا بجهل فتخرج.

قوله :

(وقال لي : في كل علم شاهد سكينة وحقيقتها في الوقوف بالله) .

قلت :

يعنى أن العلم الصحيح هو ما صاحبه السكينة كما تقدم في الشرح، والسكينة لا تكون الذهول بالله عما سواه أو ما هو في معنى ذلك .

قوله :

(وقال لي : الصبر من السكينة والحلم من الصبر، والرفق من

العلم) .

قلت :

هذا يفهم بالذهن، فإن من صبر سكن، والحلم الذي هو التجاوز عن الجاني فهو من الصبر، ثم الرفق لا يحصل إلا من العلم فإن الجاهل مسوق، وهذا الكلام نازل عن المعرفة .

قوله :

(وقال لى : إذا قصدت إلى لقيك العلم فألقه إلى الحرف فهو منه، فإذا ألقيته جاءتك المعرفة فألقها إلى العلم فهي منه، فإذا ألقيتها جاءك الذكر فألقه إلى المعرفة فهو منها، فإذا ألقيته جاءك الحمد فألقه إلى الذكر فهو منه، فإذا ألقيته جاءك الحرف كله فألقه إلى الأسماء فهو منها، فإذا ألقيته جاءتك الأسماء فألقها إلى الاسم فهي منه، فإذا ألقيتها جاءك الاسم فألقه إلى الذات فهو لها، فإذا ألقيته جاءك الإلقاء فألقه إلى الرؤية فهو من حكمها) . قلت :

إذا قصدت إلى (أى توجهت إلى) فأول ما يعترضك العلم، فإنه يقول لك دع التوجه المطلق وقم فى العبادة فألق ذلك العلم (١٩١/ب) إلى الحرف أى قل له بلسان الحال أنت من أحكام المحبوبين وحالهم هو الذى عينك لهم فذلك قال فهو منه، فإذا تخلص من العلم جاءته المعرفة وهو فوق العلم قال فألقها إلى أسفل فتقع فى العلم وذلك لبقاء الرسوم عند أهل المعرفة، ثم إن الذكر هو أقرب إلى المذكور من المعرفة إذا كان الذكر محيط المقام كاسم الله واسم الرحمن واسم القيوم فينبغى أن يلقى الذكر إلى ما تحته وهو المعرفة، ثم أن الحمد أعم الأذكار الجزئية لكونه يعود من كل حمد حمد إلى الله تعالى خاص؛ فإذن يلقى الذكر، وأما الحرف كله فهو يرجع إلى الأسماء، وذلك يعرفه من شهد أن ما فى الوجود غيره تعالى، فإذن إنما يلقى الحرف كله إلى الأسماء، ثم يلقى الأسماء إلى الاسم، ثم ينسب الاسم إلى الذات المقدسة، وبعد الوصول إلى الذات، فالذات لا تلقى وإنما يلقى الإلقاء، وهو إنما تسقطه الرؤية، وهذا الترتيب الذى ذكره من عرف أسرارہ كان له سلما يرقى فيه إلى أوج الحضرة الإلهية وينحدر منه إلى حضيض الخلقية .

٥٥ - موقف بين يديه:-

قوله :

(أوقفنى بين يديه وقال لى : اجعل الحرف وراءك وإلا ما تغلح وأخذك إليه) . قلت :

هذا شرح معناه مرارا .

قوله :

(وقال لى : الحرف حجاب، وكلية الحرف حجاب، وفرعية الحرف حجاب) .
قلت :

يعنى أن السوى على اختلاف أحواله حجب كله .

قوله :

(وقال لى : لا يعرفنى الحرف، ولا ما فى الحرف، ولا من الحرف، ولا ما (١٩٢/أ) يدل عليه الحرف) .
قلت :

ما يعرف الله إلا الله من جهة ما عرف لا من جهة ما بقى فى العارف من الرسم .

قوله :

(وقال لى : المعنى الذى يخبر به الحرف حرف، والطريق الذى يهذى إليه حرف) .
قلت :

إنما ينضح الإناء بما فيه، فكيف يستطيع الخلق أن يخبر عن الحق اللهم إلا فى حضرة العلم والعلم من الحرف فما هو الإخبار العرفانى .
قوله :

(وقال لى : العلم حرف لا يعربه إلا العمل، والعمل حرف لا يعربه إلا الإخلاص، والإخلاص حرف لا يعربه إلا الصبر، والصبر حرف لا يعربه إلا التسليم) .
قلت :

الإعراب هو البيان، فلا يبين العلم إلا العمل، ولا يبين العمل إلا الإخلاص أى تحققه، وما لم يكن الصبر مع الإخلاص ضعف الإخلاص، ثم إن الصبر مر فإذا صاحبه التسليم سهل .
قوله :

(وقال لى : المعرفة حرف جاء لمعنى، فإن أعربته بالمعنى الذى جاء له نطقت به) .

قلت :

المعرفة حرف إنما جاء لمعنى إثبات الحق ونفى ما سواه، فمن شهد المعرفة فقد أعرب ذلك الحرف أى بينه وحققه فحق له ألا ينطق به.

قوله :

(وقال لى : السوى كله حرف، والحرف كله سوى).

قلت :

قد تقدم ذكر هذا فى الشرح مرارا .

قوله :

(وقال لى: ما عرفنى من عرف قربى بالحدود، ولا عرفنى من عرف بعدى بالحدود).

قلت : يعنى بالحدود الأحياء المكانية .

قوله :

(وقال لى : ما شئ أقرب إلى من شئ بالحدية، ولا شئ أبعد منى من شئ بالحدية) ^(٨٩).

قلت :

هذا إشارة إلى أنه تعالى ليس فى جهة كما يقول الحنابلة، ولو كان فى جهة لكان من كان أقرب إلى تلك الجهة هو أقرب إليه ممن هو أبعد عنها، فوجب من هذا أن يعرف أنه الكل، فإنه إن لم يكن كذلك لزمته الجهة، وأما من يقول بالمجردات فإن ألفاظ أولئك ما تحتها معان، فإن من يقول ليس المجرد داخل العالم ولا خارج العالم فقد رفع النقيضين؛ لأن قولهم لا داخل العالم نقيضه يلزمه خارج العالم .

قوله : (١٩٢/ب)

(وقال لى : الشك فى الحرف، فإذا عرض لك فقل من جاء بك).

قلت :

هذه وصيته معناها أن يدفع الحرف بالأصالة لأن يثبتته ثم ينظر إلى من جاء به فإنه إنما يجئ بالشك، فأمره أن يدفعه وهو قوله من جاء بك .

قوله :

(وقال لى : كيف فى الحرف).

قلت :

الكيف هو الحال التى يسأل عنها بكيف، وهى أحوال فيها الشينية وما ليس بشينية .

قوله :

(وقال لى : إذا كلمتك بعبارة لم تأت منك الحكومة؛ لأن العبارة تردّدك منك إليك بما عبرت و عما عبرت) .

قلت :

معناه إذا جاءك خطابى بعبارة لم تصادف منك الحكومة وهى المعنى المراد قال لأن العبارة نفع فيها أن يقال بما عبرت و عما عبرت فيقع السؤال والسؤال دال على البلبال .

قوله :

(وقال لى : أوائل الحكومات أن تعرف بلا عبارة) .

قد بينا أن الحكومة هى المعنى المراد قال وأوئل حصولها العرفان بلا عبارة فإن لا حكومة فى العبارة من حيث هى بل يكون فى العبارة من حيث ما تصحب فما يفهم بلا عبارة فإنه قد تكون المنازلات مجاورة للعبارات .

قوله :

(وقال لى : إذا تُعرفت بلا عبارة لم ترجع إليك، وإذا لم ترجع إليك جاءتك الحكومات) .

قلت :

قوله لم ترجع إليك أى لم ترجع إلى إدراك عقلك، وحينئذ تاتى الحكومات .

قوله :

(وقال لى : العبارة حرف ولا حكم لحرف) .

قلت : هذا ظاهر .

قوله :

(وقال لى : تعرفى إليك بعبارة توطئة لتعرفى إليك بلا عبارة) .

قلت :

هكذا جرت السنة في السالكين أن يأتيهم الخطاب بالعبارة، ويقع من المشايخ الإنكار على السالكين إذا رأوهم قد يعشقوا بها ثم يأتيهم التعرف بلا عبارة .

قوله :

(وقال لى : إذا تعرفت (١٩٣/أ) إليك بلا عبارة خاطبك الحجر والمدر) .

قلت :

معناه: سمعت خطابى لك من الحجر والمدر، لكن بالسنة الأحوال وهى أفصح عندهم من السنة الأقوال .

قوله :

(وقال لى : أوصافى التى تحملها العبارة أوصافك بمعنى، وأوصافى التى لا تحملها العبارة لا هى أوصافك ولا من أوصافك) .

قلت :

يعنى أن النطق بالعبارة هو من عالم الإنسان، أما النطق بلا عبارة فليس من عالمه وهذا ظاهر .

قوله :

(وقال لى : إن سكنت إلى العبارة نمت، وإن نمت مت فلا حياة ظفرت ولا على عبارة حصلت) .

قلت :

هو هذا الذى أوجب على المشايخ أن ينكروا على تلاميذهم إذا سكنوا إلى الخطاب بعبارة .

قوله :

(وقال لى : الأفكار فى الحرف، والخواطر فى الأفكار، وذكرى الخالص من وراء الحرف والأفكار، واسمى من وراء الذكر) .

قلت :

الذكر يكون بالخواطر التى من الأفكار، وهذا هو الذكر الذى ليس بخاص، والذكر الخاص فوق الأمرين معاً، واسمه أعلى من مقامه (مقام) من ذكره، فإنه إنما شرف الذكر باسم المذكور .

قوله :

(وقال لى : اخرج من العلم الذى ضده الجهل، ولا تخرج من الجهل الذى ضده العلم تجدنى) .

قلت :

قد ذم التعلق بالعلم فى التنزل مرتين: أحدهما بقوله اخرج من العلم، والثانى بقوله ولا تخرج من ضده، وجعل هذين القيدين شرطا لوجدانه فافهم.

قوله :

(وقال لى : اخرج من المعرفة التى ضدها النكرة تعرف، فتستقر فيما تعرف، فتثبت فيما تستقر، فتشهد (١٩٣/ب) فيما تثبت، فتتمكن فيما تشهد) .

قلت :

الخروج من المعرفة التى ضدها النكرة هو الخروج إلى الرؤية، فإن كل مشاهدة قبل الرؤية فهى معرفة ضدها نكرة، فكأنه قال له اخرج إلى الرؤية تحصل لك المعرفة الحق فتستقر فيها؛ فتثبت فى الاستقرار، فتشهد فى الإثبات؛ فتتمكن فى الشهود.

قوله :

(وقال لى : العلم الذى ضده الجهل علم الحرف، والجهل الذى ضده العلم جهل الحرف، فاخرج من الحرف تعلم علما لا ضد له وهو الربانى، وتجهل جهلا لا ضد له وهو اليقين الحقيقى) .

قلت :

العلم الذى لا ضد له هو شهود الوجود ولا ضد للوجود، ولقائل أن يقول إن العدم ضد الوجود، فالجواب أن الوجود الذى العدم ضده هو الذى يقول أهل الأفكار أنه عرض للماهية وذلك عندهم عرض فضده عدم عروضه، وأما ما نفهمه نحن من الوجود فهو الذى يشمل الثبوت أيضا بكل اعتبار فيدخل فيه العدم الإضافى لأنه موجود فى الذهن، وأما العدم الصرف - وهو ما لا كان قط ولا يكون أبدا ولا دخل فى ذهن - فذلك لا يقال له ذاك؛ إذ لا حقيقة هناك تستحق أن يشار إليها، فكيف يستحق أن يثبت حتى يكون ضدا للوجود؟ .. هذا باطل . وأما الجهل الذى لا ضد له فهو أن تجهل ما سواه لاستغراقه إياه، وذلك يقين حقيقى.

قوله :

(وقال لى : إذا علمت علما لا ضد له، وجهلت جهلا لا ضد له،
فلست من الأرض ولا من السماء) (١٠) .
قلت : يريد فأنت منى لا من شئ .

قوله :

(وقال لى : إذا لم تكن من أهل الأرض لم استعملك بأعمال أهل
الأرض (١٩٤/١)، وإذا لم تكن من أهل السماء لم استعملك بأعمال أهل
السماء) .
قلت :

معناه سقوط العمل عنه لسقوط عقله والحالة هذه .

قوله :

(وقال لى : أعمال أهل الأرض الحرص والغفلة: فالحرص تعبدهم
لنفوسهم، والغفلة سكونهم إلى نفوسهم) .
قلت :

يريد بالحرص فى العمل الصالح، ولم يرد الحرص فى الدنيا؛ فإن
هذا الكلام هو مخلص من أحكام أهل الدنيا، بل هو فيما أحوال العلماء
العاملين وبين من فوقهم من العارفين فمن فوقهم، ثم إنه سمي ذلك الحرص
تعبدًا لنفوسهم من لأنهم من أجلها فهم عبيدها، وأما أهل الغفلة فسكنوا
ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، ولم يذكر هنا أهل الغفلة إلا لذكره أهل
اليقظة الذين عبر عنهم بأنهم عملهم الحرص .

قوله :

(وقال لى : أعمال أهل السماء الذكر والتعظيم، فالذكر تعبدهم لربهم
والتعظيم سكونهم إلى ربهم) .
قلت :

عبادة هؤلاء كعبادة الذين ذكرهم قبل؛ فإن الذكر عبادة وهى
للحرص، قال وتعبدهم فيها هو لربهم بخلاف الأولين، وأما التعظيم فهو ما
يجدونه فى أنفسهم من تسليم العظمة لربهم وهو سكون، فحصل من هذا أن
من علم علما لا ضد له لم يستعمل فى التعبد لربه فإنه أعمال أهل السماء،
ولا فى التعبد لنفسه وهو أعمال أهل الأرض .

قوله :

(وقال لى : العبادة حجاب دان أنا من ورائه محتجب بوصف العزة،
والتعظيم حجاب أدنى أنا من ورائه محتجب بوصف الغنى) .
قلت :

قد أجمل فى هذا التنزل ما فصله فى التنزّلين اللذين قبله، فإنه جمع عبادة أهل (١٩٤/ب) الأرض والسماء فى قوله العبادة وسماها حجابا، وجمع التعظيم الذى كان قرين الذكر وهو من عبادة أهل السماء وسماها وصفا أدنى، إلا أنه جعله حجابا بقوله : أنا محتجب من ورائه، لكن فى تسميته حجابا شطح (شطحا) لا يحتمله عقول الجاهل؛ فعدل عنه إلى ذكر الوصف، ثم ذكر أنه محتجب من ورائه فما أخرجه عن كونه حجابا، ثم أنه قابل العبادة بالعزة وهو الامتناع ففلس أهل العبادة لأن الممتنع ممتنع من كل الوجوه فلا يؤثر فى امتناعه وسبيله العبادة، ثم إن تفسير العزة فيما جرت به عادة هذه المواقف أنها هى الوجدانية التى لا ثنوية فيها، وهناك لا يكون للعباد أثر فى حكمها، وأما التعظيم فاحتجب عنه بالغنى عن التعظيم فبطل حكمه، فلا جرم لم يرض لمن علم علما لا ضد له وجهلا لا ضد له لا العبادة ولا التعظيم، وذلك فى قوله لم أستعملك بأعمال أهل السماء ولا أعمال أهل الأرض .

قوله :

(وقال لى : إذا جزت الحرف وقفت فى الرؤية) .

قلت :

إذا تعدى عالم الخلق وجد الحق .

قوله :

(وقال لى : لن نقف فى الرؤية حتى ترى حجابى رؤية ورؤيتى

حجابا) .

قلت :

إذا وجد الرؤية لم ير غيره فيعود ما كان حجابا فى حقه ظهورا من ظهورات مشهوده، فإذا أن يرى حجابة رؤية، فلما قلناه، وإما أن يرى رؤيته حجابا، فإن الرؤية تقتضى رائيا ومرئيا، وهى ثنوية فهى حجاب حتى لا يرى حاجبا ولا محجوبا، ويرى الحاجب والمحجوب عين المطلوب .

قوله :

(وقال لى : من علوم الرؤية أن تشهد (١٩٥/أ) صمت الكل، ومن علوم الحجاب أن تشهد نطق الكل) .
قلت :

صمت الكل هو أقرب إلى أنهم أعدام فى وجود ربهم، وأما نطقهم فهو أقرب إلى إثبات أنياتهم، والأنيات من عالم الحجاب، فالصمت المشار إليه أقرب للحضرة الإلهية .
قوله :

(وقال لى : من علوم صمت الكل أن تشهد عجز الكل، ومن علوم نطق الكل أن تشهد تعرض الكل) .
قلت :

العجز إشارة إلى عدمهم، والتعرض ضد ذلك .

قوله :

(وقال لى : من علوم القرب أن تعلم احتجابى بوصف تعرفه) .

قلت :

لاشك أن أهل السلوك إليه تعالى إذا شهدوا التجليات مرة بعد مرة عرفوا احتجابه مثاله انكشف لبعضهم اليوم مجلى عرف عنده الحجاب، وهو ما كان فيه قبل ذلك الكشف، ثم يتكرر ذلك لهم مرارا فيعرفون وصف الاحتجاب بالتجربة، ولا شك أن من عرف وصف الحجاب بالتجربة هو ممن حصل له القرب؛ فإذن من علوم القرب أن يعلم احتجابه بوصف تعرفه .
قوله :

(وقال لى : إن جنتى بعلم أى علم جنتك بكل المطالبة، وإن جنتى بمعرفة أى معرفة جنتك بكل الحجة) .
قلت :

العلم يقتضى العمل فيطالبه صاحبه بالإخلاص وبأمثال ما ناقش فيه المحاسبى رحمه الله النفس ؛ فالعلم النافع على صاحبه المطالبة بالعمل الصالح، وأما المعرفة فمتى ادعى العارف ثبوت معرفة محاها التجلى، فإن المعرفة هى أيضا رسم من الرسوم، فالحجة فى التجلى .

قوله :

(وقال لى : إذا جئتنى فألق العبارة وراء ظهرك، وألق المعنى
(١٩٥/ب) وراء العبارة، وألق الوجد وراء المعنى) .

قلت :

لما نهاء عن العلم والمعرفة أن يأتى بهما ذكر ما هو من توابعهما
وهى العبارة، فإلقاؤها هو أن لا يعتبرها، وجعل معناها أضر منها بدليل قوله
وألق المعنى وراء العبارة، ثم الوجد وهو ما يجده العبد من الشوق والتعشق
بما من الحق تعالى، وهو من أحوال العارفين، أمره أن يبعده بما هو أكبر
بقوله وألق الوجد وراء المعنى.

قوله :

(وقال لى : إن لقيتني وبينى وبينك شئ مما بدا فأنأ أحق بما بدا) .

قلت :

معنى: "لقيتني وبينى وبينك شئ مما بدا" معناه: أنك تلقاه مدعيا لملك
شئ مما بدا ، والحق تعالى أملك من العبد لما بدا ؛ فدعوى العبد الملكية
تخرجه عن التهيئ (التهيؤ) والأدب .

قوله :

(وقال لى : أنا الذى لا أحب أن ألقاك بما بدا وإن كنت استحقه عليك
فلا تلقنى به فليس حسنة منك) .

قلت :

أما كون الحق تعالى لا يحب أن يلقي العبد بما بدا فلأن حقائق ما بدا
وحقائق ما خفى فى ضمن العبد وكل العبيد فى جوف القرى، وقوله أحب أن
أعرف لم يكن فى ضمن هذه المحبة محبوبا غير الإنسان، وإذا كان هذا فى
جانب الإنسان فهو أولى أن يكون فى جانب الحق تعالى، فليس إذن حسنة
للعبد أن يلقاه بسواه .

قوله : (١٩٦/أ)

(وقال لى : إذا جئتنى فألق ظهرك، وألق ما وراء ظهرك، وألق ما
قدامك، وألق ما عن يمينك، وألق ما عن شمالك) .

قلت :

الإلقاء المذكور هو الإعراض بالباطن .

قوله :

(وقال لى : إلقاء الذكر أن لا تذكرنى من أجل السوى، وإلقاء العلم أن لا تعمل به من أجل السوى) .

قلت : حاصله الإعراض عن السوى وعما منه .

قوله :

(وقال لى : لن تلقى فى موتك إلا ما لقيته فى حياتك) .

قلت :

معناه: إن لم تتعلق بالسوى فى حياتك لم يتعلق بك فى مماتك .

قوله :

(وقال لى : اعرض نفسك على لقائى فى كل يوم مرة أو مرتين،

وألِق ما بدا كله والفتى وحدك كذا أعلمك كيف تتأهب للقاء الحق) .

قلت :

منال عرض نفسك على لقائه هو أن تطلب منه الوفاء غير متعلق

بشئ مما بدا فتكون طيب النفس بالنقلة فرحان بالقبول أن لو حصل، وهذا

أيضا هو معنى لقائه وحدك وقد علم كيف يتأهب للقاء الحق .

قوله :

(وقال لى : اعرض نفسك على فى كل يوم مرة أحفظ نهارك،

واعرض نفسك على فى كل ليلة أحفظ ليلك) .

قلت :

لا شك أن المطلوب للسالك أن يحفظ ليله ونهاره عن التعلق بالسوى؛

فرضاه بما به يحفظ ليله ونهاره عنه، وذلك يأتى بعرض نفسه نهارا

ويعرض نفسه ليلا كلا العرضيين يكون خاليا عن التعلق بالسوى، فيحفظ

الليل والنهار عن التعلق بالسوى .

قوله :

(وقال لى : أحفظ نهارك أحفظ ليلك، احفظ قلبك أحفظ همك، احفظ

عملك أحفظ عزمك) .

قلت :

هذه كلها أوامر، ولكل أمر جواب، فكأنه قال: إن حفظت نهارك من

التعلق بالسوى حفظ الله تعالى عليك ليلك من التعلق بالسوى؛ لأن الليل تبع

لما يكون في النهار إن خيرا فخير، وإن شرا فشر . وأما حفظ القلب فهو بأن يمنع من أن يخطر فيه السوى، وذلك يقتضى حفظ الهم فلا يهتم بشئ من أحكام السوى، وكذلك حفظ العلم هو بأن يكون مصادفا للحكم؛ فإذا ينحفظ العزم فلا يقع عزم على ما يخالف الحكم وهو معنى قوله : احفظ عزمك .
قوله :

(وقال لى : اعرض نفسك على فى أدبار الصلوات) .

قلت :

هى أوقات تخشع فيها قلوب المحبين .

قوله :

(وقال لى : أنترى كيف تلقانى وحدك؟ أن ترى هدايتى لك بفضلى لا أن ترى عملك، وأن ترى عفى لا أن ترى عملك) .

قلت :

هذا تعليم لطرح الأعمال؛ فإن العبد إذا رأى أن عمله الصالح هو من فضل الله تعالى لم يعتمد على الله تعالى به، وإذا اعتقد أن العفو لم يكن فى مقابلة الاستغفار بل من فضل الله لم يعتمد بالاستغفار، والمراد أن لا يعتمد بالعمل أصلا ورأسا فعله كيف يسهل عليه تركه .

قوله :

(وقال لى : اعلم واجتهد، واعمل واجتهد، واجتهد واجتهد، فإذا فرغت فائق فى الماء أخذه بيدى وأثمره ببركتى وأزید فيه بكرمى .

قلت :

هذا الخطاب فى مقام العمل بالعلم وهو منحط عن تنزلات التجلى والاجتهاد معلوم، وأما الإلقاء (إلقاء) العمل فى الماء فالمراد أن تلقاه به بل تلقاه فى اليم حتى كأنك أسقطت اعتباره، وحينئذ يستحق أن يقبل منك ذلك العمل على تفصيل ما وعد .

قوله : (أ/١٩٧)

(وقال لى : أحسن إلى كل أحد تنبه روحه على التعلق بى، واحلم عن كل أحد تنبه عقله على استفتاح أمرى ونهى .

قلت :

إذا أحسنت إلى أحد، رأى ذلك الأحد أن الله تعالى هو الذى يتحرك فتعلق بشكره الله تعالى، فهذا هو التعلق به، وكذلك إذ احلمت عن أحد أى صفحت عن جرمه، رأى أن الله تعالى هو الذى لطف به فأحوجك إلى الحلم عنه فيتنبه عقله على طاعته فى أمره ونهيه .

قوله :

(وقال لى : تواضع لى تزهّد فيما زهدت فيه) .

قلت :

إذا تواضعت لله لم تأخذ ما تركه الحق زهدا فيه .

قوله :

(وقال لى : إذا رأيت القاسية قلوبهم فصف لهم رحمتى، فإن أجابوك وإلا فاذكر عظيم سطوتى) .

قلت :

القاسية قلوبهم عبيد الرغبة والرغبة، فالطريق إلى هدايتهم مما ذكر .

قوله :

(وقال لى : إن اعترفوا لك فقد أجابوك، وإن أنكروا ما تقول جحدوك) .

قلت : هذا ظاهر .

قوله :

(وقال لى : إنما اسمك مكتوب على وجه ما به تسكن) .

قلت :

يعنى أن مقامك هو ما تسكن إليه نفسك، وعبر عن هذا المعنى بقوله إنما اسمك مكتوب إلى آخره مجازا .

قوله :

(وقال لى : إنما أنظر إلى ما به تستقل) .

قلت :

معناه : إنما أعاملك بحسب ما أنت عليه من مبلغك فى عقد ضميرك وهو الذى تستقل به .

قوله :

(وقال لى : إن خرجت من معنأك خرجت من اسمك، وإن خرجت من اسمك خرجت من معنأك، وإن خرجت من اسمك وقعت فى اسمى) .
قلت :

المعنى والاسم متضايغان، ولا يثبت أحدها إلا بثبوت الآخر، لكنه إن خرج منهما وقع فى اسم الحق؛ لأن معنى العبد واسمه هو معنى كل شئ واسمه، فإذا خرج عن المعنى والاسم لم يبق إلا الحق تعالى . (١٩٧/ب)
وهذا التزل هو أعلى مقاما مما ذكر قبله .
قوله :

(وقال لى: السوى كله محبوس فى معناه، ومعناه محبوس فى اسمه، فإذا خرجت من اسمك ومعنأك لم تكن لمن حبس فى اسمه ومعناه سبيل عليك) .
قلت :

هو يعبر بالخروج من عالم الحق فلا يصل إليه عالم الخلق .

قوله :

(وقال لى : إذا وقعت فى الاسم ظهرت عليك علامة الإنكار؛ فتعرض كل شئ لفتنك وتراءى كل خاطر لقلبك) .
قلت :

يعنى إذا خرج عن اسمه ومعناه فوقف باسم الحق تعالى رأى المخلوقات منه خلاف ما هن عليه، فأنكرت ما رأت لأنه ليس من عالمها فتعرضت للوم والعدل، وذلك فتنة، وحينئذ ربما تشعبت الخواطر .
قوله :

(وقال لى: الآن من تعرض بك فقد تعرض بى) .

قلت :

يعنى أنه خرج عن عالم نفسه فصار من حساب ربه فاتحدت الجهة .

قوله :

(وقال لى : انظر ما به تسكن؛ فإنه مضاجعك فى قبرك) .

قلت :

يعنى إن سكنت إلى غيره تعالى كان ذلك سميرك فى قبرك وضجيعك، فإن كان الحق فالحق .

قوله :

(وقال لى : من قام فى مقام معرفتى فخرج منه وعرف الوجد بى فخرج منه مستقرا بخروجه، أوقدت له نارا مفردة) .

قلت :

يعنى من اتصل ثم انفصل، فذلك الانفصال هو عن استعداد منحرف جدا فلا تسكنه أى نار اتفقت بل نارا مناسبة لحاله ليضعف، ومعنى مستقرا لخروجه يعنى بحيث إذا خرج لا يرجى رجوعه، وهذا القبيل قليل ووجدته فى شخص من أصحاب حسن الفقاعى انفصل عن الشيخ ودخل إلى بلاد الفرنج ورجع (١/١٩٨) إلى اليمن .

قوله :

(وقال لى : أنا العظيم الذى لا يحمل عظمته ما سواه، وأنا الكريم الذى لا يحمل كرمه ما سواه) .

قلت :

معنى يحمل عظمته أى يقوم بواجب تعظيمه، ومعنى يحمل كرمه أى يقوم بشكر كرمه، ثم إن صفات الحق كيف تقوم بغيره .

قوله :

(وقال لى : غلبت أنوار ذكرى على الذاكرين فأبصروا قدسى، فكشف لهم قدسى عن عظمتى فعرفوا حقى، فأسفرت لهم عظمتى عن عيائى فخشعوا لعزى، فأخبرهم عزى بقربى وبعدى فاستيقنوا قربى، فأجهلهم بى قربى فرسخوا فى معرفتى) .

قلت :

غلبة الأنوار هى إفناء الأنوار ظلمة الرسوم فأبصر الذاكرون القدس وهو النزاهة، وقد فسر القدس فى مواضع كثيرة، وأشارت المواقف فى مواضع كثيرة إلى أن القدس هو كونه ولا شئ معه، وذلك هو العظمة التى كشفها القدس فعرف العارفون حقه وهو أن لا يروا معه غيره، قال العظمة عن العيان وذلك يقتضى الخشوع وهو النزول إلى حضن القدم، هذا

التفسير هو الذى تقتضيه القواعد، وكذلك العز هو الحدانية، ذكر ذلك فى موقف العز وهو أولى المواقف، وكذلك القرب ذكر فى موقف القرب ومعناه أنه تعالى ولا سواء وذلك يقتضى الجهل الحقيقى، يعنى أن لا يبقى عارف ولا معروف ولا رسم ولا وصف ولا موصوف، وشهود هذا رسوخ فى المعرفة .

قوله :

(وقال لى : أنا المهيمن فلا تخفى على خافية، وأنا العليم فكل خافية عندى بادية) .

قلت :

الهيمنة: الإحاطة، ومن هو بكل شئ محيط فكيف يخفى عليه شئ، والعلم تابع للإحاطة، ولما كان العلم يكشف المعلوم على ما هو المعلوم عليه كانت كل خافية عنده بادية .

قوله :

(وقال لى : أنا الحكيم فكل بادية جارية، وأنا المحيط فكل جارية آتية) .

قلت :

الحكمة تقتضى جريان الباديات إلى نهاياتها، ومعنى الإحاطة يقتضى أن تأتى كل بادية ليحيط بها المحيط بعد وجودها .

٥٦- موقف التمكين والقوة:-

قولة :

(أوقفنى فى التمكين والقوة وقال لى : انظر قبل أن تبدو الباديات واستمع لكلمتى قبل أن تحدد الحاديات، أنا الذى أثبتك فى ثبوت، وأنا الذى أسمعتك فى سمعت، وأنا لا سواءى فيما لم أبد، وأنا لا سواءى فيما أبدى إلا بى) .

قلت :

معناه أن ينظر قبل خلقه الخلق، وأنهم إنما أثبتوا به، ثم ذكر أنه لا سواء فيما لم يبدى، أى ليس معه غيره، ولا سواء فيما أبدى إلا به بقيوميته التى قام كل موجود .

قوله :

(وقال لى : احفظ مكانك من قبل الباديات فإليه أرجعك من بعد الموت) .

قلت : مقامه قبل الباديات هو عدم .

قوله :

(وقال لى: إن صاحبك الباديات تحولت نارا فأحرقك، وخيرها يتحول حجابا فيحترق بنار الحجاب، وشرها يتحول عقابا فيحترق بنار العقاب) .

قلت :

خيرها هو ما كان خيرا فهو يحجب، وشرها ما كان معصية فيعاقب

به .

قوله :

(وقال لى : أريد أن أبدى خلقى وأظهر ما أشاء فيه، وأقلب ما أشاء منه، وقد رأيتنى وما أبديته وشهدت وقوقك بى من قبل إيدانى له، وقد أخذت عليك عهدا بتعرفى إليك أن لا تخرج عن مقامى إذا أبديته، فإنى أظهره يدعو إلى نفسه، ويحجب عنى ويحضر بمعنويته ويغيب عن (١٩٩/أ) موقفى، فإن دعاك فلا تسمع له، وإن دعاك إلى بآيتى، وإن حضرك فلا تحضره ، وإن حضرك بآيتى، وأوقفنى وأبدى الباديات وخاطبني على ألسن الباديات، وخاطب الباديات لى على لسانى فأبدى القلم، وقال لى: جاءك القلم، فقال كتبت العلم وسطرت السر فاسمع لى فلن تجاوزنى وسلم لى فلن تدركنى .

قلت :

يعنى: أريد أن أبدى لك خلقى وإلا فالخلق باد قبله، وأريد أن أظهر لك ما أشاء فيه وإلا فهو ظاهر قبله، وقوله أن لا تخرج من مقامى معناه لا تسمع من غيرى، فإن مقامك سوف يظهر لك بالتوحيد فيدعو إلى نفسه، ولا تقبل منه، وإن دعاك بأية التوحيد الشاهدة أن الداعى هو الحق لا غيره، ثم إنه فى خطابه له على ألسن الباديات، وخطاب الباديات على لسانه إنما هو انكشف له ذلك كشفا، واعلم أن القلم الأعلى هو أشرف من الإنسان، والإنسان أكمل منه؛ وذلك أن القلم فصل ما ضمنه فكان ذلك التفصيل هو الإنسان، فالإنسان هو القلم بوجه أجمل، والقلم هو الإنسان بوجه أكمل، ولست أعنى

بالإنسان صورة معينة إلا أن يكون محمدا صلى عليه وسلم، ولما كان الإنسان حقيقة ما فى القلم لم يؤمر بالدخول تحت مرتبته، فإن القلم حقيقة الأشياء كلها لكن بالقوة، والإنسان حقيقة الأشياء كلها لكن بالفعل، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "علمت علم الأولين والآخرين".
قوله :

(وقال لى : قل للقلم عنى: يا قلم أبدانى من أبدائك، وأجرانى من أجراءك، وقد أخذ على العهد للاستماع منه لا منك (١٩٩/ب) وميثاق التسليم له لا لك، فإن سمعت منك ظفرت بالحجاب، وإن سلمت لك ظفرت بالعجز، فأنا منه أسمع كما أشهدنى لا منك، وله أسلم كما أوقفنى لا لك، فإن أسمعنى من جهتك كنت لى سمعا لا مستمعا، وإن أسمعنى من جهتى كنت لى سمعا لا مستمعا).
قلت :

ما فى هذا الكلام صعب إلا قوله (فإن أسمعنى من جهتك، كنت لى سمعا لا مستمعا)، وذلك لأن الإنسان هو القلم بالفعل كما كان القلم إنسانا بالقوة، فإن القلم آلة للإنسان، فإن أسمع منه من جهة القلم فما أسمع منه من جهة هى مغايرة لجهة الإنسان فلا جرم إذ ذاك كان القلم سمعا للإنسان ويكون الإنسان هو المستمع لا القلم، فكذا قال لا مستمعا، فإذا ما سمع من القلم لكن بالقلم والقلم هو منه، كما يكون السمع من المستمع، وكذلك قوله وإن أسمعنى من جهتى فما سمعت منك بل بك، وأنت آلة، فالسمع إنما هو فى الحاليين منه تعالى.
قوله :

(وقال لى: جاءك العرش، وجاءك حملته فحملوه بقوتى القائمة، فسبحتنى أسنتهم بأذكار قدسى الدائمة، وانبسطت ظلاله بجلال رأفتى الراحمة).
قلت :

يعنى أشهده العرش، وأشهده القوى الحاملة له، وأشهده تسابيحهم بالسنة القدس وهو الوجدانية وهى دائمة، وأشهده انبساط ظلاله على الموجودات المستظلة به، وذلك برأفته الراحمة.

قوله :

(وقال لى : قل للعرش عنى: يا عرش أظهرك لبهاء ملك الديمومية وجعلك حرما للقرب والعظمة، وأحف بك ما يشاء من المسبحة، فقدرته أعظم منك من العظمة وبهاؤه أحسن (٢٠٠/أ) من بهائك فى رتبة الزينة وقربه أقرب إليك من نفسك فى موجبات الوجدانية، فأنت قائم فى ظل قيوميته بك وظلك قائم فى ظل تخصيصه لك، فطاف بك طائفون رأوه قبل رؤيتك، فقاموا كما قمت فى ظله فسبحوه كما سبحت له ومجدوه بمحامدك التى بها مجدته، فأنت لهؤلاء جهة كاشفة، وطاف بك طائفون علموه وما رأوه وسمعوه وما شهدوه، وسبحوه بتسبيحاتك، وقدسوه بمحامدك فقاموا له فى ظلك القائم فى ظل تخصيصه لك، فأنت لهؤلاء جهة منجية، وطاف بك طائفون جبلوا على تسبيح العظمة وخلقوا لتحميد كبرياء العزة، فهم قائمون بإدامة إشهاد الجبروت، ومسبحون بتسابيح العز والملوك فأنت لهؤلاء جهة مقربة) .

قلت :

قد ذكر أن العرش هو المحيط التاسع، وأن الكرسي هو المحيط الثامن، وأن التاسع لا كوكب فيه، وأن الثامن فيه كل الكواكب ما خلا السبعة السيارة فإنها فى المحيطات السبعة التى هى السموات السبع، وإن كل كوكب منها فى سماء، فقوله فى العرش أنه تعالى أظهره لبهاء ملك الديمومية أى أن العرش هو البهاء لملك الديمومية، فكأنه قال أظهرك لتحصل بك للديمومية بهاء، وهذا شاهد للعرش بالبقاء دائما . وأما قوله جعله حرما للقرب والعظمة: أى محلا للقرب بسر الاستواء والعظمة أى عظمة المستوى والاستواء هو على ما يليق بجلاله تعالى، وأما المسبحة الذين حفوا به فقد قسمهم على ثلاث طوائف سوف يأتى ذكرهم، ثم إنه لما كان محيط المحيطات التى تحته (٢٠٠/ب)، وكان الناس إنما يعتقدون أن ما وراءه ووراء ما تحته شئ، فكان هو أكبر من كل شئ فى اعتقادهم فلا جرم قال : وقدرته أعظم منك، فإن قدرته صالحة لإبداء ما هو أكبر من كل شئ كبير، ولما كان به حصل البهاء لملك الديمومية فخطب بأن بهاء الحق تعالى فى الرتبة أحسن من بهائه . وأما قوله : وأقرب إليك من نفسك فى موجبات الوجدانية، فإنه أمر يكرر معناه فى المواقف حتى صار المراد به نصا وهو

أن الذى هو أقرب إلى الشئ من نفسه هو القيومية التى بها قام ذلك الشئ، فالأشياء المختلفة واحدة بالقيومية؛ فلذلك قال فى موجبات الوجدانية، ثم أخبر أن العرش قائم فى ظل القيومية أى تبع للقيومية، فإن الظل تبع قوله، وظلك قائم فى ظل تخصيصه أى وتوابعك قائمة فى ظل تخصيصه لك بالقرب والعظمة. قوله : فكان بك طائفون رأوه قبل رؤيتك وهؤلاء هم من نوع الإنسان، وإن فى الأناس ما قبله على قلب الملائكة إلا أنهم أكمل من الملائكة، وبهذا الكمال استحق النوع الإنسانى الخلافة بدليل آدم عليه السلام، وبهذا الكمال المذكور حصل لهؤلاء أنهم رأوا الحق قبل رؤيتهم العرش، فقاموا بما قام به العرش من التسبيح والتحميد بوجه أكمل، وقوله : فأنت لهؤلاء جهة كاشفة أى آلة لظهور الحق وانكشافها لهم، وأما الطائفة الذين علموه ورأوه وسبحوه وما شهدوه (١/٢٠١) فهم العباد من الأناس أيضا، فهؤلاء نجوا من النار بقيامهم بتسايح العرش، وأما الطائفة الثالثة فهم قوى فى العرش المجيد ليسوا من الأناس، وإن لم يخرج شئ عن مرتبة الإنسان الجامعة فهؤلاء لا فكرة لهم لكنهم مجبولون على التسبيح، كما ورد أن منهم قياما لا يركعون، وركوعا وسجودا لا يرفعون فكل منهم على جبلة واحدة لا يعرف سواها، ولا يمكن الخروج منها، فهم قائمون فيما أقيموا فيه والعرش واسطة فى تقريبهم إلى الحق تعالى وهو قوله فأنت لهؤلاء جهة مقربة .

قوله :

(وقال لى : أنت فى علمى وما ترى سوى وأنت تحت كتفى وما ترى سوى، وأنت بمنظرى وما ترى سوى) .

قلت :

قد أثبت له أنه ما يرى غيره، فخطاب العرش هو تنزل إلى قدر

الافهام .

قوله :

(وقال لى: احذر لا أطلع على القلوب فأراك فيها بمعناك ذاك تعرفى، أو أراك فيها بفعلك ذاك تقبلى) .

قلت :

معنى قوله أراك فيها أى: أحذر أن أراك معها كما هى بعضها مع بعض، وهو معنى قوله بمعناك وعدم كونك معها هو تعرفى والتقدير فإنى إن

لا أراك فذاك تعرفى، وأيضاً أن لا تفعل بقلبك أفعال تلك القلوب فإنك إن لا تفعل فذاك تقلبى .

٥٧- موقف قلوب العارفين :-

قوله :

(أوقفنى فى قلوب العارفين وقال لى : قل للعارفين (٢٠١/ب) إن رجعتن سألونى عن معرفتى فما عرفتمونى، وإن رضيتن القرار على ما عرفتم فما أنتم منى) .

قلت :

من علائم (علامات) العارف أنه لا يعرف، فإذا ساءل عن المعرفة فليس بعارف، وإن لم يسأل مع كونه لم يعرف أنه يعرف فقد رضى بالقرار على الجهل به، وهذا وصف لا يكون لموصول بل لمهجور .

قوله :

(وقال لى : آية معرفتى أن لا تسألنى عنى ولا عن معرفتى) .

قلت :

هذا يتفسر (يفسر) على وجهين : أحدهما هو بالنسبة إلى القوم الذين يقال فيهم من عرف الله كل لسان، فالمعرفة فى حق هؤلاء قد ورثت كلامهم أى سلبته لأنهم صموت لا يتكلمون، والوجه الآخر بالنسبة إلى القوم الذين يقال فيهم من عرف الله نطق لسانه وهى مرتبة أخرى صحيحة، فهؤلاء ترب المعرفة كلامهم بمعنى أنها تتقل أقاويلهم عن تفاصيل العلم وما يتعلق به إلى تفاصيل المعرفة وما يتعلق بها، وهو ميراث ظاهر وإن كان استعماله مجازاً .

قوله :

(وقال لى : آية معرفتى أن لا تسألنى عنى ولا عن معرفتى) .

قلت :

يعنى علامة معرفتى أن يحصل لك تلج اليقين فلا تحتاج إلى السؤال .

قوله :

(وقال لى : إذا ألقت معرفتى بينك وبين علم أو اسم أو حرف أو معرفة فجريت بها وأنت بها واجد وأنت بها ساكن، فإنما معك علم معرفة لا معرفة) .
قلت :

المعرفة تمحو ما اتصلت به من العبد مثاله عرف الحق تعالى من حيث اسمه الظاهر ولم يعرفه من جهة مقابلاته من الأسماء، فإن ما ظهر من هذا العبد لا يتألف مع علم ولا اسم ولا حرف ولا معرفة (٢٠٢/أ) ولكن قد يتألف مع هذه من حيث ما لا يشهده كاسمه الباطن، فإذا وجدنا من ألقت المعرفة بينه وبين هذه قلنا له أنت نقلت المعرفة نقلا وسمعت معانيها سماعا فمعك علم المعرفة لا المعرفة، فإن العرفان هو محور رسم ما، وما محى لا يمكن إثباته إلا بعد مقام الوقفة إذا تجاوزه إلى البقاء بعد الفناء .
قوله :

(وقال لى : صاحب المعرفة هو المقيم فيها لا يخبر، وصاحب علم المعرفة هو الذى إن تكلم تكلم فيها بكلام تعرفى وبما أخبرت به عن نفسى) .
قلت :

فليس إذن ما ينقل من الألسنة، أو يقرأ فى الكتب بمعرفة، ثم إن صاحب نقل المعرفة ينفصح بتناقض ما يخبر به، وهو لا يشعر به فيراه العارف يمشى مشى العميان وهو لا يرى نفسه كذلك .
قوله :

(وقال لى : أنت من أهل ما لا تتكلم فيه، وإن تكلمت خرجت من المقام، وإذا خرجت من المقام فليست من أهله إنما أنت به من العالمين، وإنما أنت له من الزائرين) .
قلت :

المتكلم فى مقام من المقامات، فهو ليس من أهله، لكن كونه ليس من أهله قد يكون قد انتقل إلى مقام أعلى منه، وقد يكون لأنه لم يصل إلى ذلك المقام بعد، والتنزل هذا يختص بهذا المعنى الأخير، فإذن المتكلم فى مقام لم يصل إليه إنما يتكلم فى علم معرفة ذلك المقام لا فى معرفته، وأما من تجاوزه فما ذكره هنا، لكن قد ذكره فى مواضع كثيرة .

قوله :

(وقال لى: الأمر أمران : أمر يثبت له عقلك، وأمر لا يثبت له عقلك ، وفى الأمر الذى يثبت له ظاهر وباطن، وفى الأمر الذى لا يثبت له ظاهر وباطن) .

قلت :

قد شرع يتكلم فى الأعمال (٢٠٢/ب) وفى أحوال أهل البداوة، فلا جرم شرع يفصل أحكام الأوامر والنواهي، وهى إما علم بالمنقول أو المعقول، وهو مما يثبت لك عقلك، وله ظاهر هو الحكمة المفهومة عند الفقهاء، وله باطن مضايغ لتلك الحكمة هو باطن لها، وأما مالا يثبت عقلك فهو المعرفة، ولها ظاهر هو ما أثبتته التعرف الإلهى ولها باطن هو الرؤية .

قوله :

(وقال لى : لن تدوم فى عمل حتى ترتبه وتقضى ما يفوت منه وإن لم تفعل لم تعمل ولم تدم) .

قلت : هذا ظاهر .

قوله :

(وقال لى : كيف لا تحزن قلوب العارفين، وهى ترانى أنظر إلى العمل فأقول لسينه كن صورة تلقى بها عاملك، وأقول لحسنه كن صورة تلقى بها عاملك) .

قلت :

يعنى أن يروا الحق تعالى يعامل العاملين بما لا يثبت فى المعرفة له مقام، فيرون مشهودهم الحق قد سلك بالعابدين غير طريقهم فيحزنوا لوحشة الفراق، وأما تصور الأعمال صورة صوراً فقد وردت بذلك السنة الشريفة .

قوله :

(وقال لى: قلوب العارفين تخرج إلى العلوم بسطوات الإدراك، وذلك كبرها وهو الذى أنهاها عنه) .

قلت :

إذا وقعت المسئلة من العلم الشرعى تلقاها العارف بمعناها الذى أراده الشارع فيها تلقياً عنه سرعة لإشراف إدراكهم . قال : فذلك هو كبرها أنهاهم عنه .

قوله :

(وقال لى : يتعلق العارف بالمعرفة ويدعى أنه يتعلق بى، ولو يتعلق بى هرب من المعرفة كما يهرب من النكرة) .

قلت :

إذا ورد على قلب العبد تجلى معرفة فيعشق به انفصل عن التعلق بالحق فإن الحق لا يشارك فى شئ، والمتعلق بالحق يهرب من المعرفة من جهة ما هى رسم من (٢٠٣/أ) الرسوم، كما يهرب من الرسوم التى هى النكرات أى المنكرات .

قوله :

(وقال لى : قل لقلوب العارفين أنصتوا له لا لتعرفوا، واصمتوا له لا لتعرفوا، فإنه يتعرف إليكم كيف تقيمون عنده) .

قلت :

التوجه إلى الله تعالى لا لعله هو التوجه الصحيح، وهو أمر قد يبعد العبد عنه وهو يعتقد أنه ما انفصل لغموض إدراك ما يعرض للقلوب من العطل، ولولا تعرف الحق لعباده بما يثبتهم فى الإقامة عنده وتعرفهم طرق الاحتراز لكان الأمر أصعب . ومن جملة ما يدخل على القلب أن ينصت أو يصمت طلبا للمعرفة لا طلبا للحق، وهو يظن أن ذلك هو طلب الحق تعالى فلا جرم نهوا عن ذلك .

قوله :

(وقال لى : قل لقلوب العارفين رأيت معرفة أعلى من معرفتى فوقفت فى الأعلى ووقفت فى حجابى، فأظهرت الوصول إلى عند عبادى فأنت فى حجابى تدعيني وهم فى حجابى لا يدعونى) .

قلت :

هو يعاتب العارفين الذين وقفوا عند حظوظهم من طلب المعرفة لا طلب الحق تعالى، فقليل لهم من جهلكم أنكم رأيتم معرفة أعلى من معرفته فوقفت فى الأعلى وحالكم فى ذلك أسوأ من حال العوام، فإنكم فى حجابى تدعون الوصول إلى، والعوام فى حجابى لا يدعون ذلك، فهم أقرب إلى الأدب منكم .

قوله :

(وقال لى : قل لقلوب العارفين اعرفى حالك منه، فإن أمرك بتعريف العبيد فقر فيهم وأنت فى تلك الحال أدرك لقلوبهم، ولا انجاة لك إلا به) .
قلت :

يقول أنت فى امتثال أمره فى تعريفهم بحالك أدرك لقلوبهم منك، أن لو كنت إنما تعرفهم (٢٠٣/ب) لا بأمره بل برأيك .
قوله :

(وقال لى : قل لقلوب العارفين لا تخرجى عن حالك، وإن هديت إلى من ضل أنضلين عنى وتريدى أن تهدى إلى من ضل.
قلت :

أخبرها أن خروجها عن حالها ولو لهداية من ضل هو ضلال لها ومن ضل كيف يهدى من ضل .
قوله :

(وقال لى : وزن معرفتك كوزن ندمك) .
قلت :

يعنى بقدر الندم تكون التوبة التى هى الرجوع إليه فيحصل بذلك المقدار من الرجوع معرفة .
قوله :

(وقال لى : قلوب العارفين ترى الأبد وعيونهم ترى المواقيت) .
قلت :

مشاهدة الأبد هو خروج عن الأزمنة الثلاث (الثلاثة) ، فهم مع ما بين الأزل والأبد، وذلك فوق الزمان المقدر بالحركة . وأما رؤية عيونهم المواقيت فهى مواقيت العبادة .
قوله :

(وقال لى: أصحابى عطل مما بدا، وأحبابى من وراء اليوم وغدا)
قلت :

المشتغلون به تعالى عما سواه هم المشار إليهم .

قوله :

(وقال لى : لكل شئ أقيمت الساعة فهي له منتظرة، وعلى كل شئ تأتي الساعة فهو منها وجل) .

قلت :

معناه أن الذين هم مشغولون بطمع الجنة والخوف من النار، هم الذين تنتظرهم الساعة ويخافون منها، وأما أحبابه فلا تخطر الساعة بخواطرهم لشغلهم بمحبتهم فإنهم عشاق .

قوله :

(وقال لى : قل للعارفين : كونوا من وراء الأقدار، فإن لم تستطيعوا فمن وراء الأفكار) .

قلت :

معناه: قل للعارفين لا يتعرضوا إلى ما ينسب إلى الأقدار، فإن قال لكم لسان العلم إنكم لا تقدرون أن تخرجوا من حكم الأقدار فأعرضوا عن الفكر (٤/٢٠٤) في الأقدار وفي غيرها .

قوله :

(وقال لى : قل للعارفين وقل لقلوب العارفين : قفوا لى لا للمعرفة، أتعرف إليكم بما أشياء من المعرفة، وأثبت فيكم ما أشياء من المعرفة، فإن وقفتم لى حملتم معرفة كل شئ وإن لم تقفوا لى غلبتكم معرفة كل شئ فلم تحملوا لشئ معرفة) .

قلت :

هو يأمرهم بالإخلاص، ويخوفهم أن يستمر عليهم الحجاب فلا تتكشف لهم حقائق الأشياء.

قوله :

(وقال لى : قل لقلوب العارفين : لا تستقيموا على خلة فتقلبكم الخلة إلى الخلة) .

قلت :

هذا المعنى يفهم بالمثل مثاله : استقاموا على مقام الصبر، فإنما يلقيهم مقام الصبر إلى مقام التسليم الذى هو فوقه، وماداموا مستمرين على الاستقامة فى وصف حسن أداهم ذلك إلى وصف آخر حسن فلا تخرجوا من

المقامات إلا وقد فنى العمر، فنهاهم عن ذلك وكأنهم بلسان الحال أمرهم أن يعرضوا عن كل ما سواه دفعة واحدة، فإنهم بذلك يخلصون من الخروج من مقام إلى مقام .
قوله :

(وقال لى : الأكل والنوم يحسبان على الحال التى يكونان فيها، إن كانا فى العلم حسبا فيه، وإن كانا فى المعرفة حسبا فيها) .
قلت :

وهذا المعنى أيضا يفهم بالمثل، مثال ذلك (أ) رجل فى الجهل فأكله ونومه منصبان بمرتبة الجهل فظلمة أكله ونومه متجاوزة الحد فى الرذالة، (ب) ورجل عالم فأكله ونومه منصبان بشرف العلم فهى أعلا منزلة من يقظة الجاهل فضلا عن أكله ونومه، (ج) ورجل هو فى مرتبة المعرفة فأكله ونومه منصبان بنور التجلى (٢٠٤/ب) فهما أشرف من عبادة العابد العالم، وذلك لأن المراد هو القرب، وأفعال أهل القرب إلى الله أقرب الأفعال إلى الله تعالى.
قوله :

وقال لى : قل لقلوب العارفين من أكل فى المعرفة ونام فى المعرفة ثبت فيما عرف) .
قلت :

إذا كملت معرفة العارف لم يشغله الأكل والنوم عنها، فكان الأكل والنوم فى عين المعرفة، والمراد بكون الأكل والنوم فى المعرفة هو أن لا يكونا شاغلين عنها، وليس المراد تخصيص الأكل والنوم، ولكن ذلك مثل يضرب لمن لم تشغله أحوال الجسم عن أحوال الإدراك والشهود .
قوله :

(وقال لى : قل لقلوب العارفين : من خرج من المعرفة حين أكله لم يعد منها إلى مقامه) .
قلت :

يعنى من كان من الضعف بحيث يحجبه الأكل عن المعرفة فما وصل إلى المعرفة، فهو إذا خرج لم يعد فيها يعنى من هذه الحالة إلى مقامه.

قوله :

(وقال لى : أنت طلبتى والحكمة طلبتك) .

قلت :

معناه أنت مطلوبى والحكمة مطلوبك، والحكمة هى العمل بالعلم .

قوله :

(وقال لى : الحكمة طلبتك إذا كنت عبدا عبدا، فإذا صيرتك عبدا ولما كنت أنا طلبتك) .

قلت :

العبد العبد هو العابد، والعبد الولى هو العارف .

قوله :

(وقال لى : التقت الحكمة من أفواه الغافلين عنها، كما تلتقطها من أفواه العامدين لها، إنك ترانى وحدى فى حكمة الغافلين، لا فى حكمة العامدين) .

قلت :

المراد بالحكمة هنا ما يرشد إلى العبادة، وهى فى أفواه الغافلين وفى أفواه المستيقظين (٢٠٥/أ) لها، وأما قوله فإنك ترانى وحدى فى حكمة الغافلين فمعناه أن الغافل عادة لا يعتد به فكأنك إنما أخذت الحكمة من الحكم الحق تعالى لعدم الاعتداد بالغافل، ولا كذلك فى الحكمة الملتقطة من أفواه العلماء، وفى هذا الموضع سر يقال شفاها .

قوله :

(وقال لى : اكتب حكمة الجاهل كما تكتب حكمة العالم) .

قلت :

هذا ظاهر المعنى .

قوله :

(وقال لى : أنا مجرى الحكمة فمن أشأ أشهده أننى أجريت فذلك حكيمها، ومن أشأ لا أشهده فذلك جاهلها فاكتب أنت يا من شهدها) .

قلت : هذا ظاهرا أيضا .

قوله :

(وقال لى : القلوب لا تهجم على، ولا على من عندى) .

قلت :

يعنى القلوب المحجوبة لا ينكشف لها حال حضرة الحق، ولا حال أولياء حضرته .

قوله :

(وقال لى : إذا هجمت على قلبك ولم يهجم عليك قلبك فأنت من العارفين) .

قلت :

معناه: إذا لم يكن قلبك منكرا عليك مع القلوب المنكرة دل على أنك عارف .

قوله :

(وقال لى : ما قدر المسئلة أن ينجى بها كرمى فبهذا فادعنى وقل رب أسألك ما قدر مسئلة أن ينجى بها كرمك) .

قلت :

المسئلة وهو (المسألة وهى) الطلب هو فى معنى التوسل، وهو توسل ضعيف لا يحتاج كرمه إليه .

قوله :

(وقال لى : الشك حبس من محابس أحبس فيه قلوب من لم يتحقق بمعارفى) .

قلت : هذا ظاهر .

٥٨- موقف رؤيته :

قوله : (أوقفنى فى رؤيته وقال لى : اعربنى معرفة اليقين المكشوف وتعرف إلى مولاك باليقين المكشوف) .

قلت :

أما قوله اعربنى معرفة اليقين المكشوف فمعناه اسلك إلى سلوكا جرت العادة أن يصل صاحبه إلى اليقين المكشوف فاختصر الكلام، وأما قوله تعرف إلى مولاك تعرف اليقين المكشوف فمعناه إياك أن تظهر فى سلوك غير ما تبطن فإنه رياء . وكان بمصر الشيخ أبو العلم رحمه الله تعالى فقال

رجل اللهم استرنا فقال الشيخ لا تسترنا فهذا نفس الشيخ أبو العلم نفس من تعرف إلى مولاه باليقين المشكوف .
قوله :

(وقال لى : اكتب كيف تعرفت إليك بمعرفة اليقين المشكوف، واكتب كيف أشهدتك وكيف شهدت ليكون ذكرا لك وليكون ثبنا لقلبك، فكتبت بلسان ما أشهدنى ليكون ذكرا لى، ولمن تعرف إليه ربى من أوليائه الذين أحب إثباتهم فى معرفته وأحب أن لا يعترض قلوبهم فتنة، فكتبت تعرف إلى ربى تعرفا أشهدنى فيه بدو كل شئ من عنده، فلما رأيت بدو كل شئ من عنده أقمت فى هذه الرؤية وهى رؤية بدو الأشياء من عنده، ثم لم أقو على مداومة رؤية من عنده فحصلت فى رؤية البدو وفى علم أنه من عنده لا فى رؤية وأنه عنده، فجاءنى الجهل وجميع ما فيه فتعرض لى من قبل هذا العلم، فأعطانى ربى إلى رؤيته وبقي علمى فى رؤيته ليس نفاه حتى لم يبق لى علم بمعلوم لكن أرانى فى رؤيته أن ذلك العلم هو إيداؤه وهو جعله (٢٠٦/أ) علما وهو جعل لى معلوما، فأوقفنى فى هو تعرف إلى من قبل هو التى هى هو ليس من قبل هو الحرفية، ومعنى هو الحرفية إرادتك هو إشارية وهو بدائية وهو علمية وهو حجابية وهو عندية، فعرفت التعرف من قبل هو التى هى هو ورأيت هو فإذا ليس هو هو إلا هو ولا ما سواه هو يكون هو، ورأيت التعرف لا يبدو من سواه ورأيت سواه لا يتعرف إلى قلبى، فقال لى إن اعترض قلبك من دونى شئ فلا تستدل بالأشياء ولا بسلطان بعض الأشياء على بعض فإن الأشياء تراجعك فى الاعتراض والمعتراض لك من وراء الأشياء تراجعك فى الوسوسة، واستدل على بآيتى لعينها التى هى تعرفى إليك فإنك ترى الأشياء كلها لا تعرف لها إلا لى وتراها مشهودة الأعيان وترى أن لا تعرف إلا لى وترانى لا مشهودا بالعيان) .
قلت :

أول هذا التنزل حكاية، والذى يحتاج إليه هو شرح المكتوب وهو
قوله : تعرف إلى ربى تعرفا أشهدنى فيه بك الأشياء كلها من عنده، ثم إن المعنى كله فى لفظته من عنده وأنا أكشف ما ستره وألغزه فى لفظة من عنده فأقول : إنه أراد أن بدء الأشياء كلها منه فعبّر عن ذلك بلفظة من عنده ستر، ولما كانت هذه الرؤية تنفّر العقول والعقائد من إثباتها لاجرم قال فلما

رأيت بدء كل شئ من عنده أقمت في هذه الرؤية، ثم قال بعد ولم أقف على مداومة رؤية من عنده؛ وذلك لصعوبة الاعتراف بذلك إن لم يحصل التمكن، واعلم (٢٠٦/ب) أنه إذا تقهقر العبد عن شهود معنى لضعفه بعد أن شهده فإنما يتقهقر إلى علم ذلك الشهود وعلم الشهود هو أسفل من مقام الشهود فلا جرم قال فحصلت في رؤية البدو وفي علم أنه من عنده لا في رؤية أنه من عنده، واعلم أنه إذا بقي على الإنسان بقية في مقام حصل له بطريقة تلك البقية ضرر شديد وظلمة حجابية شديدة فلا جرم قال فجاءني الجهل وجميع ما فيه فتعرض لي من قبل هذا العلم أي أنني لما سقطت من مقام شهود من عنده إلى علمه دخل على الجهل لضعفى الذى به سقطت عن الشهود إلى العلم ولئى فى هذا المعنى بيت شعر من قطعة وهو :

فمهما بقى للصحو فيك بقية يجد نحوك الآن سبيلا إلى الظلم .

ثم ذكر أن ربه تبارك وتعالى عاد عليه بجوده فرفعه من حضرة سقوطه قليلا إلى رؤية أنه تعالى هو الذى صير شهوده ذلك علما، فهو قوله لكن أراني أن ذلك العلم هو إيدأوه وهو جعله علما أى جعله علما بعد أن كان شهودا قال وهو جعل لي معلوما، فلما رأى أن الحق تعالى هو الذى جعل ذلك الشهود علما وقف فى رؤية هو فتعلق بمعنوية هو، وذلك قوله فأوقفنى بهو وتعرف إلى من قبل هو التى هى هو يعنى أنه تعالى أوقفه فى شهود الهوية وهو مشهد عظيم ثم أحرز من أن يظن لحال أنه إنما أوقفه فى شهود هو الحرفية فذكر معانى هو الحرفية ليعلم أنه إنما وقف فى شهود هو غير الحرفية لا فى شهود هو (٢٠٧/أ) الحرفية . فقال ومعنى هو الحرفية إرادتك هو إشارية وعبر عن دلالة هو الضميرية بالدلالة الإشارية مجازا لأنها كالإشارة فى عود الضمير إلى مذكور سابقه قال وهو بدايته، ونفى بالبداية هو التى فى ضمير الشأن والقصة فإنها أبدا مفسرة بما بعدها فهى بدايته أبدا قال : وهو علمية : ويعنى بالعلمية هو (هى) التى تعود إلى معلوم لا إلى مذكور فى اللفظ هنا مثل عود الضمير فى "إنا أنزلناه فى ليلة القدر" إلى معلوم هو القرآن ولم يذكر فى اللفظ هنا مثل عود الضمير فى قوله تعالى : "حتى توارت بالحجاب" إلى معلوم الشمس، ولم يذكر فى اللفظ هنا فهذه علمية، ومعنى الضمير واحد كان متصلا أو منفصلا، قال وهو حجابية باعتبار رجوعها إلى غائب وليس فى محل الشهود غيبة فهى حجابية وجعلها قسما

بهذا الاعتبار من أقسام هو، قال وهو عندية : ويريد بالعندية : علم ما تقدم ذكره من قوله عنده لا شهود ذلك فلما نفى هذه بقى إثبات هو التى هى الهوية الإلهية قال فعرفت التعرف من قبل هو التى هى هو أى شهدت الهوية وذلك قوله :

ورأيت هو فإذا ليس هو لا هو ولا ما سواه هو : وهذا المعنى تتمه ما كان ذكر أنه سقط من شهوده إلى علمه فإنه كان قد شهد بدو الأشياء من عنده أى منه، ثم لم يثبت فى هذا المقام إلى أن يشهد هو هو أنه ليس إلا هو، وذلك يقتضى ما هو أعظم من كون بدو الأشياء منه من حيث إن ليس هو هو إلا هو أوسع دائرة فإذن كل ما ينطلق عليه هو ليس إلا هو فيكون عين كل هوية، وهذا أعظم من كون الأشياء كلها بدوها منه فإذن قد عاد إلى مشهد أعظم من مشهده الذى يسقط منه لكونه يشتمل عليه وزيادة (٢٠٧/ب) ثم قال ولا ما سواه هو يكون هو أى ما سواه عدم ولا هوية للعدم . قوله :

ورأيت التعرف لا يبدو من سواه؛ لأن التعرف أمر وجودى وسواه عدم ولا يكون الوجود من عدم أى لا تكون مادة الوجود عدما فلا جرم قال ورأيت سواه لا يتعرف إلى قلبى أنه نبهه فى معنوية كون سواه لا يتعرف إلى قلبه على وصية نافعة هى من فروع هذا الأصل الذى هو كون سواه لا يتعرف إلى قلبه والوصية هو قوله : فقال لى إن اعترض قلبك من دونى شئ فلا يستدل بالأشياء كأنه قال له إذا كانت الأشياء لا تتعرف إلى قلبك فلا تستدل بها فإنها إذا لم تدلك على أنفسها فأولى أن لاتدلك على غيرها ولأن المدلول عليه إنما هو الحق تعالى والأشياء لا تثبت فى شهوده فكيف يستدل بها عليه ولا بسلطان بعضها على بعض قال : ولأن الأشياء تتصرف بك فى الاعتراض وأما المعارض فهو من ورائها ومقامه الوسوسة المحمودة وهى باب الوقفة التى هى باب الرؤية وباقي التتزل فهو معلوم . قوله :

(وقال لى : آيتى كل شئ وآيتى فى كل شئ فكل آيات الشئ تجرى فى القلب كجريان الشئ فهى تارة تطلع وتارة تحتجب تختلف باختلاف الأشياء وكذلك الأشياء مختلفة وآياتها مختلفة لأن الأشياء سيارة وآياتها سيارة، وأنت مختلف لأن الاختلاف صفتك . فإما مختلف لا تستدل بمختلف

فإنه إذا ذلك جمعك معك من وجه وإذا لم يذكرك تفرقت باختلافك من كل وجه) .
قلت :

لما قال في التنزل الذي قبل هذا (٢٠٨/أ) واستدل على بآيتي أراد أن يعرفه الآيات وهي تعرفه إليه من قبل الأشياء . فأما قوله : آيتي كل شيء فهو من جهة ما يتعرف إليه به من جهة أن ليس هو هو إلا هو فإذا هو عين كل هوية فكل شيء إذن آية . وأما قوله : (آيتي في كل شيء) فالمراد أن توابع الأشياء في كونها آية هي أيضا آيات أي علامات، فإن مجرى الأشياء ومجرى توابع الأشياء في القلب متشابه بل متساو . وأما قوله (فهى تارة تطلع وتارة تحتجب) فالمراد به أن كون الأشياء آيات، وكون توابع الأشياء آيات هو مما لا يدوم شهوده، بل قد يحتجب . وأما قوله (لأن الأشياء سيارة وآياتها سيارة) فهو معنى لا يراه إلا أهل الشهود وهو الخلق الجديد الذي ورد ذكره في الآية وهي قوله تعالى : "بل هم في لبس من خلق جديد" (١٢) وذلك أن العالم مجموع أعراض وجوهرها الحامل لها هو عند أهل الشهود مشهوده، والأعراض لا تستقر زمانين كما ذكر في الأصول، ووقع لى فى ذلك واقعة وهي أن بعض أهل الشهود حضر من مكة شرفها الله تعالى فنزل فى القرافة يقال له الشيخ أبو بكر المستوفى كان هو ووالديه وأخوه وجماعة من أهله من المثلثة وهم طائفة فى قبلة المغرب رجالهم يثلثون ويتقبنون، ونساؤهم لا يتقبن ولا يثلثن فأقام بالقرافة بعد مجاورته للنبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة وكان معه تبر حضر صحبتته من بلاده فكانوا (٢٠٨/ب) يفتاتون منه فحضرت إليه ومعى بعض أصحابى فكنت أخذ معه فى أنواع من المنازلات فرأى أصحابه يستمعون ما نقول فأشار إلى بالسكوت، وكان من جملة ما سألته عنه هذه المسئلة فقلت إننى أرى هذه الجبال سيارة غير مستقرة بل الأجسام كلها فقال نعم، فلما فارقت قال لى صاحبى الذى كان معى أننى قد عدت إلى الشيخ أبو بكر فزرتة فسالنى عنك فقلت له إنه بالقاهرة فقال والله ما سلكت ذلك اليوم فى حضرة الحق سبيلا إلا وجدته بين يدى وكان صاحبى هذا المذكور إنما يصحبنى بطريق الدنيا فحصل له فى من الاعتقاد، أنه فارق كل شيء وصحبنى رحمه الله . واعلم

أن ما هو متحلل دائماً ويخلفه هو مختلف بلا شك وهو عرض والحامل له غير مختلف فالاستدلال لا يكون بالمختلف على ما ليس بمختلف .

٥٩ - موقف حق المعرفة :-

قوله :

(أوقفني في حق المعرفة وقال لي : أما الآن ففوق وتحت وكل ما بدا فهو دنيا وكله وكل ما فيه ينتظر الساعة وعلى كله وكل ما فيه كتبت الإيمان وحقيقة الإيمان "ليس كمثله شيء") .

قلت :

هذا الكلام في مقام الإيمان وأما مقام العيان ففوق هذا، وحاصل ما يقول أن من كان في حجاب ليس له نسبة إلى الله تعالى إلا الإيمان فنهايته أن يعتقد أنه تعالى ليس كمثله شيء، فإن ذلك حقيقة الإيمان .

قوله :

(وقال لي : فأشهد جبريل وميكائيل وأشهد العرش وحملة العرش وأشهد كل ملك وكل ذي معرفة ترى حقائق إيمانه نقول وتشهد أنه ليس كمثله شيء وترى علمه بذلك هو وحده ووحدته بذلك هو علمه (٢٠٩/أ) وترى ذلك مبلغ معرفته، وترى ذلك هو الحق الحقيقة وترى ذلك هو علم الرؤية الحقيقي لا هو الرؤية، فانظر كلهم كيف يرتقب الساعة، وإنما يرتقب كشف الحجاب عن ذا، وإنما ينتظر رفع الغطاء عن ذا وذا لا يحمل أحكاماً حقيقة من وراء الحجاب إلا به فكيف إذا هنك الحجاب) .

قلت :

يعني أن حقائق الإيمان من جميع من ذكر يقول ويشهد أنه ليس كمثله شيء فهذا هو مبلغ الإيمان من الملائكة والعرش وحملته وكذلك العارف من جهة ما بقي فيه من الرسم الإيماني لا من جهة ما لاقى التجلي بالنور العياني وذلك لأن الإيمان في مقام الحجاب ألا ترى قوله "يؤمنون بالغيب" ولذلك قال في هذا التنزل وترى ذلك هو علم الرؤية الحقيقي لا هو الرؤية، فقوله لا هو الرؤية إشارة إلى أنه إيمان بالغيب . فحاصل ذلك أن المؤمنين من الملائكة وغيرهم يرتقبون الساعة من حيث إيمانهم بها، قال وإنما يرتقب كشف الحجاب عن ذا، ويعني بقوله من ذا إشارة إلى قوله ليس كمثله شيء

وكذلك تفسير قوله وإنما ينتظر رفع الغطاء عن ذا أى عن معنى ليس كمثلته شئ، قوله وذا يعنى ومعنى قوله ليس كمثلته شئ هو لا يحمل أحكاما، وراء الحجاب إلا به أى إلا بما وراء الحجاب . قوله : فكيف إذا هتك الحجاب يعنى أن حقيقة الإيمان وتوابعه لا تحمل ما وراء الحجاب إذا رفع الحجاب رفعا فكيف يحتمل ذلك أن لو هتك هتكا فإن سطوة أنوار ما وراء الحجاب تكون أقوى فلأن لا يحمل الإيمان ما وراء الحجاب إذا هتك هتكا من باب الأولى .
قوله :

(وقال لى : الحجاب يهتك والهتك صولة لا تقوم لها فطر
المخترعين).
قلت :

المخترعين يريد أهل الحجاب فإن أهل الكشف قد تبدلت أسماؤهم الكونية بأسماء ما وصلوا إليه من الحضرة الإلهية فإذن فطر المخترعين وهم المحجوبون لا تقوم بصولة الهتك وإنما يريد أهل الإيمان الذين حقائق إيمانهم تقول ليس كمثلته شئ .
قوله :

(وقال لى: لو رفع الحجاب ولم يهتك سكن من تحته، وإنما يهتك فإذا هتك ذهلت معرفة العارفين فتكسى فى الذهول نورا تحمل به ما بدا بعد هتك الحجاب لأنها لا تحمل بمعارف الحجاب ما بدا عند هتك الحجاب) .
قلت :

يقول : لو رفع الحجاب بالتدريج بحيث ينحل شبه أهل الإيمان بالعيان شيئا فشيئا حتى ينتقلوا من مقام الإيمان إلى ما فوقه من مقام العيان بالتدريج لسكنوا بما يبدو، وبعد رفع الحجاب لكن قد جرت سنة الله تعالى مع أوليائه فى أكثر الأمر أن يفاجئوا بالعيان دفعة واحدة فيتوله كثير منهم وأكثرهم يدركه الرعب فيبقى فى مكانه ورأيت منهم فى الديار المصرية رجلا مغربيا يقال له الشيخ أبو الحسن الشاذلى^(٩٣) قدسه الله كان من علامات الرعب المستولى عليه أنه كان إذا حضر عنده المناسبون لذوقه فأخبرهم عن وارداته وتنزلاته أنه كان يصيح ويرفع صوته فى كلامه حتى يكاد يسمعه من يمر فى الشارع، وكان مكفوف البصر بصير القلب رحمه

الله وقده ! وأما فتكسى فى الذهول نورا تحمل به ما بدا) فذلك هو علم التجلى (٢١٠/أ) الباقي لها بعد انقضاء صولة هتك الحجاب، وأما معارف الحجاب فهمى إيمانية فلا تحمل ما بدا عند هتك الحجاب .

٦٠- موقف العهد :-

قوله :

(أوقفنى فى عهده وقال لى : احفظ عليك مقامك وإلا ماد بك كل

شئ) .

قلت :

مقامه هو الذى انتهى به التعرف إليه فإذا انحفظ لم تقدر الأشياء أن تشكك فيه، والميد هو الاضطراب .

قوله :

(وقال لى : لا يفارقك إذا كتبتك لتنفذ إذا أنفذت به ولتأخر إذا تأخرت

به) .

قلت :

هو قد أمره أن يكتب مقامه الذى أمره أن يحفظه ولا يفارق ذلك المكتوب المتضمن للتعرف لينفذ به فيما تعرض له من الحجاب إذا احتاج إلى النفوذ، ولتأخر به عن الهجوم على ما ينافى التعرف إذا احتاج إلى التأخر .

قوله :

[وقال لى : مقامك هو الرؤية، وهو ما رأيت من ورود الليل والنهار، (وما رأيت من كيف ورود الليل والنهار) وأنى أرسل هذا رسولا من حضرتى، وأرسل هذا رسولا من حضرتى، وكيف مددت الأبد وكيف أرسل بالنهار، وكيف أرسل بالليل، فقد رأيت الأبد ولا عبارة فى الأبد] .

قلت :

مقام رؤيته الذى أوصاه أن يحفظه قد أوضحه وبينه بقوله مقامك هو الرؤية، ثم فصل مظاهر رؤيته على حسب ما تعرف إليه فإن لله تعالى تعريفات مختلفة بحسب قابليات أوليائه، وهذا الولي قد كانت رؤيته بحسب ما ذكر فى التنزل، فأما ورود الليل والنهار فعرفه فيهما أن ورودهما من حضرته (٢١٠/ب) بحقيقة التوحيد، فإن الشمس واتصال شعاعها إذا حققت

هو بقيومية الحق تعالى ولا تفضيل في الشمس ولا في شعاعها وتوابعه عن القيومية إلا نسب وإضافات هي إذا حققت عدمية فإن قد أشهده في معنوية النهار قيوميته الخاصة بالنهار، وأشهده في معنوية إرسال الليل القيومية التي بها أقامت الظلم لا الظلم المعبر بها عن العدم بل الظلم التي هي ضلال الأجسام وهي قيوماً منفصل (منفصلة) عن القيومية النهارية إلا باعتبار ما بين الليل والنهار من التضاد وأما القيومية نفسها فالتضاد فيه (فيها) إذ ليس لله تعالى ضد، وأما قوله وما رأيت من كيف ورد الليل والنهار فإن كيف معلوم، وقد أدركه أهل الحجاب لكن يخص هذا الولي من شهود القيومية التي قام بها ذلك المذكور، وهذا أمر لأهل الحجاب فيه دعوى فضلاً عن إدراك الدليل على معنوية القيومية وكونها هي المرادة في هذا التنزل . قوله : (وإنني أرسل هذا رسولا من حضرتي وأرسل هذا رسولا من حضرتي) فنسبهما إلى حضرتيه وهي حضرة القيومية المذكورة، وإلا فإرسال الليل هو إرسال عدمي لأنه عدم الضوء، فكيف يكون الإرسال العدمي منسوباً إلى حضرتيه هذا باطل، وإنما يصح باعتبار القيومية التي بها قامت الوجوديات والثبوتيات، وأعني بالثبوتيات الأمور التي عدمها بالإضافة إلى وجود ضدها لا أنها عدم صرف، (١/٢١١) وهذا مجال رحب لمن يسرح فيه سوام إدراكه. وأما قوله : وكيف مددت الأبد .. فنقول إن شرح حقيقة الأبد هي مقدمة على شرح قوله كيف مددت، فأما الأبد فهو طرف الدهر من جهة ما يظن أنه مستقبل، وذلك ضد الأزل إذ هو طرف الدهر من حيث ما يظن أنه ماض، وقولي ماض ومستقبل هو حيلة على التفهيم فإن ليس في الدهر الماضي والمستقبل، وكذلك قولي طرف الأبد، وتطرف الأزل فإن مالا ينتهي لا يقال له أن له طرفاً البتة، وأما إسهاده إياه كيف مد الأبد ففيه حقيقتان أحدهما شهودية والأخرى عقلية بالنسبة إلى العقول المنورة لا إلى كل العقول . فأما الحقيقة الشهودية فهي أن تشهد حقيقة بقاء الحق تعالى لا إلى نهاية، ويرى ذلك ثابتاً له من حيث يثبت ذاته، وذاته تعالى تثبت وجوباً فدوامها إذن يثبت وجوباً، فيرى هذا رؤية لشهود الوجود، والوجود لا ينقلب عدماً فلا يقف بقاءه عند حد، واعلم أن العبارة هنا لا تقف بما يجده الشاهد ومتى عبر غلط غلطاً لا يمكنه الاحتراز منه، وأما الحقيقة العقلية فإن العقل يرى أن الباقي يلزم لزوماً واجب الدوام فإن كان بقاءه لا ينفد بعين الأبد وهو

كذلك فهو كذلك، وأما أهل مسمى الأبد له ذات في الخارج أم في الاعتبار فقط الحق الثاني ولذلك قال ولا عبارة في الأبد، أي ليس له اسم في الحقيقة لعدم مسماه في الخارج، وإنما حصل له نصيب من التسمية بطريق الوجود (٢١١/ب) الذهني، وهذا القبيل كثير بل هو من جملة العالم لأنه أمور اعتبارية وأن الظاهر هو الحق، وأهل الحجاب يظنون أن الظاهر هو الخلق، وهم معذرون .

قوله :

(وقال لي : سبح لي الأبد، وهو وصف من أوصافي، فخلقت من تسبيحه الليل والنهار وجعلتهما سترين ممدودين على الأبصار والأفكار وعلى الأفئدة والأسرار) .

قلت :

تسبيح الأبد باعتبار تعقله وهو تسبيح عقلي، وجعله من أوصافه باعتبار القيومية التي بها قام في الأذهان لا في الأعيان، وقوله فخلقت من تسبيحه الليل والنهار، فإن الأبد هو امتداد معقول جرت فيه حركة الفلك فلحق تلك الحركة معقول يسمى الزمان، ثم قدر ذلك الزمان بالليل والنهار لما عرض للزمان من حركة الشمس، فكل هذه اللزومات تسمى خلقا لله تعالى، فهذا معنى فخلقت من تسبيحه الليل والنهار، وتسبيحه هو غير وجوده، فإن تسبيح ما ليس بعقل هو غير وجوده وعين ترى وجوده ولواحق وجوده من الاعتبارات العدمية، وأما كون الليل والنهار سترين على من ذكر فظاهر؛ لأن أكثر العالم جهال بحقيقة الأمر فيهما .

قوله :

(وقال لي : الليل والنهار ستران ممدودان على جميع من خلقت، وقد اصطفتك فرفعت السترين لتراني، وقد رأيتني فقف في مقامك بين يدي، وقف في رؤيتي وإلا اختطفك كل كون) .

قلت :

هذا ظاهر المعنى مما سبق .

قوله :

(وقال لي : إنما رفعت السترين لتراني فأقويك على رؤية السماء كيف تنفطر، وعلى رؤية ما يتنزل منها (٢١٢/أ) كيف يتنزل، ولترى ذلك

كيف يأتى من قبلى كما يأتى الليل والنهار، فقف وألق كل ما أبدية إليك
(إلى) .
قلت :

اعلم أن هذا التنزل مترتب المعنى على ما قبله، وحاصله أنه يقول
إننى أرى القيومية التى بها قام الليل والنهار وقام الأبد، وأرى أنك أنها هى
التي قام بها انقطار السماء، ونزول ما ينزل منها، وإن هذا يقتضى أن يلقي
كل ما يديه الحق إلى الحق بصفة القيومية .
قوله :

(وقال لى : إذا اطمعيت أخا فكن معه فيما أظهر، ولا تكن معه فيما
أسر فهو له من دونك سر فإن أشار إليه فأشر إليه، وإن أفصح به فأفصح
به) .
قلت :

هذا أدب نيهته عليه وهو لعمري عام فى جناب الحق وفى معاملة
الخلق .
قوله :

(وقال لى : اسمى وأسمائى عندك ودائعى، لا تخرجها فاخرج من
قلبك) .
قلت :

إن إيداع أسمائه عند وليه بأن يسميها (بسميه) بها، هكذا جرت سنته
معهم، وقد ذكر ذلك فى مواضع من المواقف، وإخراجها إذاعة سر ذلك بين
الناس، وكان ينبغى أن لا أذكر ذلك، لكن يكون ذلك غشا منى لمن شرحت له
هذا الكتاب، ولأنى لم أكلف بذلك فى شهودى .
قوله :

(وقال لى : إن خرجت من قلبك عبد ذلك القلب غيرى) .
قلت :

القلب لا بد له من تعلق بشئ، فإن لم يكن بالحق كان بالسوى ونفس
تعلقه هو عبادة لأنه توجه ما .

قوله :

(وقال لى : إن خرجت من قلبك أنكرنى بعد المعرفة وجحدنى بعد الإقرار) .
قلت :

نعوذ بالله من سوء المنقلب هذا تغليظ عليه أن لا يخرج الودائع التى هى أسماؤه، واعلم أنه لا يمكن أن ينكر الحق تعالى (٢١٢/ب) قلب أبدا إذا رآه حقيقة، فأما من لم يتصل وصلة متمكنة فقد يقع فى الخذلات الذى تسميه هذه الطائفة مكرًا .
قوله :

(وقال لى : لا تخبر باسمى، ولا بحديث اسمى، ولا بعلوم اسمى، ولا بحديث من يعلم اسمى، ولا بأنك رأيت من يعلم اسمى، فإن حدثك محدث عن اسمى فاستمع منه، ولا تخبره أنت) .
قلت : هذا ظاهر .
قوله :

(وقال لى : إن أردتك بصاحب كما أردت سواك ألزمتك ذلك فى سريرتك، وفى نومك، وفى يقظتك إلزاما تعرفه ولا تنكره، وترانى فيه، ولا أستتر فيه عنك، ولأن لا تقول له أقوم لك وأبرأ لساحة قلبك) .
قلت :

هذا جواب من إيراد مقدر كأنه لما نهاه أن يخبر عنه وعن أوليائه، لزم فى التقدير أن يقال فإن أردت أردت يارب أن أكون لصاحب، أى يكون لى صاحب، فأجابه بهذا التزل وهو قوله : إذا أردتك بصاحب كما أردت أن تكون أنت صاحباً لغيرك والباقي ظاهر .
قوله :

(وقال لى : قد رأيتنى، فالأمر بينى وبينك ليس هو بينك، وبين علم ولا بينك، وبين معرفة ولا بينك، وبين جبريل ولا بينك، وبين إسرافيل ولا بينك، وبين الحروف ولا بينك، وبين الأسماء ولا بينك وبين شئ) .

قلت :

معناه قد رأيتى أنه يذكره أنه عند رؤيته رآه ولا شئ معه، فهذا هو القدر الذى بينه، وبينه، وهذا المعنى لا يصح أن يكون بين الولى وبين شئ من الأشياء .

قوله :

(وقال لى : إن أردتلى فائق نفسك، وليس فى الأسماء نفس ولا ملكوت نفس، ولا علوم نفس) .

قلت :

فى نسخة فليس فى أسمائى، وهو إشارة إلى ما ذكرناه من أنه إنما أودعه أسماء بصورة أنه سماه (٢١٣/١) بها، فلما قال له ألق نفسك نبهه على أن أسماءه هى تلك الأسماء التى أودعها عنده فأمره أن يلقى ما سواها، وهى النفس، فإن النفس ليست فى أسمائه ولا فى ملكوت أسمائه، ولا فى علوم أسمائه، فليس للنفس اعتبار فإلقاؤها إذن واجب، والله يهدى السبيل .

٦١- موقف أدب الأولياء :

قوله :

(أوقفنى فى أدب الأولياء وقال لى : إن ولى لا يسعه حرف ولا يسعه تعريف حرف ولا يسعه غيرى، لأنى جعلت له من وراء كل خلق علما

بى) .

قلت :

هذا يظهر باعتبار أن الولى إنما يرى ربه عز وجل، فلا يتصرف بمقتضى الحرف خصوصا وقد حصل له وراء كل خلق علما، وليس المراد أن الولى لا يعامل المخلوقات فإن ذلك يوهم خلاف المطلوب، بل الولى يعامل الحرفى أعنى الخلاق وهو فى غير تلك المعاملة لم يعامل غير العليم الذى جعل من وراء كل خلقه علما فافهم .

قوله :

(وقال لى : أدب الأولياء ألا يتولوا شيئا بهمومهم وإن تولوه بعقولهم) .

قلت :

همومهم يعنى مقاصدهم لأنهم إنما يقصدون إلى الحق فى جميع همومهم وإن كانوا يرون الخلق بعقولهم وهو نوع ما شرحناه فى الذى قبله .

قوله :

(وقال لى : مقام الولى بينى وبين كل شئ فليس بينى وبينه حجاب) .

قلت :

يقول إنه أدنى إلى من الأغيار ولا حاجب له عنى .

قوله :

(وقال لى : سميت وليى وليى لأن قلبه يلينى دون كل شئ فهو بيتى الذى فيه أتكلم) .

قلت : هذا ظاهر، وإنما قوله بيتى الذى فيه أتكلم فإشارة إلى المعارف التى فيه .

قوله :

(وقال لى : قد عرفتى وعرفت آيتى، ومن عرف آيتى برئت من ذمة العذر، فإذا جلست فاجعل آيتى من حولك ولا تخرج عنها فتخرج من حصنى) .

قلت :

آيته ما تعرف إليه به، وهى علامة حق لا تفارقه، فأى عذر يبقى له، وما أحسن استعارة قوله : برئت منه ذمة العذر .

قوله :

(وقال لى : إما أن تدعونى فأتيك، وإما أن أدعوك فتأتينى)

(٢١٣/ب) .

قلت :

هذا إشارة إلى ما يتصرف فيه الولى فى كل أوقاته، فإنه إن دعا أحدا من الموجودات شهد أنه إنما دعى الحق تعالى من ذلك الطور، فإنه لم ير غيره والحالة هذه، وإما أن يدعوه إنسان فلا يرى أنه دعاه إلا الحق تعالى، كلا الحالين من موجبات التوحيد، فعبر عن هذا المعنى بهذا التتزل .

قوله :

(وقال لى : قل لأوليانى قد خاطبكم قبل هياكلكم الطينية، وقال لكم هذا كون كذا فانظروه، وهذا كون كذا فانظروه، فرأيتكم كل كون أبداه رأى العيان فكذلك سترونه الآن، ثم دحى الأرض وقال لكم انظروا كيف دحوت الأرض فرأيتكم كيف دحا الأرض، وقال لكم أريد أن أظهركم لملكى وملكوئى وإنى أريد أن أظهركم كبريانى وأكوانى وملانكتى، وإنى سوف أخلق لكم من هذه الأرض هياكل وأظهركم فيها أمرين ناهين مقدمين مؤخرين).

قلت :

هذا الخطاب هو مرتبى لا لفظى، فإنه ليس فى الوجود من يخاطب حقيقة الإنسان فإذا خطب غيره فلكونه جزءا من أجزاء الإنسان إذ ليس فى الوجود إلا الإنسان وأجزأه، فقد خاطب أجزاء الإنسان بهذا الخطاب، ثم أدركوه بعد أن أقامهم فى الهياكل الطينية فشاهدوا ذلك، واعلم أن النجار إذا أخذ الخشب ليعمل الكرسي فقد خاطب ذلك الخشب بأنه يعمل منه كرسيًا، وخاطب كل جزء من أجزاء الكرسي قبل كونه بأنه سيفعله، وقد أجابه الخشب بلسان الحال بنعم، وكذلك كل جزء من أجزاء الكرسي قد قال له نعم، وهذا القول هو قول مرتبى حالى، ولست أمنع الخطاب المقالى لكنى ذكرت الخطاب الحالى، والله يقول الحق وهو يهدى (٢١٤/أ) السبيل^(٩٤).

٦٢ - موقف الليل :

قوله :

(أوقفنى فى الليل وقال لى : إذا جاءك الليل فقف بين يدى وخذ بيدك الجهل، فاصرف به عنى علم السموات والأرض، فإذا صرفت رأيت نزولى).

قلت :

معناه : قف بين يديه لا بعقيدة أصلا فإنه أدعى لأن ترى نزولى، والمراد بالنزول هنا التعرف.

قوله :

(وقال لى : الجهل حجاب الحجب، وحاجب الحجاب، وليس بعد الجهل حجاب ولا صاحب، إنما الجهل قدام الرب فإذا جاء الرب فحجابه

الجهل، فلا معلوم إلا الجهل إذ أنه لا يبقى من العلم إلا أنه مجهول ما هو هو لا مجهول هو أنه فيما تعلم منى، وما تعلم بى، وما تعلم من كل شئ فانفه بالجهل، فإن سمعته يسبحنى ويدعو إلى فسد أذنك، وإن تراءى لك فغط عينيك، وما لا تعلم فلا تستعلم ولا تتعلم، أنت عندى وآية عنديتى أن تحتجب عن العلم والمعلوم بالجهل كما احتجبت أنا به، فإذا جاء النهار وجاء الرب إلى عرشه جاء البلاء، فألق الجهل بين يديك، وخذ العلم فاصرف به عنك البلاء، وأقم فى العلم وإلا أخذك البلاء) .
قلت :

اعلم أنه ذكر فى هذا التنزل أموراً يحتاج صاحب الرؤية إلى استعمالها ونحن نفسر ما يتيسر منها . أما قوله الجهل إلى قوله أنه لا يبقى من العلم فتفسيره أن صاحب الرؤية يرى الجهل الحقيقى وقد ذكره فى مواضع عدة ومعناه أنه لا يشهد مع الحق تعالى سواه، فكأنه جهل ما سواه، وهذا هو الحجاب الأدنى للرب إذا جاء أى تجلى (٢١٤/ب) لذاته بذاته، وعبر عن هذه الحضرة بالليل لأنها حضرة سكون، وأما النهار فهو العلم لأنه ينسب إلى الحركة، ومجئ الرب إلى عرشه، فإذا هو يأمره أن يكون فى الليل طوع الشهود الوجدانى ولا يلتفت فيه إلى العلم ولا إلى ما يدعو إليه العلم، وقد أكد عليه فى ذلك بقوله فغط عينيك إلى آخره، ثم قال له فأنت عندى، وآية عنديتى أن تحتجب أنت بالجهل كما احتجبت أنا به، وأما إذا جاء النهار فقد جاءت أحكام أحكام الخلق وهى بلاء، فلا تظهر منك إذ ذاك إلا ما يقتضيه علم الشريعة، وإلا أخذك البلاء أى أقيم عليك الحد، وبمقتضى العلم. وبقى علينا أن نبين ما معنى قوله "إنه لا يبقى من العلم إلا أنه مجهول ما هو هو لا مجهول هو أنه"، وتفسير ذلك أن هوية العلم مجهولة فى شهود الوجدانة، وأما أنه موضوع للتكليف فليس بمجهول وأكثر من هذا لا ينبغي .
قوله :

(وقال لى : احتجب عن العلم بالجهل، وإلا لم ترنى ولم تر مجلسى، واحتجب عن البلاء بالعلم وإلا لم تر نورى ورتبتى) .
قلت :

نوره ورتبته العلم والعمل .

قوله :

(وقال لى : انظر إلى كل شئ يراه قلبك وتراه عينك، كيف قلت له كن فكان، ثم انظر إلى الجهل الذى مددته بينى وبينه، ولو لم أجعله بينى وبينه ما ثبت لنورى) .

قلت :

أشده كيف قال للأشياء كونى فكانت، وذلك أنه أراه أنها ظهورات مظهرات، وبذلك يتأتى له أن يرى الجهل الممدود بينه وبينه، وذلك أنها إذا كانت ظهورات كان الله ولا سواه، فيتعين الجهل الحقيقى وهو فقد ما سواه فى الشهود والوجود معاً، فلو لم يره أنها ظهورات (٢١٥/١) لما ثبت لنوره لأن الممكنات أعدام فى وجودها الذى هو وجوده حقيقة، وهو وجودها مجازاً .

قوله :

(وقال لى : الجهل قدام الرب تلك صفة من صفات تجلى رؤيته، والرب قدام الجهل، تلك صفة من صفات تجلى الذات) .

قلت :

أما أن الجهل قدام الرب فمعناه أنه شرط فى شهود الرب فكأنه قدام وهذه استعارات، وأمثاله، ولذلك قال تلك صفة من صفات تجلى رؤيته، وأما أن الرب قدام الجهل فمعناه أن الجهل هو من جملة المشهود الحق إذ ليس لغيره ثبوت فاتصل الحاجب والمحجوب، ولذلك قال تلك صفة تجلى الذات أن تشهد من جملتها مالها من الصفات .

٦٣ - موقف محضر القدس الناطق :-

قوله : (أوقفنى بين يديه وقال لى : أنت فى محضر القدس الناطق) .

قلت :

سمى حضرة بين يديه هنا بمحضر القدس، لأنها حضرة توحيد، وهو القدس، وأما أنه سماه ناطقاً فلأنه فيما بعد يقول لتكلمنى منك كلمته .

قوله :

(وقال لى : اعرف حضرتى، واعرف أدب من يدخل إلى حضرتى) .

قلت :

هذه وصية نافعة .

قوله :

(وقال لى : لا يصلح لحضرتى العارف قد بنت سرانته قصورا فى معرفته فهو كالملك لا يحب أن يزول عن ملكه) .

قلت :

يعنى أن العارف قد استجلى ما استجلى من المعارف وحضرة الحق تمحو، فلا يحب المحو من له شئ يخشى عليه من الحق المحو، فهو يشبه الملك يكره زوال ملكه .

قوله :

(وقال لى : لا يصلح لحضرتى العالم الربانى، إنما قلبه أين أثبتته أو نسبته قائم فإذا لم أنسبه تاه وإذا لم أثبتته ماد فهو لا يقوم إلا باسمه أو علم اسمه) .

قلت :

يعنى بالعالم الربانى (٢١٥/ب) من علمه نقلى أو عقلى، وكونه "ربانى" أى "صالح"، وإذا كان العارف لا يصلح للحضرة فأولى أن لا يصلح العالم الهائم، علل ذلك بأن قال إن قلبه قائم حيث أثبتته من عقيدته أو مبلغه أو نسبته إليه من القدر الذى جعلته تابعا له من المدارك، ولما كان قلب العالم ليس له من نفسه نور يهديه لم يثبت إلا بإثبات عقيدة وإلا ماد وتاه إذا أحيل على قوته إذ لا قوة له يبلغ ما يسكن إليه فهو إذن لا يقوم إلا باسمه لا بمعناه، أو علم اسمه لا شهوده .

قوله :

(وقال لى : إذا أتيتك اسما من أسمائى، وكلمنى به قلبك أوجدته بى لابل كلمتى بما كلمته منك) .

قلت :

يعنى أن المتكلم منك بمتقضى شهود اسم من أسمائى إنما كان هو الجزء الذى كلمته منك فاستحق ذلك القلب الوجد بالحق تعالى وهو التعشق له والتعلق به .

قوله :

(وقال لى : ليكلمنى منك من كلمته، وليحذر منك أن يكلمنى من لم أكلمه) .

قلت :

معناه لتخاطبنى أيها العبد بلسان الاسم الذى منه تعرفت إليك، فإن التعرف الجزوى لا بد وأن يكون من حضرة اسم من الأسماء وحينئذ يصح الخطاب، وإن لم يكن كذلك لزم أن تخاطبه بلسان العلم وليس الخطاب بلسان العلم إلا من حضرة حجابية .

قوله :

(وقال لى : إذا رأيتنى وكنت من أهلى، وأهل اسمى، فحادثتك فذاك علم، وتعرفت إليك فذاك علم، فحصل بينى وبينك علم وحصل بينك وبين العلم يقين) .

قلت :

إنه يحصل لأهل مبادئ الولاية علم لا هو الرؤية ولا الوقفة، بل دون هذه المقامات ويحصل لهم بذلك يقين ما هو المطلوب الأعلى بل دونه .

قوله :

(وقال لى : إذا رأيتنى وأردتتى وتحققت بى كانت المحادثة عندك وسوسة، وكان التعرف عندك وسوسة) .

قلت : الوسوسة تردد .

قوله : (٢١٦/أ)

(وقال لى : ألفت بين كل حرفين بصفة من صفاتى فتكونت الأكوام بتأليف الصفات لها، والصفة لا ينقال هى فعالة وبها تثبت المعانى، وعلى المعانى ركبت الأسماء) .

قلت

لو قال قائل على لسان البحر إنه ألف بين كل جزئين من أجزاء الموج بصفة من صفات المائية، وصفة الماء لا تنقال (لا يقال) إنها فعالة وبها تثبت الأمواج وسميت أمواجا .

قوله :

(وقال لى : إذا جاءتك دواعى نفسك ولم ترنى فقد جاءك لسان من السنة نارى، فافعل كما يفعل أوليائى أفعَل بك كما فعلت بأوليائى) .

قلت :

دواعى نفسه هى شهوات نفسه، فإن انصبغت تلك الدواعى بالشهود برئت ساحتها فى فعل الشهوات المذكورة من العهدة، إلا أن الشهود يكون قد أفضى الرسم وبقي الحق الذى لاحد يلزمه فأما إذا لم ينصبغ فإن المستولى إذ ذاك هو العلم لا الرؤية، والعلم يقيم الحدود فتكون تلك الدواعى السنة من السنة تاره .

قوله :

(وقال لى : أذنت لك فى أصحابك بأوقفى، وأذنت لك فى أصحابك بيا عبد، ولم أذن لك أن تكشف ولا بأن تحدث عني بحديث كيف ترانى) .
قلت : معناه أنه أذن له أن يقول ويخبر أصحابه بأنه قيل له أوقفى وقيل له يا عبد، ولم يؤذن له فى أن يشرح للمحبوبين شهوده كيف هو لأنهم لا يقدرون على إدراك ذلك، ولا يرجعون فيه إلى إيمان بل كفران .

قوله :

(وقال لى : هذا عهدى إليك فاحفظه بى وأنا حافظه عليك، وأنا حافظك فيه، وأنا مسددك فيه) .

قلت :

يعنى بعهد ما تضمنه التنزل الذى قبله . (٢١٦/ب)

٦٤- موقف الكشف والبهوت :-

قوله :

(أوقفى فى الكشف والبهوت وقال لى : انظر إلى الحجب، فنظرت إلى الحجب، فإذا هى كل ما بدا، وكل ما بدا فيما بدا، فقال انظر إلى الحجب، وما هو من الحجب) .

قلت :

سوف يبين الحجب بعد هذا وهو قوله : (وقال لى الحجب خمسة :
حجاب أعيان، وحجاب علوم، وحجاب حروف، وحجاب أسماء، وحجاب
جهل)
قلت :

هذه الخمسة قد تعينت أنها حجب، فأما الأعيان فهو كل ما يرى بالعين
من الأجسام والألوان وجهة الاحتجاب بها هو ما يتوهمه الحس البصرى من
تغيرها فى جواهرها وفى أعراضها من اختلافها بالحد والحقيقة للفصول
التي يقال أنها للأشياء يمتاز بها بعضها عن بعض فهذا احتجب المحجوبون
عن إدراك الحقيقة فى نفسها، ولو أنصفوا لعلوا أن الحس يكذب وأن الشهود
لا يكذب، ولولا أن أرسطو جعل الأجناس العلية عشرة لكان اتحاد المجموع
بالجنس كافيا فى أنها واحد وإن جعلها أرسطو عشرة هربا من أن يرفع
فيرتفع إلى الموجود وهو واحد عند خصوم أرسطو وهم برمنيدس وطاليس
ومن وافقهم، وقد ذكرهم فى كتابه المسمى بالسماح الطبيعى، وإنما قلنا إنه لو
سامح وترك المغالطة لكان الجنس العالى واحدا وهو الموجود، وأنه إنما ذكر
الأجناس العلية على أنها عشرة على أن جعل الجوهر جنسا واحدا جعل معه
من الأعراض أجناسا عدها تسعة فصارت (٢١٧/أ) عشرة، والحق أن هذه
تقسم إلى قسمين : جوهر، وعرض. وهذان الجنسان يدخلان تحت معنى
الموجود فيكون الموجود هو الجنس العالى، وهذه الطريقة التي بها يصير
الجنس العالى واحدا هى الطريقة التي سلكها هو إلى أن صير الأجناس التي
لا تتحصر كلها داخل تحت عشرة أجناس، فهو فيما أعده (اعتقده) كما قال
الله تعالى : "يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا
ما حرم الله" (٩٥) الآية بكمالها، ولما كان أرسطو رئيسا فى أتباعه لم يخالفه
أحد منهم، وإنما خالفه من خالفه من المتشعبة أهل النظر رضى الله عنهم
فجعلوا جنس الأجناس واحدا، ثم اختلفوا فى ذلك الواحد، والذي خاف منه
أرسطو فى أن يجعل جنس الأجناس هو الموجود أن يقوم على وحدانيته أدلة
القائلين بأن الموجود واحد، ومن جملة أدلة القائلين بأنه واحد برهان قاطع
وهو قولهم إنه إن لم يكن واحدا فيجب أن يكون مع غيره قطعا حتى يكون
أكثر من واحد، لكن غير الموجود هو ما ليس بموجود فايدن الموجود يدخل

فى حقيقة اللاموجود، وذلك محال لأنه جمع بين النقيضين، وقد خرجنا عن طريقنا، فنعود ونقول: حجاب الأعيان هو ما ذكرناه من توهم الحس للاختلاف المفضى إلى التباير، فأما حس من حصل له التجلى فإنه يتشقق حسه فىرى بظاهره ظاهره الحق، وهذا إذا حصل لأحد لم يقدر الأفكار ببراهينها ولا الحواس بقوانينها إن تشككه فى شىء مما رأى، بل تصير معينة له، وشاهدة بقوانينها أن تشككه فى شىء مما رأى، بل تصير معينة له، وشاهدة بصحة ما أدركه، لكن النطق الإخبارى باتصاله إلى المحجوب لا يفى ولا يبلغ العقل المحجوب منه إلى ما به يكتفى .

(٢) وأما القسم الثانى من الحجب الخمسة وهو حجاب العلوم، ووجه حجابيته أن العلوم إما منقول، وإما معقول، فأما المنقول فهو على مقدار العقول لأن النبى عليه الصلاة والسلام قال "نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم" فدخل بهذا الاعتبار المنقول فى قسم المعقول، فنتكلم فى المعقول، ونقول إنه جار على ما وجد بالحواس إذ أصول مقدماته لا بد وأن ترجع إلى إدراك الحواس وفى هذا كفاية، فنحن نقسم المعقول إلى قسمين : (أ) قسم وردت الشريعة المطهرة بتصديقه فهو حق . (ب) والقسم الثانى مردود بالمنقول فى مقتضى الحق، وبالمشهود فى مقتضى الحقيقة ؛ ويبقى ما صدقه النقل فهو الحق الشرعى، ونحن مخاطبون به فى طور العلم :

ولكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعاينة الكليم

فإن قلت: هل الشهود يطالب بفراق السنة الإلهية ومقتضى الشريعة الربانية؟ فالجواب لا، ولكن قال أهل المشاهدة أنه لا يطالب بفراق السنة الشريعة المطهرة، ولكنه يطالب بالعمل بها فى سنة دون سنة، وفى عزيمة دون عزيمة فافهم . وأما أنا فأقول إن الشهود لا يطالب بفراق الشريعة بوجه من الوجوه أصلا . فنعود ونقول : إن صاحب المواقف يرى أن العلم ترفعه المعرفة فكيف الوقفة، فكيف الرؤية، فالعلم عنده حجاب لنزول الخطاب منه إلى مقدار العقول المحجوبة، فإذا جاء الكشف صارت تلك العقول غير محجوبة لزمها (١/٢١٨) القيام بالأمر على الشهود بما هو عليه .

٣- وأما القسم الثالث من الحجب الخمسة وهو حجاب الحروف فإن معنى الحروف إثبات السوى والشهود ينفيه .

٤- وأما القسم الرابع، وهو حجاب الأسماء فوجه حجابيته أنه يشهد كل اسم أنه غير مسماه وكل مسمى أنه غير اسمه، فيثبت الأغيار، وهو خلاف ما تقتضيه الأنوار .

٥- وأما الحجاب الخامس وهو حجاب الجهل الذي هو ضد العلم ولم يرد به الجهل الحقيقي فإن ذلك هو باب الرؤية، وكيف لا يكون هذا الجهل حجاباً وهو عدم الإدراك فمن شأنه أن يدرك في الوقت الذي شأنه أن يدرك .
قوله :

(وقال لى : الدنيا والآخرة وما فيهما من خلق هو حجاب أعيان، وكل عين من ذلك فهي حجاب نفسها وحجاب غيرها) .
قلت :

أما أنها حجاب نفسها فهو بالنسبة إلى الأناس في إحساسهم أنهم متغايرون وأما غير المدركين فلا حجاب لهم لأن إدراكهم حالى، وأما حجاب لغيرها فلأن الأعيان كما ذكرنا تحجب .
قوله :

(وقال لى : العلوم كلها حجب كل علم منها حجاب نفسه وحجاب غيره) .
قلت :

إن مضمون كل علم لا يتجاوز ذاته، فهو بلسان الحال يقول أنا، وذلك هو الحجاب بعينه، وهو أيضاً يعارض غيره فيحجب، وليس المراد أن علماً يحجب علماً آخر بل يحتجب فيه صاحب كل علم بعلم آخر، ويحتجب بعلمه في نفسه لثبوت الأنية والغيرية فيما تدل عليه العلوم .
قوله :

(وقال لى : حجاب العلوم يرد حجاب الأعيان بالأقوال، وبمعانى الأقوال، وحجاب الأعيان يرد إلى حجاب العلوم بمعانى الأعيان وبسرائر مجهولات الأعيان) (٢١٨/ب) .
قلت :

يعنى أن المحتجب بالعلوم يستند فى تحقيق حجابيته بأن الأقوال ومعانيها تقتضى اختلاف الأعيان فيحجب بالرد إلى الأعيان على هذه الطريقة وأما كون حجاب الأعيان يرد إلى حجاب العلوم فلشهادة الأعيان

حسا بصدق الأقوال، ومعاني الأقوال، فقد ردت إلى العلوم، إذ الأقوال ومعانيها هي في العلوم .

قوله :

(وقال لى : حجاب الأعيان منصوب فى حجاب العلوم، وحجاب العلوم منصوب فى حجاب الأعيان) .

قلت :

هذا تفسيره هو تفسير الذى قبله بعينه، لأن كون كل واحد من الحجابين منصوبا فى الآخر ليس إلا أن كل واحد منهما يرد إلى الآخر كما سلف .

قوله :

(وقال لى : حجاب الحروف هو الحجاب الحكى، وحجاب الحكم هو من وراء العلوم) .

قلت :

فى نسخة أخرى وقال لى حجاب الحروف هو حجاب الحكم، والمعنى فى اللفظين واحد، والمراد أن الحروف معانى الخلقية، وذلك إنما يكون بحكم الذهن أنها خلق، فلو لم يحكم الذهن بذلك لم يكن هنالك شئ، وأما كون الحكم من وراء العلوم فإن الحكم هو إما بعلم أو بما يظن أنه علم، وكل حال ذهنى فهو كذلك .

قوله :

(وقال لى لحجاب الحروف ظاهر هو علم الحروف، وباطن هو حكم الحروف) .

قلت :

يعنى أن حجابية الحروف تكون من وجهين : من جهة ظاهرها وهو أن العلم يقول إنها حروف، ومن جهة باطنها، وهو أن كل حرف فله فى نفسه خواص تحجب بكل واحد منها حجابا خاصا فهمى تحجب بأعيانها، وهو المعبر عنها بظواهرها، وتحجب بما تضمنته من معانيها وهو الحكم المنسوب إليها .

قوله :

(وقال لى : عبدى كل عبدى هو عبدى الفارغ من سواى، ولن يكون فارغا من سواى حتى أوتيه من كل (٢١٩/أ) شئ، فإذا أتيته من كل شئ أخذ إليه باليد التى أمرته أن يأخذ بها، ورد إلى باليد التى أمرته أن يرد . قلت :

فراغه من كل شئ هو عدم رؤيته الأغيار، وأما ما كونه لا يكون فارغا حتى يؤتیه من كل شئ هو عدم، فمعنى إعطائه من كل شئ أنه يخلصه من حجب كل شئ بأية تعرف بها إليه فى ذلك الشئ حتى تغنى الأشياء فى نظره بحجج عرفانية فيأخذ ويترك بوجه شهودى وهى اليد التى أشار إليها مجازا . قوله :

(وقال لى : إذا لم أوت عبدى من كل شئ فليس هو عبدى الفارغ وإن تفرغ بما أتيته لأنه قد بقى بينى وبينه ما لم أوتيه، وإنما عبدى الفارغ إلا منى فهو عبدى الذى أتيته من كل شئ سببا وأتيته منه علما، وأتيته منه حكما فرأى الحكم جهرة، ثم تفرغ من العلم وتفرع من الحكم فالتقاهما معا إلى، فذاك هو عبدى الفارغ من سواى) . قلت :

هذا شرحه فى الذى قبله واضح، وقوله فرأى الحكم جهرة، الحكم هو فى مقتضيات العلم مصادفة مراد الشارع، وأما "التقاهما إليه" فهو رد الجميع إليه بوجه سائق القبول عند مولاه . قوله :

(وقال لى : لا تبدو الولاية لعبد إلا بعد الفراغ) .

قلت :

الفراغ منه جزؤى ومنه كلى وكذلك الولاية .

قوله :

(وقال لى : أنترى ما قلب عبدى الفارغ، قلبه بينى وبين الأسماء وذلك هو مقامه الأول الذى هو مهربه وفيه آيته، فأنقله منه إلى رؤيتى فيرانى ويرى الاسم والأسماء بين يدى، كما يرى كل شئ بين يدى ويرى

الاسم لا يملك من دونى حكما فذاك هو مقام قلب عبدى الفارغ، وذاك مقام البهوت، وفى البهوت بين يدى آخر ما وقفت القلوب).
قلت :

معنى قلبه بينى (٢١٩/ب) وبين الأسماء أى تجاوز مرتبة الأسماء كما قيل فدعنى من دعد وأسماء وزينب، فمقصودى الأسماء تجاوزنى الأسماء، قال فأنقله منه إلى رؤيتى يعنى أنقله من عدم شهود الأسماء إلى شهوده فى حقيقة الذات وهى الرؤية ففيها ترى الأشياء كلها وترى الاسم فى غير المسمى، فأما دون المسمى فلا تملك حكما، وهذا مقام البهوت، وهو نهاية السلوك لأنه شهود الذات، وليس بعد الذات شئ يرقى إليه . وعندى أن بعد هذا سفرين آخرين وتفريق الأسماء على مراتب المسميات فى العين الوحدة، وذلك هو السفر بالله إلى خلقه، فإذا كمل هذا صلح للإرشاد الثانى هو رجوعه إلى الغير بما حققه فى البين وهو مقام قول النبى عليه الصلاة والسلام عند موته : "اخترت الرفيق الأعلى".
قوله :

(وقال لى : البهوت صفة من صفات الجبروت).

قلت :

سماء بالجبروت لاستيلائه على كل شئ بالإحاطة به ظاهرا وباطنا .

قوله :

(وقال لى : الواقف بحضرتى يرى المعرفة أصنافا، ويرى العلم أزلاما لأنه واقف بين يدى لا بين يدى العلوم فهو يرى العلم قائما بين يدى أغرس فيه قلب من أشاء، وأخرج منه قلب من أشاء، فذاك هو شأنى فى القلوب، إلا قلوبى التى بنيتها لنظرى لا لخبرى وإلا قلوبى التى صنعتها لحضرتى لا لأمرى تلك هى القلوب التى تسرى أجسامها فى أمرى).
قلت :

يرى المعرفة أصناما لأهل المعرفة الواقفين عندها فكيف العلوم والعلماء، وأما القلوب التى بناها لنظره فنظره المشاهدة وخبره العلم، وأما حضرته فهى ما توجد بالمشاهد لا حضرة الأمر والنهى، ثم نبه على أن القلوب الخاص لا تسرى فى أمره منها إلا (٢٢٠/أ) أجسامها.

قوله :

تسرى أجسامها فى أمرى وأما ما تكت شرحه من هذا التنزل فهو

واضح .

قوله :

(وقال لى : فى العلوم بيت، فمنه أجادث العلماء، لى فى المعارف

بيت، فمنه أحداث الفهماء) .

قلت :

يعنى بالبيت المرتبة، فبيت العلوم هو خطاب الناس على قدر عقولهم

وبيت المعارف هو وجدان العارف مقامه من المعرفة فى حضرة اسم

وأسماء .

قوله :

(وقال لى : البيوت حجب، ومن وراء الحجب الأستار، ولكل من

الأستار مقام فإذا تعرفت إلى قلب من ذلك البيت فلا معرفة له إلا ما أبديت) .

قلت :

يعنى أن المراتب كلها غير الرؤية حجب، والستر لازم لكل حجاب

وهو امتناع المحجوب .

قوله :

(ولكل من الأستار مقام) أى: تستره فى رتبة العلم غير تستره فى

مرتبة المعارف؛ فلكل ستر مقام، وليس من تعرف له مقام أن يتجاوز أحكام

ذلك المقام إلى غيرها، فلا جرم من كان فى مقام العلم بفرض العمل، ومن

كان فى مقام المعرفة فله فرضان أحدهما العمل بحكم ما بقى فيه من الرسوم،

لأن المكاتب عبد ما بقى عليه درهم، فعليه العمل بجسمه، فأما قلبه فله

الفرض الآخر وهو أن يكون مع الحق تعالى فيما تعرف فيه إليه، ويكون

باقى قلبه مع العلم .

قوله

(وقال لى : ما بحضرتى بيوت، ولا لأهل حضرتى بيوت؛ أضعفهم

من يخطر له الاسم وإن نفى، وأعجزهم من يخطر له الذكر وإن نفى) .

قلت :

يعنى أن البيوت التى ذكرها فى التنزل الذى قبل هذا هى مراتب اعتبارية ذهنية، وثبوتها فى الحجاب لا فى حضرته، وأما قوله : أضغفهم من يخطر له الاسم فيعنى أن يخطر له الاسم مع المسمى وجوداً فيدخل شرك ما من جهة الاسم، وأضعف من هذا (٢٢٠/ب) من يخطر له الذكر للاسم، وأما قوله : وإن نفى فى الموضعين فمعناه وإن كان هؤلاء الضعفاء ينفون الاسم علماً لا رؤية أو فى وقت دون وقت .

قوله :

(وقال لى : إذا نفيت الاسم والذكر كان لك وصول، فإذا لم يخطر بك الاسم والذكر كان لك اتصال، وإذا كان لك اتصال فأردت كان) .

قلت :

اعلم أن ألفاظ هذه المواقف إنما هى إشارات واستعارات، ويكفى فى مذهب الاستعارات فى تسمية الشئ باسم الشئ أدنى علاقة فقوله : إذا نفيت الاسم والذكر كان لك وصول أى وصلت إلى الحضرة لأنك نفيت عنها ما ليس منها ولا يكون ذلك لغير واصل لكنه لا ينفى إلا ما ثبت، فإذا ثبتت بالاسم والذكر لازم لمن نفاهما لا لمن لا يخطر به، وأما الذى لم يخطر به البتة فما يحتاج إلى نفيهما، وهو إذ ذاك صاحب اتصال بالحضرة والاتصال بالحضرة مما يصيره جزواً منها، وأما الوصول فليس كذلك، فإذا صاحب الاتصال هو عين ما اتصل به فلا جرم أنه عبر عن كونه غير ما اتصل به بأن أعطاه وصف من اتصل وهو قوله فأردت كان وما احتاج أن يقول هو هو بعد ما أعطاه وصفه فإن ذلك يبقى كالمعنى المكرر .

قوله :

(وقال لى : إذا أردت أن لا يخطر بك الاسم والذكر، فأقم فى النفس ينفى لأن النفس بى لا بك، فإذا انتفى أثبتك لأن الإثبات بى لا بك) .

قلت :

أما مقامه فى النفس فهو بأن يلزم شهود نور الذات التى تنفى الأسماء والصفات فكذلك النور هو من الحق تعالى لا من العبد فإذا أقام فيه فما أقام إلا فى الحق وهو مضمون قوله : فإن النفس بى لا بك، وأما أنه إذا

انتفى الاسم والذكر أثبت العبد بالحق لا بالعبد فقد عرفت هذا المعنى وعرفت حقيقة الثبوت . (٢٢١/أ) قوله :

(وقال لى : إذا وقفت فى حضرتى فلا تقف مع الربانى فتحتجب بحجابه ويكون لك كشف ولك حجاب، وإذا رأيت العلم والعلماء فى حضرتى فاجلس فى حضرتى وخاطبه فى حضرتى، فإن لم يتبعك فلا تخرج من حضرتى فيستخرج هو من أقصى علمه ويعلم أنه قد خرج، وإن تبعك فقف به على، صدق ولا تمش به معك، فإنه لا بد أن يخرج إلى مقامه فإن رجع وحده تاه وإن رجعت معه خرجت عن حضرتى فتهت) . قلت :

يقول أنت صاحب كشف، فلا تقف مع العالم العامل وهو الربانى فى المذكور فإن وقفت معه احتجبت فصرت به محجوبا، وبمقامك صاحب كشف فصار لك حجاب وكشف، وأما رؤية العلم والعلماء فى حضرته تعالى فمثاله اجتمع علماء بصاحب كشف فأخذوا يسلكون فى مسالك صاحب الكشف فهنا أمر صاحب الكشف والحالة هذه أن لا يتكلم بمعانى العلم بل بمعانى الحضرة فإن تبعه العلماء فيما أشار إليه من واردات الحضرة فقف به عندما صدق من واردات العرفان ولا تمش به معك إلى ما لم يصدق فإنك إنما تريد بذلك ظلمة وسيرجع هو عن تصديقك إلى مقامه ولا بد أن يتيه لأنه النور الذى صدقك فيه مستودع لا مستقر، ووجه أنه يتيه أنه لا مع علمه وقف ولا إلى ما صدق نسب، فإن خرج المكاشف معه بوجه علمى تاه، لكن لو خرج معه وقلبه فى الحضرة لم يكن ذلك الخروج إلا بالقول فما يتوه، وأما خروجه من أقصى علمه (٢٢١/ب) فإن نور كلام العارف خبط عليه نور العلم فهو يخرج ويعلم أنه قد خرج . قوله :

(وقال لى : كل ما يخاطب به العلم والعلماء فهو مكتوب على أقصى علم العالم فهو يريد أن يعبره ويعبره وأنت تريد أن تقف فيه فهو لا يقف لأن العبارة والعبور حرة، وكذلك أنت لا تعبره لأنه مقامك) .

قلت :

اعلم أن ما يخاطب به مقام العلم وأهل مقامه إنما هو شئ بعينه فى المعنى لأن الحكمة تقتضى شيئا معينا، وذلك الشئ المعين هو مكتوب على أقصى علم العلماء، أى فى مبلغهم، وكتابتة معنوية، فالعالم يريد أن يعبره ويعبر عنه لأن ذلك هو من شأنه؛ إذ لا قاعدة لصاحب العلم إلا وهو يتوهم فيها خلاف ما فهم منها، وذلك هو قوله : لأن العبارة والعبور حرة، وأما كون التعارف لا يعبره فلأن ما يخاطب به هو شئ واحد بعينه فلا يعبره، وقوله : لأنه مقامك، فى إرشاد ذلك العالم .

٦٥- موقوفى العبدانية :

قوله :

(أوقفنى فى العبدانية وقال لى : أتدرى متى تكون عبدى، إذا رأيتك عبدا لى منعوتا عندى بى لا منعوتا بما منى ولا منعوتا بما عنى، هنالك تكون عبدى، فإذا كنت هنالك كذلك كنت عبد الله، وإذا كنت عبد الله لم يغب عنك الله، وإذا كنت منعوتا بسوى الله غاب عنك الله، فإذا خرجت من النعت رأيت الله، فإن أقمت فى النعت لم تر الله) .

قلت :

معنى العبدانية هو ما يثبت به لكل ولى مقامه من العبودية مثاله أن من شهد الحق تعالى من اسمه اللطيف وكان اسمه الذى سماه به أبواه إبراهيم مثلا فاسمه (٢٢٢/١) فى الحقيقة العبدانية عبد اللطيف ولا يلتفت إلى كون أبويه سمياه إبراهيم، وكذلك حكم من شهد الحق تعالى من حضرة بالاسم فعبدانيته تختص بذلك الاسم حتى تنتقل إلى غيره فينقل عبد الله إلى الاسم الذى انتقل إليه . وقد ألف الشيخ محى الدين بن العربى قدس الله وجهه العزيز كتابا مفردا فى المعنى وسماه "العبادلة" وإنما أراد بتلك الأسماء التى ذكرها نسبة الأولياء، إليه تعالى من حضرات الأسماء المسئولية عليهم وأعلى مقاما من هؤلاء الموسومين بالعبدانية من وصل إلى مرتبة أن يكون عبد الله، فإن هذا الاسم هو اسم الذات، والمنعوت بعبدانيته يكون من أهل شهود الذات المتجاوزين مراتب الصفات، فهذا التزل يقول فيه لوليه بلسان حضرة الذات، أنك إنما تكون عبدى إذا رأيتك عبدا لى، أى للذات، منعوتا بذلك

عندى أى فى حضرة ذاتى، لا منعوتاً بما منى من الصفات، ولا منعوتاً بما عنى من الأفعال، فإذا كنت كذلك كنت عبد الله، وأما قوله وإذا كنت منعوتاً بسوى الله غاب عنك الله (لأن الحق لا يحضره سواه)، وإذا خرج من النعت بالسوى رأى الله .. وما بقى من التزل فمعلوم .
قوله :

(وقال لى : العبدانية أن تكون عبداً بلا نعت، فإن كنت بنعت اتصلت عبدانيتك بنعتك لا بى وإن اتصلت عبدانيتك بنعتك لا بى فأنت عبد نعتك لا عبدى) .
قلت :

قد قال فى التزل الذى قيل هذا "أتدرى متى تكون عبدى إذا كنت منعوتاً عندى بى"، وقال فى هذا التزل: "العبدانية أن تكون عبداً بلا نعت"، فظاهر اللفظ يوهم التناقض ولا تناقض فيه لأن مراده بقوله : العبدانية أن تكون عبداً بلا نعت أى بلا نعت بالسوى (٢٢٢/ب) وأما كونه منعوتاً عنده تعالى به فذلك هو شرط العبدانية وأما ما أشار إليه من اتصال العبدانية بالنعت فمعناه أن يحتجب المنعوت بنعته فلا يثبت له العبدانية للحق تعالى .
قوله :

(وقال لى : عبد خائف استمدت عبدانيته من خوفه، عبد راج استمدت عبدانيته من رجائه، عبد محب استمدت عبدانيته من محبته، عبد مخلص استمدت عبدانيته من إخلاصه) .
قلت :

هؤلاء كلهم منعوتون بسواه لا به فعبداً هؤلاء مستمدة من غيره .
قوله :

(وقال لى : إذا استمد العبد من غير مولاه فمستمده هو مولاه دون مولاه وإذا لم يستمد من مولاه أبى من مولاه، وإذا استمد من مولاه فقد أقدم على مولاه، فق لى لتستمد منى لا لتستمد من علمى، ولا لتستمد منك تكن عبدى وتكن عندى، وتفقه عنى) .
قلت :

الاستمداد من غير مولاه شرك ومن مولاه إقدام على مولاه فالاستمداد (الحليف) كان نقص .

قوله :

(وقال لى : ما طالبك بعبودية الملك، الملك لى، وإنما طالبك بعبودية الوقوف بين يدي) .

قلت :

هذا التزل فيه معنى عجيب يرشد إلى التوحيد من مكان قريب وهو أنه نفى عبودية الملك، وعبودية الملك هى المتبادرة إلى الأفهام لأنها المستعملة بين العوام لكنها فى حضرة الحق تعالى غير مقبولة بدليل قوله ماطالبك بعبودية الملك، وكيف يطالب بعبودية الملك وهى تقتضى الثبوتية والشرك، ولكن طالبه بعبودية الوقوف بين يديه وهى عبودية تقتضى محو ما سواه تعالى فى وحدانيته، فالتزل إذن تتضمن نفى ما يقتضى الشرك وإثبات ما يقتضى الوحدانية .

قوله :

(وقال لى : قل لسريرتك تقف بين يدي لابسئ (١/٢٢٣) ولا لشيئ أجعل الملكوت الأكبر من ورائك، وأجعل الملك الأعظم تحت رجليك) .

قلت :

الملكوت الأكبر الكرسي فما فوقه، وعالم الملك السموات والأرضين السبع وما فى ذلك وما تحت ذلك .

قوله :

(وقال لى : لا ترجع من هذا المقام فإليه تلجأ الخليقة فى شدائد الدنيا والآخرة وإليه يلجأ من رآنى ومن لم يرنى، ومن عرفنى ومن لم يعرفنى، فالواقفون فيه فى الدنيا تعرفهم خزنة أبوابه، فإذا جاوز ولم يحل بينهم وبينه، وبحسب ما وقفوا عنه فى الدنيا توقفهم الخزنة بالأبواب من دونه) .

قلت : هو ظاهر .

قوله :

(وقال لى : سيأتيك الحرف وما فيه، وكل شئ ظهر فيه، وسيأتيك منه اسمى وأسمائى وفى اسمى وأسمائى سرى وسر إيدائى، وسيأتيك منه العلم، وفى العلم عهودى إليك ووصاياى، وسيأتيك منه السر، وفى السر محادثتى لك وإيمائى فسيدفعونك عنه فادفعهم عن نفسك) .

قلت :

قد تقدم أن الحرف هو أحد الحجب الخمسة، والاسم من جملة الحرف، إذا اعتبرته غيرا ولم تره بين يديه صحبة كل شئ قال وفي اسمه وأسمائه سره وسر إيدائه، فسرّه هو وصفه، وسر إيدائه هو فعله، فكأنه قال معانى الصفات ومعانى الأفعال من حيث إنها أغيار، وقال سيأتيك العلم وقد تقدم أن العلم أحد الحجب الخمسة، وإن كان فيه العهود والوصايا، قال وسيأتيك منه السر ويعنى بالسر حكمة العلم وأسبابه ومن جملته المحادثة والإيماء، لأن العلم خطاب الله لعبيده على ألسن رسله صلوات (٢٢٣/ب) الله عليهم، وقوله فسيدفعونك عنه يعنى عن المقام الذى قال له فى التنزل الذى قبل هذا لا يرجع عنه .

قوله :

(وقال لى : أنا مرسلهم إليك ابتلاء، وأنا مؤذنك بأنى أرسلتهم اجتباء وأنا معلمك كيف تعمل إذا ما أتوك اصطفاء) .

قلت : هو ظاهر .

قوله :

(وقال لى : لا تدفعهم بمحاورة قلن تستطيع محاورة، وإنما تدفعهم بردهم ورد ما أتوا به إلى وتخلع قلبك منهم ومما أتوا به، لا تخلع ما أتوا به عن قلبك حتى تكون عندى لا عندهم هنالك حويتهم وما حووك وهنالك وسعتهم وما وسعوك) .

قلت :

هذا يفهم بالمثال لو جاءك قوم يرومون ردك عن حضرة الحق تعالى بمعانى الحرف والعلم والسوى بما فى هذه التشريعات الإلهية، فلا شك أنهم يستندون إلى إدراك الحواس وإلى ماوردت السنة به فلا سبيل إلى دفع هؤلاء بالمحادثة أو بالمجادلة لأن ما يجادل دفعه ليس هو باطل بل حق، قال وإنما يدفعهم بردهم ورد ما أتوا به إلى وتخلع قلبك عنهم ولا تخلع ما أتوا به فإنه صعب عليك وأنت لقلبك أملك وتعصم بالله وحينئذ تكون عنده وهنالك حويتهم وما حووك ووسعتهم وما وسعوك .

قوله :

(وقال لى : رب حاضر وقلب فارغ وكون غائب، هذه صفة من استحى منى) .
قلت :

من ربه حاضر بوجوده، فارغ من سوى مقصوده، غائب بموجبات توحيده هذه صفة يستحى من صاحبها .
قوله :

(وقال لى : قر عينا بما أشهدتك من النار: أشهدتكها تسبحنى، وأشهدتكها تذكرنى، وأشهدتكها تعرفنى وتفرع منى، وما أشهدتك ذلك منها حتى أشهدتها منك ذلك، فأشهدتك منها مواقع ذكرى وأشهدتها منك مواقع نظرى ما كنت لأجمع بين ذكرى ونظرى فى انتقامى) .
قلت : هذا ظاهر .

٦٦- موقف الوقف :-

قوله :

(أوقفنى فى قف وقال لى : إذا قلت لك قف فقف لى لالك ولا لأخاطبك ولا لأمرك ولا لتسمع منى ولا لما تعرف منى ولا لما لا تعرف منى ولا لأوقفنى ولا لياعبد، قف لا لأخاطبك ولا لتخاطبنى بل أنظر إليك وتتظر إلى فلا تزل عن هذا المقام حتى أتعرف إليك وحتى أخاطبك وحتى أمرك، فإذا خاطبتك، وإذا حادثتك فابك إن أردت على البكاء، وإن أردت على قوتى بخطابى وعلى قوتى بمحادثتى) .
قلت :

هذه آداب التوجه إليه تعالى على مدرجه الكمال من أوليائه، وعمدة ما فى هذه المواقف الإرشاد إلى السلوك على الوجه النافع والاحتراز مما يقع به الإضرار . وحاصل هذا التنزل أن يكون القلب فارغا من العلل كلها، وأكثر ما يعرض للقلوب من العلل هذه العلل التى تحددها فإذا قام بين يدي مولاه خاليا مما ذكره جاءه التعرف، فإذا جاءه التعرف فأول ما ينسلب منه بمقتضى التعرف حقيقة البكاء، أعنى بكاء أهل الحزن لا بكاء أهل السرور والوجد فلا جرم قيل فابك إن أردت على البكاء، وينسلب أيضا منه الخطاب،

فيفوت المحادثة؛ وذلك لأن المخاطبة والمحادثة في مقام الثنوية، والتعرف ينفي الثنوية، فيذهب الحزن ويلحقه بكاء الحزن، ويذهب الخطاب والمحادثة، وعبر بالبكاء على هذه عن انسلابها بالتعرف .
قوله :

(وقال لي : إذا قلت لك) قف فوقفت لا لخطابي عرفت الوقوف بين يدي، وإذا عرفت الوقوف (٢٢٤/ب) بين يدي حرمك على سواي، وإذا حرمك على سواي كنت من أهل صيانتى) .
قلت : هذا مفهوم .
قوله :

(وقال لي : إذا عرفت كيف تقول إذا قلت لك قف لي فقد فتحت لك الباب إلى فلا أغلقه دونك أبدا وأذنت لك أن تدخله إلى فلا أمنعك أبدا، فإذا أردت الوقوف لي فاستعمل أدبي، ولك أن تدخل متى شئت، وليس لك أن تخرج إذا شئت، فإذا دخلت إلى فقف ولا تخرج إلا بمحادثتي وبتعرفي، فما لم أحادثك وما لم أتعرف إليك فأنت في المقام مقام الله، وإذا تعرفت إليك فأنت في المقام مقام المعرفة) .
قلت :

وقوله فاستعمل أدبي وأدبه ما قدم ذكره من نفى العلى في التوجه، قوله وليس لك أن تخرج إذا شئت لأن الخروج لا يكون مطلوباً للأولياء، فإنه إعراض عن حضرة القدس، والأولياء لا يفعلون ذلك، لأن الخروج إنما هو الدخول، وليس أحد يطلب ذلك؛ لأن المشاهدة هي الدخول والحجاب هو الخروج، ومن ذا الذي يروم الخروج . وأما قوله فما لم أحادثك وما لم أتعرف إليك فأنت في المقام مقام الله، فإنه إذا كانت المحادثة أو التعرف كانت التوبة في ذلك، فما يكون المقام مقام الله، لكن مقام المعرفة كما ذكر .
قوله :

(وقال لي : إذا قلت لك قف لي فعرفت كيف تقف لي فلا تخرج عن مقامك، ولو هدمت كل كون بيني وبينك، فألحقك بالهدم، فأعرف هذا قبل أن تقف لي، ثم قف لي فلا تخرج أو أتعرف إليك بما تعرف مني) .

قلت :

حاصل الوصية أن يقول له كن قبل أن تقف لى عارفا على أنك لا تخرج ولو انهدمت الأكوان كلها فإنك إن خرجت فخرجك هو نفس (١/٢٢٥) انهدامك وإحراقك بالأكوان فى العدم .

قوله : (وقال لى : لو جاءك فى رؤيتى هدم السموات والأرض ما تزلت ولو طاربك فى غيبتى طائر بسرك ما ثبت، ذلك لتعلم قيوميتى بك واستيلائى عليك) .

قلت :

لما كان الشهود إنما هو محو الكائنات بظهور القيومية لعين المشاهد بأن يصير ما كان قائما بالقيومية فى نظره هو عين القيوم، فيزول زوالا حكما لا وجوديا فلا جرم لا يتضعضع صاحب الاستعداد القوى فى المشاهدة لأنه نقوض فى شهوده بالحق عن الخلق، وهو الاستيلاء المشار إليه بقوله واستيلائى عليك وأما فى غيبة القيومية فحفيف الشجر يخوف قلب السالك فى غير المسالك .

قوله :

(وقال لى : أيهما تسألنى : الرؤية لا عن المسئلة أم الغيبة على المسئلة؟ الغيبة قاعدة ما بينى وبينك فى إظهارك) .

قلت :

يقول لعبده اختر لنفسك ما تريد فإن كنت تريد الرؤية، فالرؤية لا تكون بطلب وهو المراد بقوله الرؤية لا عن مسئلة وإن كنت تريد الغيبة مع الطلب، فالطلب يكون مسبب الغيبة ثم قال له : الغيبة قاعدة ما بينى وبينك فى إظهارك معناه أن كل ما أظهرته فإنه يكون فى أصل قاعدة الإظهار غائبا عنى أى محجوبا فكيف تكون الغيبة مطلوبة لمن هى حاله وهو فيها فحصل من مجموع ما ذكر أن الرؤية لا تكون مع الطلب والثانى أن الغيبة لا تطلب وإلا كان تحصيلها للحاصل .

قوله :

(وقال لى : ألا تعلقت بى فى الوارد كما تتعلق بى فى صرفه) .

قلت :

قوله ألا هو (٢٢٥/ب) بمعنى هلا التي للتخصييض وفي الكلام غيب تقديره يا عبد إذا ورد عليك الوارد منى ضعفت عن حمله فيتعلق بى أن أصرفه عنك فهلا كان الأمر بالعكس وهو أنه إذا ورد الوارد تعلق بى فيه فهذه كانت بكون حياتك، ومعنى التعلق بى أن تتلقى تعرف الحق تعالى إليه من ذلك الوارد ولا يعكس فيتعلق بالحق تعالى فى أن يصرفه عنه . وقد ورد عن بعض الأكابر أنه ورد عليه الوارد فضعف عن حمله فأخذ حاجبه بظفره حتى أدماه، وبعضهم جرح رجله قاصدا أن يشغله الألم عن الوارد فرارا من الوارد، وذلك لأن الوارد يطالب بالفناء، والفناء أخو الموت، والموت لا يشتهى، ولقد ورد على مرة وارد فى جبال انطاكية فأخذت منه عن حس فقيل أتحب أن ترى الله فقلت نعم، فقيل تعال، فكنت أجد الروح تنفصل عن جسمى من عند رجلى طالبيه إلى حلقى ففاق نفسى وتوهمت أن المنية قد أدركتني وكنت سمعت من الشيخ قدسه الله قبل هذه الواقعة أن الفقير إذا أراد أمرا جمع نفسه عليه فإنه ينفصل فذكرت هذا القول فى تلك الساعة فقلت دعنى أجمع نفسى على عود روحى إلى جسدى فرارا من الموت ففعلت فعادت الروح إلى الجسد وعاد إلى حسى فواقعتى الندم على طلب عود روحى إلى وأيقنت أنى تسببت فى عودى عن الحق تعالى بعد ان أمكنتنى الفرصة وقلت ليتنى لا سمعت من الشيخ تلك المقالة فلقد حصل لى بها الضرر .

قوله :

(وقال لى : التعلق الأول بى، التعلق الثانى بك) .

قلت :

التعلق (٢٢٦/أ) الأول الذى يلام العبد على تركه هو التعلق بالحق تعالى فى الوارد، وأما التعلق الثانى فهو التعلق بالحق تعالى فى صرف الوارد، وهذا التعلق الثانى هو تعلق الطلب حظ النفس، فهو تعلق بالنفس فى الحقيقة لا بالحق تعالى .

قوله :

(وقال لى : التعلق بى فى الوارد لا يصرفه، لا لإقراره ولا لمكثه ولا لزواله) .

قلت :

التقدير: التعلق بى لا لإقراره (يعنى الوارد)، ولا لمكثه (أى دوامه)، ولا لزواله هو لا يصرفه، فقد نفى عن التعلق بالحق تعالى تلك العلل الثلاث، فإذن هذا التعلق به تعالى يثبت الوارد ولا يصرفه .

قوله :

(وقال لى : قل يا من أورده أشهدنى ملكوت ترك فى ذكرك وأذقنى حنان ذكرك فى إسهادك فأرينك مثبتاً حتى تقوم بى رؤيتك فى إثباتك ووارعنى ما ارتبط بالثبوت منى ومنه وناجنى من وراء ما أعلمتى حتى أكون باقياً بك فيما عرفتتى وسر بى إليك عن قرار ما يستقر به وصفى بوصفى ونادنى، يا عبد سقطت معرفة سوى فما ضرك ثبت تعرض لك هو حسبك).

قلت :

أمره أن يدعو فيقول يا من أورد على هذا الوارد أشهدنى بترك الملكوتى فى ذكرك، وأذقنى حنانك وهو من الحنو فى ذلك الإسهاد المذكور، وأرنيك مثبتاً أى أشهدنى فى أن الإثبات هو منك شهود رؤية حتى تقوم بى رؤيتك فى ذلك الإثبات، ووارعنى أى غط عنى نوابع الإثبات المرتبطة به منى ومنه أى من الإثبات، وناجنى من وراء مرتبة العلم فإن العلم هو فى الحجاب، فإذا ناجيتنى لا من العلم بل من الشهود والرؤية (٢٢٦/ب) كنت باقياً بك فيما عرفتتى، وسر بى إليك من وراء حجابيتى فإن حجابيتى هى قرار يستقر به وصفى بوصفى، وذلك حجاب لى فإنه إنما يستقر وصفى بوصفى فى حضرة حجابى واغترابى، وهذا هو المعنى الذى سأل فيه الحلاج وطلب فى بيت الشعر وهو :

بينى وبينك أن ينازعنى فاصر باننيك إني من البين .

قال (ونادنى يا عبد سقطت معرفة سوى فما ضرك سوى بعد سقوطها فإن ثبت تعرفى إليك فهو حسبك، أى كافيك .

٦٧- موقف المحضر والحرف :

قوله : أوقفنى فى المحضر :

(وقال لى : الحرف حجاب، والحجاب حرف) .

قلت :

قد عرفنا اصطلاحه فى الحرف والحجاب .

قوله :

(وقال لى : قف فى العرش، فرأيت الحرم الحرم لا يسلكه النطق، ولا تدخله الهموم، ورأيت فيه أبواب كل شئ، ورأيت الأبواب كلها نارا، وللنار حرم لا يدخله إلا العمل الخالص فإذا دخله صار إلى الباب، فإذا صار إلى الباب وقف فيه على المحاسبة، ورأيت المحاسبة تفرد الوجه الله عما لسواه، ورأيت الجزاء سواه ورأيت الخالص له، ومن أجله يرفع من الباب إلى المنظر الأعلى فإذا رفع إليه كتب على الباب جاز الحساب) .

قلت :

الذى يحتاج إلى التفسير هو حرم العرش، وحرم النار، والأبواب فإن الحرم هو الحقيقة فلا جرم قال لا يسلكه النطق ولا تدخله الهموم والمراد بالهموم الغرائم والإرادات وهو من هم بالشئ إذا أراده (١/٢٢٧) وأما أبواب كل شئ فلأن العرش محيط بكل ما تحته ومن جهة أن الأبواب أغيار فهى نار، ثم إن حرم النار هو حقيقتها وأما دخول العمل الصالح وما بعده فهو على ظاهره .

قوله :

(وقال لى : إن لم تأكل من يدى وتشرب من يدى لم تستو على طاعتى) .

قلت :

معناه: إن لم تشهد أنك تأكل حين تأكل من يدى، وأنت إنما تشرب حين تشرب من يدى.

قوله :

(وقال لى : إن لم تطعننى لأجلى لم تستو على عبادتى) .

قلت :

يعنى: إن تعبدت له لا خوفا ولا طمعا .

قوله :

(وقال لى : اطرَحْ ذنبك تطرح جهلك) .

قلت :

إنك إن اعتقدت أنك عصيت الله لم يفارقك جهلك .

قوله :

(وقال لى : إن ذكرت ذنبك لم تذكر ربك) .

قلت :

إن ذكر أنه فعل ذنبا فقد أثبت نفسه، ومن أثبت نفسه نفى ربه فهو لا يذكر ربه، وإن ذكره لم يكن ذكرا لربه .

قوله :

(وقال لى : فى الجنة من كل ما يحتمله خاطر ومن ورائه أكبر منه، وفى النار من كل ما يحتمله خاطر ومن ورائه أكبر منه) .

قلت :

هذا ظاهر ..

قوله :

(وقال لى : الذى يصدق عنى فى الدنيا هو الذى يصدق عنى فى الآخرة) .

قلت :

الذى يصدق عنه هو التعلق بغيره .

قوله :

(وقال لى : أوقفت الحرف قدام الكون، وأوقفت العقل قدام الحرف، وأوقفت المعرفة قدام العقل، وأوقفت الإخلاص قدام المعرفة) .

قلت :

وقوف الحرف قدام الكون إشارة إلى أن صفة الخلقية والحجابية تابع للكون، ووقوف العقل قدام الحرف إشارة إلى أن العقل صفة للمخلوق لا للخالق) .

والعقل تبع لمزاج العاقل، وأما وقوف (٢٢٧/ب) المعرفة قدام العقل فلأن المعرفة تابعة للعقل فإن كان العقل محجوبا كانت معرفة حجابية وهى المراد هنا، ولهذا جعل الإخلاص قدام المعرفة، فإن الإخلاص يتبع الحجابية من العارف .

قوله :

(وقال لى : لا يعرفنى الحرف ولا يعرفنى ما وراء الحرف، ولا يعرفنى ما فى الحرف .

قلت :

اعتبارات الحرف كلها حجب .

قوله :

(وقال لى : النعيم النعيم كل لا يعرفنى، والعذاب كله لا يعرفنى)

قلت :

يعنى أن النعيم والعذاب هو فى العلم والعلم حجاب .

قوله :

(وقال لى : لو عرفنى النعيم انقطع بمعرفتى عن التتعيم، ولو عرفنى العذاب انقطع بمعرفتى عن التعذيب) .

قلت :

تقديره: لو عرفنى ذو النعيم لم يعتبر النعيم الحجابى وكذلك العذاب .

قوله :

(وقال لى : رسول رحمة لا يحيط بمعرفتى، ورسول عقوبة لا يحيط بمعرفتى) .

قلت :

الرحمة والعقوبة هما من صور مسائل العلم، والعلم حجاب، ولا يمكن أن نشرح أكثر من هذا .

قوله :

(وقال لى : يبدو عليك البادى من جنس ما يستقر عليه) .

قلت :

يعنى أن الوارد الصحيح إنما يأتى بما يستقر عليه وإلا فهو الوارد الشيطانى .

قوله :

(وقال لى : العلم المستقر هو الجهل المستقر) .

قلت :

إذا كان العلم لا حكم له إلا وهو حجابى فهو جهل .

قوله :

(وقال لى : إنما توسوس الوسوسة فى الجهل، وإنما تخطر الخواطر فى الجهل) .

قلت :

الوسوسة منها محمودة، وهى فى الجهل الحقيقى، ومنها مذمومة وهى هذه المذكورة هنا، والخواطر المختلفة هى فى الجهل .

قوله :

(وقال لى : أعدى عدو لك إنما يحاول إخراجك من الجهل لا من العلم) .

قلت :

الجهل لا يعلق بشيء لا بالحق ولا بسواه، فهو أقرب حالا من العلم، فإنه إنما يعلقك بالسوى فأعدى أعدائك من أخرجك إلى ما يعلق بالسوى (١/٢٢٨) مما لا تعلق به وهذا ظاهر .

قوله :

(وقال لى : إن صدك عن العلم فإنما ليصدك عن الجهل) .

قلت :

أعدى عدو لك لو غلطك فى العلم فإنما يغلطك شبه علمية فيخرجك عن العلم الصحيح إلى العلم الفاسد فقد صدك عما أرشدك إليه فما برح مخرجاً لك عن الجهل الذى هو أنفع من العلم .

قوله :

(وقال لى : الذين عندي لا يفهمون عن حرف هو يخطبهم ولا يفهمون فى حرف هو مكانهم، ولا يفقهون عنه وهو علمهم، أشهدتهم قيامى بالحرف فرأونى قيماً، وشهدوه جهة وسمعوا منى وعرفوة آلة) .

قلت :

عندية الحق تعالى تنافى الحرف كيف كان، وأما إشهدهم قيامه بالحرف فهى القيومية التى قام بها الحرف فرأوا القيوم تعالى ولم يروا الحرف إلا جهة للقيومية، والجهة هى أمر اعتبارى عدمى، وأما الوجود فهو للقيوم تعالى، وكون الحرف آلة مجاز لأنه الصورة، والصورة العرضية مجازية بالنسبة إلى المتصور فكيف بالنسبة إلى القيوم تعالى .

قوله :

(وقال لى : تحمل إلى ومعك ما عرفت وما أنكرت وما أخذت وما تركت فأسالك عن أجلى فتجب حجتى فاعف برحمتى) .
قلت :

معناه تعرض على أنت وأعمالك فأحاسبك على ما فعلت من أجلى فتجب الحجة عليك لأنه من نوقش يوم الحساب عذب فتجب الحجة ويقع العفو بالرحمة .
قوله :

(وقال لى : الحرف مكانهم بما بدا والحرف علمهم بما عنه بدا والحرف موقفهم بما له بدا) .
قلت :

يعنى أن الحرف مساولهم، وهو هو، فإنه بدا بما به بدوا فهو مكانهم ومن جملة الحرف علمهم بما بدا الحرف عنه، ثم إنهم يقفون بحساب ماله بدا الحرف .
قوله :

(وقال لى : العارف يخرج مبلغه عن الحرف فهو فى مبلغه وإن كانت الحروف ستره) .
قلت :

يعنى قد باشره التجلى الإلهى (٢٢٨/ب) فافنى منه بعض رسوم الحرف فخرج فى مبلغه عن الحرف وغيب الحرف ستره عما لم يشهده من الحق مع خروجه عنه بمقدار التجلى .
قوله :

(وقال لى : مبلغ العارف مستقره، ومستقره هو الذى إن لم يكن به لم يسكن) .
قلت :

معناه إن العارفين متفاوتون فى معرفتهم، ويتفقون كلهم فى أن مبلغ كل منهم هو الذى إن لم يكن فيه لم يسكن، ولذلك سمي مستقرهم .
قوله :

(وقال لى : الحرف لا يلج الجهل ولا يستطيعه) .

قلت :

الحروف فى العلم، وتعلقهم بالسوى والجهل ليس فيه تعلق فهو
أشرف من مقام الحرف .

قوله :

(وقال لى : الحرف دليل العلم، والعلم معدن الحرف) .

قلت :

الحروف هى الأغيار المتغايرة ومحط العلم على الغيرية فهى إذن
دليله فإذا استقر الإنسان فى العلم وجد علم الحروف فى العلم، فالعلم معدن
الحرف، فالعلم إذن هو أحكام التغاير، والحرفية من التغاير أخذت، وأخذها
إنما كان بالعلم، والجهل سليم من هذا العيب .

قوله :

(وقال لى : أصحاب الحروف محجوبون عن الكشف، قائمون
بمعانيهم بين الصفوف) .

قلت :

أصحاب الحروف هم المثبتون لوجود الأغيار وليس لهم بين أهل
الكشف صف، بل هم نثر لا يرجعون إلى رتبة صحيحة، ومعانيهم هى
أحكام الغيريات .

قوله :

(وقال لى : الحرف فج إبليس) . قلت : هذا ظاهر .

قوله :

(وقال لى : بقى علم بقى خطر، بقى حلب بقى خطر، بقى عقل بقى
خطر، بقى هم بقى خطر) .

قلت : يريد أنه ما لم يحصل الفناء فالخطر باق .

قوله :

(وقال لى : معنأك أقوى من السماء والأرض) .

قلت :

معنوية الإنسان شاملة لكل موجود (٢٢٩/أ) ويكفى أن علمه محيط
بالسما والأرض وليستا محيطتين بعلمه وإن أحاطتا بجسمه .

قوله :

(وقال لى : معنالك يبصر بلا طرف ويسمع بلا سمع) .

قلت :

يصح حمل هذا على اللفظ على أن المراد منه النفس ويحمل على أن المراد منه رتبة الإنسانية وكونها تبصر بلا طرف وتسمع بلا سمع؛ لأن من قواها الطبيعية وهى تهتدى إلى الصواب كالسامع والمبصر، ولا بصر لها ولا سمع، وهى عند أهل الله تعالى من أحكام مرتبة الإنسان . وأما كيف ذلك فلا يحتمل هذا المختصر التطويل بذكر ذلك، لكنه أمر يوجد هنا مسلما إلى أن شرح معناه مفصلا .

قوله :

(وقال لى : معنالك لا يسكن الديار ولا يأكل من الثمار) .

قلت :

معنى هذا أنه معنوى لا جسمانى .

قوله :

(وقال لى : معنالك لا يجنه الليل ولا يسرح بالنهار) .

قلت :

يعنى أنه ليس من عالم الأجسام .

قوله :

(وقال لى : معنالك لا تحيط به الأبواب ولا تتعلق به الأسباب) .

قلت :

قد تبين أنه يريد المراتب المعنوية، والإنسان هو جماعها .

قوله :

(وقال لى : هذا معنالك أنا خلقتة، وهذه أوصافه أنا جعلته، وهذه

حليته أنا أثبتته، وهذا مبلغه أنا جوزته) .

قلت :

اعلم أن معنى الإنسان عند أهل الله تعالى هى حقيقة الحقائق، والمرتبة الجامعة للمراتب، فإن كانت المراتب والمعانى لا نهاية لها فلمعنى الإنسان لا نهاية لها، واعلم أن معنى الإنسان لما كان هو ما لا يتناهى من المعانى كان مدركا لما لا يتناهى منها، والمراد بإدراكه ما لا يتناهى أنه يعلم

مالا يتناهى أن لو أمكن حصره لأدركه الإنسان، فليس امتناع الإدراك من قبل أن الإنسان الذى هو الإنسان لم يقبل إدراك ما لا يتناهى بل من جهة أن ما لا يتناهى لا يفرغ (٢٢٩/ب) إدراكه أبداً، لكن هو مدرك من جهة أنه كما قلنا لو تعين لأدرك الإنسان والمعانى التى جماعها هو معنى الإنسان سماها قوم الأعيان الثابتة، وسماها قوم الماهيات، وسماها قوم الشؤون، وسماها قوم الأحوال، وسماها قوم المراتب، وسماها قوم المعانى، وقال قوم هى مجعولة وقال قوم ليست مجعولة وقال قوم هى قبل صورها لا موجودة ولا معدومة، وقال قوم معدومة فقط، وقال قوم قد تكون موجودة فى الأذهان معدومة فى الأعيان، ولما كانت هذه المعانى قبل ظهور الوجود بها لا تشكل لها فى ذاتها قال فى هذا النزول هذا معناك أن خلقية التخليق التخطيط والتشكيل قال تعالى "مخلقة وغير مخلقة" وذلك لأن الوجود منه ولولا الوجود لم يكن للمكنات تخليق . ولما كانت أوصاف هذا المخلوق لذواته لا تظهر بغير الوجود قال وهذه أوصافه أنا جعلته أى لولا أنا أنيتى (أنيتى) لم يكن لشيء ذات ولا وصف، ولما كانت طبيعته (حلاه) الدالة على أوصافه فى النطق والكتابة، لولا الوجود لم يكن قال وهذه طبيعته أن أثبتته كما تقدم، ولما كانت جملة كل موجود موجود وتفصيله ليس له من ذاته إلا العدم، وما حقيقته العدم لا يجوز ظهوره إلا بالوجود، قال وهذا مبلغه أنا جوزته، بالمعنى الذى تقدم شرحه .

وأما التذكير الذى فى لفظ هذا النزول مما العادة فى مثله التأنيث فالمراد فى الكل المعنى، ولكونه غلب حكم المعنى وهو مذكر، ذكر اللفظ فى الكل، واعلم أن هذه المعانى وهى المكنات لولا إحاطة العلم (٢٣٠/أ) القديم بها لم يكن لها قبل ظهورها فى الأعيان ثبوت، لكن العلم المحيط أكسبها وجوداً علمياً أزلاً وأبداً، فإن العلم الإلهى مدرك للماضى الذى وقع منها وللمستقبل الذى لم يقع منها ولوقوعه إذا وقع مما لا بد من وقوعه ولما يمتنع وقوعه منها إذا استمر امتناعه، ولما جوز وقوعه من الممتنع أن لو وقع كيف كان يقع إدراكاً واحداً لا يختلف لا يدخل تحت الزمان بل الزمان وما فيه تحته، فعلم الله تعالى بالكون أنه سيكون عين علمه به أنه قد كان علماً أزلياً أبدياً واحداً لا ينقسم، وإذا كانت نقطة المركز التى لا تنقسم موازية لكل نقط المحيط، ولم يتكثر بكثرة الموازيات، فعلم الله تعالى أولى أن لا يتكثر بكثرة المعلومات .

قوله :

(وقال لى : أنا من ورائه ومن وراء لى عرفته، لا تعلمنى علومه، ولا تشهدنى شواهد).

قلت :

يعنى أنا من وراء معنأك أى محيط به ومن وراء ما عرفته أى لا أعرف بمعرفة ولا أعلم بعلم ولا أشهد بشاهد، ولأنه لا يعلمه إلا هو كان كذلك .

قوله :

(وقال لى : إن لم أنتصرلك لم تثبت، وإن لم تثبت لم أتعرف إليك) .

قلت :

انتصاره له أولا لأنه أوجده بوجود منه، والثانى أنه انتصر له بأن قواه بالوجودية القيومية حتى ثبت الذكر من أراد معرفته تعالى، وأما النصره التى طلبها منه هنا فهى أن يوافق التعرف عند وروده ولا يقبل الشبه المعارضه لما أثبتته، والعبد لا يقدر على النصره المذكورة إلا إذا كان (٢٣٠/ب) الاستعداد يقتضيهما، وليس المراد إلا كذلك، كأنه قال إن كان استعدادك بحيث تنصرنى فإنك تشهدنى .

قوله :

(وقال لى : أنا القريب فلا بيان قرب، وأنا البعيد فلا بيان بعد) .

قلت :

معناه: أنا القريب الذى ما لقربه بيان وأنا البعيد الذى ما لبعده بيان، وذلك لأن القرب ضد البعد والبعد ضد القرب وبعده هو وقربه واحد، وذلك لأن المراد بهما إنما هو معنى واحد، وهو أنه غير الأشياء، فأما وجه كون أنه إذا كان غير الأشياء يكون قريبا أنه أى قرب أقرب إلى الشئ من ذاته فهو قرب إلا أنه لا يعرف أنه قرب العادة بل قرب آخر أبلغ من القرب المعهود، وأما أن بعده يكون هو كونه غير الأشياء فإن من كان غير الأشياء لم نجده معها، فأى بعد أبعد من كونه ليس معها فى الوجود، فإنهما لو كانا موجودين لكان قرب ما من جهة ما يجمعهما الوجود، وأما إذا فقد حتى المعية الوجودية فهذا أبعد من البعد فسماه بعدا ولا بيان لهذا البعد، لأن البيان إنما هو للبعد المعهود وللغرب المعهود فلا بيان فيهما .

قوله :

(وقال لى : أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر، وأنا الباطن لا كما
بطنت البواطن) .

قلت :

إذا اعتبرت أنه لم يظهر غيره فليس من الظواهر سواه ومن هو لم
يظهر غيره فهو إذن ظاهر لا كما ظهرت الظواهر، وكذلك الكلام فى
البواطن .

قوله :

(وقال لى : قل عافنى من معافاتك منك وحل بينى وبين ما يحول
عنك، ولا تذكرنى بمذارى الحروف فى معرفتك، ولا توقنى أبدا إلا بك) .

قلت :

معنى من معافاتك منك هو حال أهل السلوك (١/٢٣١) بخلاف الكمل
فإنهم يقولون كما قال سيد الكمل محمد صلى الله عليه وسلم أعوذ بك منك،
وهذا يقول أعوذ بك أن أعوذ منك، وأما قوله : ولا تذكرنى بمذارى الحروف
أى لا تذكرنى فى مراتب الحروف فتفرقتى، والباقى ظاهر .

قوله :

(وقال لى : تعلم العلم لوجهى تصب الحق عندى) .

قلت :

هذا ظاهر .

قوله :

(وقال لى : إذا أصبت الحق عندى أثبتت عليك بثنائى على نفسى) .

قلت :

هذا شاهد التوحيد لأنه إنما يثنى على نفسه بعين ثنائيه عليه .

قوله :

(وقال لى : من تعرفت إليه توليت نعيمه بنفسى، وتوليت عذابه
بنفسى، فأمدت النعيم من نعيمه، وأمدت العذاب من عذابه) .

قلت :

معناه من تعرفت إليه لم يتتعم إلا بى ولم يتعذب إلا بى، وحاصله أنه يجعله قطب دائرة الوجود فيمد كل شئ منه، وليس المراد أنه يعذبه تعذيب الانتقام.

قوله :

(وقال لى : الاسم ألف معطوف).

قلت :

أما قوله ألف فإنه إشارة صحيحة إلى التوحيد، ألا ترى أن الألف هي اسم للنفس الممتد من القلب والحروف كلها هي ذلك النفس الممتد، لكن يختلف اسمه بمقاطعة التي تسمى مخارج الحروف، وأهل الله تعالى يسمون الألف هو كل الحروف، قال الشيخ أرى ألف الحروف هي الحروف وأما قوله معطوفة بإشارة إلى أنه منعطف إلى نفسه من جهة أن الاسم ليس غير المسمى.

قوله :

(وقال لى : العلم من وراء الحروف).

قلت :

يعنى مادته من مرتبة الحروف، وقد ذكر فيما تقدم أنه أقام العلم قدام الحرف، وقد وردت لفظة وراء بمعنى قدام (٢٣١/ب) فى قوله تعالى "ويذرون وراءهم يوما ثقيلا" (٩٦)

قوله :

(وقال لى : المحضر خاص ولكل خاص عام).

قلت :

من أحضره فقد اختصه عن غيره، وذلك الغير هو العام.

قوله :

(وقال لى : الحضرة تحرق الحرف، وفى الحرف الجهل والعلم فى العلم الدنيا والآخرة، وفى الجهل مطلع الدنيا والآخرة، والمطلع مبلغ كل ظاهر وباطن، والمبلغ محو فى باد من بوادى الحضرة).

قلت :

معناه التجلى بمحو الأغيار والحجب، وفى الحجب العلم والجهل، فالدنيا والآخرة أحكامهما مذكور فى العلم فهما فى العلم، وأما الجهل فسماه مطلعاً لأنه ينفى حجاب العلم المقتضى للتعلم بالسوى، فإن الجهل ليس يتعلق بشئ وإنما كانت حجابيته لعدم ظهور النور لصاحبه وهو متيهياً ما دام فى الجهل لظهور النور لعدم التعلم بالسوى فإنه لا حجاب أضرب من حجاب التعلم بالسوى، فهو بهذا الاعتبار فوق العلم على حد الدنيا من حد الآخرة، ثم فسر المطلع بأنه الجامع بأعلى الحدين حقيقتى الظاهر والباطن، فهو المبلغ، لكن هذا المبلغ ليس هو المطلوب، ألا تراه محواً فى أول باد يبدو من الحضرة فإنه ينفى مع فناء الأغيار .

قوله :

(وقال لى : الحرف لا يلج الحضرة، وأهل الحضرة يعبرون الحرف ولا يقفون فيه) .

قلت :

معناه أن من فى قلبه معنوية الخلقية لم يعبر الحضرة، وأهل الحضرة لا يتعلقون بالحرف ولو تعلقوا به لم يكونوا من أهل الحضرة .

قوله :

(وقال لى : تستوحش تحت الأرض مما تستوحش منه فوق الأرض) (أ/٢٣٢) .

قلت :

العارف يستوحش فوق الأرض من الأغيار، فكذلك هو تحتها، وأما العالم يستوحش تحت الأرض مما كان يستأنس به فوقها .

قوله :

(وقال لى : أهل الحضرة ينفون الحرف مع ما فيه نفى الخواطر) .

قلت :

إذا خطر لهم الحرف نفوه مع خاطره، ومن عادة أهل السلوك أن ينفوا الخواطر حتى يسلم لهم الذكر أو ينفردوا بالمحسوب من غير مزاحم من الأغيار الخاطرة فى الأفكار .

قوله :

(وقال لى : إن لم تكن من أهل الحضرة جاعك خاطر، وكل السوى خاطر فلم ينفه إلا العلم، وللعلم أضداد ولا تخلص إلا بالجهاد).

قلت :

أهل الحضرة ينفون خاطر بقوة إلهية مما تعرف به إليهم الحق تعالى ويسهل عليهم رفع الخواطر لأنهم قد أمحى رسمهم أو بعض رسمهم؛ فالخواطر ضعيفة عندهم ودفع الضعيف سهل، فأما من لم يكن من أهل الحضرة (جاءته) الخواطر المختلفة وهى الأغيار لم تجد عندهم قوة إلهية فاحتاجوا إلى العلم فيميزون به بين الخواطر حتى تقوم حجة العلم بدفع بعضها وبعضها لا يندفع إلا ببعض فيندفع الضد منها بضده، فإن للعلم أصدادا ولا يخلص إلا بالجهاد أى المجاهدة.

قوله :

(وقال لى : لا جهاد إلا بى ولا علم إلا بى، فإن وقفت بى فأنت من أهل حضرتى).

قلت :

معناه ما ينفع الجهاد إن لم تكن مع شهود قىومية الحق تعالى، وكذلك العلم فإنه حاجب، وما ينفى حجابيته إلا القىومية بشهودها (٢٣٢/ب) والباقى ظاهر .

قوله :

(وقال لى : انظر إلى قبرك، إن دخل معك العلم دخل معه الجهل، وإن دخل معك العمل دخلت معه المحاسبة، وإن دخل معك السوى، دخل معه ضده من السوى).

قلت :

أما دخول الجهل مع العلم فلأن أحد الضدين إذا كان فى شئ كان الضد الآخر فيه، مثاله البياض لا يكون إلا فى الجسم فضده الذى هو السواد لا يكون إلا فى الجسم، وأما العلم فإنه لا يكون إلا فى النفس فضده الذى هو الجهل لا يكون إلا فى النفس، وأما العمل فالمحاسبة عليه هو خالص أم لا، وبالجمله فمتى دخل معك فى قبرك غيره كان لذلك الغير أصدادا، وال ضد حيث ضده وإن لم يجتمعا من جهة واحدة لحامل واحد.

قوله :

(وقال لى : ادخل إلى قبرك وحدك ترانى وحدى فلا تثبت لى مع

سواى) .

قلت :

أى لا ترانى مع سواى .

قوله :

(وقال لى : إذا تعرفت إليك فاحذرنى لا أجعل العذاب وما فيه فى

جارحة من جوارحك وارج فضلى فى أضعاف ذلك فى كرامتك) .

قلت :

ذكر كيف يجعل العذاب فى جارحة من جوارح من يتعرف إليه

فيدفعه وذلك مذكور فى موقف معرفة المعارف وهو قوله "اسمع إلى لسان

من السنة سطوتى إلى آخره" فانظر هناك تجده مستوفى، وكذلك قوله ارج

فضلى .

قوله :

(وقال لى : أهل الحضرة هم الذين عندى) .

قلت :

هذا ظاهر ..

قوله :

(وقال لى : الخارجون عن الحرف هم أهل الحضرة) .

قلت :

الحرف هو السوى .

قوله :

(وقال لى : الخارجون عن أنفسهم هم الخارجون (٢٣٣/أ) عن

الحرف) .

قلت :

لا يقدر أحد أن يخرج عن نفسه إلا بتجلى (بتجل) إلهى .

قوله :

(وقال لى : اخرج من العلم تخرج من الجهل، واخرج من العمل

تخرج من المحاسبة، واخرج من الإخلاص تخرج من الشرك، واخرج من

الاتحاد إلى الواحد، واخرج من الوحدة تخرج من الوحشة، واخرج من الذكر تخرج من الغفلة، واخرج من الشكر تخرج من الكفر) .
قلت :

لما كان العلم يرشد إلى التعلق بالسوى كان جهلا؛ فالخروج منه هو خروج من الجهل كما قال، وأما الخروج من العمل فهو شهود العامل، وإذا كان العمل منه لا منك خلصت من المحاسبة عليه، وأما الإخلاص فيقتضى ثبوتية ومدافعة للشريك، فإذا وقع الشهود انتفى الإخلاص والشرك جميعا، وأما الخروج عن الاتحاد فإن الاتحاد غلط يقع من اعتقاد الجهال لأنهم يعتقدون أن الاثنين صارا بالاتحاد واحدا، وليس هذا إلا اتحاد (اتحادا) لأن الواحد مازال واحدا، ولا يمكن أن يصير الاثنين واحدا أبدا، فالخروج إلى شهود أنه تعالى واحد لم يتحد بغيره هو الرؤية، وأما الذكر فإن تجلى المذكور يبطل معه الذكر، فإن الذكر إنما يكون لغائب، والغيبة غفلة، وأما الشكر فإنه كفر أى ستر؛ لأن الواحد لا يشكر نفسه، فالشكر يقتضى الثبوتية وهو الشرك وهو كفر .

قوله :

(وقال لى : اخرج من السوى تخرج من الحجاب، واخرج من الحجاب تخرج من البعد، واخرج من البعد تخرج من القرب، واخرج من القرب ترى الله) .

قلت :

يقول: اخرج من القرب والبعد (٢٣٣ب) بشهود وحدانية لا كثرة فيها ترى (ترى) الله تعالى .
قوله :

(وقال لى : لو تعرفت إليك بمعارف السطوة فقدت العلم والحس) .

قلت :

يعنى لو تعرف إليه بغير تدريج لوقع فى التوله .

قوله :

(وقال لى : للمحضر أبواب عدد ما فى السماء والأرض وهو باب من أبواب الحضرة) .

قلت :

المحضر حيث الحضور ولكل شئ إليه نسبة هي باب ذلك الشئ إلى
الحضرة فهذا باب واحد من أبواب الحضرة الإلهية .

قوله :

(وقال لى : أول باب من أبواب الحضرة موقف المسئلة (المسألة)،
أوقفك فأسألك فأعلمك فتجيب فتثبت بتعرفى وتعرف معارفك من لدنى فتخبر
عنى) .

قلت :

هذه المسئلة (المسألة) معنوية، وصورة ذلك أن التجلى يقابل استعداد
العبد فإن اقتضاه فهو تعليمه للجواب فيثبت للتعرف اللدنى .

قوله :

(وقال لى : ما النار ؟ قلت: نور من أنوار السطوة، قال : ما
السطوة ؟ قلت: وصف من أوصاف العزة، قال : ما العزة ؟ قلت: وصف من
أوصاف الجبروت، قال : ما الجبروت ؟ قلت: وصف من أوصاف الكبرياء،
قال: ما الكبرياء؟ قلت: وصف من أوصاف السلطان، وقال: ما السلطان،
قلت: وصف من أوصاف العظمة، قال: ما العظمة؟ قلت: وصف من
أوصاف الذات، قال: ما الذات ؟ قلت: أنت الله لا إله إلا أنت، قال: قلت
الحق، قلت: أنت قولتنى، قال: لترى بينتى)

قلت :

ما فيه ما يحتاج إلى الشرح إلا قوله أنت قولتنى فأجابه إنما قولتك
لترى بينتى أى حجتى وقد يكون فى الذى بعده شرح يفهم منه معنى هذا،
والله أعلم .

قوله :

(وقال لى : الطبقة الأولى يعذبون بالسطوة، والطبقة الثانية يعذبون
بالعزة، والطبقة (٢٣٤/أ) الثالثة يعذبون بالجبروت، والطبقة الرابعة يعذبون
بالكبرياء، والطبقة الخامسة يعذبون بالسلطان، والطبقة السادسة يعذبون
بالعظمة، والطبقة السابعة يعذبون بالذات) .

قلت :

يعنى أن طبقات النار السبعة هى مستتدة إلى هذه الأسماء الصفاتية الإلهية السبعة: فأخف العذاب هو عذاب الطبقة الأولى وهى محل نار السطوة، يليها عذاب العزة وهو أشد لأن كل طبقة هى معذبة بعذابها وعذاب الطبقات التى قبلها، وبيانه أن الذين تقع بهم السطوة يرجون العفو فإن منعوا فهو وصف العزة لأن العزة فى اللغة الامتناع، ولاشك أن من انقطع رجاءه فى العفو كان عذابه أشد، ثم إنه إن علم أن هذه العزة إنما هى عن جبروت وهى الطبقة الثالثة كان أشد، ثم إنه إن علم أن ذلك الجبروت هو من متكبر كان عذابه أشد، ثم إنه إن علم أن ذلك التكبر إنما هو تكبر سلطان كان العذاب أشد، ثم إنه إن علم أن ذلك السلطان عظيم كان أشد، ثم إن الذات وهى المرتبة السابعة إذا عذبت عذبت بجميع صفاتها فيكون عذاب الطبقة السابعة هو عذاب السبع طبقات، وقد ورد قوله تعالى "إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار" وهى هذه الطبقة السابعة .

قوله :

(وقال لى : أهل النار يأتئهم العذاب من تحتهم وأهل الجنة ينزل عليهم نعيمهم من فوقهم) .

قلت :

لما كان فوق أشرف من التحت نسب النعيم إلى فوق والعذاب إلى التحت .

قوله : (٢٣٤/ب)

(وقال لى : ما الجنة ؟ قلت: وصف من أوصاف التتعيم، قال: ما التتعيم ؟ قلت: وصف من أوصاف اللطف، قال: ما اللطف ؟ قلت: وصف من أوصاف الرحمة، قال: ما الرحمة ؟ قلت: وصف من أوصاف الكرم، قال: ما الكرم ؟ قلت: وصف من أوصاف العطف ؟ قال: ما العطف ؟ قلت: وصف من أوصاف الود، قال: ما الود ؟ قلت: وصف من أوصاف الحب، قال: ما الحب ؟ قلت: وصف من أوصاف الرضا، قال: ما الرضا ؟ قلت: وصف من أوصاف الاصطفاء، قال: ما الاصطفاء ؟ قلت: وصف من أوصاف النظر، قال: ما النظر ؟ قلت: وصف من أوصاف الذات، قال: ما

الذات؟ قلت: أنت الله، قال: قلت الحق، قلت: أنت قولتني، قال استري نعمتي).
قلت :

ألفاظ هذا التنزل دالة على معانيها دلالة واضحة فهو غير محتاج إلى الشرح .
قوله :

(وقال لي : الطبقة الأولى يتنعمون بالتنعيم، والطبقة الثانية يتنعمون بالكرم، والطبقة الثالثة يتنعمون بالعطف، والطبقة الرابعة يتنعمون بالود، والطبقة الخامسة يتنعمون بالحب، والطبقة السادسة يتنعمون بالرضا، والطبقة السابعة يتنعمون بالاصطفاء، والطبقة الثامنة يتنعمون بالنظر، والطبقة التاسعة يتنعمون بالذات).
قلت :

ورد في الحديث النبوي الشريف أن للجنة أبوابا ثمانية، وقد عبر عنها بالطبقات وأقلها نعيمًا ولا قلة في نعيمها إنما هي الطبقة الأولى ثم يتضاعف النعيم إلى طبقة النظر إلى وجهه الكريم وهي الطبقة الثامنة، وهذا هو مضمون قوله وقال لي :

(قد رأيت كيف يسرى العذاب، وكيف يسرى النعيم، وإلى يرجع الأمر كله فقف عندي (١/٢٣٥) تقف من وراء كل وصف) . قلت : يعني أن التنعيم والتعذيب كل منهما راجع إل أسماؤه الحسنى وهو قوله وإلى يرجع الأمر كله ثم أرشده أن يستنتج من هذا أن الواجب الوقوف به لا يطلب النعيم ولا باستدفاع العذاب يخرج إلى حضرة الذات .
قوله :

(وقال لي : إن لم تقف من وراء الوصف أخذك الوصف) .
قلت :

إن لم تقف من وراء الوصف كنت من العباد يستندون إلى أوصافه في الجنة والنار .
قوله :

(وقال لي : إن أخذك الوصف الأعلى أخذك الوصف الأدنى) .

قلت :

الوصفية غير الموصوف .

قوله :

(وقال لى : إن أخذك الوصف الأدنى فما أنت منى ولا من معرفتى) .

قلت :

أهله وأولياؤه لا يققون مع غيره .

قوله :

(وقال لى : أجلتك فاستخلفتك، وعظمتك فاستعبدتك، وكرمك فعابنتك، وأحببتك فابتليتك) .

قلت :

الخلافة حصلت لكل بنى آدم على من فى الأرض من الحيوان وغيره، وأما العظمة فحصلت لبعضهم بالعبودية كما ذكر، ومعنى قوله وكرمك فعابنتك فالمعانة والعيان : الرؤية، وقوله فابتليتك لأن المحبوب يختبر المحب، وهنا ذكر أن المحب الذى اختبر المحبوب، فإن الابتلاء هو الاختبار، وكأنه يقول: لولا أنى أحبك ما عبأت بك، فالذى يختبر فله ضرب من العناية، والعناية تكون عن محبة .

قوله :

(وقال لى : نظرت إليك فناجيتك، وأقبلت عليك فأمرتك، وغرت عليك فنهيته، وأخلصتك لودى فعرفتك) .

قلت :

هذه كلها علامات المحبة .

قوله :

(وقال لى : القرآن بينى، والأنكار تغرس) .

قلت :

القرآن بينى الدين والأنكار (٢٣٥/ب) غرس فيه ثمر القرب .

قوله :

(وقال لى : الحرف يسرى حيث القصد جيم جنة جيم جنهم) .

قلت :

معناه أن الخلق محطهم أن يرجو الجنة ويخافوا من النار فهذا مجال الحروف.

قوله :

(وقال لى : إذا جاعنى نطق الناطقين أثبتته فيما به يطمثنون) .

قلت :

إثباته فى مراتب مبالغهم من العقائد أو العلوم أو المكاشفات .

قوله :

(وقال لى : إن أخذتك بذنب أخذتك بكل ذنب حتى أسألك عن رجوع طرفك وعن ضمير قلبك) .

قلت :

سبب المؤاخذه إذا حصل ثبت حكمه فى كل ذنب، والباقي ظاهر .

قوله :

(وقال لى : إن قبلت حسنة جعلت السيئات كلها حسنات) .

قلت :

حقيقة إلا مانسب إلى فاعله الحق مخلصا فإن شهد أن الفاعل واحد فلا سيئة عليه وصارت حسنات .

قوله :

(وقال لى : من أهل النار ؟ قلت أهل الحرف الظاهر، قال: من أهل الجنة ؟ قلت: أهل الحرف الباطن، قال لى: ما الحرف الظاهر ؟ قلت: علم لا يهدى إلى عمل، قال: ما الحرف الباطن ؟ قلت: علم يهدى إلى حقيقة، قال: ما العمل ؟ قلت: الإخلاص، قال لى: ما الحقيقة ؟ قلت: ما تعرفت به، قال لى: ما الإخلاص ؟ قلت: لوجهك، قال: ما التعرف ؟ قلت ما تلقيه إلى قلوب أوليائك) .

قلت :

الحرف الظاهر هو واقع من أهل الشرك الظاهر، والحرف الباطن هو الشرك الخفى المغفوع عنه، ويصحبه العلم الذى يهدى إلى التعرف .

قوله :

(وقال لى : القول الخالص موقوف على العمل، والعمل موقوف على الأجل، والأجل موقوف على الطمأنينة، والطمأنينة موقوفة على الدوام)
قلت :

القول يصدق العمل أو يكذبه تركه، (٢٣٦/أ) والمراد بالقول الشهادتان ونحن نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله نسأله تعالى العمل المصدق لهذا القول، والمراد بالأجل ما يعمل من أجله وهو ساكن الجيم، وقد يكون مفتوح الجيم فيكون وقت العمل كأوقات الصلوات وهو موقوف على النية لأن النية إنما تكون بما تطمئن به النفس فعبر بالطمأنينة عن النية ثم إن الطمأنينة فيها معنى آخر وهو أن تستقيم النفس كما أمرت، وتطمئن بذلك وهو مما يقتضى الدوام، والدوام علامة على الطمأنينة.

٦٨- موقف الموعدة :-

قوله :

(أوقفنى فى الموعدة وقال لى : احذر معرفة تطالبك برد معارفى فتقلب وجدك، واختم بها على قلبك).
قلت :

قد ذكر أن هناك معرفة تطالبك برد المعارف، وأظنه سمي العلم معرفة مجازا فإن الذى يطالب برد المعارف، وأظنه، سمي العلم إنما هو العلم، وأما قوله فتقلب وجدك، أى : تعيد محبتك لله تعالى سلوانا فإن الوجد هو المحبة، وأما معنى الختم على القلب - نعوذ بالله منه - فإنه يسد باب التعرف عنه.

قوله :

(وقال لى : احذر معرفة تحتج ولا تجيز وتوجب ولا تحمل وتلزم ولا تيسر فأخذك بها الحاكم وهو عدل وتحق بها الكلمة وهى فصل).
قلت :

يشير إلى أنه قد يعترض السالك شبه لها حجج للباطل ولا يحرمه وتوجب على السالك بتلك الحجج مالا يلزمه ولا تحمل الشبه أى يردّها عن

السالك ويلزم السالك ولا تيسر عليه الأمر أولاً تيسر عليه الإجابة عن الشبه، واعلم أنه قد يوجد عند المشايخ تلاميذ نقص في الاستعداد يلوح لهم بطريق السمع (٢٣٦/ب) أو طريق آخر شبه معارضة لما يسمعون من أحوال القوم فمن قبل تلك الشبه طالبته برد المعارف، ويلوح أنه إنما سمي ما هو من هذا القبيل معرفة إنه رأى هذه الشبه هي على قواعد المعرفة لا على قواعد العلم إلا أنها ما فرعت على القواعد تفريعا صحيحا فتصير شبيها لا هي للعلم فسمى معرفة مجازا، وأما كون الحاكم يأخذ فلكونها على بعض القواعد فيحكم حكما صحيحا لأنه عدل فيجزم ذلك الحكم لأنه لم يستوف شروط التفريع وحينئذ تحقق الكلمة على من اتبع تلك الشبه بوجه حق بوجه الباطل .
قوله :

(وقال لى : ما تطالب المعرفة برد المعرفة لعجزها عن الارتجاع، إنما تثبت لمن مكنته قدما في الجحود والشقاق) .
قلت :

يقول إن المعرفة لا تطالب برد المعرفة فإنها عاجزة عن ارتجاع المعارف بعد أن يثبت أنها من تمكنت منه أثبتت له قدما في الجحود والشقاق وكأنه يقول إنها مكسب حتى لا تمنع المعرفة ولا تقدر على ارتجاعها .
قوله :

(وقال لى : تب إلى ولست بتائب، وأعلن لى ولست بمعلن أو تعبر، واصبر لى ولست بصابر أو تؤثر) .
قلت :

قد شرع بذكر مقام التوبة وهو مبدأ البداية، فأوصى بالتوبة والإعلان بها والصبر على الأذى اللاحق لأهل الإعلان بها، ثم إنه إن لم يؤثر الإنسان التوبة لم يقدر على الصبر على الأذى .
قوله :

(وقال لى : أعلن توبتك لكل شئ يستغفر لك كل شئ) .
قلت :

هذا ظاهر ..

قوله :

(وقال لى : تب إلى بمجامع علمك واجتمع على بأقصى همك) .

قلت :

العلم الذى يأمر (٢٣٧/١) بالعمل أعمل به كله على أقصى ما تطالب به، واجمع عزمك إلى أقصاه على العمل .
قوله :

(وقال لى : اجعل موعظتى بين جلدك وعظمتك، وبين نومك ويقظتك) .
قلت :

يقول لا تأخذ موعظتى بأطراف أصابعك بل مكنها منك واعمر بها نومك ويقظتك .
قوله :

(وقال لى : اجعل تذكيرى على أدواء أدوائك) .
قلت :

أدواؤه هى العلائق والعوائق، وأدواء الأدواء هى أسباب هذه العلائق والعوائق، فهو يقول اجعل تذكيرى وهو الموعظة على أسباب هذه العلائق والعوائق كما تجعل الدواء على الداء .
قوله :

(وقال لى : أعلن توبتك بالنهار بالصيام، وأعلن توبتك بالليل بالقيام) .
قلت :

يعنى لا تكثف فى إعلان التوبة بالقول حتى تضيف إليه الفعل .
قوله :

(وقال لى : قم يا تائب إلى طهورك أفتح لك بابا إلى حبورك، قم يا تائب إلى قرآنك أفتح لك بابا إلى أمانك، قم يا تائب إلى دعائك أفتح لك بابا إلى كشف غطائك) .
قلت :

هذا ظاهر .

والملاذ من تلوذ به وهو الحق سبحانه وتعالى وباب حطة إشارة إلى قوله تعالى "وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم" .

قوله :

(وقال لى : أظهرنى على لسانك كما ظهرت على قلبك وإلا احتجبت بك عنك)
قلت :

معناه: اذكرنى بلسانك أيضا وإلا احتجبت بإخفاء ذكرى لأن الإخفاء ترك العمل وهو من ظلمة الاستعداد .
قوله :

(وقال لى : إن احتجب بك عندك عصيتى فى كل حال وأنكرتنى فى كل حال).
قلت :

معنى الاحتجاب به عنه أن يكون العمل لا لله بل من أجل شئ من الأشياء (٢٣٧/ب) سواء كان عن قصد أو عن غفلة، فهذا عمله كله معصية، وكان الحجاب مستوليا أبدا فيستمر النكران بدلا من العرفان .
قوله :

(وقال لى : إن لم تظهرنى على لسانك لم أنصرك على عدوك).
قلت :

إذا كان الاستعداد يضعف عن إظهار الذكر إذن يضعف ولا نصره مع الضعف، وإنما النصره مع القوة .
قوله :

(وقال لى : لا تذكر عذرك فتذكر ما منه، ولا تذكر ما منه فتد به وتصدر عنه).
قلت :

يعنى ذكر العذر عن الذنب يذكر بالذنب، فيبقى القلب معمورا بالوحشة فى الرد والصدر (والصدر).

٦٩- موقف الصفح والكرم :-

قوله :

(أوقفنى فى الصفح والكرم وقال لى : أنا رب الآلاء والنعم).

قلت :

أشهدنى أنه عنه تصدر الآلاء والنعم .

قوله :

(وقال لى : تعرفت إلى القلم بمعرفة من معارف الإثبات، وتعرفت إلى اللوح بمعرفة من معارف الحزن) .

قلت :

معناه: أنا الذى أوجدت الكتابة فى القلم حتى صار يثبت الكلمات فى اللوح، وأنا أوجدت الحفظ لتلك الكلمات عن الضياع فى اللوح .

قوله :

(وقال لى : تعلق بى فأول عارض يعترض لك الحسنات فإن أجبتها تعرضت لك السيئات) .

قلت :

تعرض الحسنات هو أن يفرح بها القلب ويرى أنه محسن فيخلو القلب من الحق تعالى بمقدار ما تعلق منه بالحسنات، فإن التعلق شغل ويحصل منه الإعراض عن الحق بمقدار ما حصل للقلب من الإقبال على استعظام الحسنات وهذا الإعراض هو يقتضى أن يكون مهياً للتعلق إما بالسيئات وإما بذكر السيئات .

قوله :

(وقال لى : الحسنات محاسن الجنة (٢٣٨/١) والسيئات محاسن النار) .

قلت :

كل حسنة تعطى فى الجنة حسنا هو الجزاء عليها فصارت الحسنات وإن كانت مكاره فى وقت العمل فإنها هى صور النعيم فى الجنة فهى محاسن الجنة، وأما السيئات فلا لها مكان تكون فيه محاسن إلا النار، وكونها محاسن ليس إلا أنها أكثرها شهوات، فالشهوات محاسن النار فحفت الجنة بالمكاره حال العمل وبالمحاسن حال الجزاء، وحفت النار بالمحاسن حال العمل وبالمكاره حال الجزاء، وهو فى هذه التنزلات قد خرج إلى العلم بالكلية وأعرض عن التعريفات بالكلية، فهذا الكلام نصيب أهل البداية والصواب أن يقال فى البداية البداوة .

قوله :

(وقال لى : اتبعنى ولا تلتفت يمينا على الحسنات، واتبعنى ولا تلتفت شمالا على السيئات).

قلت :

هذه صورة من هو متوجه إلى الله تعالى وهو يلحظ الحسنات والسيئات بمؤخر عينيه كونهما عن جانبيه ولو كانتا أمامه لم يكن مقبلا على الله تعالى ولا مخلصا له تعالى ..

قوله :

(وقال لى : ما حسنك مطيتى فتحملنى ولا سيئتك تحجبى فتصدنى، أنا أقرب إلى الحسنات من الهم بالحسنات وأنا أقرب إلى السيئات من الهم بالسيئات).

قلت :

هو يوصيه بالإعراض عن الحسنات لأنها لا تحصل له الحق وعن السيئات لأنها لا تحجبه عنه ثم أنه بين له محلا يمكن فيه أن يتعلق بالحق لا بالحسنات ولا بالسيئات، وهو أن يرى أن الله تعالى من حيث اسمه الهادى هو الملهم بقصد الحسنات وكان يمكن عندما بهم بالحسنة أن يذكر أنه تعالى هو الهادى إليها فيحضر مع الحق لا (٢٣٨/ب) مع الحسنة، ومثل ذلك فى السينة، فإنه يمكنه عند الهم بالسينة أن يستحضر الاسم المضل، فيلاحظ أحكام الله تعالى فى البلاء الذى هو السيئات فلعل بركة الحضور مع الله تعالى، ولو من حيث اسمه المضل ثمة أن يكون له قدم فى الحضور مع الله عز وجل فهذا ثمرة قوله أنا أقرب إلى الحسنات والسيئات من الهم بها أى العزم عليها .

قوله :

(وقال لى : أنا أقرب من الهم إلى القلب المهم).

قلت :

قد ذكر قربه من الحسنات والسيئات، وأنه تعالى فى طريق الحسنات والسيئات فكيف يتعداه القلب، ثم ذكر أنه أيضا فى طريق القلب إلى الهم ، فكيف يتعداه القلب، فالمقصود أنه تعالى قريب لمن يروم التعلق به وأن السوى أبعد منه فكيف يقع التعلق بالأبعد دون الأقرب أو قبل الأقرب .

قوله :

(وقال لى : الحكم نقيب من نقباء العلم، والذكر مادة من مواد الجنة
وباب من أبواب الزلفة "الزلفى")
قلت :

الحكم هو مصادفة مراد الشارع فى كل مسألة مسئلة من مسائل
التشريع، وإنما سماه نقيباً لأنه ينقب عن موقع التعرف ليرشد إليه، وأما الذكر
فسماه مادة الجنة لأهل طلبها ومادة الزلفى لأهل طلب الحق تعالى .

٧٠- موقف القوة :

قوله :

(أوقفنى فى وصف القوة وقال لى: هى وصف من أوصاف
القيومية).
قلت :

القوة على قسمين :

(أ) قسم لا يكون إلا بتعرف من الله تعالى وبابه القىومية
(ب) وقسم فى الحجاب وهو بهداية الله عزوجل من حضرة العلم (٢٣٩/أ)
وصورتها العزم الشديد على الاستقامة فى العمل بطاعة الله عزوجل،
ولا يخرج هذا القسم عن القىومية لكن السالك لا يرى ذلك بخلاف القسم الأول،
فإن السالك يكون مشاهدا .

قوله :

(وقال لى : القىومية قامت بكل شىء).
قلت : الباء فى قوله بكل شىء للتعدية، كأنه قال: القىومية أقامت كل شىء.
وقد تكون الباء سببية .

قوله :

(وقال لى : بين ماقام بالقوة وبين ماقام بالقىومية فرق)
قلت : هو الذى ذكرته فى شرح التنزل الذى قبله حيث جعلت القوة قسمين،
وبين القسمين هذا الفرق الذى أشار إليه، وحقيقة هذا الفرق أن ماقام بالقوة
يكون صاحبه محجوبا، وما قام بالقىومية يكون صاحبه مشاهدا .

قوله :

(وقال لى : سرى وصف القوة فى كل شىء فيه قام على مختلف القيام، ولوسرى فيه وصف القيومية لرفع المختلف وقام به على كل حال) .

قلت :

يعنى أن كل ما قام فيه وصف القوة ففيه الاختلاف بالأشديه، والأضعفيه وهو مختلف فى نفسه أيضا لانتؤثر فيه القوة وحدانية، وأما القيومية فتجعل القائم واحدا وإن اختلف ومثاله أن الأمواج واحدة فى المائية كثيرة بالعدد .

قوله :

(وقال لى : القوة ماسكة والقيومية مقلبة والتقليب مثبت ماح) .

قلت :

يقول إن القوة لاتمحو ولا تثبت لأنها عرض فى القوى لصحة العزم بالنسبة (٢٩٣/ب) إلى القوى^(٩٧)، وضعفه وانتقاصه بالنسبة إلى الضعيف، وأما القيومية فيفلت بها من القيود العلمية والأوهام الظنية والاعتقادية فهى بهذا الاعتبار مقلبة، وأما التقليب مثبت (فمثبت) ماح، فإنه كما ذكرنا فى المثال ينفى تعدد الأمواج ويمحوها من حقيقة البحر ويثبت المائية للبحر والدليل على محو الموجية من حقيقة البحر أن الأمواج لاتزيد فى حقيقة البحر من أنه ماء شيئا ولا تنقص منه إذا ذهب الأمواج بسكون البحر من المائية شيئا، فليس لها وجود حقيقى فهى محو والمائية ثابتة سواء سكن الماء أو تحرك .

قوله :

(وقال لى : قوة القوى وضعف الضعيف من أحكام وصف القوة) .

قلت :

يعنى أنه لا يقال باعتبار القيومية قوى ولاضعيف بل إما يمحو وإما مثبت، وأما ضعيف وقوى فمن أحكام وصف القوة .

قوله :

(وقال لى : أقوى القوة جهل لايميل، فمن دام فيه دام فى القوة، ومن تميل فيه تميل فى القوة) .

قلت :

يعنى أن القوى الذى لامزيد عليه فى القوة هو الذى لايميل فى عزمه عن مطلوبه وكونه يرى أنه قوى هو جهل، فإن القوة لله جميعا، وأما من كان فى القوة متمللا يكاد يقف عن مطلوبه فذلك ميل فى القوة أى فتور .
قوله :

(وقال لى : كلما قويت فى الجهل قويت فى العلم) .

قلت :

قد فسرنا بأن الجهل هنا هو دعوى القوة وذلك يقتضى إثبات الغيرية، أى أن القوة ليست لله بل لهذا القوى المعين، والغيرية مركب العلم وعليها
بنبنى أساسه (٢٤٠/أ) .
قوله :

(وقال لى : إن أردت وجهى ركبت القوة) .

قلت :

يعنى بركوب القوة صحة العزم على العمل الصالح ودوامه فهذا هو
ركوب القوة .
قوله :

(وقال لى : إن ركبت القوة فأنت من أهل القوة وإن أخذت القوة
بيمينك أقيتها من وراء ظهرك) .
قلت :

يقول لاتظن أن من أخذ القوة بكلتا يديه هو القوى فى عزمه، لابل
هو الضعيف الذى سوف يرمى القوة من وراء ظهره، وإنما القوى هو الذى
جعل القوة مركوبا له، فكانه أمسكها بكله وحملها ثقل كله فذلك هو القوى فى
عزمه الآخذ بعنان حزمه .
قوله :

(وقال لى : إن ركبت القوة نظرت بالقوة، وإن ركبت القوة سمعت
بالقوة، وإن ركبت بالقوة تصرفت بالقوة) .
قلت :

يعنى إن صح عزمك كان نظرك فيما تنتظر فيه وسماعك فى كل
شئ تسمعه وتصرفك فى كل شئ تتصرف فيه هو بالقوة .

قوله :

(وقال لى : إذا تصرفت فى كل متصرف بالقوة لم تمل وإذا لم تمل استقمت، وإذا استقمت فقل ربى الله، وقال الله تعالى "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون" (١٨).

قلت :

الاستقامة كما قال الله تعالى " فاستقم كما أمرت" فإذا لم يجد السالك فى نفسه توقفا فى العمل ولا كسلا ولم يجد فى نفسه إقداما على المنهى عنه ولا أسفا على فوته فهو الذى استقام كما أمر فتتزل عليهم الملائكة .. الآية.

قوله :

(وقال لى: لن تركب القوة حتى تتفرغ لى من سواى) (٢٤٠/ب).

قلت :

مادام المنازع له فالقوة مشغولة بالدفاع عن القيام بما أمر .

قوله :

(وقال لى : أول القوة أن تتفرغ لى ورأس القوة أن تريد بالعمل

وجهى).

قلت : فسر القوة بمعنيين : (أ) ما به يكون التفرغ . (ب) وما به يكون تخلص فى العمل وبمجموعهما يثبت أن القوة حاصله .

قوله :

(وقال لى : القوة مطية الحاضرين والحضور بما فيه مطية

المنقطعين والانتقاع بما فيه مطية المقتطعين).

قلت :

المقتطعون هم الضعفاء بالكلية فسلوكهم بالتدريج أن يجعلوا مقام

المنقطعين مطية لهم، والمنقطعون ضعفاء إلا أنهم أقوى من المقتطعين

فمطيتهم مقام الحاضرين، وأما الحاضرون فمطيتهم القوة كما ذكر فى

التنزل .

قوله :

(وقال لى : المقتطعون جلساء الحكمة وسفراء الملكوت).

قلت :

جلساء الحكمة هم الذين إنما يأنسون إلى العمل إذا فهموا حكمة التشريع فيه، وهم من عالم الملكوت .

قوله :

(وقال لى : لكل شيء معدن، ومعدن القوة اجتناب النهى) .

قلت :

المنهيات أكثرها مشتبهيات فإذا حصل اجتنابها دل على القوة، فإن الشهوات نظن أنها حاكمة فمن قدر على دفعها فبالقوة .

قوله :

(وقال لى : المعدن مستقر وللمستقر أبواب وللأبواب طرق وللطرق فجاج وللجاج أدلاء وللأدلاء زاد وللزاد أسباب) .

قلت :

هو يشير إلى أن القوة التى معدنها اجتناب النهى حجج مختلفة كلها فى محل اجتناب النهى الذى هو المعدن للقوة، وتلك الحجج لا تكون بغير أبواب يدخل منها إلى المطلوب، فلها أبواب، وتلك الأبواب لا تكون بغير (١/٢٤١) طرق فإنه فى الطريق ينتهى إلى الباب، والطرق منها بعيد ومنها قريب فهم إذن ذات فجاج ، ولا بد فى تلك الفجاج من الأدلاء وهم صور العلم الذى به يقع الاحتجاج، وأما الزاد فهو صحة الطلب وصدق العزم لمن خاف أورغب .

قوله :

(وقال لى : حكمى الذى يجرى فى كل شيء قهرا هو حكمى الذى

يدنىك إلى طوعا)

قلت :

يعنى أن الاسم الهادى هو يهدى إما بالتخويف فهو الجارى فى العبيد بحكم القهر فيمنعهم عن المناهج الدالة على القوة، وهو بعينه الاسم الهادى الذى يدنى إلى ذلك العمل الذى هو اجتناب المناهى طوعا، فالناس إما مجتنب للمناهى كرها وإما مجتنب لها طوعا، والحاكم واحد وهو الاسم الهادى، والحكم واحد وهو حكم ذلك الاسم .

قوله :

(وقال لى : ياكاتب القوة لا بمعناك كتبتا فعرقتها، ولا بمعناك عرقتها فحملتها) .

قلت : يعنى بل بالاسم الهادى .

قوله :

(وقال لى : إن وقفت والنار عن يمينك نظرت إليك فأطفاها، وإن وقفت والنار عن شمالك نظرت إليك فأطفاها، وإن وقفت والنار أمامك لم أنظر إليك لأنى لا أنظر إلى من فى النار) .

قلت :

هذا هو معنى التنزل الذى ذكر فيه "إن كانت الحسنات عن يمينك" .. إلى آخره، وصورة من كانت النار عن شماله هى صورة من تركها كرها وخوفا وكلاهما يكون الحق تعالى أمام السالك إليه فما ضر كون (٢٤١/ب) ذنبك عن جنبك، وأما من كانت النار أمامه فهو القاصد للشهوات طوعا .

قوله :

(وقال لى : لأنظر إليك والنار أمامك، ولا أسمع منك والجنة أمامك) .

قلت :

أما من كانت النار أمامه فقد خسر، وأما من كانت الجنة أمامه فهو العامل رغبة ورهبة فإنه لاتصح الرغبة إلا بالرهبة، فإنه إن لم يسلم من النار لم تحصل له الجنة تماما .

قوله :

(وقال لى : إنما أنت متوجه إلى ما هو أمامك فانظر إلى ما أنت متوجه إليه فهو الذى ينظر إليك وهو الذى تصير إليه) .

قلت : هذا ظاهر ..

قوله :

(وقال لى : أقسمت على نفسى بنفسى لاترك لى تاركا (تارك) شيئا إلا أتيتته ماترك أو أركى مما ترك، فإن أقله ما أتيتته فذلك جزاء المخلصين، وإن لم يقله ما أتيتته أتيتته الحسنى وزيادة وأنا حسب العاملين الغافلين فى أعمالهم عنى) .

قلت :

يقول من ترك لله شيئا عوضه الله مثله أو أزكى منه، وهو جزاء المخلصين فإن كان ناقص الاستعداد فهو الذى أقله ما أتيت به وإن كان قوى الاستعداد وكان بالعناية هو المراد أعطيت به مع الحسنى الازدياد؛ وذلك لأن القناعة من الجواد حرمان، وأما قوله أنا حسب العاملين الغافلين فى أعمالهم عنى، فأهل الحجاب يفسرونه على أنه تهديد، وأهل الشهود يفسرونه على أنه وعد بما فوق الحسنى والمزيد، وهذه الغفلة عندهم أشرف من الحضور فى العمل، كما أن من علم هو أنقص حالا ممن جهل .

قوله :

(وقال لى : ياكاتب القوة بأقلامك سطرتها فأحصيتها ولا بصحائفك أدركتها فاحتويتها) .

قلت :

يقول إنها ليست من (١/٢٤٢) كسبه ولكنها من الله عز وجل .

قوله :

(وقال لى : ياكاتب المعرفة لأبائنا أنك أبنتها فأجريتها ولا بتعجمك عجمتها ففصلتها، ولا بتفصيلك رتبها فألفتها) .

قلت :

المعارف هى واردات من قبل الحق تعالى لفظها، ومعناها، فليس للعبد من حيث علمه فيها شيء، أما من حيث باطن استعداده فذلك من الحق تعالى فإنه محيط فى هذا الشرح غموض .

قوله :

(وقال لى : ياكاتب القوة كتابة القوة بأقلام القوة وكتابة المعرفة بأقلام المعرفة، وكل كتابة فبأقلامها تسطر) .

قلت :

يعنى بالأقلام صور المسائل فكل مقام له مسائل، واصطلاح يعبر أحكامه به فلا يدخل أحكام مقام فى أحكام مقام آخر .

قوله :

(وقال لى : إذا أذنب الواجد بى جعلت عقوبته أن يذنب فلا يجدنى) .

قلت :

الوجد به تعالى هو التعلق بمحبته وطاعته على مقداره وهو أنس فإذا أذنب أذهب عنه ذلك الأنس فهو عقوبته .

قوله :

(وقال لى : إذا أذنب وهو واجد بى استوحش من نفسه واحتج لى عليها، وإذا أذنب ولم يجدى أنس بمبلغ تأويله واحتج على) .

قلت :

الوحشة هنا الندم ومعاتبه النفس ويحتج لله عليها بأن يقول هذا من عمالك أيتها النفس والله لا يأمر بالفحشاء، وأما إذا فقد الأنس بالله كان محاولاً تأويلاً ينفى به عن نفسه توجه اللوم كما يقول إن الإنسان بحبور ولو شاء ربك مافعله فيحتج على الله تعالى حماية لنفسه لأن النسبة هو بها .

قوله :

(وقال لى : إذا قلبتك فى الذنب بين الوجد بى وفقد الوجد بى وأشهدتك الاحتجاج لى فقد غفرت الأول (٢٤٢/ب) والآخر وصفحت عن الباطن والظاهر) .

قلت :

يعنى أن من كان حاله تارة يكون الأنس بالله حاصل له وتارة يفقد ذلك إلا أنه لا يفقد الاحتجاج لله تعالى البتة فهو ممن غفر له ذنبه لأن له تعلق بالله تعالى باطن ولولاه لم يلزمه شهود الاحتجاج له تعالى فاستحق الصفح عن الباطن والظاهر .

قوله :

(وقال لى : ما أذنب مذنب وهو غير واجد بى إلا أصر ، فإذا وجد بى أقنع ، وما أذنب مذنب وهو واجد بى إلا تاب ولا أشهد وتاب فلم يعاود إلا وقد غفرت له وقبّلت) .

قلت :

القلب لابد له من التعلق فإن لم يكن بالله كان بالنفس والشهوات فلذلك يصير من أذنب غير واجد به تعالى كما قال وباقى التنزل ظاهر ..

قوله :

(وقال لى : إن لم تنتسب إلى نسبتي لم تتفصل عن نسب سواي) .

قلت :

هو لما ذكرناه أن القلب لا بد له من تعلق، فإن لم يفصل عن التعلق بالسوى لم يتصل بالتعلق بالحق تعالى .

قوله :

(وقال لى : نسبى معلق بذكرى، ونسبى معلق بى فى ذكرى، ونسبى ما أدام لى فيما علق بى، ونسبى فيما أدام لى من أجلى) .

قلت :

هذه أنساب إليه تعالى متفاوتة الرتب، فأقلها معلق بالذكر كإنسان يحب أن يذكر ويحلوه الذكر، وأقوى من هذا النسب معلق بالحق فى ذكره فقط كإنسان هو مع كونه يحب الذكر هو محب للمذكور فتكون محبته للمذكور هى التى كانت سبب محبته للذكر، وأقوى من هذا النسب معلق بالحق تعالى وزاد زيادة أخرى وهى الدوام لذلك التعلق بالله تعالى فى ذكره، وأقوى من هذه النسب معلق به تعالى فى ذكره وأدام ذلك التعلق به، وزاد زيادة أخرى وهى كون ذلك الدوام (٣/٢٤١) المذكور لله تعالى لاطلبا للجنة ولاخوفا من النار .

قوله :

(وقال لى : نسب السوى من أجل السوى) .

قلت : هذا ظاهر

قوله :

(وقال لى : من جاءنى بأجل سوى أوقفته مع ما جاء به أين كانت درجته) .

قلت :

يشير إلى أن مراتب أهل الرياء فى العمل مأخوذ من قولك عمل من أجل كذا .

قوله :

(وقال لى : الأجل مجمع الواقفين ومفرق المعلقين) .

قلت :

فى نسخة المعلومين فإن كان المراد بالواقفين أهل مقام الوقفة الشريفة، كان الوجه المعلومين، وإن كان المراد بالواقفين أهل الفترة فى العمل فالوجه المعلومين، وأما الأجل فالمراد به سبب العمل والترك .

قوله :

(وقال لى : لا تنقطع إلى حتى تنقطع لى ولا أقتطعك حتى تنقطع

على).

قلت :

يعنى لبحسب أنك من المنقطعين إليه تعالى حتى يكون انقطاعك له أى من أجله ولا يكون الحق تعالى مقتطعك حتى تتألم إن لم يقتطعك إليه تعالى فيكون معنى الانقطاع هو الأسف عليه تعالى أى على فوته .

قوله :

(وقال لى : إن غذوت بمأكّل قوم غذوت بقلوبهم وإذا غذوت بقلوبهم غذوت بأعمالهم، وإذا غذوت بأعمالهم غذوت بقلوبهم).

قلت :

هذا إشارة إلى مايقول أهل الورع من أن طيب المأكّل ينور القلب ويعنون بطيب المأكّل: الحلال، ويقولون إن خبث المأكّل يظلم به القلب، ويعنون بالمأكّل الخبيث الحرام فعلى هذا إنه من غذا بمأكّل قوم كان قلبه مثل قلوبهم وعمله بمقتضى قلبه فيكون مثل عملهم فينقلب ماينقلبون إليه .

قوله :

(وقال لى : إن عرفتنى بمعرفة الانقطاع إلى لم تتكرنى، وإن

عرفتنى بمعرفة المقام عندى لم تلوعنى) .

قلت : هذا ظاهر ..

قوله :

(وقال لى : إن لم تنقطع إلى فميزان (٢٤٣/ب) فيه ما أردت لى

وميزان فيه ما أردت لك) .

قلت : أراد أن العبد إذا لم ينقطع إلى ربه عز وجل نصب لعلمه ميزانا إحدى كفتيه فيها ما هو لله تعالى، والأخرى فيها ما لغيره .

قوله :

(وقال لى : إن لم تنقطع إلى فانت من أهل الموازين) .

قلت :

هذا ظاهر ..

قوله :

(وقال لى : أهل الموازين أهل الورع وإن ثقل ما وزنوا) .

قلت :

إذا نصب لنفسه ميزانا يزن فيه عمله فهو من أهل الورع، والموزون الثقيل هو التدقيق فى محاسبة النفس .

٧١ - موقف إقباله :-

قوله :

(أوقفنى فى إقباله وقال لى : لكل ولى باب يدخل منه وباب يخرج

منه) .

قلت :

تفاوت الاستعدادات فرق بين أبوابهم فيما أن مايدخل منه الولى فهو نسبة تعرف الحق تعالى إليه فى مقتضى مبلغ استعداده فى الكمال، وأما باب خروجه فهو نسبة تتكرر الحق عليه فى مقتضى مبلغ استعداده فى النقص .

قوله :

(وقال لى : إنما أحشرك مع أبناء جنسك من كانوا وأين كانوا) .

قلت :

أبناء جنسه هم الذين يعملون مثل عمله، ويقصدون مقاصد مثل مقاصده، وذلك لتناسب استعداداتهم .

قوله :

(وقال لى : أبناء جنسك أبناء شهوتك، أو تركك، وليس أبناء جنسك

أبناء عملك ولا أبناء معرفتك) .

قلت :

قد بين أن العمل هو الذى ينسب بعضهم إلى بعض بحسبه لا العلم، ومثال ذلك أن العالم والزيال يجتمعان فى الحالة لجامع الشهوة بينهما، وكذلك يجتمع العالم والجاهل فى المسجد، ولو كان (٤٤٤/أ) العلم هو الجامع لم يجتمع بالعالم جاهل أصلا، وليس المراد بأن العلم لا يجمع بين عالم وعالم آخر بل ليس المعبر عند الله تعالى فى الجنسية إلا الأعمال الصالحة أو الترك للأعمال القبيحة شرعا .

قوله :

(وقال لى : إن قلت ما أقول قلت ما تقول) .

قلت :

بشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام عنه تعالى أنه قال "من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا" والمراد بالقول هنا النية .

قوله :

(وقال لى : إن قلت ما أقول فعلت ما أقول أوكدت) .

قلت :

يعنى إن وافقت نيتك فى العمل مايراد منك فعلت ما أريد أن تفعله .

قوله :

(وقال لى : أول الاستجابة استجابتك للقول بقولك) .

قلت :

وجه الكلام أن يقال أول الاستجابة استجابتك القول لقولى لكنى هكذا وجدته فى نسختى وأنا أفسرها بمقتضى ماوجدته فى النسخة، ومعنى ذلك أن أول الاستجابة أنك إذا قلت أتوب يقول قلبك نعم، فهذه استجابة للقول بقولك، ثم يتوب فتكون الاستجابة للقول بقول الله تعالى، قال عز من قائل : " وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " .

قوله :

(وقال لى : الاستجابة أن تقول ما أقول ولا تلتفت إلى عاقبة

بضمير) .

قلت :

يعنى أن تقول ويوافق قلبك ولا يكون كمن لا يوافق خوفاً من العاقبة،
إما لظالم لأمر يفوت أو رغبة تحصل بل يقول يقول الحق تعالى ولا يلتفت
بضميره إلى عاقبة .

قوله :

(وقال لى : الدعاء الخالص أدب من آداب الاجتماع) .

قلت :

التوجه بالدعاء إلى الله عز وجل فهو مجتمع به فإن أخلص فى
الدعاء فقد قام بأدب الاجتماع . (٢٤٤ ب)

قوله :

(وقال لى : من إقبالى عليك أنى أريدك بأن تريدنى لتثبت فى الإقبال
على فأردنى وأشهدنى أريدك بأن تريدنى فتدوم بى وتتقطع عنك) .

قلت :

هذا التنزل معناه شريف نافع لأهل السلوك ومعناه أنه تعالى يقول
إنى إذا أقبلت على عبد أردت أن يريدنى فأردنى فتثبت فى الإقبال على، وأما
محل النفع الذى به قلت أن معنى هذا التنزل معنى شريف هو مضمون
الوصية، وهو قوله أردنى أمره أن يريده ثم قال وأشهدنى أى أنظرنى أنى
أريدك بأن تريدنى، فإذا فعلت ذلك رأيت إرادتك أن تريدنى هى منى لأمرك
فتتقدم بى وينقطع عنك لأنك عرفت أن تقدمك لم يكن بك .

قوله :

(وقال لى : فرقت السموات والأرض ومن فيهن من نار العذاب،
وفرقت نار العذاب من نار الاستتار) .

قلت : يريد بالاستتار الحجاب .

قوله :

(وقال لى : أبناء همك جمع ويفترقون بالشهوات، أبناء علمك جمع
 ويفترقون بالشهوات، أبناء عملك جمع ويفترقون بالشهوات، أبناء شهواتك
جمع ويفترقون بالترك، والتاركون أبناء ما من أجله تركوا والأخذون أبناء ما
من أجله أخذوا) .

قلت :

أما افتراقهم بالشهوات فمن أجل أن نية قلوبهم حيث الشهوة، ومدار العمل على النية لكن أبناء الشهوة منهم من يفعلها ومنهم من يتركها فافترقوا والتاركون منهم من يترك لأجل الله ومنهم من يترك خوفاً من النار، والآخرين عبيد الشهوة فإنهم من أجلها أخذوا .

قوله :

(وقال لي : إن لم يصعد عقلك من الباب الذي نزل منه عملك لم يصل إلى) .

قلت :

هذا التنزل فيه مسئلة شريفة (٢٤٥/أ) لا يعرفها إلا أهل الله تعالى، وهي أن الكتاب والسنة أنت تعلم الشريعة المطهرة فاختلف الناس في مفهوماتها على أربع مذاهب، ومالعه تبعها، وكلامنا إنما هو في العبادات ومعلوم أن مراد الله تعالى في التكليف في كل مسئلة مسئلة واحد لجميع عباده . فعلى تقدير أن يعمل العامل على ما يقتضيه مراد الله تعالى فهو الذي يصعد علمه من الباب الذي نزل منه علمه، فهذا العامل على ما يقتضيه مراد الله (تعالى) مؤهل للوصول إلى الله تعالى، فأما من لم يوافق عمله فهو مثاب لأنه لم يطلع على مراد الله تعالى، بل اجتهد هو وإمامه، وكل مجتهد مصيب فله الأجر، أما الوصول إلى الله تعالى فمختص بالذين يصعد عملهم من الباب الذي نزل منه علمهم .

قوله :

(وقال لي : إن لم تكن في أمرى كالنار أدخلتك النار) .

قلت :

النار لها حالتان : إحداها أنها تمضي فيما تأكله من حطب وغيره ولا يعقب إلا لمانع، والحالة الثانية أنها تجمع بين المؤتلفات وتفرق بين المختلفات، وهو أمر معلوم من طبيعتها، فكون العبد يكون كالنار إن كان على المعنى الأول فالمراد المعنى في العمل والطلب والسلوك، وهو المراد هنا، وإن كان على المعنى الثاني فالمراد أن يجتهد في التفرقة في مسائل العبادة فيتبع مراد الله تعالى فيعمل به ويفصله من غيره كما تفعل النار . فمراد الله تعالى في كل حكم هو المؤتلف، وغيره هو المختلف، فإن قلت

كيف تقدر على علم مراد الله تعالى فى كل مسئلة (مسألة) ؟ فالجواب :
المراد العبادات، وقد ذكر فى موقف الإسلام الطريق إلى معرفة الله تعالى
فى أحكامه فليُنظر هناك.
قوله :

(وقال لى : انظر إلى النار كيف هى لاترجع، فكذلك كن لى لا
ترجع قولاً ولافعلاً) .
قلت :
هذا ظاهر ..

قوله :
(وقال لى : عقوبة كل مذنب تأتى من مستمده فانظر من أين تستمد
فمن هناك ثوابك وعقابك فانظر من أين تستمد) .
قلت : (٢٤٥/ب)

إن استمد عمله من نية رياء الناس أتت عقوبة أهل الرياء وكذلك فى
غير الرياء، وإن استمد عمله من نية أن الله تعالى خالصاً، أتاه ثوابه من
هناك .
قوله :

(وقال لى : الصلوات موقوفة على عشاء الآخرة تذهب بها أين
ذهبت) .
قلت :

عشاء الآخرة قيل إن المنافقين يتركونها هى والصباح فمن تركها
كانت بقية صلواته متروكة وإن فعلها لأنه إنما فعلها رياء الناس وعلى تقدير
أن يفعلها أعنى عشاء الآخرة فإن لم يفعلها بحضور القلب وخصوص نيته
كانت بقية صلواته كذلك وإن اجتهد فيها، ومن خلصت له العشاء الآخرة من
النقص كانت بقية الصلوات أولى بذلك) .
قوله :

(وقال لى : وكلت الظن بالعمل يحسن إذا حسن ويسوء إذا ساء)

قلت :

يعنى عمل أهل حسن الظن بالله هو الحسن وإن كان فيه نقصير،
وعمل أهل سوء الظن بالله وإن سلم من النقصير سيئاً، فعلى هذا أهل
الرجاء أفضل من أهل الخوف .

٧٢- موقف الصفح الجميل :-

قوله :

(أوقفنى فى الصفح الجميل وقال لى : أنا يسرت المعذرة وأنا عدت
بالعفو والمغفرة) .

قلت :

هو ظاهر ..

قوله :

(وقال لى : إن أنزلتلى فى حسنك نزلت فى سينتك) .

قلت :

لما قال أنا يسرت المعذرة كان من جملة المعذرة أن يقول العاصى
أن الله قدر على فعلها، فوقع الجواب لهذا السؤال المقدر فى هذا التنازل بأن
قال لذلك المعتذر : إن كنت تقول إننى أنا هديت إلى الحسن أنزلتلى فى
حسنك نسبته إلى فأنا أعاملك فى السيئة بهذه المعاملة بأن أقبل العذر المشار
إليه وهو نزوله فى سينته .

قوله :

(وقال لى : إن أنزلتلى فى حسنك باهيت بها، وإذا باهيت بها أثبتتها
فى بهاتى، وإذا نزلت فى سينتك محوتها من كتابك ومحوتها من قلبك فى تجد
بها فنستوحش ولا تفرع إليها فتفترق) (١/٢٤٦) .

قلت :

أما إثباتها فى بهائه فبان يتعين من هذه الحسنه من الاسم الهادى وهو
أحد الأسماء الحسنى فهو بها بخلاف من لم ينسبها إلى الحق تعالى بوجه من
الوجوه، فلا نسبة لها إلى الاسم فى ظاهر الحكم فلا يثبت إذن فى بهائه لعدم
نسبتها إلى الاسم الهادى الذى به حصل البهاء، هذا فى الحسنه، وكذلك ما
تضمنه التنازل من نزوله فى السيئة فإن المراد هناك نسبتها إلى الاسم المضل

فهو بها، وأما كون العبد بالسنته فلكونها محبت من قلبه فزال التعلق فلا يستوحش بذكرها، ولا هو لطلبها بأن يفعلها مرة أخرى فيفترق فإن قوله يفزع إلى الشئ أى يسرع فى المسير إليه .
قوله :

(وقال لى : إن لم تعرف أى عبد أنت لى لم تعرف مقامك منى، وإن لم تعرف مقامك منى لم تثبت فى أمرى، وإن لم تثبت فى أمرى خرجت من ظلى).
قلت :

قد تقدم فى بعض ما شرح من المواقف بيان معنى معرفة أى عبده هو منه وهو إن نسب إلى بعض أسمائه بالعبودية كما أشار صاحب كتاب "العبادة"^(١٠١) .
قوله :

(وقال لى : اعرف مقامك منى وأقم فيه عندى، فأيت الكون كله جزئية فى جزئية موصولة ومفصولة لا تستقل الموصولة من دونه بنفسها ولا بالمفصولة ولا تستقل المفصولة بنفسها ولا بالموصولة، ورأيت قد حجب الموصولات والمفصولات وختم على الحجاب بخاتمته ولم يؤذن المحجوب بختم الحجاب ولا بالحجاب فيكون الإيذان له تعرفا إليه بحكم من أحكام القوت فيكون التعرف إليه سببا موصولا به فيخرج عن الختم بالتعرف) .
قلت :

مقامه هو العندية وهى أعلى مراتب السالكين، ولذلك قال وأقم عندى فراى (٢٤٦/ب) الكون وهو كل ماله صور سواء كانت جسمانية أو روحانية أو معنوية) ولأجل للزوم الصورة للكون سماه جزئية المكون ليتعين التضاف الذى بين الكون والمكون وهى جزئية معنوية فى حضرة رب مقابل لعبد ولو لم يكن ثم جزئية ثم تضاف ثم إن جزئية الكون تنقسم إلى موصولة ومفصولة، فالمفصولة ليس إلا المخاطبون (المخاطبين) بالتكليف الشرعى، وأما الموصولة فهى جميع باقى اكون، ثم إن الذين لم تبلغهم الدعوة من الناس وغيرهم ممن يستحق الخطاب هم من الموصولة، ولا يمتنع أن يكون أهل الغفلة العرفة والجهل المحض عن الموصولة وكذلك أهل المعرفة ومن حصل له تجلى (تجل) من التجليات جزئيا كان ذلك التجلى أو كليا فهم من

الموصولة إلا أن أهل التجلى الجزئى فهم بقايا من المفصولة ما دام لهم رسم، وأما عدم الاستقلال فيما ذكر من جهة أنه لا يستقل شئ دون القيومية بنفسه ولا بغيره، اعلم أنه استثنى من الموصولات أهل الشهود فلم يذكرهم فى جملة الموصولات بدليل قوله أنه قد حجب الكل وأهل الشهود غير محجوبين، وإنما ذكرت أنا أنهم من الموصولين لأن الأمر فى نفسه كذلك، وأما كونه ضم على الحجاب فخاتمته هو الحجاب نفسه، والحجب خمسة قد ذكرها فيما تقدم، وأما كونه لم يؤذن المحجوب بالحجاب ولا بالختم لأن إيذانه تعرف فلو أذنه أى أعلمه لخرج من الحجاب بالتعرف وقوله بمعنى من معانى الفوت إعلام أن الإعلام بالفوت هو إعلام فى الجملة (١/٢٤٧) فهو تعرف .

قوله :

(وقال لى : اخرج عن الموصول والمفصول، واخرج عن الحجاب والختم وعن الخاتم، فالحجاب صفة والختم والخاتم صفة، فاخرج عن الصفات وانظر إلى لا تحكم على الصفات، ولا تهجم على الموصوفات ولا تتعلق بى المتعلقات ولا تقتبس منى المقتبسات) .

قلت :

هذا يدل على أن التجلى الحاصل هو تجلى الذات فإن فيه يذهب حكم الصفات، وإن كانت الأولياء إذا شهدوا التجليات الصفاتية لا يشهدون إلا أنها الذات لأنهم إنما تعرف إليهم بطريق محو الرسوم، والصفات رسوم ولا يتعين الصفات إلا الذين محتهم الذات وهو تمام السفر الثانى، وهو هذا المقام الذى هذا التنزل فيه وباقى التنزل ظاهر .

قوله :

(وقال لى : لا تجعل الكون من فوقك ولا من تحتك ولا عن يمينك ولا عن شمالك ولا فى علمك ولا فى وجدك، ولا فى ذكرك ولا فى فكرك ولا تعلقه بصفة من صفاتك ولا تعبر عنه بلغة من لغاتك وانظر إلى من قبله، فذلك مقامك فأقم فيه ناظرا إلى كيف كونت وكيف أكون، وكيف قلبت ما أكون وكيف أشهدت وغيب فيما قلبت، وكيف استوليت على ما أشهدت وكيف أحطت على ما استوليت وكيف استأثرت فيما أحطت، وكيف فت فيما استأثرت وكيف قربت فيما فت وكيف بعدت فيما قربت، وكيف دنوت فيما

بعدت، فلا تمل مع المائلات ولا تمد مع المائدات وكن كأنك صفة لا تتميل ولا تتزِيل). .

قلت :

أما إلى عند قوله هو مقامك فأقم فيه فهو ظاهر، وأما بعده من ابتداء البدايات فإنه أمره أن يكون بقلبه كأنه قبل أن يكون الكون (٢٤٧/ب) ثم شاهد فعل الحق في التكوين فإنه بالنسبة إلى شهود المشاهد طهور وهو معنى قوله وكيف قلبت ما أكون أى كان طهورا فجعلته فى لسان العلم أطهارا أو بالعكس بأن كان فى لسان العم إظهارا فجعلته فى شهودك طهورا، وقوله كيف أشهدت أى تلحظ معانى تعرفى إلى أوليائى فى كونى غيبتهم أى محوتهم فى جملة ما قلبت فى عيانهم من الإظهار إلى الظهور وكيف استتزلت أى أظهرت لهم أن ما هناك غيرى محيطا بالجميع، والاستتثار هو الأفراد بالأمر، ومعنى الفوت هو شهودهم محوهم فى وجوده فلا يبقى رسم يقال أنهم أدركوا الحق تعالى، بل فاتهم إدراكه لمحوهم فى رسومهم، ويعنى قربه فيما فات أنهم شهدوا أنفسهم فيه موجودين بوجود له لا لهم فكان ذلك قربا، وأما معنى بعده فيما قرب فإنهم وإن رأوا أنفسهم فيه موجودة بوجوده فهو إذ ذاك إنه هم من حيث الوجود وأما حقانقهم المعقولة فعدم، والعدم بالنسبة إلى الوجود هو بعد لا أبعد منه وتسميته بعدا مجاز، كما أن تسمية ذلك المعنى الأول قربا مجاز أيضا، ويعنى نبوت فيما بعدت فهو بمعنى التعرف الذى به أشهدهم ومعنى قوله فلا تمل أى إلى مقال أهل العلم، ومعنى لا تمد أى لا تحيز تحيزا لعقول المحجوبة فإنه ميد،

قوله :

وكن كأنك صفة أى من صفاته لا تميل عنه ومعنى لا تتزِيل أى لا تتفرق، والتزِيل فى اللغة التفرق .

قوله :

(وقال لى : هذا مقام الأمان والظل، وهذا مقام العقد (٢٤٨/أ)

والحل).

قلت :

يعنى مقام الأمان من الأغيار والظل يعنى أنه على الصورة كما أن الظل على صورة المظلول، وأما قوله مقام العقد والحل فيعنى أن صاحب

هذا المقام متصرف، ومعنى التصرف هو عدم الحجر فيما يفعله لأنه يقول
للشيء كن فيكون إلا بتأويل ما ذكرناه قبل هذا .

قوله :

(وقال لى : هذا مقام الولاية والأمانة) .

قلت :

الولاية فى حق هذا العبد هى أن يليه الأولياء لأنه يلى الحق لعدم
الثبوت فى مقامه، وأما الأمانة فهى التى حملها الإنسان ولولا الإطالة لذكرت
كيفية ذلك .

قوله :

(وقال لى : هذا مقامك فأقم فيه تكن فى إحسان كل محسن وفى

استغفار كل مستغفر) .

قلت :

هذا معنى من معانى الأمانة، وهو أن الاسم الهادى ينوب عنه فى
إيصال الهداية إلى المحسن فيكون هو المحسن فى إحسان كل محسن
واستغفار كل مستغفر .

قوله :

(وقال لى : إذا أقمت فى هذا المقام حوت صفتك جميع أحكام

الصفات الطاعات، وفارقت صفتك جميع أحكام الصفات العاصيات) .

قلت :

هذا يفهم من شرح الذى قبله، هذا عموم وذاك خصوص، غير أن
هنا زيادة تظهر بالشرح وهو أن صفته تحوى جميع الصفات على الإطلاق
الطاعة والعاصية، لكنها تكون بالنسبة إلى مقامه كلها طاعة فذلك قال
وفارقت صفتك جميع الصفات العاصية وذلك لأن الصفات العاصية مستندة
إلى الاسم المضل والاسم المضل متعلقاته هى فى صفات هذا الولى صاحب
هذا المقام هى فيه طائفة .

قوله :

(وقال لى : إذا (٢٤٨/ب) أقمت فى هذا المقام قلت لك قل فقلت فكان

ما تقول بقولى فشهدت الاختراع جهرة .

قلت :

أشار إلى قوله للشئ كن فيكون وتفسيره أن يرى صفة التكوين من حضرة مقامه فيقال بلسان الحال قل لها تكون لأن الخليفة حامل الأمانة فسعت الصفة المذكورة تقول على لسان الخليفة في التكوين فيكون ما يقول الخليفة يقول (يقوله) المستخلف، قال فيشهد الاختراع جهرة وهو قوله للشئ كن فيكون .

قوله :

(وقال لى : إن ملت إلى العرش حبستك فيه فكان حجابك، وإن حبستك فيه دخل كل أحد إلى حبسك فيه فحبست لشرفه من فعلك فإن رددتك إلى شرفه وإلى فعلك كان حجابك) .

قلت :

صاحب هذا المقام هو خليفة الله لا أقول في أرضه بل في خلقه وهو برزخ البحرين وقد ذكرت معناه في أبيات - ليست الآن على خاطري - أولها : للبرزخية معنى ليس يدريه إلا أمرء ظهرت أحكامها فيه ومقام (ومقامه) بين العرش والحق لأنه هو العرش الحقيقي، والمعنى المرتبى والعرش جسم فلما كان برزخ البحرين الإلهى والكونى لم يجزله أن يميل لأنه قال له وكن كأنك صفة لا تتميل ولا تنزل فإن مال إلى العرش مال إلى الكون، ومال بميله إلى العرش كل أحد من الخلق لأن حركة مثله سائرة في الوجود فيقع هو في الحجاب العرش لفعله الميل ويقع كل أحد في الحجاب تبعاً لاحتجاب هذا القطب الذى هو قطب الأقطاب (٩/٢٤٩) فإن رد إلى الميل وإلى شرف العرش كان هذا حجاباً آخر وقوله لشرفه من فعلك يعنى أن فعلك شرفه .

قوله :

(وقال لى : خذ وجد الحضرة على أى صفة جاءك الوجد، فإن عارضتك الصفات فأودعها وأدع موصوفاتها إلى وجدك، فإن استجابت لك وإلا هربت (وإلا فاهرب إلى الصفة) التى تجد بمقامك فيها وجد الحضرة فإن لم تهرب فارقك وجد الحضرة وتحكمت عليك صفات الحجاب وموصوفاتها).

قلت :

هذا التنزل فيه وصية نافعة لكنها ليست لصاحب المقام المذكور في التنزل الذي قبل هذا فإن مقام هذا التنزل سلوكك وذلك الأول نهاية وهذا يدل على "أن الذي ألف هذه المواقف لم يكن هو النفرى بل هو بعض أحبائه وقيل هو ابن بنته" . فلا جرم لم يأت مرتباً ترتيب المقامات في نفس الأمر .

ومضمون هذا التنزل أن يقول له أنت في مقام تجديفه التعلق بالحق تعلق وجد وشوق فلازم هذا الوجدان إن كان حاصلًا وإلا فاقبله على أى صفة جاءك بعد أن تكون واجداً، فإن رأيت الصفات تورد عليك الشبه، ويعنى بالشبه الأحوال الكاذبة وحينئذ فقابل بينها وبين وجدك، فإن وافقته بتأويلات عرفانية هي في وجدك فقد استجابت لك وإلا فأعرض عن الصفات والموصوفات إلى الصفة التي كنت مقيماً بها وكان وجد الحضرة حاصلًا لك فيها فإن لم يفعل فارقك وجد الحضرة الذي كان حاصلًا لك، وتحكمت فيك حجب الصفات (٢٤٩/ب) والموصوفات.

قوله :

(وقال لى : اجعل سيئتك نسياً منسياً، ولا تخطر بك حسناتك فتصرفها

بالنفي) .

قلت :

أما السيئة إذا نسيت أمنت الوحشة وأما الحسنة فإن لم تخطر بباليه فقط استراح وإن خطرت احتاج إلى نفيها فيحتاج في نفيها إلى المجاهدة .

قوله :

(وقال لى : قد بشرتك بالعفو فاعمل به على الوجد بى وإلا لم

تعمل) .

قلت :

يعنى إن خلا عملك عن الوجد لم يكن عملك لشيء، وأما بشارته بالعفو وعمله به على الوجد فمعناه أن تجعل العفو سبب المحبة للحق تعالى فإن الوجد هو المحبة .

قلت :

الراغب فيها به تعالى ليست له نفس ترغب في الدنيا لها فإنه محاها
التجلى، ثم إن الراغب فيها به تعالى كيف يكون هو القانع بها منه وهو الذى
صا وصل إلى أن يطلب الدنيا به إلا بعد أن ترك الدنيا والآخرة حتى حصل
هو له، فالخطاب إذن لأهل الدنيا الذين هم أهلها المحتجيين بها .

قوله :

(وقال لى : إن لم تدر من أنت لم نقد علما ولم تكسب عملا) .

قلت :

المحجوب فى الخيبة حتى يرى من هو فإنه من ظفر بوجود ما ظفر
بمقصوده ولقد أعجبنى قول الشيخ على الحريرى :

اللحم رطل بدرهم ما قدر قيمة جنتى من كان يعرف وجوده ذاك غلام جيد
قوله :

(وقال لى : قد رأيت مقامى، ورأيت الكون وأريتك نوريتك فأين
ذهبت بها ذهبت بها، فعلفت فتمخضت فوضعت فاستسعينتك فاسترهبتك
فاستخدمتك) .

قلت :

هذا التنزل يذكر فيه حال الإنسان من أول الكون وتدرجه فى
المراتب إلى (٢٥١/أ) أن صار نطفة فى بطن أمه، فتمخضت أمه بعد ما
علقت، فوضعت فلما بلغ وقت السعى استسعاها الله أى جعله يسعى، ثم خاطبه
بالتكاليف فاسترهبه، فاستخدمه، وأصله نور تطور فى مراتب ظهوره، فاذلك
قال أريتك نوريتك حين رأى الكون أى التكوين، وكيف هو، وقوله ذهبت بها
يعنى أن الحق ذهبت بها فى سلسلة الترتيب فى عالم الخلق، وقد كانت من
عالم الأمر .

قوله :

(وقال لى : إن كنت من أهل القرآن فبابك فى التلاوة لا تصل إلا

منه) .

قلت :

أهل القرآن هم القوم الذين وقف بهم الاستعداد هناك فقاموا بما وجب
عليهم وبما طلب منهم .

قوله :

(وقال لى : كذلك بابك فيما أنت فيه من أهله) .

قلت :

يعنى استعدادك هو الذى جعلك فيما أنت فيه من أهله فإذن لا تصل إلا من الباب الذى أوقفك فيه استعدادك، وقوله من أهله أى المستعدين له فهم أهله .

قوله :

(وقال لى : تلاوة النهار باب إلى الحفظ، والحفظ باب إلى تلاوة الليل، وتلاوة الليل باب إلى الفهم، والفهم باب إلى المغفرة) .

قلت :

هذا ظاهر ..

٧٣- موقف اقشعرار الجلود:-

قوله :

(أوقفنى فى اقشعرار الجلود وقال لى : هو من آثار نظرى وهوباب محضرى) .

قلت :

اقشعرار الجلود هو تأثر يقع للسالك من فرط الأنس بالعبادة خصوصا الذكر، فإنه أسرع، وهو حال من الأحوال التى يجدها السالكون وأقواه أشرفه (٢٥١/ب) إلا ما أدى إلى تبطيل الحواس فإنه يدل على ضعف الاستعداد، وموجبه كما قال من آثار نظر الحق تعالى إلى عبده وأقوى منه أن يكون من آثار نظر العبد إلى ربه تعالى وهو كما قال (تعالى) باب إلى الحضرة والمحضر هنا مصدر بمعنى الحضور .

قوله :

(وقال لى : هو عن حكمى لا عن حكم سواى، وهو عن إقبال عليك لا عن حكم إقبالك على) .

قلت :

حكم إقبال العبد على ربه تعالى هو عن حكم إقبال الحق تعالى عليه فلذلك قال إنه من حكم إقباله تعالى خصوصا .

قوله :

(وقال لى : هى علامة حكم ذكرى لك لا علامة ذكرى لى وهى علامتى ودليلى، فاعتبر بها وجد وعقد فإن أقامت فى شئ فهو الحق فارقته فهو الباطل).

قلت :

يقول دوامها دليل أنها حق وإلا فباطل قال الشيخ محى الدين بن العربى قدس الله روحه العزيز أنها إن عقت سرورا وقى مفرحا فهو وارد ملكى وإن أعقت علما بالتوحيد فهو وارد إلهى، وإن أعقت كلا ونكسر فى الأعضاء فهو وارد شيطانى، وهذه علامات قد جربت فصحت .

قوله :

(وقال لى: هى فى رانى فزن به، وهى معيارى فاعتبر وهى علامة اليقين وهى علامة التحقيق).

قلت :

قد أطلق أنها علامة حق ولم نعرفه وهو الحق، فإن من توجه إلى الله تعالى حرسه الله من الشيطان .

قوله :

(وقال لى : أبواب الرجاء فيها مفتوحة، وأبواب الثقة بى فيها مبشرة).

قلت :

هو ما ذكر وهو ظاهر .

قوله :

(وقال لى : لا طريق إلى إلا فى محبتها ولا مسير إلى إلا فى نورها).

قلت :

يشير إلى العلامة (أ/٢٥٢) المذكورة وهى الأحوال .

قوله :

(وقال لى : هى نور من أنوار المواصله وهى نور من أنوار المواجهة إذا بدا أباد ما سواه).

قلت :

يريد بالمواصلة التوجه من السالك بعناية المسالك، والمواجهة كذلك وكلاهما في عالم الحجاب لكنهما في طريق الطلاب .

٧٤- موقف العبادة الوجهية :-

قوله :

(أوقفنى فى العبادة الوجهية وقال لى : هى صاحبة الروح والريحان عند الموت) .

قلت :

يعنى بالوجهية أن تكون لوجهه الكريم .

قوله :

(وقال لى : العبادة الوجهية طريق المقربين إلى ظل العرش) .

قلت :

هؤلاء هم من العباد، فإن ظل العرش ليس للأولياء .

قوله :

(وقال لى : يا صاحب العبادة الوجهية ستأتيك الجنة فتتراءى لقلبك وتتمثل لنفسك، وأنا الحق الذى لا يتراءى ولا يتمثل فإن نظرت إلى النار فرقت فلم تحمل لى حكمة، وإن نظرت إلى الجنة سكنت فلم تحمل لى أدب المعرفة) .

قلت :

الفرق هو الخوف وهو قلق ينافى التلطف فى طلب الحكمة أو تعقلها والسكون يقع معه إهمال الأدب، وباقى التنزل ظاهر ..

قوله :

(وقال لى : يا صاحب العبادة الوجهية وجه وجهك إلى، وجه وجه همك إلى، وجه وجه قلبك إلى، وجه وجه سمعك إلى، وجه سكوتك إلى) .

قلت :

أما وجه وجهك إلى فهو إلى القبلية بنية الحضور معه تعالى بالعبودية، وأما وجه (وجهك) همك فهو العزم على قصده تعالى بإخلاص النية، وأما وجه قلبك إلى فهو الحضور، وترك الغفلة عنه تعالى (٢٥٢/ب)،

وأما وجه سمعك إلى فهو بأن تحضر مجالس الذكر والموعظة وإن كان من أهل الذكر فيرفع صوته يسمع ما يتلوه من الذكر، ويكون حاضرا مع الله تعالى، وأما وجه سكونك إليه تعالى فمعناه أن تسكن إلى الله (تعالى) ولا تسكن إلى سواه، وأنفع هذه المراتب هو السكون إليه تعالى، ووقعت لى واقعة فى معنى السكون إليه تعالى وهى أنى كنت أذكر فخطر لى بيت شعر كنت أحفظه ما أعرف لمن هو من الشعراء، وهو قوله :

اسكن إلى سكن تلذ به ذهب الزمان وأنت منفرد

فعندما ذكرت هذا البيت وثب قلبى وثبة سريعة إلى الله تعالى وقلت بسرعة اشهد يارب أنى لا أسكن إلى سكن غيرك، واقشعر عندها جلدى، ودبت فى نشوة عامة فى جميع بدننى، ورفعت يدى وقد فاضت عبرتى وسألت الله تعالى رفع الحجاب عنى، فلما أخذت من البكا نهمنى نظمت ارتجالا هذه الأبيات وهى :

ولقد ذكرت مقالة سلفت	فمن عسى وجد الذى أجد
اسكن إلى سكن تلذبه	ذهب الزمان وأنت منفرد
فرفعت فى الظلماء راحة من	أحشاؤه من وجدته تقد
وسألت وصل محتجب ذهبت	من دونه الأيام والمدد
ياهاجرى لا عن قلبى أقما	للهمجر لا حد ولا أمد
فنى الزمان وما أرى أحدا	فمتى يواصل ذلك الأحدا
إنى ليخبرنى الرجاء بما	يرتاح منه القلب والكبد (١/٢٥٣)
ولدمع أعظم شافع أملى	وأراه عن إحسانه يقد
صدق المخبر عنه شيمته	أن لا يخيب من نداء يد

قوله :

(وقال لى : يا صاحب العبادة الوجهية إذا أتيتك النار والجنة فسأشهدك منهما مواضع المعرفة وسأشهدك فى مواضع المعرفة آثار النظر، وسأشهدك فى آثار النظر مواضع التسبيح، فاذهب عن كل آثار تذهب عن زخارف الجنة وعن بأساء النار)

قلت :

هذا وعد جميل يتضمن أن يشهده وجه المعرفة فيذهب بها عن العلم ويشهده فى تلك المعرفة محل نظر الوجدانية فى الجنة والنار معا، ولما كان

شهود الوجدانية فى مظاهر الجنة والنار يوقع السالك فى محل إشكال فوعده بأن يشهده مواضع التسبيح وهو التنزيه، فيقابل أشكال التشبيه بتعرف التنزيه فيذهب السالك عن التشبيه بالتنزيه، وهذه كلها آثار إذا ذهب عنه الآثار بها غابت زخارف الجنة وبأساء النار .

قوله :

(وقال لى : إنما أشهدتك الآثار بعد الآثار لأذهبك عن الجنة والنار لأن الآثار هى الأغيار) .

قلت :

إنه خلاصه بآثار نظر التوحيد عن آثار الجنة والنار .

قوله :

(وقال لى : لا أرضى لك أن تقيم فى شئ وإن رضيت، أنت عندى أكبر منه فأقم عندى لا عنده) .

قلت :

يعنى أن الطمع فى الجنة، والخوف من النار هو مما يرضاه الحق تعالى، لكنه عار على عبده لأنه يريد لهعبديته لا للأشياء .

قوله :

(وقال لى : أتدرى ماذا أعددت لصاحب العبادة الوجهية؟ عتب أبوابهم من شرف قباب من سواهم، وأبوابهم من شرف مقاصير من سواهم) .

قلت :

يعنى أن عتبات الأبواب فى شرفها كشرف (٢٥٣/ب) قباب غيرهم، فكيف تكون قبابهم، وكذلك الباقي .

قوله :

(وقال لى : كل أحد فى الجنة يأتينى فيقف فى مقامه إلا أهل العبادة الوجهية فإنهم يأتونى مع الناس عامة، وآيتهم من دون الناس خاصة) .

قلت :

هذا ظاهر ..

قوله :

(وقال لى : فضل المنزل الذى آتته على المنزل الذى لا آتته كفضلى على كل ما أنا منشئه) .

قلت :

إتيان الحق تعالى إلى منزل أهل العبادة الوجهية هو بتجليه لهم أو صرفهم عن النعيم بغيره في الجنة إلى النعيم به، وهو ما يتولاه من التنعيم بذاته كما ذكر فيما سلف .

قوله :

(وقال لى : أهل العبادة الوجهية أهل الصبر الذى لا يهرم، وأهل الفهم الذى لا يعقم) .

قلت :

أما صبرهم فلأن الإخلاص بالعبادة لوجهه الكريم أمر يشق فيحتاج إلى الصبر عليه، ولولا الفهم لما كان كذلك .

قوله :

(وقال لى : أهل العبادة الوجهية وجوه الناس ترفع إليهم الوجوه يوم القيامة) .

قلت :

هذا ظاهر ..

قوله :

(وقال لى : أهل العبادة الوجهية أهل خلتي، أهل الشفاعة إلى أهل زيارتي) .

قلت :

مقام الخلّة شريف واستحقاقهم له بإخلاصهم فى العبادة لوجهه الكريم .

قوله :

(وقال لى : كما يأتيك التثبيت فى تهجّدك، كذا يأتيك التثبيت فى يوم مورك) .

قلت :

هذا مضمون قوله عليه الصلاة والسلام "إنما هى أعمالكم ترد عليكم" وورد فى الكتاب العزيز "سنجزئهم وصفهم" .

قوله :

(وقال لى : إذا وقفت بين يدى فبقدر ما تقبل خاطر يأتيتك الروح
وبقدر ما تنفيه ينتفى عنك^(١٠٣) حكم الروح) (١/٢٥٤) .
قلت :^(١٠٤)

الروح إنما يكون عن استحضار الذهن لما يروع، واستحضار الذهن
له هو الخواطر، فالروح إنما هو من جهة خاطر، فإن نفيت انتفى، والمراد
فى التزل بتطهير القلب من الخواطر بين يدى الرب تعالى ..
قوله :

(وقال لى : أنت على أعوادك بما أنت فيه فى القيام، وأنت فى
مطلعك بما أنت به فى الركوع، وأنت فى متوسدك بما أنت به فى السجود) .
قلت :

الأعواد هى النعش، والمطلع هو حال النزول فى القبر، والمتوسد هو
المستقر فى القلب فإن كان العبد بالله تعالى فى صلواته كان بالله تعالى فى
هذه المواطن وإلا فبالسوى .
قوله :

(وقال لى : يا صاحب العبادة الوجهية وجه كل شئ ما أشهدك أنه
متعلق بى منه فتشده فتعلمه فتعرفه لافتعلمه معرفة لا يتغير لك فتغيره ولا
يترجم لك فتترجمه فذلك من العلم الصامت) .
قلت :

لما شك أن العابد له أعمل وبعض تلك الأعمال تكون متعلقة بالحق
أى يكون العبد مريدا بهذا وجه الله تعالى ثم يلوح له من ذلك العمل بارقة
يشهد فيها أنه وجه المراد للحق تعالى فيعمل به على حكم ما يقتضيه ذلك
الوارد فيكون ذلك وارد معرفة وهو معنى قوله "فتعرفه فتجد بمضمون تلك
البارقة لا تقدر العبادة أن تتمكن من التعبد ولا الترجمة أن تترجم عنه .
قوله :

(وقال لى : إذا سترت عنك وجه كل شئ رأيت ذلك المعنى الذى
شهدته متعلقا بى منه داعيا لك إلى التعلق به) .

الذى قبل هذا بقوله أهل السماء هم أهل الظل، فالظل ظل العرش فيكون تفسير ذلك التزل على هذا الحكم على ما شرحته هناك .
قوله :

(وقال لى : صلاة المتهد بالليل بذر يسقيه عمل بالنهار) .

قلت :

يريد بعمل المتهد بالليل النوافل، ويريد بعمل النهار الفرائض ولا تقبل النوافل إلا بعد أداء الفرائض فمنها يستمد القبول .

قوله :

(وقال لى : اللسان يسقى ما بذر اللسان، والأركان تسقى ما بذرت الأركان) .

قلت :

هو يشير إلى أن القول يسقى القول، والفعل يسقى الفعل (وكل شئ)^(١٠٧) فإلى نسبته يرجع وبها يجتمع .

قوله : (٢٥٥/ب)

(وقال لى : إن أردت أن تنقطع إلى فأظهرنى على لسانك وادع "إلى طاعنى"^(١٠٨) بمواعظك ينقطع عنك القاطعون ويواصلك فى الواصلون) .

قلت :

يقول اشتهر بعبادتى ينقطع عنك أهل معصيتى ويواصلك أهل طاعنى فتجد بانقطاع المخالف والاجتماع بالمواف أعوانا على الانقطاع إليه تعالى وخلصا من العوائق والعلائق .

قوله :

(وقال لى : يا كاتب الكتبة الوجهية، ويا صاحب العبارة الرحمانية إن كتبت لغيرى محوتك من كتابى وإن عبرت بغير عبارتى أخرجتك من خطابى) .

قلت :

الكتبة مصدر بمعنى الكتابة، ومعنى التزل أن يأمره بتخليص العمل لوجهه الكريم وأن تكون عباراته مما يرد عليه من الأزل القديم بلفظه ومعناه .

قوله :

(وقال لى : يا كاتب الكتبة الرحمانية، ويا فقيه الحكمة الربانية) .

قلت :

يعنى يامن لا يكتب إلا ما كتبه الرحمن تعالى فى وجوده ولا يفقه من الحكمة إلا ما فهمته الربوبية فى موجوده .

قوله :

(وقال لى : يا كاتب النعماء الإلهية ويا صاحب المعرفة الفردانية) .

قلت :

يا من لا يكتب من النعماء ما هو منسوب لغير الإلهية والألوهية ولا يلتقى من المعرفة إلا حقيقتها وهى الفردانية .

قوله :

(وقال لى : يا كاتب القدس المسطور بأقلام الرب على أوجه محامده أنت فى الدنيا والآخرة كاتب) .

قلت :

يامن لا يكتب إلا معانى التنزيه الواردة من حضرة الربوبية نافية للتشبيه فهى المحامد والمحامد سطور، أنت كاتب ذلك فى الدنيا والآخرة .

قوله :

(وقال لى : يا كاتب النور المنشور على سرادقات العظمة اكتب على رفارفها تسبيح من يسبح، واكتب (أ/٢٥٦) على تسبيح ما سبح معرفة من عرف) .

قلت :

النور المستور على سرادقات العظمة هو التنزيه المستند إلى التعظيم وهو مضمون قولك سبحان الله العظيم وبحمده، ومرتبة التنزل الذى قبله سبحانه وبحمده والمراد من التنزل أن يكتب تسبيح ما سبح من وجوده لا تسبيح ما سبح من الموجودات، وأما كتابته معرفة من عرف فالمراد أن يكتب تعينياً على العبادة التى اتصلت بالمعرفة .

قوله :

(وقال لى : أنت كاتب العلم والأعلام وأنت كاتب الحكم والأحكام) .

قلت :

يعنى أنه فى مرتبة يطلع فيها على العلم فيكتبه من جهة ما أعلم فهو فيه غير مقلد ولذلك كان كاتب الحكم والأحكام، والحكم هو مراد الشارع فى كل قضية من الأحكام .

قوله :

(وقال لى : أنت كاتب الرحمن فى يوم المذار، وأنت كاتب الرحمن فى دار القرار) .

قلت :

الاسم الرحمن هو المستولى على العرش بطريق مسماه الحق ومنه ينتزل ما يكتبه كاتب الرحمن، والمراد كتابته معانى الزائرين، ومعانى أهل الجنان منهم .

قوله :

(وقال لى : يا كاتب الجلال فى دار الجلال، اكتب بأقلام الكمال على أوراق الإقبال) .

قلت :

الجلال مختص بأسماء الانتقام، والجمال خلافة، والكمال مجموعهما، فقد أمره أن يكتب بأقلام الكمال والإقبال هو من حضرة كمالية .

قوله :

(وقال لى : أنت كاتب المجد المجيد وأنت كاتب الحمد الحميد) .

قلت :

هو ينسبه إلى أسمائه بالعبودية، فالمجيد والحميد من أسمائه تعالى .

قوله :

(وقال لى : اقرأ^(١٠٩) كتابك بعين المغفرة واختم (٢٥٦/ب) كتابك بخاتم الزلقى) .

قلت :

القراءة تكون بالعين إذا كانت فى مكتوب، ومضمون التزل بشارة له أن مضمون كتاب المغفرة وخاتمه الزلقى هى القرب .

قوله :

(وقال لى : أنت كاتب المنن والإحسان، وأنت كاتب البيان والبرهان) .

قلت :

ينسبه إلى اسمه المنان وإلى اسمه المحسن .

قوله :

(وقال لى : أنت كاتب الحضرة الدائمة، وأنت كاتب القيومية القائمة) .

قلت :

ينسبه إلى اسمه الدائم، وإلى اسمه القيوم بالعبودية .

قوله :

(وقال لى : أنت الكاتب فاكتب لى بأقلام تسليمك إلى واختم كتابك بخاتم الغيرة على) .

قلت :

يقول انتسب إلى بعبدى من جهة اسم هو مستول عليك لا سواء .

قوله :

(وقال لى : إذا سميتك فتسم ولا تتسم عند نفسك) .

قلت :

الهامش ..

قوله :

(وقال لى : علمك يرجع إلى بما حوى ونفسك ترجع إليها بما حوت، فإذا تسميت عند علمك رجع إلى به وبك، وإذا تسميت عند نفسك رجعت إليها بها وبك) .

قلت :

يأمره بأن يتسمى فى مقام علمه لا فى شهوات نفسه ليرجع^(١١٠) العلم بك إليه تعالى وإلا رجعت بك النفس إليها، والله أعلم .

٧٥- موقف الاصطفاء:-

قوله :

(أوقفنى فى اصطفاء المصطفين وقال لى : أنا المتعرف إلى الحمادين وأنا المستجد الآلاء إلى الأوابين) .
قلت :

يعنى أن حمد الحمادين هو من تعرفه تعالى إلى قلوبهم بمحبة حمده حتى صاروا حمادين، ولما كان للأوابين عفورا قال أنا مستجد الآلاء لهم وأتى الآلاء أفضل من المغفرة .
قوله :

(وقال لى : إذا أردت لقاء الحمادين أننتهم بالقدوم على، فإذا (١/٢٥٧) طابت^(١١١) به نفوسهم توفيتهم طيبين) .
قلت :

الإيذان هو الإعلام وصورته أن يلهم قلوبهم إرادة لقائه فكانهم أعلمهم بالقدوم عليه فإن راغبين غير متبطين فقد طابوا، والطيب إنما هو أن لا يبقى فى النفس توقف عن طلب الحق تعالى .
قوله :

(وقال لى : اليد التى لا تسأل غيرى يدى) .

قلت :

من لا يسأل فهو غالبا من أهل الشهود، وكذلك اليد التى لا تأخذ إلا منه، وكذلك اليد التى إذا سألت لم تر المسنول إلا الله تعالى وهذا شاهد الوجدانية، وأقول إن الموقف الذى وجد فى بعض النسخ يلى هذا الموقف هو موقف الإدراك وهو غير موجود فى أصل الذى ألف المواقف فهو لزيادة إذن فى هذه النسخ فلأجل هذا لم أكتبه هنا وكتبت ما بعده وهو :

٧٦- موقف الإسلام:-

قوله :

(أوقفنى فى الإسلام وقال لى : هو دينى فلا تبغ سواه فإنى لا أقبل) .

قلت :

قال الله تعالى "إن الدين عند الله الإسلام"

قوله :

(وقال لى : هو أن تسلم لى ما أحكم لك وما أحكم عليك، قلت كيف أسلم لك، قال لا تعارضنى برأيك ولا تطلب على حقى عليك دليلا من قبل نفسك فإن نفسك لا تدلك على حقى أبدا ولا تلتزم حقى طوعا، قلت كيف لا أعارض، قال تتبع ولا تبدع، قلت كيف لا أطلب على حقك دليلا من قبل نفسى^(١١٣)، قال إذا قلت لك إن هذا لك تقول هذا لى وإذا قلت لك إن هذا لى تقول إن هذا لك فيكون (٢٥٧/ب) أمرى لك هو مخاطبك وهو المستحق عليك وهو دليلك فتستدل به عليه وتصل به إليه، قلت فكيف أتبع، قال تسمع قولى وتسلك طريقى، قلت كيف لا أبدع، قال لا تسمع قولك ولا تسلك طريقك، قلت ما قولك، قال كلامى، قلت أين طريقك، قال أحكامى، قلت ماقولى، قال تحريك، قلت ما طريقى، قال تحكمك، قلت ما تحكمى، قال قياسك، قلت ما قياسى، قال عجزك فى علمك، قلت كيف أعجز فى علمى، قال إبنى ابتليتك فى كل شئ منى إليك بشئ منك إلى، فابتليتك فى علمى بعلمك لأنظر أتتبع علمك أو علمى، وابتليتك فى حكمى بحكمك لأنظر أتحكم بحكمك أو بحكمى، قلت كيف أتبع علمى وكيف أعمل بحكمى، قال تتصرف عن الحكم بعلمى إلى الحكم بعلمك، قلت : كيف أنصرف عن الحكم بعلمك إلى الحكم بعلمى، قال تحل بكلامك ما حرمته بكلامى، وتحرم بكلامك ما حللته بكلامى وتدعى على أن ذلك بإذنى، وتدعى على أن ذلك من أمرى، قلت كيف أدعى عليك قال تأتى بفعل لم أمرك به، فتحكم له بحكمى فى فعل أمرك به، وتأتى بقول لم أمرك به فتحكم له بحكمى فى قول أمرك به، قلت لا أتى بفعل لم تأمرنى به ولا أتى بقول لم تأمرنى به، قال إن أتيت به كما أمرك فقولى وفعلى، وبقولى وفعلى يقع حكمى وإن أتيت به كما أمرك به فقولك وفعلك وبقولك وفعلك لا يقع حكمى ولا يكون دينى وحدودى) .

قلت :

حاصله أنه لا يرى بالرأى فى الأحكام التى وقعت فيها النصوص، ويغلب الأخذ بالظاهر، ويرى أن العبد إنما يجب عليه إمضاء ما أمر به ولا ينتظر به علمه، وينهى عن التأويل بقوله كيف أنصرف عن العمل بعلمك إلى العمل بعلمى (٢٥٨/أ)، قال تحل بكلامك ما حرمته بكلامى، وتحرم بكلامك ما حللته بكلامى وتدعى على أن ذلك بإذنى .. إلى آخره .

قوله :

(وقال لى : إن سويت بين قولى وقولك، أو سويت بين حكمى وحكمك فقد عدلت فى نفسك، قلت لا حكم إلا لقولك وفعلك، قال فقهاء، قلت فقهاء، قال لا تمل، قلت لا أميل، قال من فقه أمرى فقد فقه، ومن فقه رأى نفسه فما فقه) .

قلت :

معناه إن قست فقد سويت بين قولى وهو المقيس عليه وبين قولك وهو المقيس، وإذا فعلت ذلك فقد عدلت بى نفسك، وكذلك القول فى الحكم، وفى هذا نهى عن القياس والتأويل ظاهر، والباقى ظاهر والله أعلم^(١١٤) .

٧٧- موقف الكنف :-

قوله :

(أوقفنى فى الكنف وقال لى : سلم إلى وانصرف، إنك إن لم تتصرف تعترض، إنك إن تعترض تضادد) .

قلت :

التسليم إليه فى كل شئ أن لا تشاركه فيه بقولك ولا فعلك ولا علمك، وأما الانصراف فهو الإعراض عما سلم فيه من الوجه الذى وقع فيه التسليم، فلا تخطره بخاطرة فإنه إن أخطره بخاطره يرى ما لا يوافقه رأى نفسه، فاعترض ولو بالخاطر والاعتراض مضادة .

قوله :

(وقال لى : تدرى كيف تسلم إلى لا إلى الوسائط، قلت ما الوسائط، قال العلم وكل معلوم فيه) .

قلت :

معناه: إن أفتى بخلاف ظاهر الكتاب والسنة فلا تسلم دينك إلى ما وقعت فيه المخالفة وسلم إلى الله وانصرف .

قوله :

(وقال لى : تدرى كيف تسلم إلى لا إلى الوسائط، قلت كيف، قال تسلم إلى بقلبك، وتسلم (٢٥٨/ب) إلى الوسائط بيدك) .

قلت :

يشير إلى موافقة العلم ببذنه فيعمل كما عمل الجمهور، وينفرد بباطن بما يوافقه ظاهر ما وردت به الكتاب والسنة، هذا إذا اقتضى العلم مخالفة الظاهر بالتأويل .

قوله :

(وقال لى : تسلم إلى وتتصرف هو مقام القوة، والقوة التى هى مقام قوة وضعف فرقا بينهما وبين قوة لا ضعف لها) .

قلت :

إن القوة مقام كما ذكر وهى تنقسم إلى (أ) قوة لا ضعف فيها (ب) وإلى قوة فيها ضعف، وبينهما فرق، والمطلوب العمل بالقوة التى لا ضعف فيها لأنه أبلغ، وذلك العمل التسليم والانصراف .

قوله :

(وقال لى : قوة القوى أن يسلم ولا ينصرف، وضعف القوى أن يسلم وينصرف) .

قلت :

قد ذكر أولا أن التسليم والانصراف هو المطلوب، ثم قال هنا ما ظاهره يتناقض وهو قوله قوة القوى أن يسلم ولا ينصرف، لكن الحق أن لا مناقضة فيه، وذلك لأن الذى يسلم وينصرف إنما انصرف خشية أن يقع منه الاعتراض، والمضادة كما ذكر أولا، وأما الذى يسلم وما انصرف فيحمل أمره على أنه من القوة فى حد أن لا يقع منه الاعتراض فلا جرم قيل عنه أنه القوى وأما الضعيف فينصرف .

قوله :

(وقال لى : الحقيقة أن تسلم ولا تتصرف، وأن لا تأس ولا تفرح ولا تتحجب عنى ولا تنظر إلى نعمتى ولا تستكين لابتلائى ولا تستفرك المستفترات من دونى) .

قلت :

يقول من رأى الحقيقة رأى الفعل الواحد فلاى شئ ينصرف والتسليم فإنه مع شهود الحقيقة لا يمكنه إلا أن يسلم لها وأما انصرافه فغير واجب لأنه من جملة الحقيقة وحينئذ لا تأس ولا بالخوف من النار ولا تفرح ولا

بالدخول إلى الجنة (أ/٢٥٩) ولا تتحجب وكيف وهو غير المعنى، ولا تتظر إلى نعمة المنعم، وكيف وليس غيرا للمنع ولا تستكين معنى ولا تذلل ولولبلانه وهو المعصية ولا تستقرك المستقرات وهى الشبه أو الدوافع عن الحال الذى هو بها فى الحضرة .

قوله :

(وقال لى : مقام الصديقية أن تسلم إلى وتتصرف، ومقام النبوة أن تسلم إلى وتقف) .

قلت :

مقام النبوة هو الحقيقة كما تقدم ذكره .

قوله :

(وقال لى : انظر إلى كل بشير يبشرك بعفوى وكل بشير يبشرك بنعمتى وعطى فارد ذلك إلى على مطايا الحرف، وقال يا ألف هذا الألف فاحمله ويا باء هذه الباء فاحملها، ويا حرف هذا الحرف فاحمله، فإني أنا المبدى وأنا المعيد كتبت على جميع ما أبديت لأبدنك وكتبت عليه لما بدا لأعبدنك، فأرجعه إلى أخزنه فى خزائن نظرى ثم أعيده إليك فى يوم اللقاء وقد ألبسته بيدى ونورت له من نورى وكتبت على وجهه محامد قدسى وحففته فى يوم لقائك بعظماء ملائكتى)

قلت :

فى التنزل الذى أوله الحقيقة أن تسلم إلى ولا تتصرف ما صورته، ولا تتظر إلى نعمتى، وهذا التنزل معنى على هذا المعنى إلا أنه بتأويل يعسر التعبير عنه لكنى أذكر فيه ما يتيسر من العبارة، فإن لم تفهم كم ألم بعسر التعبير عن هذا المعنى فتقول معنى **قوله :** كل بشير يبشرك بعفوى فمراده الآيات المبشرة والأحاديث المبشرة إذا نقلها العلم إلى مبلغ الحرف لا إلى مراد الشارع من الحقيقة فالطريق فيه أن لا تتظر إلى النعمة ولا إلى العفو بأن تحيل ورود العلم بالأمر بأن تتظر إلى النعمة والعفو إنما كان لقصوره على مبلغ الحرف (ب/٢٥٩) ومنه التنزل إلى مقدار الأفهام ومخاطبة الجمهور وعلى مقدار عقولهم وإن ذلك هو الذى جعل العلم يأمر بالنظر إلى العفو والنعمة وحينئذ يكون معنى قوله فارده إلى على مطايا الحرف أى اعتقد أنه لولا قصور العقول لم يؤمر بالنظر إلى العفو ولا إلى النعمة ويكون

ذلك فى معرض التثبيت لقلب أهل الحقيقة إذا رأوا ما يناقض بعض ما ورد به العلم فيقال لهم إنما كان ذلك نسب الحرف أى الخلق احتجابهم، ولما كانت الحرفية سارية فى كل مسألة من المسائل التى يظن أنها مخالفة للحقيقة قال فاحمل علمى كل حرف معنويته أى زد مما أتى به عليه بحرفيته الخاصة به فى المسئلة (المسألة) التى وقعت مخالفته للحقيقة فيها فيرد على كل حرف نصيبه جزاء وفاقا فهو قوله يا ألف هذا الألف فاحمله ويا باء هذه الباء فاحملها، ويا حرف هذا الحرف فاحمله فذكر الإشارة بتفصيل الحروف إلى التفصيل، وذكر الإشارة إلى إجمالى الرد بقوله الحرف والحرف هو جماع الحروف .

ولما كان الإبداء هو للحق قال أنا المبدى لما أبديت من العلم، وأنا المعبد لما هو الحقيقة فى نفس الوجود فينبغى أن يعرف المحقق هذا فلا ينكر ورود مخالفة العلم للحقيقة فى بعض الصور، وهى التى اقتضاها الحرف كما ذكرنا وإذا لم ينكر فكأنه رد إلى الحق ما سوف يرجعه الحق إليه مريبا تلبيس الحقيقة، وحقيقة هذه الريبة أن يريه أن الذى وقع إنما وقع نقشا للحقيقة ورثته نورته لها بنوره الذى سالك بها تلك الطريقة فعبر بهذه العبارة عن ظهور معه أن الذى وقع هو حقيقة ظهور أحكام نوره تعالى، وذلك قوله نورت له من نورى إلى آخره، والمجال يحتمل (٢٦٠/أ) أن يبسط الكلام وإن طال لكن طلب الاختصار أوجب الاقتصار .

قوله :

(وقال لى : إن رددته إلى على مطايا الحرف أتلقاه بوجهى وأضحك إليه بحبى وأبوءه دارى وأجعله روضة من رياض نظرى فبماذا ترى أن أزوده إليك من جلال كرمى؟) .

قلت :

يعنى أن رده على مقتضى ما سلف حصل له القبول، وعبر عن القبول بتلقيه بوجهه وضحكه له بحبه إلى آخره .

قوله :

(وقال لى : من لم يرد ما أبديته من كل معرفة أو علم أو عمل أو حكم ارتفعت ذلك منه بصفة وبشاهد من شواهد صفته ثم لم أسكن ذلك

المرتجع جوارى ولم أجعله فى مستودعات نظرى وغدوته من يد الضنين به
ثم أعيده إليه يوم قيامه فيعود إليه بسوء آثاره ويرد منه على شناره وخسار .
قلت :

هذا الرد أعم مما ذكر من قبل فإن ذلك مختص ببعض صور العلم
وهذا يعم العلم والعمل والمعرفة، وقوله ارتجعت ذلك يعنى العلم والعمل
والمعرفة قوله بشاهد يعنى بذنب ظاهر ولم يجعل ما ارتجعه فى جواره لأنه
(لأن) عمل (عمله) فيه غير صالح، وأما أعداؤه من يد الضنين أى من اسمه
المانع فلم يزيه كما زينه العمل الصالح والباقي ظاهر .
قوله :

(وقال لى : اردد إلى علمك، اردد إلى عملك، اردد إلى وجدك، اردد
إلى آخر همك، أندرى لم ترد ذلك إلى لأحفظه عليك فأود عنيه أنظر إليه فى
كل يوم فأبارك لك فيه، وأزيدك من مزيد نعمتى فيه، وأزيدك من مزيد
تعرفى فيه، وأجعل قلبك عندى لا عندك، ولا عند ما أودعته خاليا منك
وخاليا مما أودعته أنظر إليه فأثبت فيه ما أشاء، وأتعرف إليه بما أشاء
تسمع منى وتفهمن عنى وترانى فتعلم أنى .
قلت :

هو يعلمه كيف يتوجه إليه يودعه العلم والعمل والوجد (٢٦٠/ب)
وهو الشوق والهم وهو القصد، ثم يتجرد عن ملاحظة ما أودعه لأنه مستودع
الملاحظة منه وهو القلب إليه (تعالى) فيثبت الحق فيه معارف .
قوله :

(وقال لى : لن تزال محجوبا بحجاب طبيعتك، وإن علمتك علمى
وإن سمعت منى حتى تنتقل إلى العلم بى، وحتى تنتقل إلى عن سواى كما
اقتطعت قلبك عن التعلم من سواى وأشرفت به على مطلع الأفئدة فى
العلوم) .
قلت :

فى بعض النسخ حتى ينتقل إلى العلم بى، والذى يحتاج إلى الشرح
هو قوله وأشرفت به على مطلع الأفئدة فى العلوم، والمراد أنه أطلعه على
مبالغ العلوم من قلوب أهلها ومع ذلك لا يزال محجوبا مالم ينقطع عن السوى

به تعالى؛ إذ لا يكون بغيره، فإن المعارف ليست من الأكساب بل عطايا من الاسم الوهاب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .
قوله :

(وقال لى : إن الذى تعرفت به إليك هو الأزمة للقلوب إلى وبه تقاد إلى معرفتى، فاجذبها إلى ولن تجذب بها إلى حتى تنقطع إلى بها، وإن لم تقدها إلى لأوتينك أجرها، وخفى على قلبها) .
قلت :

يعنى أن هذه التزلات كلها تهدى القلوب إلى معرفة المحبوب، وأمره أن يجذب القلوب بها إليه فإن انقادت كان شرف المقصود، وإن لم تنقد أوتى أجرها، وإن تقلبت خيف عليه أن يؤاخذ بها أو أمره أن يخاف من أن يتنكر الحق تعالى عليها فتقلب فى معارفها، وهذا أدب منه بالإرشاد للعباد وأن يدعوهم إلى مواهب الجواد .. ومن أصدق من الله قبيلا^(١١٥) .
آخر ما كان فى الأصل ووافق الفراغ سادس عشر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وستمئة أحسن الله بعضها والعاقبة فيها بمحمد وآله وصحبه وحسبى الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

هوامش وتعليقات (١)

- ١- فى ك نجد "بسم الله الرحمن الرحيم" فى الافتتاح فقط، ولانجدها فى بداية شرح كل موقف، ولكن فى ش نجد "بسم الله الرحمن الرحيم" فى بداية شرح كل موقف من المواقف .
- ٢- "أوقفنى" معناه - كما يشرح لنا عفيف الدين التلمسانى - "أيقظ قابليتى لتلقى التجلى، وقال لى" : معناه عرفنى بأن رفع حجابى، فعرفت، فكأنه "قال لى"، ومعنى ذلك أنه حين نقرا قول النفري "قال لى ربى" أوقفنى ربى بين يديه وقال لى" أو "خاطبنى ربى" فلا يجب أن ينصرف ذهننا إلى دعوى نبوة، وإنما هى لغة الصوفية تعبر عما يلقى فى قلوبهم من الحقائق فى لحظات الصفاء الكامل، فبدلاً من أن يقول الواحد منهم لقيت فى قلبى هذه الحقيقة أو انقدح فى ذهنى هذا الخاطر، يقول "قال لى ربى"، إيماناً منه بأن نبع الحقيقة وملهمها هو الله عز و علا وحده.
- راجع كتابنا "تجريد التوحيد عند النفري" الزهراء للإعلام العربى، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ٤٤ .
- ٣- فى ش "وفى هذا المعنى للشارح" وهذا مما يرجح عندنا أن تكون ك نسخة عفيف الدين التلمسانى نفسه، أو على أقل تقدير أول نسخة نسخت عن نسخته .
- ٤- فى ش "ومن نظم الشارح رضى الله عنه فيها ما يشير إلى المقامين ."
- ٥ - غير موجودة فى ش .
- ٦- فى ش (ذكر) .
- ٧- يقوم مذهب النفري الصوفى على "الوقفة" وتعنى عنده أن ينفصل الصوفى تماماً عن السوى، ويفنى عن الكونية، وذلك لغلبة الحقبة عليه، وبالتالي لا يشهد وجوداً غير الله عز وجل .
- ففى هذا الفناء تزول الرسوم بالكلية فى عين الذات الأحدية، وترتفع الأثنينية التى بين الله والعالم، فلا يشهد الصوفى إلا الأحدية لأنه فنى عن نفسه، وعن كل شئ فى الوجود، لكونه مستغرقاً فى التوحيد .
- وعلى هذا فالأشياء حقائق لها وجود، ولكن فى عالم الحجاب، وينمضى الإحساس بهذا الوجود فى حضرة الشهود "شهود لغة العز"، بمعنى أن الصوفى لا يشهد فى هذه الحالة وجوداً حقاً غيره تعالى، وكل ما سواه عزوعلاً يندم الإحساس به، وكما عبر التلمسانى "فعلوم الحرف السوى فى ظهور نطق العز تتعدى فى شهود الشاهد".
- ٨- وهنا ينفى عفيف الدين عن النفري القول بالحلول أو الاتحاد، والحقيقة أن النفري ينفى عن نفسه هذا، يقول :
- "وقال لى ما أنا فى شئ، ولا خالطت شيئاً، ولا حلت فى شئ، ولا أنا فى شئ، ولا من ولا عن ولا كيف، ولأما ينقال، أنا أنا، أحد فرد صمد وحدى، وحدى أظهرت ولا مظهر إلا أنا" للمواقف، ص ٨١ .
- وهو يقول مناجياً ربه تبارك وتعالى :
- "إلهى أنت: فلا أشباه تماثلك، ولا أمثال تشاكلك، ولا شواكل تجانسك، ليس كمثله شئ".
- نصوص صوفية غير منشورة، ص ٢٦١، سورة الشورى : آية ١١ .

٩- العلم هو إدراك الجزئيات فى حركتها وسيرها وقوانينها، وهو علم بالمقادير والكميات والعلاقات، ولكنه لا يصلح لأن يكون هدفاً للمساك؛ ذلك أنه عاجز عن إدراك الماهيات والحقائق النهائية، وبالتالي فهو عند النفري مطية ودابة يركبها السالك لهدفه، وهدفه هو الله تعالى، ولذا فإن العلم مجرد وسيلة إلى غاية أخرى هى المعرفة، التى ترد دائما فى نصوص النفري على أنها أرقى من العلم، لأنها إدراك للحقائق الكلية، بينما العلم هو إدراك المسائل الجزئية، وبعبارة أخرى العلم يبحث فى الكون، فى الأشياء، وفى التعدد، فى المادى، والمعرفة تبحث فى المكون، فى الواحد، فى العينى .

وتنتهى المعرفة بالمساك فى رحلته للإعراض عن السوى وتجاوزها للدخول إلى حضرة الله تعالى إلى العجز، كما انتهى العلم إلى العجز من قبل، وهنا يلزم تغيير المطية، يلزم الخروج من المعرفة، كما خرجنا من العلم من قبل، وهذا كله تمهيد لحديث النفري عن "الوقفة" التى يخرج فيها السالك من السوى، يخلو قلبه من الخواطر ويتطهر ليتجلى الله عليه، وهنا يصل السالك لهدفه "الحضرة الدائمة مع الله عز وعل" وهو مقام الخلّة والمحبة، ولا يذكر لنا النفري ماذا يرى فى حالات التجلى هذه، فهو من الأسرار المحظورة .

راجع "الموافق" : موقف "عهده" ص ١٠٤، وموقف "محضر القدس الناطق" ص ١٠٧، "المخاطبات" مخاطبة ٥٢ ص ٢٠٥، وكتابنا "تجريد التوحيد عند النفري" ص ١٦٠ وما بعدها .

١٠- يؤكد عفيف هنا ما ذكرناه فى (٨) من أن النفري يميل إلى نفى الحلول والاتحاد .

١١- فى ش "تسخ" .

١٢- فى ش "هذا الواحد هو العبد" .

١٣- تجدر الإشارة إلى أن الجنيد (توفى سنة ٢٩٧هـ) حكى عن أبى بكر الصديق، قال : أشرف كلمة فى التوحيد، ما قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه : "سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته" إلا بالعجز عن معرفته (الرسالة القشيرية، ص ١٣٦) . ويفسر القشيري عبارة الصديق بأن المعرفة الصوفية بالله ووحانيته كسبية فى الابتداء، ولكنها ضرورية أو فطرية فى الانتهاء، فالمعرفة الأولى إذن لا شىء بالقياس إلى المعرفة الضرورية، كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه، لا تعود له قيمة .

١٤- يتضمن الفناء عند أبى يزيد البسطامى، فناء الإرادة، فروى عنه أنه "أراد أن لا يريد، ويقول ابن عطاء الله السكندري (ت سنة ٧٠٩هـ) شارحا هذه العبارة :

"واعلم أنه قال بعضهم : إن أبا يزيد أراد أن لا يريد، لأن الله تعالى اختار له وللعباد أجمع عدم الإرادة معه، فهو لا يختار معه شىئا ولا يريده، فهو فى إرادته أن لا يريد موافق لإرادة الله" (شرح الرندى على الحكم، ج١، ص ١٢٠) .

١٥- هو أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوى، أحد كبار الصوفية فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى، وسمى بالحلاج لأنه كان يكتسب بحلج الصوف، ولد حوالى سنة ٢٤٤هـ بالبيضاء فى فارس، وقيل إنه مجوسى الأصل، وقيل أيضا أنه من نسل الصحابى أبى أيوب، ونشأ بالعراق، وقد اتهم بالشعوذة من جانب المعتزلة، كما اتهمه الإمامية والظاهرية بالكفر، ويقال أن السلطات فى عصره اتهمته بأنه كان يتآمر على الدولة، وقد صدرت فتوى من الفقيه داود الظاهري ضد الحلاج، فقبض عليه عام ٢٩٧هـ، وأودع السجن، ولكنه فر منه، إلا أنه قبض عليه مرة ثانية فى سنة ٣٠١هـ، وصدرت ضده فتوى

وطلبت المروءة فوجدتها في الصدق، وطلبت الفخر فوجدته في الفقر، وطلبت النسبة فوجدتها في التقوى، وطلبت الشرف فوجدته في القناعة، وطلبت الراحة فوجدتها في الزهد*.

(انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد، ج٦، ص ٧٩-٨٧، القاهرة سنة ١٩٣٢، وابن الجوزي : الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، ج٢، ص ٧٩-٨٧، القاهرة سنة ١٩٣٢، وابن الجوزي : صفة الصغوة، ج٣، ص ٢٨، حيدر آباد الدكن، سنة ١٣٥٦هـ، وفريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ج١، ص ١٥-٢٤، نشرة نيكولسون، لندن سنة ١٩٠٥م، والدكتور عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، ص ١٤٤-١٥١).

٣١- تعنى الوقفة عند النفري فناء ذات الطالب في ذات المطلوب، وسميت وقفة للوقوف فيها عن الطلب، وليس للوقفة تعلق بشيء، ولا لشيء تعلق بها، بل الذي يخصها هو نفى الشينية عمن هو في مقامها، وهي بهذا وراء مدارك العقول، لأن العقول تتعلق بالشينية، فالوقفة تعنى أن ينفصل السالك تماما عن السوى، ويفنى تماما عن (الكونية) وذلك لغلبة الحقيقة عليه، فهي تعنى أن لا يشهد الواقع وجودا غير الله تبارك وتعالى، وفيها يرى السالك حقيقة السوى، وهي العدم، ومن يرى السوى كذلك يخرج عنه، ومن يراه وجودا لا يخرج عنه، ولا يجتازه . (للمزيد : راجع كتابنا : تجريد التوحيد عند النفري، ص ١٩٢ وما بعدها).

٣٢- الغزالي : هو محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابي حامد، والمعروف لعلو مكانته بـ"حجة الإسلام"، ولد بطوس من أعمال خراسان عام ٤٥٠هـ، وتوفي في يوم الاثنين رابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ، وكان ذا ثقافة واسعة عميقة فقد أحاط بتقافات عصره على اختلافها، واستطاع أن يتمثلها تمثلا غريبا، ويتبين ذلك بوضوح من مطالعة مصنفاته، فقد ألف عددا ضخما من الكتب والرسائل قدرها بعض شراح الإحياء بما يقرب من ثمانين، وهي في مجالات عدة كالفقه وأصوله وعلم الكلام والأخلاق والجدل والفلسفة والتصوف، وقد وصف ابن خلكان كتب الغزالي بأنها (كثيرة وكلها نافعة)، ووصف (إحياء علوم الدين) بأنه (من أنفس الكتب وأجملها).

وقد عرف المدرسيون في أوروبا الغزالي وفلسفته، وذلك من خلال ما ترجم من بعض كتبه في العصر الوسيط، أما الدراسات التي كتبت عنه في أوروبا والشرق فأكثرت من أن تحصى، وقد ذكر منها المستشرق الأسباني هرنانديس (Hernandez) أربعين دراسة تتناول مختلف نواحي حياة الغزالي وفكره وأثره في الفكر الإسلامي والأوروبي .

وقد أبدى كثير من الدارسين في الغرب إعجابهم بالغزالي الفيلسوف والمتصوف حيث إنه لا يزال إلى يومنا هذا صاحب أفكار حية، وقد وصفه ماكدونالد (macdonald) في المقال الذي كتبه عنه في دائرة المعارف الإسلامية بأنه

"أكثر المفكرين الذين أنجبهم الإسلام أصالة، وأكبر علماء العقائد فيه" والغزالي كفته ينتمي إلى الشافعية، وكم تكلم إلى الأشعرية، وهو إلى جانب تمكنه من العلوم الشرعية متمكن أيضا من الفلسفة والمنطق، على أنه يجب أن يوضع في الاعتبار دائما أن الغزالي ليس فيلسوفا مع علمه الواسع بالفلسفة، فهو قد رفض الفلسفة طريقا إلى اليقين، وأثر عليها التصوف ومنهجها الذوقي، وخاصة التصوف السني، فهو معنى في تصوفه بالنفس الإنسانية وأفاتها، وكيفية الترقى بها أخلاقيا، وتصوفه في الجملة تربوي، وقد اكتسبته ثقافته الفلسفية قدرة على الشرح

والتحليل والموازنة في معالجته لمسائل التصوف، كما أكسبته مهارة في نقد ما يخالف التصوف السني من مذاهب، وإثبات ما يريد إثباته من قضايا، وقد لاحظ ماكغونالد ذلك فقال: "إنه أكسب التصوف مكانة راسخة عند أهل السنة المسلمين".

ومن بين ما يثير الإعجاب بالغزالي أنه أثار بقوة مشكلة الشك واليقين، فلم يجعل المعرفة الدينية تقليدا، أو جدلا نظريا، كما هو الشأن عند المتكلمين، وإنما جعلها تجربة ذوقية أساسا، وحدد معالم هذه التجربة تحديدا لم يسبق إليه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان الغزالي صوفيا إيجابيا عنى بشئون عصره، فقد وقف في وجه المذاهب الفكرية المنحرفة بقوة، ونقدها نقدا علميا دقيقا، وكان من الممكن لهذه المذاهب أن تقوض دعائم المجتمعات الإسلامية في عصره وبعده لو تركت وشأنها.

وأمر آخر يثير الإعجاب بالغزالي، وهو أنه مفكر عاش آراءه، فلم يكن ثمة فجوة بين ما يعتقد وما يسلك، ويعتبر تصوفه صورة لحياته، وحياته صورة لتصوفه، وكان في كل مراحل تطوره الروحي صادقا مع نفسه صادقا لا يتطرق إليه شك.

(وعن مسيرة الغزالي وثقافته ومؤلفاته وفكره ومكانه، انظر: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٨٦-٥٨٨، طبقات الشافعية للسبكي، ج ٤، ص ١٠١-١٧٢، وسيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، جمع وتحقيق عبد الكريم العثمان، دار الفكر بدمشق، دى بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، الترجمة العربية، ٢٤٧).

. Macdonald: Art Alghazzali Encyclopedia of Islam

والدكتور أبو الوفا التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٥٢ وما بعدها.

٣٣- في ش (الهلاك).

٣٤- وهنا يناقش النفري "معرفة الحق تعالى" هل هي ممكنة أم لا، وإذا كانت ممكنة، فمن أقرب إليها، الواقف أم العارف أم العالم، وينتهي إلى القول بأن الواقف أقرب إلى معرفة الحق تعالى، (وأقرب هنا تعنى أن (المعرفة الحقة) متعذرة بالنسبة للإنسان، ولهذا قال (ما عرفنى شئ)، فلا يعرفه حق معرفته إلا هو (راجع المواقف، ص ٢) والذات الإنسانية، فى أسمى أدواتها المعرفية، الأندة، تعجز عن أن تصل إلى أنوار العزة الإلهية. (راجع تفصيلا لذلك كتابنا: تجريد التوحيد عند النفري، ص ١٨٩ وما بعدها).

٣٥- فى ش (شهود).

٣٦- (المعرفة) عند النفري روح العلم، فإذا كان العلم هو الذى ينقل صاحبه من مرتبة (الحيوانية) إلى مرتبة (الإنسانية)، فلا بد للعلم أن يصير علما نافعا، والذى يجعله كذلك هو المعرفة، فهى عند النفري مقام أسمى من مقام العلم، وهى باطن العلم، و(العارف) عنده هو الذى فنى عن بعض رسومه وبقي بالبعض الآخر، فهو بما فنى منه يعد من الخواص، وبما بقي يعد من العوام، وجانب المعرفة فيه هو جانب الحق لا جانب الخلق، وعلى هذا يكون العارف موزعا بين الحق والخلق، فتارة يتعلق بالحق لما وصل إليه من شهوده تعالى، وتارة يتعلق بالخلق لما بقي فيه من رسمه.

(راجع كتابنا: تجريد التوحيد عند النفري، ص ١٧٨ وما بعدها).

٣٧- مرتبة العلم عند النفري هى مرتبة الأمر والنهى الإلهيين، وعلى هذا ينبغى على السالك فى مرتبة العلم أن يلتزم بما أمر الله تبارك وتعالى به، وبما نهى عنه، ويمثل العلم عنده روح

الحياة، أى أن الحياة إن لم يصحبها علم كانت حيوانية بهيمية، وإن صاحبها العلم كانت إنسانية، فالعلم هو الذى يرقى صاحبه عن درجة الحيوانية . (تجريد التوحيد عند النفري، ص ١٦٨ - ١٦٩) .

٣٨- فى ش (تسويق الاستبعاد) .

٣٩- لتعلقه التام بالسوى .

٤٠- لإمكانية تحرره من السوى .

٤١- لتجاوزه السوى .

٤٢- فى ش (من غيره يعبد به) .

٤٣- فى ش (البعد والقرب) .

٤٤- البسطامى : هو طيفور بن عيسى بن سروشان من أهل بلدة بسطام، وكان جده سروشان هذا مجوسيا أسلم، وتوفى أبو يزيد سنة ٣٦١هـ (قبل سنة ٣٦٤هـ)، وقد غلب عليه حال الفناء، ولذلك تؤثر عنه أقوال كثيرة، بعضها من قبيل الشطحات، على أن أهم ما يتميز به فناء أبى يزيد هو سقوط ما سوى الله شهودا، بحيث لا يعود الصوفى مشاهدا لإحقيقة واحدة هى الله، بل لا يعود مشاهدا لنفسه، لتلاشى نفسه فى مشهوده، وهو ما عبر عنه بمحو الرسوم، وفناء الهوية، وغيبة الآثار، وعندئذ يتحد بالحق، ويسرف أبو يزيد فى التعبير عن حال فئانه واتحاده بمحبوبه، فيطلق بشطحات غريبة .

(انظر ترجمته فى : طبقات السلمى، ص ٦٧، واللمع للسراج الطوسى، ص ٥٧، ١٢٨،

١٤٤-١٤٥، ٢٩٨-٢٩٩، وعن أقواله وأخباره : النور من كلمات أبى طيفور، تحقيق الدكتور

عبد الرحمن بدوى، شطحات الصوفية، القاهرة ١٩٤٩) .

٤٥- (معرفة المعارف) : هى مقام فوق مقام العلم، ودون مقام المعرفة، وذلك لأن المعرفة هى

معرفة الله تعالى من مراتب أسمائه وصفاته وأفعاله على التدرج، فنسبتها إلى الله تعالى،

وأما "معرفة المعارف" فهى معرفة تلك المعرفة، فنسبتها إلى صور معرفة الله تعالى، لا إلى

الله عز و علا . "معرفة المعارف" إذن برزخ بين العلم الحجابى، ومعرفة الله تعالى،

والبرزخ حد، فهى حد بين الظاهر والباطن، والظاهر هو العلم، والباطن هو المعرفة، ولذلك

تعرض فيها النفري لأكثر صور العلم، وصور المعارف (راجع المواقف، ص ١٩) .

ويرى النفري أن (معرفة المعارف) فى الحقيقة سبب الجهل الحقيقى لأنها صور العلم،

وصور المعارف (المواقف، ص ١٩)، وصاحب مقام (معرفة المعارف) هو الذى يظفر بالحكم

ويثبت فى العلم، فهو بمنزلة من شهد أن المقصود من العبادة هو جمع القلب على الحق تعالى،

فيدع ما سواه من المعترضات الخاطرة .

٤٦- أكد الغزالي على القول بحدوث العالم، بقسمته الوجود إلى ممكن وضرورى، وأن الممكن

لا بد أن يكون له فاعل، وهو الله تعالى (واجب الوجود) وأن العالم بجميع ما فيه جائز أن

يكون على مقابل ما هو عليه، والجائز محدث وله محدث، كأن بعد أن لم يكن شيئا ولا عينا

ولا جوهر، أحدثه الله تعالى من عدم محض، فالعالم حادث بإرادة قديمة اقتضت وجوده فى

الوقت الذى وجد فيه، وإرادة الله تعالى تفعل كل ما فى العالم، والإيجاد والإعدام بإرادته

تعالى، فإذا أراد شيئا أوجده، وإذا أراد إعدام شيء أعدمه، وهو تبارك وتعالى فى كل ذلك لا

يتغير جل شأنه، إنه سبحانه قادر من الأزل، وسيظل كذلك، فصلة الله تعالى بالعالم ليست

صلة طبع كصدور الأشعة عن الشمس، وإنما صلة إرادة، وإلا لما استطاع سبحانه أن يؤثر

فى العالم بالإيجاد فى وقت أو فى حيز دون آخر، فاختيار الله تعالى خلق العالم فى زمان دون زمان، وفى مكان دون مكان إنما يدل على أن صانع العالم مريد مختار لا مطبوع مقهور على نحو ما تصوره الفلاسفة (راجع كتابنا : ملامح من حوار متكلمى وفلاسفة المسلمين، ص ٥٩، ٥٢) .

٤٧- فى ش (التذكرة) .

٤٨- ابن العريف، أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله، يكنى أبو العباسى، ويعرف بابن العريف، من قبيلة صنهاجة، بطن من حمير العربية فى المغرب، وأبوه محمد أصلاً من طنجة، ولد ابن العريف ١٠٨٨م وتوفى ١١٤١م، ولم يذكر المترجمون مؤلفات له إلا ما ذكره ابن خلكان، أن له كتاباً يعرف باسم "محاسن المجالس".

ومن أشهر تلاميذه أبو بكر محمد بن الحسين الميورفى، وأبو الحكم بن برجان .

(راجع : ابن خلكان، وفيات الأعيان جـ ١،

ابن بشكوال، الصلة، الترجمة العربية،

اسبين بلاثيوس : زاهد من المرية أبو العباس بن العريف . وكتابه محاسن المجالس، ترجمة الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، ١٩٨٠م) .

٤٩- الله تبارك وتعالى، يستدل به، ولا يستدل عليه فهو برهان كل شئ، لأنه الحق المطلق، ومن قصور النظر أن نطلب على الله برهاناً، وأن نلتزم له الدليل من عالم الباطن، فالحق تعالى هو الذى يخرج الأشياء إلى عالم الظهور والعيان، والأشياء تعتمد عليه فى ظهورها، وهو تعالى لا يعتمد عليها فى ظهوره، هو تعالى برهانها، وهى لا تصلح أن تكون برهانه، وفى هذا يقول النفري :

"وقال لى : يا مختلف لا تستدل بمختلف" (المواقف، ص ١٠٢) وراجع تفصيلاً عن ذلك فى كتابنا : تجريد التوحيد عند النفري، ص ١٧٣ وما بعدها .

٥٠- فى ش (علمه) .

٥١- فى ش (إذا درى ميل) .

٥٢- فى ش (بنت) .

٥٣- البقرة : ٢٨٢ .

٥٤- والإشارة هنا إلى ضرورة طاعة أوامر الحق تبارك وتعالى دون انتظار علم الحكمة وراءها، وهذا هو اليقين الحقيقى .

٥٥- الإشارة هنا إلى أن عمل العبد ينبغي أن يكون لوجه الله تعالى فقط .

٥٦- أبو مدين، هو شعيب بن حسين الأنصارى، أصله من الأندلس، تتلمذ على الشيخ أبى الحسن بن حرزهم، والشيخ الفقيه أبى الحسن بن غالب فقيه فاس (ت ٥٦٨هـ)، والشيخ أبى على الدقاق، والشيخ أبو يعزى (ت ٥٧٢هـ) .

يقول أبو مدين فى التوبة :

"طلب الإرادة قبل تصحيح التوبة غفلة" أى لا بد من تصحيح التوبة أولاً، والتصحيح يستلزم أداء حقوق الله فى الطاعات، والانتهاى عما نهى الله عنه .

ويقول فى الطاعات :

"من أهمل الفرائض فقد ضيع نفسه" .

وفى الإخلاص :

"علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق"
وفي المراقبة:

"بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة". والمراقبة هي يقين العبد بأن الله عليه رقيب.
وفي الحرية يقول:

"ما وصل إلى صريح الحرية من بقى عليه من نفسه بقية"، أى أن الإنسان عبد إذا استعبده المال أو السلطان أو الجاه أو الهوى، أو الشهوات، والحرية أن يتحرر الإنسان عن كل هذه القيود التي تستعبده".
ومن كلامه أيضا:

"أسماء الله تعالى بها تعلق وتخلق وتحقق، فالتعلق الشعور بمعنى الاسم، والتخلق أن يقوم بك معنى الاسم، والتحقق أن تفنى فى معنى الاسم".
ومن شعره:

الله قل وذو الوجود وما حوى	إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته	عدم على التفصيل والإجمال
واعلم بأنك والعوالم كلها	لولاه فى محو وفى اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته	فوجوده لولاه عين محال

وكانت وفاته فى عام أربعة وتسعين وخمسمائة.

٥٧- يميل النفري إلى الاتجاه القائل بالجبر، ذلك أنه يرى أن الفعل ينسب مجازا إلى الإنسان، وحقيقة إلى الله تعالى، وأن الإنسان لا إرادة له بالقياس إلى إرادة الله، وهذا يعنى ضرورة فناء السالك عن إرادته، وبقاءه بإرادة الله، فمن رأى لنفسه عملا فقد أساء سيئة، وليس لشيء من الأمور شيء، بل جميع الشئيات محو فى وجود مشيئتها وهو الله تبارك وتعالى.

٥٨- البقرة: آية ١١٥.

٥٩- (والله الموفق) غير موجودة فى ش.

٦٠- الطلاق: آية ١٢.

٦١- سورة النجم آية: ٤٢.

٦٢- إن الشيخ النفري لم يجمع هذه المواقف بهذا الترتيب وإنما الذى قام بهذا العمل هو ولد ولده.

٦٣- وهنا نستطيع أن نتحدث عن التمايز بين الله تبارك وتعالى وبين العالم فى تصوف النفري، فالله تبارك وتعالى لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء، أزلى، أبدى، باق، مازال، وما سواه العالم له ابتداء وله انتهاء، ومن له ابتداء وله انتهاء فهو فى حقيقة عدم، والوجود أمر عارض بالنسبة له.

٦٤- الكلام من (إن شاء) وحتى (والحيور) غير موجود فى ش.

٦٥- يرى النفري كما سبق ذكره فى هامش (٥٧) أن العبد لا فعل له على الحقيقة، وإنما الفعل ينسب حقيقة إلى الله تعالى، فأعمال العبد على اختلافها ليست منه بإرادته، وإنما هى من الله بمحض فضله ومنته، ويذهب إلى أن أهل الاختيار الذين ينسبون الفعل لأنفسهم، ويرون أنهم مختارون فى أفعالهم، كلهم مرضى، لأن نسبة الاختيار إلى أنفسهم هو المرض بعينه، فالنفري يميل إلى الاتجاه القائل بالجبر.

٦٦- يؤكد النفرى هنا على تنزيه الحق تبارك وتعالى عن أن يكون فى محل، أو أن يحل فى شىء أو أن يتحد فى شىء . "راجع هامش (٨) ."

٦٧- يؤكد النفرى هنا على فكرة أن العمل ينبغى أن يكون لوجهه تبارك وتعالى، وليس خوفا من النار أو طمعا فى الجنة فقط، والعمل المعنى هنا: الالتزام بما أمر به وبما نهى عنه الحق تبارك وتعالى .

٦٨- حديث النفرى هنا عن الذات والصفات قريب من حديث المعتزلة الذين أثبتوا أن الصفات عين الذات، فلا وجود لصفات زائدة عليها، فالمعتزلة فيما يبدو لنا كانوا يخشون أن يؤدى قول بعض الصفاتية فى إثبات الصفات مستقلة عن الذات إلى اعتبارها جواهر مستقلة أو أقانيم، كما هى الحال عند النصارى الذين يعتبرون الأقانيم صفات مشخصة .
فالمعتزلة لم يجرّدوا الذات الإلهية عن صفاتها تماما، بل أثبتوا أن الصفات عين الذات، والذى دعاهم إلى هذا رأى هو الدفاع عن العقائد الإسلامية بدحض مذاهب المشبهة والمجسمة التى ابتعدت عن روح الإسلام .

٦٩- العبد، وغيره من السوى، فى حقيقته عدم، أى ليست له أية حقيقة بجوار - إن صح وجود التعبير - الحق تبارك وتعالى، وهنا يركز النفرى على فكرة التمايز بين الله تعالى، الوجود الحق، وبين الإنسان، العدم الحق .

٧٠- يرى النفرى أن عبادة الخوف والطمع تتعلق بالأفعال، وأهل الأفعال أجراء، وليسوا عبيدا، والقرب يكون بالحب، وذلك أن المحب إنما يطلب ذات المحبوب لا خوفا من عقاب ولا طمعا فى نعيم، ومن ذاق طرفا من المحبة الصادقة علم هذا المعنى .
وتجمع مرتبة "العبادة الوجهية" - التى تعتبر من أسمى مراتب التصوف - بين رابعة العدوية (ت ١٨٥هـ) والنفرى، ذلك أن رابعة لم تكن تستهدف فى طاعتها الله غاية من الغايات، فلم تكن تطمع فى الجنة أو تخاف من عذاب النار، وإنما كانت تطيع الله حبا له، وقد عبرت رابعة عن ذلك بقولها

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
لو كان حبك صادقا لأطعته
هذا لعمري فى القياس بديع
إن المحب لمن يحب يطيع

ويروى أن سفيان الثوري قال لها يوما :

"كل عقيدة شرط، ولكل إيمان حقيقة، فما حقيقة إيمانك ؟
قالت :

ما عبديته خوفا من ناره، ولا حبا فى جنته فأكون كالأجير السوء إن خاف عمل، بل عبديته حبا به وشوقا إليه ."

ويروى عنها أيضا أنها كانت تقول فى مناجاتها :

"إلهي إذا كنت أعبدك رهبة من النار فأحرقني بنار جنهم، وإذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة فأحرمنيها، وأما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك، فلا تحرمني يا إلهي من جمالك الأزلى ."

(راجع : الزبيدي : اتحاف السادة المتقين، ج٩، ص ٥٧٦، والدكتور محمد مصطفى حلمي : الحياة الروحية فى الإسلام، القاهرة، ١٩٤٥، ص ١٨) .

٧١- يؤكد النفرى هنا على فكرة أن التعرف الحقيقى على الحق تبارك وتعالى يكون به لا بالكون، ف (العالم يستدل على والعارف يستدل بى) أى أن هناك سبيلين للتعرف على الحق تعالى، الأولى تصل فيها إلى المكون (الحق تعالى) عن طريق المكون (العالم)، والثانية تصل

فيها إلى الحق تعالى به، والأولى سبيل (العالم) والثانية سبيل (العارف)، فالعالم يستدل عليه تعالى، والعارف يستدل به تعالى .

٧٢ - سورة الذاريات آية : ٥٦ .

٧٣ - ابن عربي، هو أبو بكر محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الطائفي الحاتمي، ولد في مرسية، في جنوب شرق الأندلس سنة ٥٦٠هـ، في بيت جاه وثروة وعلم، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ، حيث يوجد ضريحه إلى الآن. وابن عربي من عظماء مفكري الإسلام، وقد تأثر به بعض مفكري أوروبا مثل دانتى كما أثبتته المستشرق الأسباني ميغل أسين بلانثوس في بحث له، وتأثر به جميع الصوفية الذين جاؤا بعده في الشرق والغرب على السواء، ويذكر عنه أنه ألف خمسمائة مصنف في التصوف ذكر منها بروكلمان في "تاريخ الأدب العربي" أكثر من مائتين، وأشهر كتبه "الفتوحات الملكية" وهو موسوعة ضخمة في التصوف، و"فصوص الحکم" و"ترجمان الأشواق" وهو ديوان شعر في الحب الإلهي .

وقد عرف ابن عربي لعلو مكانته بـ "الشيخ الأكبر"، وهو أول واضع لمذهب وحدة الوجود PANTHEISM في التصوف الإسلامي، وفيه يرى أن وجود الممكنات هو وجود الله، وليس تعدد الموجودات وكثرتها إلا وليد الحواس الظاهرة، والعقل الإنساني القاصر هو الذي يعجز عن إدراك الوحدة الذاتية للأشياء، فالحقيقة الوجودية واحدة في جوهرها وذاتها، متكررة بصفات وأسمائها لا تعدد فيها إلا بالاعتبارات والنسب والإضافات، إذا نظرت إليها من حيث ذاتها قلت هي الحق، وإذا نظرت إليها من حيث صفاتها قلت هي الخلق .

(راجع : الدكتور أبو العلا عفيفي :

"The Mystical philosophy of muhyid Din Ibunl Arabi, cambridge ١٩٣٩".

وانظر تعليقاً له على ابن عربي بدائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، وكذا مقدمة فصوص الحکم لابن عربي، القاهرة، ١٩٤٦م، والدراسة القيمة التي أعدها صديقنا الدكتور أحمد محمود الجزار عن "الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي"، نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٠، وبحثاً لنا عن "الوجود والعلم في فلسفة ابن عربي الصوفية" كان موضوعاً لدرجة الماجستير من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٩م) .

٧٤ - يوسف : آية ١٠٨ .

٧٥ - يقوم مذهب النفرى الصوفى على "الوقفة"، التي هي نهاية وتتويج لسلسلة المجاهدات التي تأخذ هيئة سلم تصاعدى يبدأ من الجهل، ثم يترقى إلى العلم، ثم إلى المعرفة، ثم إلى الوقفة، وأخيراً ينتهى أمر المجاهد، أو السالك، أو (الواقف) على حدثبغير النفرى إلى الجهل مرة أخرى، ولكن شتان ما بين جهل حقيقى، وجهل مجازى، جهل جاهل بالفعل، وجهل يتجاوز العلم والمعرفة، ويعلو عليهما وعلى كل الحدود .

٧٦ - أبيض في لك، وش .

٧٧ - القصص آية : ٨٨ .

٧٨ - ابن سبعين، هو عبد الحق بن إبراهيم محمد بن نصر، صوفى أندلسى متفلسف، وهو يكنى بابن سبعين، ويلقب بقطب الدين، ويعرف أحياناً بأبى محمد، وهو من أصل عربى، ولد سنة ٦١٤هـ في وادي رقوطة من أعمال مرسية، وكان أبوه حاكماً للمدينة، وكذلك كان أجداده من أهل الحسب والرياسة، وتوفي في مكة سنة ٦٦٩هـ .

وقد خلف ابن سبعين واحدا وأربعين مصنفًا تقريبًا، تتناول تصوفه من ناحيتيه النظرية والعملية، وتختلف طولًا وقصرًا، وثقافته كما تبدو من مصنفاته واسعة منوعة، فهو قد عرف مذاهب فلاسفة اليونان، والفلسفات الشرقية القديمة كالفارسية والفارسية والهندية، ووقف على مذاهب فلاسفة المشرق كالفارابي وابن سينا، وفلاسفة المغرب كابن باجة وابن طفيل وابن رشد، وله الإمام واضح بما تضمنته رسائل إخوان الصفا، ومعرفة دقيقة بمذاهب المتكلمين خصوصًا الأشعرية، وعلمه بمذاهب التصوف دقيق، ويتبين هذا كله من نقده لمن تقدمه من فلاسفة ومتكلمين وصوفية، وهو إلى جانب ما تقدم عميق المعرفة بمذاهب الفقه الإسلامي .

وابن سبعين صاحب مذهب في التصوف الفلسفي يعرف بالوحدة المطلقة، لا يثبت فيه إلا وجودًا واحدًا وهو وجود الله، لا اثنيّة معه ولا كثرة بوجه من الوجوه، ومذهبه هذا يختلف عن المذاهب الصوفية الأخرى في وحدة الوجود التي تقسح مجالًا للقول بالممكنات على وجه ما، ويبنى ابن سبعين على قوله بالوحدة المطلقة مذهبًا خاصًا في المحقق أو المقرب، وهو مذهب شبيه بمذهب الحقيقة المحمدية أو القطب عند بعض متفلسفة الصوفية كابن عربي، وابن الفارض، أو مذهب الإنسان الكامل عند عبد الكريم الجيلي، والمحقق عنده هو أكمل أفراد الإنسان، وهو المتحقق بالوحدة المطلقة، وهو متميز عن كل من سبقه، ويجعله ابن سبعين حاليًا لكمالات كل من الفقيه والأشعرى والفيلسوف والصوفي، ويزيد عليهم بعرفانه الخاص الذي هو علم التحقيق وهو الباب إلى النبي، وهو المدبر للعالم من حيث حقيقته الروحانية المتحدة بالنبي، والكل يستمد منه .

(وعن سيرة ابن سبعين وثقافته ومؤلفاته ومذهبه الصوفي ومكانته، راجع : الدكتور أبو الوفا النفاذاني، ابن سبعين وفلسفته الصوفية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣، رسائل ابن سبعين، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٦٥، رسالته "جواب صاحب صقلية" نشر الأستاذ شرف الدين بالنفاذاني، بيروت، ١٩٤١،

رسالته "يد العارف" تحقيق وتقديم الدكتور جورج كتورة، دار الأندلس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٨ م .

٧٩ - أبيض في ك و ش .

٨٠ - أبيض في ك و ش .

٨١ - أبيض في ك و ش .

٨٢ - أبيض في ك و ش .

٨٣ - الإسراء : آية ١١٠ .

٨٤ - الإنسان : آية ٣٠ .

٨٥ - فصلت : آية ٥٣ .

٨٦ - سورة طه : آية ١١٤ .

٨٧ - الرؤية الحقّة تفنى فيها بشرية الرائي تمامًا، وحيث إن الإنسان لا تفنى عنه بشريته تمامًا، فالرؤية - أي رؤية العبد ربه - غير ممكنة في تصوف النفري، وهذا معنى قوله :

(كلك خلق فماذا تروم) .

٨٨ - يؤكد غيف الدين التلمساني هنا ما سبق ذكره من أن الذي ألف بين هذه المواقف ليس الشيخ النفري نفسه، وإنما هو شخص آخر، مرة يذكر أنه حفيده لابنه، وأخرى يذكر أنه حفيده لابنته.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- الأصفهاني (أبو نعيم) "حلية الأولياء"، ط السعادة ١٩٢٢م.
- ٢- ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- ٣- ابن تيمية: مجموعة الرسائل الكبرى، القاهرة ١٣٢٣هـ.
- ٤- ابن تيمية: رسالة الفرقان بين الحق والباطل، القاهرة ١٣٢٣هـ.
- ٥- ابن الجوزي: صفة الصفوة، حيدر آباد الركن، سنة ١٣٥٦هـ.
- ٦- ابن خلكان: وفيات الأعيان، بولاق ١٢٩٩هـ.
- ٧- ابن سبعين: يد العارف، تحقيق وتقديم الدكتور جورج كتورة، دار الأنتلس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.
- ٨- ابن سبعين: جواب صاحب صقلية، نشر الأستاذ شرف الدين بالنقيا، بيروت، ١٩٤١م.
- ٩- ابن سبعين: الرسائل: تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٦٥.
- ١٠- ابن شاکر الكتبي: فوات الوفيات، القاهرة ١٢٩٩هـ.
- ١١- ابن شاکر الكتبي: عيون التواريخ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية، رقم ١٤٩٧ تاريخ.
- ١٢- ابن عباد الرندي: شرح الحكم العطائية، بولاق، ١٢٧٨هـ.
- ١٣- ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن، القاهرة ١٣٢٢هـ.
- ١٤- ابن العماد: شذرات الذهب، القاهرة ١٩٣١م.
- ١٥- ابن كثير: البداية والنهاية، مطبعة السعادة بمصر (بدون تاريخ).
- ١٦- أبو طالب المكي: قوت القلوب، القاهرة ١٣٣٢هـ.
- ١٧- أبو العلا عفيقي (الدكتور): المقدمة والتعليقات على فصوص الحكم لابن عربي، القاهرة ١٩٤٦م.
- ١٨- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني (الدكتور): ابن سبعين وفلسفة الصوفية، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
- ١٩- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني (الدكتور): مدخل إلى التصوف الإسلامى، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٢٠- أحمد محمود الجزار (الدكتور): الفناء والحب الإلهى عند ابن عربي، نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٢١- أدونيس (على أحمد سعيد): تأسيس كتابة جديدة، بحث نشر بمجلة "مواقف" بالعدد ١٧، ١٨، سنة ١٩٧١م.
- ٢٢- أسين بلاتويس: زاهد من المرية أبو العباس بن العريف وكتابه محاسن المجالس، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ١٩٨٠م.
- ٢٣- الجرجاني (التعريفات)، القاهرة ١٢٨٣هـ.
- ٢٤- جمال المرزوقي (الدكتور): تجريد التوحيد عند النفري، الزهراء للإعلام العربى، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٥- جمال المرزوقي (الدكتور): دراسات نقدية فى الفكر الإسلامى المعاصر، دار الهداية، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

- ٢٦- جمال المرزوقي (الدكتور): ملامح من حوار متكلمي وفلاسفة المسلمين، دار الهداية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- ٢٧- جمال المرزوقي (الدكتور): الوجود والعدم في فلسفة ابن عربي الصوفية، مخطوط (رسالة ماجستير)، جامعة القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٢٨- الحلاج (الحسين بن منصور): الديوان، طبعة ماسينيون، باريس، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٥٥م.
- ٢٩- الحلاج (الحسين بن منصور): الطوامين، نشر ماسينيون، باريس ١٩١٣م.
- ٣٠- السلمي (أبو عبد الرحمن): طبقات الصوفية، تحقيق الأستاذ نور الدين شريفة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.
- ٣١- الشعراني (عبد الوهاب): الطبقات الكبرى، القاهرة ١٣٤٣هـ.
- ٣٢- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك): الوافي بالوفيات، نسخة خطية بمكتبة أحمد الثالث بالأسنانة رقم ٢٩٢٠.
- ٣٣- الطوسي (السراج): للمع، بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، القاهرة ١٩٦٠م.
- ٣٤- عاطف العراقي (الدكتور): أثر رسائل إخوان الصفا على مفكرى العرب، بحث منشور بمجلة العروة الوثقى، العدد ٢٩، ١٩٨٢م.
- ٣٥- العاملي (بهاء الدين): رسالة في الوحدة الوجودية، بمجموعة الرسائل، مطبعة كردستان بمصر ١٣٢٨هـ.
- ٣٦- عبد الرحمن بدوي (الدكتور): تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.
- ٣٧- عبد الرحمن بدوي (الدكتور): شطحات الصوفية، القاهرة، ١٩٤٩م.
- ٣٨- عبد الكريم اليافي (الدكتور): دراسات فنية في الأدب العربي، مطبعة دار الحياة - دمشق ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- ٣٩- عبد الوهاب عزام (الدكتور): التصوف وفريد الدين العطار، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ٤٠- عبد الوهاب عزام (الدكتور): كتاب المواقف والمخاطبات، بحث نشر بمجلة الرسالة، العدد ٩٦، القاهرة، ٣ صفر ١٣٥٤هـ / ٦ مايو ١٩٣٥م.
- ٤١- على صافى حسين (الدكتور): الأدب الصوفى في القرن السابع الهجرى، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.
- ٤٢- عفيف الدين التلمساني: الديوان، الجزء الأول، بتحقيق دكتور يوسف زيدان، إدارة الكتب والمكتبات، أخبار اليوم، ١٩٩٠م.
- ٤٣- عمر الدسوقي: إخوان الصفاء، دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٩٤٧م.
- ٤٤- عمر موسى باشا (الدكتور): العفيف التلمساني شاعر الوحدة المطلقة، منشورات اتحاد الكتاب العربى، طبعة دار الجيل - دمشق، ١٩٨٢م.
- ٤٥- الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابقة ببجاية، الجزائر ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م.
- ٤٦- الغزالي (أبو حامد): إحياء علوم الدين، القاهرة ١٣٣٤هـ.
- ٤٧- الغزالي (أبو حامد): مشكاة الأنوار، القاهرة ١٩٠٧م.

- ٤٨- فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، نشر نيكولسون ١٩٠٥ - ١٩٠٧م.
- ٤٩- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربى، الجزء الثانى، نقله إلى العربية الدكتور محمود فهمى حجازى، والدكتور فهمى أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.
- ٥٠- القشبرى (عبد الكريم): الرسالة القشبرية، القاهرة ١٣٣٠هـ.
- ٥١- القلقشندى: صبح الأعشى، المطبعة الأميرية ١٣٣١هـ - ١٩١٣م.
- ٥٢- الكلاباذى: التعرف لمذهب أهل التصوف، بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور القاهرة ١٩٦٠م.
- ٥٣- محمد مصطفى حلمى (الدكتور): الحياة الروحية فى الإسلام، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ٥٤- المقرئ: نفع الطبيب، القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٤٩م.
- ٥٥- المناوى (عبد الرؤوف): الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية، نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٠ تاريخ، ونسخة أخرى برقم ٢٥٩ تاريخ.
- ٥٦- نيكولسون (رينولد): الصوفية فى الإسلام، ترجمة الأستاذ نور الدين شريعة، القاهرة ١٩٥١م.
- ٥٧- نيكولسون (رينولد): فى التصوف الإسلامى وتاريخه، مجموعة أبحاث عنوانها المترجم الدكتور أبو العلا عفيفى بهذا العنوان، القاهرة ١٩٤٧م.
- ٥٨- الهروى: منازل السائرين، طبع البابى الحلبي، القاهرة ١٢٢٨هـ.
- ٥٩- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة ١٩٤٦م.
- 60- Affi (Dr.A.): The Mystical philosophy of Muhyid - Din Ibnul Arabi, Cambridge 1939.
- 61- Bastide (R.): les Problemes de lavie mystique, Paris 1931.
- 62- Macdonald: Art "Al Ghazzali," Encyclopedia of Islam.
- 63- massignon: Art. "Hallajin Encyclopedie de L'Islam.
- 64- Massignon: La passion de, Al-Hallaj, martyr mystique de L,Islam, Paris 1922.
- 65- Massignon: Art. Al Muhasibi, Encyclopedla of Islam.
- 66- Stace: Mysticism and philosophy In Mac-Millan, london 1961.
- 67- Trimingham (J.S.) The Sufi Orders in Islam, london, 1971.
- 68- Underbill (E.): Mysticism, a Study In the nature and development of man,s Spirtnal consclousness, London, 1949.

هذا الكتاب

يقدم الكتاب تحقيقاً لمخطوطة "شرح مواقف النفري" لـ "عفيف الدين التلمساني"، وتتمثل أهمية هذا الشرح في جانبين :
الأول : فهم عبارة النفري الشديدة الرمزية والتكثيف ، فمع النفري يتخذ فعل الكتابة بعداً ماورائياً ويتحول إلى كتابة قصيدة جديدة تؤسس بقدر ما تمحو ، وترمز بقدر ما تكشف اللغة .

والثاني : الكشف عن مذهب التلمساني الصوفي ، الذي لم يحظ بدراسة مستقلة حتى الآن . ويعتمد التحقيق أساساً على مخطوطة كوبرلي باستانبول التي يرجع تاريخها إلى ٦٩٥ هـ ، أي بعد وفاة التلمساني بخمس سنوات ، وبالتالي فهي مخطوطة لا تصاب لها قيمة . وفضلاً عن قدمها هذا ، فإن العناية تتجلى فيها في كل موضع وتشمل حسن الخط ، ووضع النقط ، وتشكيل الحروف .

(صاحب المواقف) : النفري

أبو عبدالله محمد بن عبدالله ، توفي عام ٣٥٤ هـ ، يلقب بالإسكندري وبالمصري ؛ لأنه عاش في مصر ، وربما توفي فيها ، ولكن اللقب الغالب عليه هو (النفري) نسبة إلى نفر - بكسر أوله وتشديد ثانيه وراء - تتمثل تجربته الروحية أساساً في كتابه (المواقف والمخاطبات) ، وتدل على أن صاحبها كان صوفياً من طراز فريد .

(الشارح) : التلمساني

وشارح المواقف هو أبو الربيع ، عفيف الدين ، سليمان ، بن علي ، بن عبدالله ، بن علي زين الدين الكومي ، التلمساني ، حلقة هامة في تطور الفكر الصوفي الذي ازدهر في القرنين السادس والسابع الهجريين بالهور ابن عربي ومدرسته ، ولد سنة ٦١٠ هـ وتوفي سنة ٦٩٠ هـ .